منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

للفقيه المحدث الأديب المفسر
قطب الدين أبي الحسين
سعيد بن هبة الله الراوندي
المتوفى سنة ٥٧٣ هـ

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

من مخطوطات
مكتبة آية الله المرعشي العامة
(١٤)

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

للفقيه المحدث الأديب المفسر
قطب الدين أبي الحسين
سعيد بن هبة الله الراوندي
المتوفى سنة ٥٧٣ هـ

الجزء الاول

(تحقيق)
السيد عبداللطيف الكوهكمرى

(باهتمام)
السيد محمود المرعشى

كتاب : منهاج البراعة فی شرح نهج البلاغة
تأليف : سعيد بن هبةالله الراوندی
تحقيق : السيد عبد اللطيف الكوهكمری
نشر : مكتبةآية الله المرعشی العامة ـ قم
طبع : مطبعة الخيام ـ قم
التاريخ : ١٤٠٦ هـ
العدد : (٢٠٠٠) نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى بعث النبيين للعالمين بشيراً ونذيراً، وارسلهم ليهدوا عباد الله صراطاً مستقيماً . والصلاة والسلام على سيدنا سيد الانبياء والمرسلين ، وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس اهل البيت وطهرهم تطهيراً .

ترجمة الشريف الرضى

اسمه ونسبه :

أبو الحسن ذوالحسبين محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين ابن موسى الابرش بن محمدالاعرج بن موسى أبي‌سبحة بن‌ابراهيم المرتضى ابن الامـام الهمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن الامـام محمد الباقر بن الامام علي السجاد بن الامام‌الحسين الشهيد بن الامام علي بن أبي‌طالب عليهم السلام ، الرضي النقيب أخو السيد المرتضى .

وأمه هي‌فاطمة بنت الناصر الصغير أبي‌محمدالحسن بن أحمد أبي‌الحسين صاحب جيش‌أبيه الناصر الكبير أبي‌محمد الحسين بن علي بن عمر الاشرف ابن الامـام السجاد علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الامـام علي بن أبي طالب عليهم السلام .

وهو حسيني النسب من الطرفين ، ولعله لذلك لقب‌بذي‌الحسبين. وأبوها هذا وآباؤه كانوا من ملوك طبرستان ببلاد الديلم .

ولادته ووفاته :

كان مولده ببغداد سنة ٣٥٩ في بيت أبيه النقيب الحسين أبي أحمد. وليس في تاريخ ولادته اختلاف بين المؤرخين .

وتوفي رحمه الله بكرة يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦، وحضر الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته الشريفة والصلاة عليه ، ودفن في داره بمسجد الانباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه الى مشهد مولانا الكاظم عليه السلام لانه لم يستطع أن ينظر الى تابوته ودفنه . وصلى عليه فخر الملك أبو غالب، ومضى بنفسه آخر النهار الى أخيه المرتضى الى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره .

ثم نقل الرضي «رض» الى مشهد الحسين الشهيد عليه السلام بكربلاء ودفن عند أبيه .

مصادر ترجمته :

أمل الامل ٢٦١/٢، لؤلؤة البحرين ٣٢٢، رجال النجاشي ٢٨٢، أعيان الشيعة ٢١٦/٩، الرياض ٧٩/٥، الروضات ١٩٠/٦، النابس في القرن الخامس ١٦٤ ، الذريعة ١٦/٧، ريحانة الادب ١٢١/٣ ، انباه الرواة ١١٤/٣ ، تأسيس الشيعة ٣٣٨ ، تحفة الاحباب ٣٢٦ ، سفينة البحار ٥٢٦/١ ، شذرات الذهب ١٨٢/٣ ، عمدة الطالب ٢٠٧، الكامل في التاريخ ٤١٣/٧ ، كشكول البحراني ٣١٣/١ ، مجالس المؤمنين ٥٠٣/١ ، الكنى والالقاب ٢٧٢/٢ ، المستدرك ٥١٠/٣ ، ميزان الاعتدال ٥٢٢/٣ ، النجوم الزاهرة ٢٤٠/٤ ، نزهة الجليس ٣٥٩/١، وفيات الاعيان ٤٤/٤، الوافي بالوفيات ٢٧٤/٢، يتيمة الدهر ١٣٦/٣

ورثاه أخوه المرتضى بقصيدة منها :

يا للرجال لفجعة جذمت يدي — ووددت لو ذهبت علي براسي
مازلت أحذر وردها حتى أتت — فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً فلما صممت — لم يثنها[1] مطلي وطول مكاسي
لله عمرك من قصير طاهر — ولرب عمر طال بالادناس

ورثاه ايضاً تلميذه مهيار[2] بن مردويه [مرزويه] الكاتب بقصيدة لم يسمع

الميزان ١٤١/٥، تنقيح المقال ١٠٧/٣، رجال ابن داود ١٠٧، خلاصة الاقوال ١٦٤ ، جامع الرواة ٩٩/٢ ، الدرجات الرفيعة ٤٦٦ ، تاريخ بغداد ٢٤٦/٢ ، الغدير ١٨٠/٤ ، معالم العلماء ٥١ ، معجم رجال الحديث ١٩/١٦ ، الفصول الفخرية ١٣٦ ، الدرة النجفية للخوئي ١١ ، الاعلام للزركلي ٣٢٩/٦، المشتبه للذهبي ٣١٩ ، تذكرة الحفاظ ١٠٦٥/٣، تاريخ الادب العربي ٢٨٥، المطالعة العربية ١٨٥/٢ ، ديوان السيد الرضي طبع نخبة الاخبار بمصر ، أنوارالربيع ١٣، قصص العرب ٣٣٢/١، رجال العلامة ٨٠ ، دائرة المعارف لفريد وجدي ٢٥١/٤ ، مرآة الجنان ١٨/٣ ، معجم المطبوعات، تاريخ آداب اللغة ٢٥٧/٢، دائرة المعارف للبستاني ٤٥٨/١٠، مرآة الكتب لثقة الاسلام خ، كشف الظنون ١٩٩١/٢ ، ذيل كشف الظنون ٦٩٣/٢ ، الثقات العيون ١٢٤ ، مقدمة ديوان أبي الرضا الراوندي ، البحار ٣٤/١ ، ٦٨ ، شهداء الفضيلة ٤٠ ، ترجمة تقويم البلدان ٤٧٣، أعلام العرب للدجيلي ٢٠٢/١ ، مقدمة « حقائق التأويل »، كشف المحجة ، شرح النهج لابن ميثم البحراني ، فهرست منتجب الدين ، شرح النهج لابن أبي الحديد ، مقدمة فقه القرآن .

١) في بعض النسخ : لم يجدني .

٢) مهيار الديلمي، هو الفاضل الاديب، من شعراء أهل البيت عليهم السلام

في باب المراثى أبلغ منها . اولها :

من جب غارب هاشم وسنامها ولوى لويـاً فاستزل مقامهـا
وغزا قريشـاً بالبطاح فلفهـا بيـد وقوض عزها وخيامهـا

المجاهربن . كان من غلمـان الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه ، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم ، له شعر كثير في مدح أهل البيت عليهم السلام وديوان شعر كبير. قال بعض العلماء : خيار مهيار خير من خيار الرضي، وليس للرضي رديء أصلا . توفي سنة ٤٢٨ .

قال الخطيب في تاريخه : كان أبوالحسن مهيار شاعراً جزل القول مقدماً على أهل وقته، وكنت أراه يحضر جامع المنصور في أيام الجمعات ويقرأ عليه ديوان شعره ، فلم يقدر لي أن أسمع منه شيئاً ، ومات في ليلة الاحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ .

وذكره الزركلي في الاعلام ٢٦٤/٨ وقال : مهيار بن مرزويه أبوالحسن أو أبوالحسين الديلمي، شاعر كبير في معانيه ابتكار وفي اسلوبه قوة . قال الحر العاملي : جمع مهيـار بين فصاحة العرب ومعاني العجم ، وقـال الزبيدي : شاعر زمانه فارسي الأصل من أهل بغداد، كان منزله فيها بدرب رباح من الكرخ وبها وفاته. ينعته مترجموه بالكاتب ولعله كان من كتاب الديوان . وقيل انه ولد في الديلم في جنوب جيلان على بحر قزوين، وانه استخدم في بغداد للترجمة عن الفارسية ، وكان مجوسياً وأسلم سنة ٣٩٤ على يد الشريف الرضي ـ فيما يقـال ـ وهو شيخه وعليه تخرج في الشعر والادب ، ويقـول القمي : كان في غلمانه وتشيع .

راجع : الكنى والالقاب٢/٢٤٦، الاعلا ٢٦٤/٨، تاريخ بغداد١٣/٢٧٦، أمل الامل ٣٢٩/٢ ، معالم العلماء ١٤٨ .

وأناخ في مضر بكلكل خسفه	يستام فاحتملت لـه ما سامها
من حل مكة فاستباح حريمها	والبيت يشهد واستحل حرامها
ومضى بيثرب مزعجاً ماشاء من	تلك القبور الطاهرات عظامها
يبكى النبى ويستهيج لفاطم	بالطف في ابنائها أيامها
الدين ممنوع الحمى من راعه	والدار عالية البنا من رامها
أتناكرت ايدي الرجال سيوفها	فاستسلمت ام انكرت اسلامها
أم غال ذا الحسبين حامى ذودها	قدرأراح على الغدو سوامها

ومنها :

بكر النعى من الرضي بمالك	غاياتها متعود اقدامها
كلح الصباح بموته عن ليلة	نفضت على وجه الصباح ظلامها
صدع الحمام صفاة آل محمد	صدع الرداء به وحل نظامها
بالفارس العلوي شق غبارها	والناطق العربي شق كلامها
سلب العشيرة يومه مصباحها	مصلاحها عمالها علامها
برهان حجتها التى بهرت به	اعداؤها وتقدمت اعمامها
النص مروي وكنت دلالة	مشهورة لما نصبت امامها

ومنها :

ابكيك للدنيا التى طلقتها	وقد اصطفتك شبابها وعرامها
ورميت غاربها بفضلة حبلها	زهداً وقد القت اليك زمامها

قال السيد على خان المدني في « انوار الربيع » ١٣ : وشقت هذه المرثية على جماعة ممن كان يحسد الرضي على الفضل في حياته أن يرثى بمثلها بعد وفاته ، فرثاه بقصيدة أخرى ومطلعها في براعة الاستهلال كالاولى ، وهو :

أقريش لا لفم أراك ولا يد	فتواكلي غاض الندى وخلا الندي

ومازلت معجباً بقوله منها :

بكر النعي فقال أردى خيرها   ان كان يصدق فالرضي هو الردى

ذكر في «اللؤلؤة» ص٣٢٦ حكاية عن ابى الحسن العمري أنه قال : دخلت على الشريف المرتضى فأراني بيتين قد عملهما وهما :

سرى طيف سعدى طارقاً فاستفزني   هبوباً وصحبى بالفلاة رقود

فقلت لعينى عاودي النوم واهجعي   لعل خيالا طارقاً سيعود

فخرجت من عنده ودخلت على أخيه الرضي فعرضت عليه البيتين فقال بديهاً :

فردت جواباً والدموع بوادر   وقد آن للشمل المشت ورود

فهيهات من لقيا حبيب تعرضت   لنا دون لقياه مهامه بيد

فعدت الى المرتضى بالخبر فقال : يعز علي ، اخي قتله الذكاء . فما كان الا يسيراً حتى مضى الرضي لسبيله .

الاختلاف في تاريخ وفاته :

ذكر المولى عبدالله الافندي في الرياض ٥ / ٨٤ : وفي بعض الكتب أن وفاته سنة أربع واربعمائة، وكذا قال الطريحى في « مجمع البحرين » نقلا عن « جامع الاصول » .

وقال ابن خلكان في « وفيات الاعيان » ٤/٤٥ بعد نقل ماذكره أبو الفتح بن جنى في بعض مجاميعه : انه توفي سنة ٤٠٣. ثم ذكر رثاء أخيه المرتضى في موته.

وقال المولى الميرزا ابراهيم الخوئي في مقدمة شرحه ص ١١ : وتوفي في المحرم سنة أربع وأربعمائة ٤٠٤ .

وقال احمد حسن الزيات في « تاريخ الادب العربى » ٢٨٥ عند ترجمة السيد : قبضه الله اليه في المحرم من سنة ٤٠٤ ودفن بداره في الكرخ .

قال الشيخ عباس القمي في السفينة ١ / ٥٢٦ والكنى والالقاب ٢ /٢٤٤ :

قلت :ولماتم وكمل بدره وبلغ سبع وأربعين من عمره اختارالله دار بقاه فناداه ولباه وفارق دنياه ، وذلك في بكرة يوم الاحد لست خلون من محرم سنة ست وأربعمائة ، فقاصت عليه نوادب الادب وانثلم حد القلم ، وفقدت عين الفضل قرتها وجبهة الدهر غرتها، وبكاه الافاضل مع الفضائل ورثاه الاكارم مع المكارم. على أنه مامات من لم يمت ذكره، ولقد خلد من بقى على الايام نظمه ونثره . والله يتولاه بعفوه وغفرانه ويحييه بروحه وريحانه ـ الخ .

وذكر ابن أبي الحديد في مقدمة الشرح ١ / ٤٠ تاريخ وفاته محرم سنة أربع وأربعمائة. ثم ذكر حضور الوزير فخر الملك وجميع الاعيان والاشراف والقضاة على تشبيع جنازته والصلاة عليه . الخ .

نقل جسده الشريف الى كربلاء:

ذكر ابن مهنا في « عمدة الطالب » ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي يوم الاحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمائة ، ودفن في داره ثم نقل الى مشهد الحسين عليه السلام بكربلا فدفن عند أبيه ،وقبره ظاهر معروف. ثم ذكر شدة جزع أخيه المرتضى ورثاءه عليه .

وقال العلامة الاميني في « الغدير » ٢١٠/٤ : ذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه الى كربلا المشرفة بعد دفنه في داره بالكرخ، فدفن عند أبيه ابي احمد الحسين بن موسى . ويظهر من التاريخ أن قبره كان في القرون الوسطى مشهوراً معروفاً في الحائر الحسيني المقدس .

الى ان قال : وقال الرفاعي المتوفى سنة ٨٨٥ في « صحاح الأخبار » ص ٦٢ :نقل المرتضى الى مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء كأبيه وأخيه ودفن هناك

وقبره ظاهر معروف .

وهـذا قريب الى الاعتبار ، لان بني ابراهيم المجاب قطنوا الحـائر المقدس وجـاوروا الامام السبط سلام الله عليه ، فدفن فيـه ابراهيم المذكور بمقربة ممايلي رأس قبرالامام عليه السلام، فاتخذ بنوه تربته مدفناًلهم، وكان من قطن بغداد أوالبصرة كبني موسىالابرش ينقل بعد موته الىتربة جده. وقدثبت أن والدالشريف المترجم نقل الى الحائر المقدسقبل دفنه ودفن بها أودفن فى داره أولاثمنقل الى مشهدالحسين عليه السلام كما في «المنتظم» لابن الجوزى ٧ / ٢٤٧ . وصح أيضاً نقل جثمان الشريف علم الهدى المرتضى الى الحائر بعد دفنه في داره . وكانت تولية تلكالتربة المقدسة بيدهم، وماكان يدفن هنـاك أي احد الا باجـازة منهم كما مر في ترجمة الوزير ابي العباس الضبى في هذا الجزء ص١٠٦ . أي من كتاب الغدير .

كلمات العلماء والمؤرخين فيه :

قال النجاشي بعد ذكر اسمه وسرد نسبه مالفظه : أبوالحسن الرضي نقيب العلويين ببغداد أخوالمرتضى ، كان شاعراً مبرزاً . ثم عدآثاره العلمية .

وقال صاحب « امـل الامل » ٢ / ٢٦٢ : وقال صاحب عمدة الطالب ص ٢٠٧ عند ذكره: ابوالحسن ذوالحسبين نقيب النقباء ذوالفضائلالشائعة والمكارم الذائعة، كانت له هيبة وجلالة ببغداد ، وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة لـلاهل والعشيرة. ولي نقابة الطالبيين مراراً، وكانت اليه امارة الحاج والمظالم ، وكان أحد علماء عصره ، قرأ على اجلاء الافاضل . ثم ذكر تآليفه وقال : وهـو أشعر الطالبيين ، لان المجيد منهم ليس بمكثر والمكثر ليس بمجيد، والرضي جمع بين الاكثار والاجادة . انتهى .

وذكره في « تاريخ بغداد » ٢ / ٢٤٦ وقال بعد ذكر اسمه ونسبه : أبو الحسن العلوي نقيب الطالبيين ببغداد، كان يلقب بالرضي ذي الحسبين ، وهو اخو أبي القاسم المعروف بالمرتضى ، وكان من أهل الفضل والادب والعلم . وقال : حفظ القرآن في مدة يسيرة ، وصنف كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله ، وكان شاعراً محسناً . سمعت أباعبدالله محمد بن عبدالله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ وكان أحد الرؤساء يقول : سمعت جماعة من أهل العلم بالادب يقولون : « الرضي أشعر قريش » ، فقال ابن محفوظ : هذا صحيح . الخ .

وذكره ابن داود في رجاله ١٧٠ وقال بعد سرد نسبه مالفظ : أبوالحسن الرضي نقيب العلويين ببغداد ، اخو سيدنا المرتضى علم الهدى ، حاله أشهر من أن يخفى .

وذكره الزركلي في «الاعلام» ٦ / ٣٢٩ وقال : أبوالحسن العلوي الحسيني الموسوي اشعر الطالبيين على كثرة المجيدين فيهم ، مولده ووفاته في بغداد ، انتهت اليه نقابة الاشراف في حياة والده ، وخلع عليه بالسواد وجدد له التقليد سنة ٤٠٣ . الخ .

وذكره الذهبى في « المشتبه » ١ / ٣١٩ في « رض ى » وقال : وبالتثقيل هو الشريف الرضي . وقال أيضاً في ٢ / ٦٦٢ في « وض ى » :وبراء : الشريف الرضي الشاعر المفلق الامامي . وابنه عدنان بن الرضي ولي النقابة بالعراق بعد عمه الشريف المرتضى . الخ .

وذكره احمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الادب العربى » ٢٨٥ وقال: ولد أبوالحسن محمد بن الحسين الموسوي ببغداد، ونشأ في حجر والده، ودرس العلم في طفولته ، فبرع في الفقه والفرائض ، وفاق في العلم والادب ، وقال

الشعر وعمره لايزيد على عشرسنين. فلما بلغ التاسعة والعشرين من عمره خلف أباه في نقابة الطالبيين سنة ٣٨٨ ، ثم ضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التى كان يليها ابوه ، وهي النظر في المظالم والحج بالناس ، وبقي في هذه الاعمال حيناً من الدهر حتى تغير عليه الخليفة القادر لاتهامه عنده بالميل الى العلويين الفاطميين بمصر ، فصرفه عنها ، فعاش عيش القانع الشريف حتى قبضه الله اليه في المحرم من سنة ٤٠٤ ودفن بداره في الكرخ .

وقال الشيخ عباس القمي في « السفينة » ١ / ٥٢٦ : السيد الرضي اخو المرتضى هو محمد بن الحسين الموسوي ، أمره في العلم والفضل والادب والورع وعفة النفس وعلو الهمة والجلالة أشهر من أن يذكر ، وقد خفي علومقامه في الدرجات العلمية مع قلة عمره لعدم انتشار كتبه وقلة نسخها ، وانما الشائع منها نهجه وخصائصه ، وهما مقصوران على النقليات . نعم في هذه الازمنة انتشر نسخة المجازات النبوية الحاكية عن علومقامه في الفنون الادبية .

في قصص العرب ١ / ٣٣٢ : هو أبوالحسن محمد بن الطاهر ، كان ابوه نقيب الطالبيين وصارت اليه النقابة وابوه حي ، أجمع النقاد على أنه اشعر قريش . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو ، وله فيها المؤلفات النافعة .

قال الاردبيلي في جامع الرواة ٢ / ٩٩ : محمد بن الحسين الرضوي الموسوي نقيب العلويين ببغداد أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزاً فاضلا عالماً ورعناً عظيم الشأن رفيع المنزلة ، له حكاية في شرف النفس . الخ .

أقول : الرضوي في اصطلاح النسابين يقال لمن ينتهي نسبه الى الامام الهمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ونسب سيدنا الرضي ينتهي الى الامام موسى بن حعفرعليه السلام. والظاهرأن الرضوي اشتباه وتصحيف من«الرضي»

وهو موسوي وليس برضوي .

وفي «النابس في القرن الخامس» ١٦٤ : كان نقيب العلويين ببغداد وجلس مكانه أخوه المرتضى .

وقال العلامة الحلي في رجاله ٨٠ : محمد بن الحسين الرضي الموسوي نقيب العلويين ببغداد أخو المرتضى ، كان شاعراً مبرزاً فاضلا عالماً ورعاً عظيم الشأن رفيع المنزلة . الخ .

وقال الشيخ محمد عبده المصري في مقدمة شرحه ص٥ بعد ذكر اسمه وسرد نسبه الشريف : واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبز أهل زمانه في العلم والادب . ثم ذكر ماقاله صاحب اليتيمة الى أن قال : وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسر من رأى وهو لا يعرفها وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها واخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صرف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي رضي الله عنه:

ولقد وقفت على ربوعهم　　وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب　　نضوى ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت　　عن الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وهو ينشد الابيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا . فقال : هذه الدار لصاحب الابيات الشريف الرضي . فعجب كلاهما من حسن الاتفاق . انتهى .

أقول : هذه الابيات موجودة « في الديوان » ص ٨٣ مع اختلاف ، وفيه « ولقد مررت على دارهم » . و « ليد » موضع « بيد ». « فوقفت حتى لج من لهب » . و « عنى الطلول » .

قال ابن ابي الحديد في مقدمة الشرح ١ / ٣٣ : وحفظ الرضي رحمه‌الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدة يسيرة ، وعرف من الفقه والفرائض طرفاًقوياً، وكان رحمه‌الله عالماً أديباً وشاعراً مفلقاً ، فصيح النظم ضخم الالفاظ قادراً على القريض متصرفاً في فنونه ، ان قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب ، وان أراد الفخامة وجزالة الالفاظ في المدح أتى بمالايشق فيه غباره، وان قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطع أنفاسها على أثره ، وكان مع هذا مترسلا ذا كتابة قوية .

قال العلامة الخبير الاميني في موسوعته الكبيرة الغدير ج ١٨١/٤ بعد ذكر اسمه الشريف وسرد نسبه المنيف : والده أبواحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العباسية والبويهية ، لقبه أبونصر بهاء الدين بالطاهر الاوحد .الى أن قال : وسيدنا الشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة ، وامام من ائمة العلم والحديث والادب ، وبطل من أبطال الدين والعلم والمذهب ، وهو أول في كل ماورثه سلفه الطاهر من علم متدفق ونفسيات زاكية وانظار ثاقبة واباء وشمم وادب بارع وحسب نقي ونسب نبوي وشرف علوي ومجد فاطمي وسؤدد كاظمي ، الى فضائل قد تدفق سيلها الاتي ، ومناثر قد التطمت اواذيها الجارفة ، ومهما تشدق الكاتب فان في البيان قصوراً عن بلوغ مداه ، وللتنقيب تقاعساً عن تحديد غاينه ، وللوصف انحساراً عن استكناه حقيقته . وان دون ما تحلى به من مناقبه الجمة وضرائبه الكريمة كل ماسردوه في المعاجم من ثناء واطراء . ثم ذكر الكتب التى فيها ترجمة سيدنا الرضي . الخ .

وقال محمدفريد وجدي في « دائرة المعارف » ٤ / ٢٥١ بعدذكر اسمه وسرد نسبه الشريف : ولدالرضي في سنة ٣٥٩ هـ واشتغل بالعلم فظهرت له ميزة على اقرانه. ثم ذكر ماقاله صاحب يتيمة الدهر : هواليوم ابدع أبناء الزمان

وأنجب سادات العراق ، يتحلى من محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحامد وافر ، تولى نقابة نقباء الطالبيين بعد أبيه في حياته سنة ٣٨٨ هـ ، وضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التى كان يليها ابوه ، وهي النظرفي المظالم والحج بالناس، وكان من سمو المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة :

عطفاً اميرالمؤمنين فاننا ... في دوحة العلياء لانتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويروى : ان القادر قال عند سماع هذا البيت « على رغم أنف الشريف ».

قال صاحب اليتيمة : هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر ، على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق . الخ.

بيته الشريف :

كان بيت الرضي رضي الله عنه بيتاً رفيعاً عالياً من أول بنائه ، وهو بيت الشرافة والنبالة والقداسة والنقابة، وهو من بيوتات دار الرسالة والامامة، وينتهي هذا البيت بدار الامام الهمام العالم موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن سيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب عليهم السلام .

وينتهي أيضاً بهذا الدار الشريف بواسطة عمر الاشرف بن الامام علي بن الحسين عليه السلام ، فان أمه فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الاصم صاحب الديلم ، وهو ابو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب عليه السلام . شيخ الطالبيين وعالمهم وزاهدهم واديبهم وشاهرهم ملك بلاد الديلم والجيل، ويلقب

بالناصر للحق، جرت لهحروب عظيمة معالسامانية وتوفي بطبرستان سنة اربع وثلاثمائة وسنه تسع وسبعون سنة ، وانتصب في منصبه الحسن بن القاسم بن الحسين الحسني ويلقب بالداعي الى الحق .

نقـابته :

كان ابوه الشريف النقيب الطاهر ذو المناقب ابواحمد الحسين بن موسى الابرش بن محمد الاعرج نقيب النقباء ببغـداد وامير الحاج وصاحب ديوان المظالم ، وانتقلت هذه المناصب الىالرضي في زمانه واليه والىالمرتضى بعد أبيهمـا .

قالالسيد الامين فيموسوعته الكبيرةاعيان الشيعة ٢١٦/٩: فنقابةالطالبيين تجعلجميعأمور الطالبيين وأحكامهماليه، أحدثت هذهالولاية معنقابه العباسيين في دولة بنى العباس ، ولانعلم الان مبدأ حدوثها ، واستمرت في دول الاسلام الى اليوم لكنها أصبحت في الزمن الاخير أسماء بلا مسمى .

وقال : وامارة الحج مكانتها معلومة، والنظر فيالمظالم يشبه منزلة المدعى العام اليوم لكنه أوسع منها . انتهى .

قالاحمد حسن الزيات في «تاريخ الادب العربى» ٢٨٥ :فلما بلغ التاسعة والعشرين منعمره خلف اباه نقابة الطالبيين سنة ٣٨٨، ثمضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التىكان يليها ابوه، وهي النظر فيالمظالم والحج بالناس، وبقي في هذهالاعمال حيناً منالدهر حتى تغير عليهالخليفة القادر لاتهامه عنده بالميل الى العلويين الفاطميين بمصر، فصرفه عنها فعاش عيش القانع الشريف حتى قبضه الله اليه . الخ .

أقول : وكان سبب تغير الخليفة القادر بالله أن السيد الشريف الرضي قال

ابياتاً وقد ناله أمر ضاق به صدره ، فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله على والده لاجله فأنكرها ولم يثبتها في ديوانه الا أنها مشهورة عنه ، وقد وجدت بخطه الشريف ، وهي هذه الابيات التي هي موجودة في آخر ديوانه :

ما مقامي على الهوان وعندي	مقول صارم وأنف حمي
واباء محلق بي عن الضيم	كما راغ طائر وحشي
أي عذر له الى المجد ان ذل	غلام في غمده المشرفي
ألبس الذل في ديار الاعادي	وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه ابي ومولاه مولاي	اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد الناس	جميعاً محمد وعلي
ان ذلي بذلك الجو عز	وأوامي بذلك النقع ري
قد يذل العزيز مالم يشمر	لانطلاق وقد يضام الابي
ان شرا على اسراع عزمي	في طلاب العلى وحظى بطي
ارتضى بالاذى ولم يقف العزم	قصوراً ولم تعز المطي
تاركاً اسرتي رجوعاً الى حيث	عذيري قد ورعى وبي
كالذي يخبط الظلام وقد	أقمر من خلفه النهار المضي

أقول : ذكر ابن ابى الحديد في مقدمة الشرح ٣٧/١ ستة من هذه الابيات وقال : وقال القادر للنقيب ابى احمد: قل لولدك محمد : أي هوان قد أقام عليه عندنا وأي ضيم لقي من جهتنا ، وأي ذل اصابه في مملكتنا ، وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى اليه ؟ أكان يصنع اليه اكثر من صنيعنا ؟ ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه امير الحج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر اكثر من هذا ؟ ما نظنه كان يكون لو حصل عنده الا واحداً من أبناء الطالبيين بمصر .

فقال النقيب ابو احمد : اما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض اعدائه نحله اياه وعزاه اليه .

فقال القادر: ان كان كذلك فلتكتب الان محضراً يتضمن القدح في انساب ولاة مصر ويكتب محمد خطه فيه . فكتب محضراً بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس ، منهم النقيب ابو احمد وابنه المرتضى ، وحمل المحضر الى الرضي ليكتب خطه فيه، حمله أبوه وأخوه فامتنع من سطر خطه وقال: لا اكتب وأخاف دعاة صاحب مصر وأنكر الشعر و كتب خطه وأقسم فيه أنه ليس بشعره وانه لا يعرفه . فأجبره ابوه على أن يكتب خطه في المحضر فلم يفعل وقال : أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي فانهم معروفون بذلك .

فقال ابوه : يا عجباه أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع ، وحلف أن لا يكلمه ، وكذلك المرتضى فعلا ذلك تقية وخوفاً من القادر وتسكيناً له. ولما انتهى الامر الى القادر سكت على سوء أضمره، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة وولاه محمد بن عمر النهرسايسى . انتهى ما قال ابن ابى الحديد .

أقول : النهرسايسى هو ابو الحسن محمد التقي بن ابى محمد الحسن الفارس بن يحيى بن الحسين النسابة ابن احمد بن عمر بن يحيى بن الحسين الشهيد ذي الدمعة . وهو ختن الرضي رحمه الله ومعارضه في النقابة، فلما عزله الخليفة عن النقابة ولاه محمد السائسى هذا[1] .

---

١) انظر : الفصول الفخرية لابن عنبة ص ١٦٠ . قال ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٨٤٠: نهر سابس بالسين المهملة وبعد الالف باء موحدة وسين اخرى مهملة : فوق واسط بيوم عليه قرى . وكذا في مراصد الاطلاع ١٤٠٣/٣ وفي نسخة ١ من نسخ المراصد : سنابس .

نسبة الزيدية اليه :

لم يكن سيدنا الشريف الرضي زيدياً، وانمانسبة هذه العقيدة اليه من الزيدية أو غير الزيدية جزاف .

قال العلامة الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدمة كتاب « حقائق التنزيل » لسيدنا الشريف ص ٧٥ ما لفظه : غريب ما سمعته في هذه الاونة من رمي الشريف بالزيدية وينزعه الاعتزال ، وما كان هذا بالذي يدور بالخلد، وأرى أن تلك التهمة ـ الزيدية ـ قد ألصقت به من قبل آبائه لامه، لان بني الناصر الكبير ابى محمد الحسن الاطروش صاحب الديلم . لكن هذا قد ثبت لدى علماء الرجال من الامامية وفي طليعتهم السيد الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه « شرح المسائل الناصرية » نزاهته ونزاهة جميع بنيه عن تلك العقيدة المخالفة لعقيدة اسلافهم .

سوى أن اصطلاح الكتاب أخيراً جرى على تسمية الثائر في وجه الخلافة « زيدياً » وان كان بريئاً من عقائد الزيدية ، بريدون أنه زيدي النزعة لا العقيدة .

وربما تطرفوا فجعلوا لفظ « زيدي » لقباً لكل من تحمس للثورة وطالب بحق زعم انه أهله وان لم يجرد سيفاً ولم يحد قيد شعرة عن مذهب الامامية ولا عن طريقة الجماعة .

ولقد كان ابو حنيفة في نقل ابى الفرج الاصبهاني زيدياً، وكذا احمد وسفيان الثوري وأضرابهم من معاصريهم. ومراده من زيديتهم أنهم يرون أن الخلافة الزمنية

وقال ياقوت أيضاً في المعجم ٤/٣ «سابس» بضم الباء الموحدة بعد الالف نهرسابس قرية مشهورة قرب واسط على طريق القاصد لبغداد منها على الجانب الغربى . وكذا أيضاً في المراصد ٦٨٠/٢ . وفيه : فوق واسط .

جائرة وان الخارج آمراً بالمعروف أحق بالتبع والتبيعة .

علو طبعه ومناعة نفسة :

في « الرياض » ٨٤/٥ :قال الشهيد الثاني في رسالة «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد » : وقدروي أن السيد الرضي الموسوي قدس الله روحه كان عظيم النفس عـالي الهمة ابي الطبع لا يقبل لاحـد منة . وله في ذلك قصص غريبة مع الخليفة العباسي حين أراد جلبه بسبب مولود ولدله ، ومنها أن بعض مشايخه قال له يوماً : بلغني أن دارك ضيقة لاتليق بحالك ولي دار واسعة صالحة لك قد وهبتها لك فانتقل اليها . فأبى ، وأعاد عليه الكلام فقال : يا شيخ انا لم أقبل بر أبي فكيف أقبل من غيره . فقـال له الشيخ : انـا حقي عليك أعظم من حق ابيك لاني ابوك الروحـاني وهو ابوك الجسماني . فقال له السيد « ره » : قبلت الدار .

ومن هنا قال بعض الفضلاء :

من علم العلـم كان خير أب ذلك ابو الروح لا ابو النطف

انتهى ما في الرياض .

أقول : والذي عرض عليه تقبل الدار هو استاذه الشيخ ابو اسحق ابراهيم ابن احمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي، قرأ عليه القرآن وحفظه في مدة قليلة جداً، فلما أبى السيد من قبول الدار وقال له: لم أقبل بر أحد حتى من ابى. فقـال له ابو اسحق حينئذ : ان حقي عليك أعظم من حق ابيـك لانك تعلمت القرآن عندي واني كنت سبباً لحفظك كتاب الله تعالى . فلما سمع السيد هذا الكلام من أستاذه لم يتمكن من الامتناع .

وقال احمد حسن الزيات في «تاريخ الادب العربى» ٢٨٥ : كان الشريف أبي

النفس عالى الهمة ، سمت به عزيمته الى معـالي الامور فلم يجد من الايام معيناً عليها ، وكان عفيفاً لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ، حتى بلـغ من تشدده في العفة أن رد مـا كان جارياً على أبيه من صـلات الملوك والامراء ، واجتهد بنوبويه أن يحملوه على قبول صلاتهم فما استطاعوا .

قال ابن ابى الحديد في مقدمة الشرح ٣٣/١ : وكان عفيفاً شريف النفس عالي الهمة ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ، حتى أنه رد صلات أبيه . وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف ، فأما بنو بويه فانهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل .

ذكاؤه :

ذكر المولى الافندي في «الرياض » ٨٣/٥ عن ابن خلكان أنه قال : وذكر ابو الفتح ابن جنى في بعض مجاميعه: ان الشريف الرضي أحضر الى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقنه النحو وقعه معه يوماً في الحلقة ، فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم ، فقال : اذا قلنا « رأيت عمر » فما علامة النصب؟ فقال : بغض علي . فتعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره . وفيات الأعيان ٤٥/٤ .

عقبـه :

كان لسيدنا الشريف ابن وهو ابواحمد عدنان ، ذكره صاحب « عمدة الطالب» ص ٢١١ وقال مالفظه: فولد الرضي ابوالحسن محمد ابا احمد عدنان يلقب « الطاهر » ذا المناقب لقب جده ابى احمد الحسين بن موسى ، تولى نقابة الطالبيين ببغداد على قاعدة جده وابيه وعمه . وقال ابو الحسن العمري :

هو الشريف العفيف المتميز في سداده وصونه ، رأيته يعرف علم العروض وأظنه بأخذ ديوان ابيه ، ووجدته يحسن الاستماع ويتصور مـا ينبذ اليه . هذا كلامه . وانقرض الرضي وانقرض بـانقراضـه وانقراض اخيه عقب ابى احمد الموسوي . انتهى .

وله ذكر في امل الامل ١٢٨/٢ ، النابس ١١٣ ، المشبته ٢٦٢/٢ .

مدرستة ومكتبته ومجمعه العلمي :

ذكر العلامة الشيخ عبدالحسين الحلي المعاصر في مقدمة «حقائق التأويل» لسيدنا الرضي ص ٨٥ المطبوع بدار المهاجر ـ بيروت ـ مدرسة «دار العلم» التي بناها السيد الرضي لتلاميذه وقال :

ينبؤنا ابن خلكان أنه اتخذ لتلامذته عمارة سماها « دار العلم » وأرصد لها مخزناً فيه جميع حاجياتهم من مـاله ، وأنه عندمـا أهدى لهم الوزير المهلبى هدية ـ على كره واباء من الشريف ـ لم يمد أحد منهم يداً الى شيء منها ، وكيف يرمقها أحدهم ببصره وهو مكفي المؤنة غني النفس صادق النية في طلب العلم ، واذا كانت العمارة للشريف والنفقة عليه والتلامذة منسوبون اليه فهو هو الذي يلقى عليهم افاداته دروساً يومية متتابعة ، لان القاء المحاضرات غباً والقاء عهدتها الى غيره تعللا بزيارة زائـر أو حرفة شاعر نقض لهمم الطلاب الذين يقتدون في نشاطهم بالاستاذ .

وان من تتوفر عليه التلامذة زمن استاذ الكل في الكل الشيخ المفيد أعلم علماء الامامية وأبرعهم في الفقه والكلام والجدل وأعرفهم بالاخبار والاشعار ، وزمن « الشريف المرتضى » الفقيه المتكلم خليفة المفيد ، فهو حقيق أن يكون موازياً وموازناً لهما في فنون العلم وسائر مميزات التفوق .

ان « دارالعلم » ليست مدرسة فقط بل ومكتبة أيضاً ، وهي ثالثة المكتبتين الشهيرتين ببغداد : فالمكتبة القديمة منها هي التىأسسها الرشيد وتدعى «بيت الحكمة »، والحديثة هيالتي أنشأهاوزير شرف الدولة البويهي ابو نصرسابور ابن اردشير سنة ٣٨١ ، وقد حدث عنها ياقوت وأطراها، وكان الخازن لمكتبة « دار العلم » هو ابواحمد عبد السلام بن الحسين البصري صاحب الصيت الذائع فيعلم تقويم البلدان. وكان لعبد السلام هذا مجمع علمي خاص ببغداد وينعقد له يوم الجمعةكل اسبوع .

وهناك مجامع عامة: احدها مجمع زعيمه الشريف الرضي يحضره الادباء على اختلافهم، وآخر لاخيه « الشريف المرتضى » وهو من المجامع الفلسفية الكلامية العامة ، وثالث للوزير ابى نصر السالف ذكره ، ورابع لابى حامد الأسفرائينى منفقهاء الشافعية يحضره نحو سبعمائة متفقه، وخامسللشيخ المفيد يحضره من فقهاء الامامية اكثر من ذلك .

وكانت المحاضرات العامة تلقى على الناس في هذه المجامع من أولئك الائمة في شتى العلوم والفنون . انتهى .

أقول :وما اشار اليه من اهداء الوزيرالمهلبيهدية واباء الشريف من قبوله وان الطلاب أيضاً لم يمدوا اليه يداً ولم يرمقوا اليها نظراً ، هو ما ذكره في « الروضات » عن ابىاسحاق الصابى الكاتب أن الوزير المهلبى قال له: بلغني ذات يوم أنه ولدللشريف الرضي غلام فأرسلت اليه بطبق فيه ألف دينار فرده وقال :قدعلم الوزيراني لاأقبل منأحد شيئاً. فرددتهاليه وقلت :اني انما أرسلته للقوابل،فرده الثانية وقال : قدعلم الوزير أنه لاتقبل نساؤنا غريبة وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ولسن ممن يأخذن أجرة ولا يقبلن صلة. فرددته اليه وقلت:يفرقه الشريفعلىملازميه منطلابالعلم، فلماجاءه الطبق وحوله طلاب

العلم قال : هاهم حضور فليأخذ كل أحد ما يريد . فقام رجل منهم وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار الى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك فقال : اني احتجت الى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً فأقرضت من فلان البقال دهناً للسراج فأخذت هذه القطعة لادفعها اليه عوض دهنه .

وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في عمارة قد اتخذها لهم سماها « دار العلم » ، وعين لهم جميع مايحتاجون اليه ، فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع الى كل منهم مفتاح ليأخذ منه ما يحتاج اليه ولا ينتظر خازناً يعطيه ، ورد الطبق على هذه الصورة .

شعره :

أهل الفن أذعنوا أن الرضي كان في الشعر في المرتبة الراقية والمنزلة العالية، وعدوه من المجيدين مع اكثاره . وعديله من الشعراء قليل جداً ، وقالوا انه أشعر قريش ، وقال الشعر وهو طفل لم يزد عمره على عشر سنين فأجاد، ونظم في جميع فنون الشعر فأكثر .

قال السيد الامين في أعيان الشيعة ٩/٢١٧ : وامتاز الرضي بأن شعره على كثرته لابس كله ثوب الجودة والملاحة ، وهذا مما لم يتفق لشاعر مكثر بل لم يتفق لغيره .

الى أن قال : واذا تأملنا في شعر الشريف الرضي وجدناه منطبعاً بطابع لايوجد في غيره ويعسر علينا وصفه والتعبير عنه، فان حسن الشعر بمنزلة الجمال في الانسان، فمن نظر الى الوجه الجميل من أهل الذوق علم أنه جميل ولكن يعسر عليه أن يبين اسباب جماله وتفاصيلها ، وكذا اذا استمع ذو الطبع المستقيم الى القصيدة الجيدة عرف أنها من الشعر الجيد وصعب عليه أن يفصل الاسباب في

جودتها. ولعله الى ذلك ينظر كلام اميرالمؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام حين سئل عن أشعر الشعراء فقال : ان القوم لم يجروا في حلبة واحدة فيعرف السابق منهم، فان كان ولابد فالملك الضليل .

فشعر الرضي مطبوع بطابع من البلاغة والبداوة والبراعة وعذوبة اللفظ والأخذ بمجامع القلوب وغير ذلك من المميزات لاتكاد تجده في غيره، ولانكون بعيدين عن الصواب اذا قلنا « ان الشريف الرضي بين الشعراء امة برأسه» الخ .

أقول :ومن شعره في الحماسة مارأيته في كتاب «المطالعة العربية» ١٨٥/٢ ط بغداد سنة ١٣٥٨ بعنوان « لنا السبق » :

أما كنت مع الحـ ... ـي صباحاً حين ولينا
وقد صاح بنا المجـ ... ـد الى أين الى أينا ؟
لنا كل غلام همـ ... ـه أن يرد الحينا
حديد السمع في ... حيث تكون الأذن العينا
لنا السبق باقدام ... الى المجد تساعينا
ترى زمجرة الأسا ... د همساً بين غابينا
ملكنا مقطع الرز ... ق فأفقرنا وأغنينا
وحزنا طاعة الدهـ ... ـر فأغضبنا وأرضينا
اذا ما ثوب الداعى ... الى الموت تداعينا

أقول : هذه الأبيات الحماسية موجودة في ديوانه المطبوع ص٥٠٣ وهي مشتملة على ٣٦ بيتاً واختلاف يسير بين نقل كتاب «المطالعة العربية» و«الديوان» المطبوع «كحديد السمع » في الديوان « حديث السمع » . وفيه أيضاً « الى المجد باقدام » وايضاً فيه « فأسخطنا » موضع « فأغضبنا » .

ومن شعره أيضاً :

تضا جعني الحسناء والسيف دونها ضجيعان لي والعضب أدناهما مني
اذا دنت البيضاء مني لحاجة ابا الا بيض الماضي وماطلها عني
وان نام في الجفن انسان ناظر تيقظ عني ناظر لي بالجفن
أعرت قناة الحي مما ألفته أغلغه دون الشعار من الظن
وقالت هبوه ليلة الخوف ضمه فأعذره في ضمه ليلة الامن

ذكره في الديوان ص ٥٣٢ وأيضاً ذكره في « الاعيان » ٢١٨/٩ الاالبيت الرابع .

ومن شعره أيضاً قوله في الزهد وذم الزمان :

أتذهل بعد انذار المنايا وقبل النزع انبضت الحنايا
رويدك لا يغرك كيد دنيا هى المرنان مصمية الرمايا
فانك سالك منها طريقاً تقطع فيه أعناق المطايا
اترجو الخلد في دارالتفانى وامن السرب فى خطط البلايا
وتغلق دون ريب الدهر باباً كأنك آمن قرع الرزايا
وان الموت لازمة قواه ازوم العهد اعناق البرايا
لنا في كل يوم منه غاز له المرباع منا والصفايا
بجيش لاغبار لحجرتيه قليل الرزء غرار السرايا

ومن شعره ، وقد رأى أخاً صديقاً توفي فذكره به وكان هذا الاخ دنياً لا خيرفيه ولا منفعة وقال :

مضى حسب من الدنيا ودين وأعقب منهما عار وغي
فذاك الطي للماضين نشر وهذا النشر للباقين طي
تقدمت الذوائب والقدامى وخلد بعدها هي وبي
يعز علي أن يمضي وتبقى وان يرد المنون وأنت حي

اساتذته ومشايخه :

الشيخ ابوعبدالله المفيد محمد بن محمد المعروف بابن المعلم المتولد سنة ٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٣ .

الشيخ عبدالجبار بن احمد الشافعي المعتزلي ، قرأ عليه كتاب « شرح الاصول الخمسة » و « العمدة » .

الشيخ ابواسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي، قرأ عليه القرآن وهو شاب . كذا في مقدمة البحار الطبع الجديد .

الشيخ محمد بن موسى الخوارزمي ، قرأ عليه ابواباً في الفقه .

الشيخ ابو عبدالله محمد بن عمران المرزباني .

الشيخ ابوالحسن علي بن عيسى الربعي النحوي .

الشيخ ابوحفص عمر بن ابراهيم الكناني ، يروي عنه الحديث .

الشيخ عبدالله بن محمد الاسدي الاكفاني، قرأ عليه «مختصر» ابي الحسن الكرخي .

الشيخ ابوالحسن علي بن عيسى الرماني، قرأ عليه كتباً في النحو والعروض والقوافي .

الشخ ابن نباتة صاحب الخطب ، هو ابويحيى عبدالرحيم بن محمد .

الشيخ ابوالفتح عثمان بن جني .

الشيخ ابوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، قرأ عليه «مختصر الجرمي » في سنة اربع وأربعين وثلاثمائة .

الشيخ الجليل هارون بن موسى التلعكبري .

الشيخ ابونصر الغارى، ذكره في آخر الكتاب عند ذكر مشايخه من العامة

في طريق رواية النهج .

الشيخ عبدالرحيم بن احمد ابو الفضل الشيباني المعروف بابـن الاخوة . ذكره في آخر الشرح .

الشيخ ابوعلي الحسن بن احمد الفارسي النحوي .

الشيخ ابوالقاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، شيخه في الحديث .

تلاميذه والراوون عنه :

الشيخ المفيد ابو محمد عبدالرحمن بن احمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي .

الشيخ ابوبكر احمد بن الحسين بن احمد النيسابوري الخزاعي .

القاضي احمد بن علي بن قدامة .

السيد ابوزيد عبدالله بن علي كيابكى بن عبدالله بن عيسى بن زيد بن علي الحسينى الكجي الجرجانى .

الشيخ ابوالحسن مهيار بن مرزويه الديلمي البغدادي الشاعر ، قيل انه كان غلام السيد الرضي .

الشيخ جعفر بن محمد بن احمد الدوريستي الرازي .

القاضي السيد ابوالحسن علي بن بندار بن محمد الهاشمي .

الشيخ ابومنصور محمد بن ابى نصر محمد بـن احمد بـن الحسين بن عبدالعزيز العكبري المعدل .

الشيخ أبوعبدالله محمد بن علي الحلواني .

الشيخ ابوالاعز محمد بن همام البغدادي .

العلوية السيدة النقية بنت المرتضى اخيه ، ذكرها القطب في آخـر شرح النهج .

الشيخ ابونصر عبدالكريم بن محمد بن الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي ، ذكره القطب في آخر شرح النهج .

الشيخ ابوجعفر محمد بن الحسن الطوسي، ذكره القطب في أول الشرح. وفيه بعد لان شيخ الطائفة ورد بغداد بعد موت الرضي عليه بسنتين. والله العالم.

آثاره العلمية :

نهج البلاغة ، وستتحدث عنه .

أخبار قضاة بغداد .

تلخيص البيان عن مجازات القرآن .

حقائق التأويل في متشابه التنزيل .

الرسائل في ثلاث مجلدات .

الزيادات في شعر ابن الحجاج .

الزيادات في شعر ابى تمام .

سيرة ابى طاهر والده .

كتاب مادار بينه وبين ابى اسحاق الصابى .

مختار شعر ابى اسحاق الصابى .

منتخب شعر ابن الحجاج ، سماه « الحسن من شعر الحسين » .

طيف الخيال ، قيل هو لاخيه السيد المرتضى .

تعليقة على ايضاح ابى علي الفارسي .

تعليق خلاف الفقهاء .

انشراح الصدر في مختارات من الشعر .

ديوان شعره .

معاني القرآن .

خصائص الائمة .

مجازات الاثار النبوية .

تفسير القرآن، رآه الشيخ ابوالحسن العمري على ما ذكره في الروضات.

نهج البلاغة :

من تأليفات السيد الشريف الرضي ومن آثاره القيمة الثمينة الخالدة كتاب نهج البلاغة ، جمعه واختاره من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام .

ومن المعلوم أن من يريد اختيار أنفس الجواهر من بين الجواهر الكثيرة لابد أن يكون جوهرياً حاذقاً [1] وعتيقياً ماهراً .

ومن نظر هذا المجموع الشريف يظهر له مقام جامعه ومنزلة مؤلفه، ويعلم أنه عارف بمحاسن الكلام من البلاغة والفصاحة وسائر شئونه .

والعلماء قد اهتموا بالكتاب من حين ظهوره الى الان اهتماماً بالغاً، وقد شرحوا ألفاظه وبينوا مطالبه وكشفوا مشكلاته وأظهروا معضلاته وتكلموا حوله وألفوا فيه اسفاراً كبيرة وصحفاً كثيرة وكتباً ضخمة .

ومنهم السيد المتتبع الخبير السيد عبدالزهراء الحسينى الخطيب النجفي المعاصر ادام الله عزه، فهو ألف كتاب « مصادر نهج البلاغة » في اربعة اجزاء جمع فيه مصادر الكتاب وأسانيده من كتب الفريقين الشيعة والسنة ، وجمع ما قيل في تعريف الكتاب ممن اطلع على حقائقه .

ومنهم العلامة الامينى في موسوعته العظيمة « الغدير » .

---

١) السيد الامين في « الاعيان » .

والعالم الفاضل المولى الميرزا علي آقا ثقة الأسلام ابن الميرزا موسى بن محمد شفيع بن محمد جعفر بن محمد رفيع بن محمد شفيع التبريزي المتولد سنة ١٢٧٧ والمصلوب في يوم عاشوراء سنة ١٣٣٠ .

والعلامه الامام الحجة المجاهد السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني.

والعلامة المولى الشيخ ضياء الدين بن يوسف الشيرازي الشهير بابن يوسف الحدائقى من أولاد صاحب الحدائق .

وغيرهم ممن ألفوا حول « النهج » كتاباً مستقلا أوتكلموا فيه في ضمن تصانيفهم . شكر الله مساعيهم الجميلة .

ولايعتنى الى قول من زعم أن « النهج » ليس من كلام امير الكلام بل هو من منشآت السيد الشريف الرضي، فقد اجيب بأن هذه الخطب والرسائل وغيرها توجد في تآليف ألفت قبل أن يولد ابو السيد الشريف الرضي .

وعليك بأقارير العلماء على مانقلها في « المصادر » ١/٩٢ :

« ان سطراً واحداً من « نهج البلاغة » يساوي ألف سطر من كلام ابن نباتة، وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنه أوحد عصره في فنه (ابن ابى الحديد) .

« لامفر من الاعتراف بأن « نهج البلاغة » له أصل والا فهو شاهد أن الشيعة كانوا من أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ » (الدكتور زكي مبارك) .

« لايكاد ترى كتاباً انفرد بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة والاسلوب الواحد كما تراه في « نهج البلاغة » ، لذا نقرر ونكرر أن « نهج البلاغة » لايمكن أن يكون الا لشخص واحد نفخ فيه نفساً واحداً » (الاستاذ خليل هنداوي) .

ولنهج البلاغة شروح كثيرة نذكر فيمايلي بعض ما وجدناه في الفهارس :

١ ـ اعلام نهج البلاغة . للسيد العلامة علي بن ناصر السرخسي المعاصر

للمؤلف . وهو أقدم الشروح وأوثقها وأتقنها .

٢ ـ المعارج في شرح نهج البلاغة . للسيد علي بن ناصر السرخسي ايضاً.

٣ ـ شرح نهج البلاغة. لمحمد بن احمد الوبري من أعلام القرن الخامس. كذا في « المصادر » وفي « الذريعة » احمد بن محمد .

٤ ـ التعليق على نهج البلاغة . للسيد ضياء الدين ابى الرضا فضل الله بن علي بن عبيدالله الحسني الراوندي .

٥ ـ معارج نهج البلاغة . لابي الحسن على بن أبي القاسم زيد، ينتهي نسبه الى خزيمة بن ثابت الانصاري .

٦ ـ المعراج في شرح نهج البلاغة ؟ .

٧ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة . للامام الشيخ قطب الدين ابي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ، يأتي مفصلا .

٨ ـ حدائق الحقائق . لابي الحسين البيهقي النيسابوري الكيدري .

٩ ـ مناهج نهج البلاغة . للامام قطب الدين الكيدري .

١٠ ـ شرح نهج البلاغة. للشيخ أفضل الدين الحسن بن احمد الماهآبادي شيخ منتجب الدين صاحب الفهرست .

١١ ـ شرح النهج . للقاضي عبدالجبار المردد بين جمع مقارنين بعصر الطوسي ، وهم الفقهاء الافذاذ :

١ ـ : القاضي ركن الدين عبدالجبار بن على الطوسي .

٢ ـ : القاضي عبدالجبار بن فضل .

٣ ـ : القاضي عبدالجبار بن منصور .

٤ ـ : الشيخ عبدالجبار بن احمد .

٥ ـ : الشيخ عبدالجبار بن عبدالله المقرى الرازي .

٦ ـ : عبدالجبار بن محمد الطوسي .

٧ ـ : عبدالجبار بن الحسين أبوعلي .

١٢ ـ شرح نهج البلاغة . للفخر الرازي أبي عبدالله محمد بـن عمر المفسر المشهور المتوفى عام ٦٠٦ لم يتم .

١٣ ـ شرح نهج البلاغة . لعلامة المعتزلة الفـاضـل عزالدين عبدالحميد ابن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائنى ،

١٤ ـ شرح نهج البلاغة . للسيد السند رضي الـدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر الطاوسي الحسني .

١٥ ـ شرح نهج البلاغة. لابي طالب تاج الدين علي بن انجب بن عثمان ابن عبدالله البغدادي الشهير بابن الساعي .

١٦ ـ شرح نهج البلاغة الكبير . لكمال الدين ميثم بـن علي بـن ميثم البحراني . سماه « مصباح السالكين » .

١٧ ـ شرح نهج البلاغة المتوسط . لابن ميثم أيضاً .

١٨ ـ شرح النهج الصغير . لابن ميثم أيضاً . أسماه « منهاج العارفين » .

١٩ ـ شرح النهج . للعلامة جمال الملة والدين أبي منصور الحسن بـن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ .

٢٠ ـ حواشي نهج البلاغة . للشيخ احمد بن الحسن الناوندي من أعلام القرن السابع .

٢١ ـ النفائس في شرح نهج البلاعة . لبعض علماء أهل السنـة . موجود في الخزانة الرضوية .

٢٢ ـ شرح نهج البلاغة . للشيخ كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن

ابراهيم العتائقي الحلي. أقول: المجلد الثالث من هذا الشرح موجود في مكتبة مدرسة النمازي في خوي ، وهو الذي رآه المولى الميرزا عبدالله الافندي وفي آخره بلاغ وانهاء بخط مؤلفه الشريف كتبه يوم عشرين رمضان المبارك لسنة ست وثمانين وسبعمائة . والأسف ان اسم الناسخ قد خرق والباقي هكذا « بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن رشيد الدين . . . . جمادى الاولى من سنة ست وثمانين . . . . المقدس الغروي سلام الله عليه » . والنسخة جيدة عتيقة فليغتنم قدرها ، وقد استفدنا منها في تحقيق وتصحيح هذا الكتاب .

٢٣ ـ شرح نهج البلاغة. للسيد يحيى بن حمزة العلوي اليماني من ائمة الزيدية المتوفى سنة ٧٤٩ .

٢٤ ـ شرح النهج . لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني الهروي الشافعي المتوفى عام ٧٩٢ .

٢٥ ـ التحفة العلية في شرح نهج البلاغة الحيدرية . للسيد أفصح الدين محمد بن حبيب الله بن احمد الحسيني، كبير جداً فرغ منه سنة ٨٨١ .

٢٦ ـ شرح النهج . للمولى قوام الدين يوسف بن الحسن الشهير بقاضي بغداد المتوفى حدود سنة ٩٢٢ .

٢٧ ـ روضة الابرار في شرح نهج البلاغة . لابي الحسن علي بن الحسن الزواري الاصبهاني ، فارسي فرغ منه سنة ٩٤٧ .

٢٨ ـ منهج الفصاحة في شرح نهج البلاغة بالفارسية . لجلال الدين الحسين بن شرف الدين عبدالحق المعروف بالالهي الاردبيلي المتوفى سنة ٩٥٠ .

٢٩ ـ تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين . شرحه بالفارسية مطبوع . للعالم

الجليل المولى فتح الله بن شكر الله القاساني المتوفى سنة ٩٨٨ .

٣١ – شرح نهج البلاغة بالفارسية . لعز الدين علي بن جعفر شمس الدين الاملي .

٣٢ – شرح نهج البلاغة بنحو الحاشية . للمولى عماد الدين علي القاري الاسترابادي من أعلام القرن العاشر .

٣٣ – شرح النهج . مجهول المؤلف .

٣٤ – منهاج الولاية[1] . شرح للنهج بالفارسية للعلامة جمال السالكين عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي .

٣٥ – شرح النهج . للشيخ علي المعروف بالحكيم الصوفي بالفارسية ، فرغ منه سنة ١٠١٦ هـ .

٣٦ – أنوار الفصاحة في شرح نهج البلاغة . للمولى نظام الدين علي بن الحسن الجيلاني ثلاث مجلدات، فرغ من الاول في ٤ ربيع الاول سنة ١٠٥٣ .

٣٧ – شرح النهج . للشيخ نور محمد بن القاضي عبدالعزيز بن القاضي طاهر محمد المحلي ، فارسي شرحه في سنة ١٠٢٨ .

---

١) ذكر ثقة الاسلام التبريزي في كتابه «مرآة الكتب» المخطوط ان لبعض العلماء شرح مختصر نهج البلاغة سماه « منهاج الولاية » وقال : لم أعرف مؤلفه وقد سقط أول النسخة التي رأيتها رتبه على اثنى عشر باباً – ثم ذكر الابواب واحداً بعد واحد الى أن قال – وشرح أيضاً في بعض المواضع بالفارسية على مذاق التصوف والعرفان . انتهى قوله ملخصاً .

اقول : هوهذا الشرح بعينه ذكره العلامة الطهراني في « الذريعة » ٢٣ / ١٧٩ وذكر الابواب الاثنى عشر كما ذكرها في « مرآة الكتب » .

٣٨ ـ شرح النهج . تعليقات للشيخ الرئيس أبي الحسن محمد الملقب بصديق الملك .

٣٩ ـ شرح النهج . للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبدالصمد العاملي الحارثي المتولد سنة ٩٥٣ المتوفى سنة ١٠٣٠ أو ١٠٣١ .

٤٠ ـ العقد النضيد المستخرج من شرح ابن أبي الحديد . لفخر الدين عبدالله بن المؤيد بالله .

٤١ ـ شرح النهج . للعالم الحكيم الشيخ حسين بن شهاب الدين بن الحسين العاملي الكركي المتولد في ١١ صفر سنة ١٠٧٦ .

٤٢ـ منهاج الولاية. للسيد ماجد بن محمد البحرانى المتوفى سنة ١٠٩٧.

٤٣ ـ شرح النهج بالفارسية. للشيخ محمدمهدي بن أبي‌تراب السهندي، فرغ منه في شهر رمضان سنة ١٠٩٧ .

٤٤ ـ المستطرفات في شرح نهج الهداة . للشيخ الامام فخرالدين بن محمد بن علي بن طريح الطريحي النجفى .

٤٥ ـ بهجة الحدائق . للسيد محمد بن أبي تراب الحسنى الاصبهانى المعروف بعلاء الدين گلستانه المتوفى سنة ١١٠٠ .

أقول : وعندنا نسخة من النهج في حواشيها من هذا الشرح بامضاء علاء الدين .

٤٦ ـ حدائق الحقائق في شرح كلمات كتاب الله الناطق . للسيد گلستانه المتقدم أيضاً ، وهو شرح كبير .

٤٧ ـ شرح النهج . للسيد الامام الحسن بن المطهر بن محمد بن الحسين الجرموزي اليمنى المتوفى سنة ١١١٠ .

٤٨ ـ شرح النهج. للمولى محمد صالح بن محمد باقر القزويني الروغني

من أعلام القرن الحادي عشر ، وهو فارسي .

٤٩ ــ الحواشي الضافية والموازين الوافية . للعلامة المحدث السيدنعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢ ــ او ــ ١١١٤ .

٥٠ ــ شرح النهج . لتاج الدين حسن المعروف بملاتاجا المتوفى سنة ١١٣٨ ، وهو والدالفاضل الهندي فارسي .

٥١ ـ شرح النهج. للشيخ المحدث عبدالله بن صالح البحراني السماهيجي المتوفى سنة ١١٣٥ .

٥٢ ـ شرح النهج . للشيخ عبدالله بن نورالله البحراني صاحب كتاب « العوالم » .

٥٣ ـ شرح النهج . للشيخ أبي الرضا محمد علي بن بشارة من آل موحي الخاقاني النجفي المتوفى سنة ١١٣٨ .

٥٤ ـ شرح النهج . للميرزا محمد علي بن أبي طالب الزاهدي الكيلاني الاصبهانى المولود سنة ١١٠٣ والمتوفى سنة ١١٨١ .

٥٥ـ شرح النهج. للسيدعبدالله بن السيد محمدرضا شبر الحسينى المتوفى سنة ١٢٤٢ .

٥٦ ـ شرح النهج . للسيد عبدالله شبر المتقدم أيضاً ، أصغر من السابق .

٥٧ ـ شرح النهج . للشيخ أبي الفضل يحيى بن أبي طي حميد بن ظافر البخاري الحلبى . المتولد سنة ٥٧٥ والمتوفى سنة ٦٣٠ .

٥٨ ـ شرح النهج . لابي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني العمري الحنفي اللغوى المتوفى سنة ٦٥٠ .

٥٩ ـ شرح النهج . لابن العنقا، ذكره صاحب وقائع الايام عن الرياض.

٦٠ ـ شرح النهج ؟ ذكره أيضاً صاحب وقائع الايام عن الرياض .

٦١ ـ شرح النهج . للشيخ شمس بن محمد بن مراد المولود سنة ١٠١٣ وهو ترجمة لشرح ابن أبي الحديد بالفارسية لكنه لم يتم .

٦٢ ـ شرح النهج . للمولى شمس الدين بن محمد بن مرط الخطيب ، وهو نقل لشرح ابن أبي الحديد بالفارسية ، ولعله هوالسابق .

٦٣ ـ شرح النهج . لبعض الفضلاء ، وهوعبارة عن ترجمة وشرح للنهج بالفارسية .

٦٤ ـ شرح النهج ؟ بعنوان « قال ـ أقول » ، مجهول المؤلف .

٦٥ ـ شرح النهج مصباح الانوار لنظام الدين احمد الكيلاني .

٦٦ ـ شرح النهج. للميرزا محمد تقي بن كاظم بن عزيز الله بن المولى محمد تقى بن مقصود علي المجلسي الاصبهانى الشمس آبادي المعروف بالالماسي المولود ١٠٨٩ المتوفى سنة ١١٥٩ .

٦٧ ـ شرح النهج. للمولى سلطان محمود بن غلام علي الطبسى القاضي من تلاميذ المجلسي .

٦٨ ـ شرح النهج. للمولى محمد رفيع بن فرج الجيلاني المشهدى المعمر .

٦٩ ـ شرح النهج . للشيخ عبدالنبى بن شرف الدين محمد الطسوجى الاذربايجانى المتوفى بكربلاء سنة ١٢٠٣ .

٧٠ ـ شرح النهج . لمحمد باقر بن محمد اللاهجى الاصفهاني ، فارسي في مجلدين فرغ من مجلده الاول سنة ١٢٢٥ ومن الثاني سنة ١٢٢٦ .

٧١ ـ منهج المعرفة. للسيد صدرالدين بن محمد باقرالموسوي الدزفولي المتوفى سنة ١٢٥٩ .

٧٢ ـ شرح النهج بالفارسية . للسيدالجليل محمد مهدي بن السيد مرتضى الحسينى الخاتون آبادي المولود سنة ١١٨٥ والمتوفى سنة ١٢٦٣ .

٧٣ ـ شرح النهج . للعارف السيد محمد تقي بن السيد مؤمن بن السيد محمد تقي الحسيني القزويني المتوفى سنة ١٢٧٠ .

٧٤ ـ شرح النهج . للسيد أبي القاسم بن السيد محمد حسن البختياري الاصفهاني المتوفى سنة ١٢٧٢ .

٧٥ ـ شرح النهج؟ مجهول المؤلف ، رآه صاحب الذريعة عند العلامة المولى علي محمد النجف آبادي .

٧٦ ـ مظهر البينات . للحاج نصرالله بن فتح الله الدزفولي ، وهو ترجمة لشرح ابن أبي الحديد مع زيادة في التحقيقات .

٧٧ ـ التقاط الدرر النخب . للشيخ محمد بن قنبركور علي الكاظمي المتوفى حدود سنة ١٣٠٠ .

٧٨ ـ شرح النهج . لبعض الافاضل ، يذكر فيه غالباً جملا من النهج أوجملة واحدة ثم يتكلم في بيان معاني بعض فقراتها بعنوان «أقول» ، قال في الذريعة ١٤ / ١١٨ رأيتها في الرضوى .

٨٩ ـ تعليق على مشكلات نهج البلاغة . للشيخ احمد بن علي اكبر المراغى نزيل تبريز المتوفى ٥ محرم سنة ١٣١٠ .

٨٠ ـ آداب الملوك من شروح النهج . للسيد الامير رفيع الدين نظام العلماء التبريزي ، طبع فى تبريز سنة ١٣٢٠ .

٨١ ـ شرح النهج. للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المتوفى سنة ١٣٢٣ .

٨٢ ـ بهجة المناهج . هو تلخيص لكتاب « مناهج النهج » للكيدري ، لابي علي الحسن بن محمد السبزواري البيهقي .

٨٣ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. للعلامة السيد حبيب الله بن السيد

محمد المعروف بأمين الرعايا الموسوي الخوئي المولود في حدود سنة نيف وستين ومائتين وألف والمتوفى في صفر سنة ١٣٢٤.

٨٤ ـ شرح الاحتشام على نهج بلاغة الامام. فارسي للشيخ جواد الطارمي الزنجاني.

٨٥ ـ الدرة النجفية. شرح على النهج للمولى الحاج الميرزا ابراهيم ابن الحسين بن علي بن عبدالغفار الدنبلي الخوئي المولود سنة ١٢٤٧ والمستشهد في فتنة المشروطة سنة ١٣٢٥.

٨٦ ـ شرح النهج. للشيخ العلامة المدرس محمد علي بن نصير الدين ابن زين العابدين الجهاردهي الكيلاني المولود ليلة الجمعة ٢٦ ربيع الاول سنة ١٢٥٢ والمتوفى في النجف الاشرف ليلة الاربعاء سلخ محرم الحرام سنة ١٣٣٤.

٨٧ ـ شرح النهج. مجهول المؤلف لنقصانه من أوله وآخره، وهو شرح مزجي مختصر، ذكره في الذريعة ١٤ / ١١٧.

٨٨ ـ شرح النهج. للحكيم الفيلسوف العارف الشيخ جهانگيرخان القشقائي الاصفهاني المتوفى بها سنة ١٣٢٧.

٨٩ ـ الاشاعة في شرح نهج البلاغة. باللغة الاردوية، للسيد اولاد حسن ابن محمد حسن الامروهي المتوفى سنة ١٣٣٨.

٩٠ ـ التعليق على نهج البلاغة. تعليقات قيمة جليلة للعلامة الناظم الناثر الشيخ حيدر قلي بن نورمحمد خان الوزير الكابلي المتوفى سنة ١٣٧٢.

٩١ ـ شرح النهج. للسيد علي اظهر الكهجوي الهندي المتوفى سنة ١٣٥٢، ترجمة وشرح باللغة الاردوية.

٩٢ ـ شرح النهج. للمولوي غلام على بن اسماعيل البهاونگرى الهندي

صاحب مجلة « ر ه نجات » ، وهذا الشرح باللغة الكجراتية .

٩٣ ـ شرح النهج . للمولى الحاج ملاعلي العلياري التبريزي .

٩٤ ـ شرح النهج . الشيخ ملاحبيب الله الكاشاني .

٩٥ ـ مصباح الانوار . للسيد عبدالحسين الحسينى آل كمونة البروجردي.

٩٦ ـ شرح النهج . للمولى الميرزا محمد على القراجه داغي التبريزي.

٩٧ ـ شرح النهج . وهو شرح وترجمة باللغة الاردوية ، للسيد ظفرمهدى اللكهنوي الهندي ، طبع بالهند في جزئين .

٩٨ ـ بلاغ المنهج في شرح النهج . للعلامة المصلح السيد محمد علي ابن الحسين الحسينى الشهير بالشهرستاني .

٩٩ ـ شرح النهج . للعلامة السيد حسن بن السيد محمد بن الحجة السيد ابراهيم اللواسانى المولود في النجف الاشرف سنة ١٣٠٨ نزيل طهران .

١٠٠ ـ شرح النهج . المشيخ حسن علي المحمدي المولود سنة ١٣٤٥ ، من حفاظ القرآن الكريم بالنجف الاشرف .

١٠١ ـ شرح النهج . للعلامة الشيخ خليل بن أبي طالب الكمرئي .

١٠٢ ـ شرح النهج . للعلامة الخطيب الاستاذ السيد محمد كاظم بن السيد محمد ابراهيم بن السيد هاشم بن السيد ابراهيم صاحب الضوابط .

١٠٣ ـ شرح النهج . للفاضل الشريف الميرآصف القزويني المتوفى حدود سنة ١١٣٦ ، هو شرح خطبة همام من النهج .

١٠٤ ـ شرح النهج . للعلامة الحجة السيد ابراهيم بن السيد مهدي بن السيد اسماعيل بن السيد يعقوب المزار بالخوي والمتوفى سنة ١٢٥٦ العلوي الحسيني الكوهكمري الخوئي ، وهو بالفارسية . شرح خطبة همام من النهج سماه « بآئينه پرهيز كاران » طبع بطهران .

١٠٥ ـ شرح النهج . للميرزا محمد ابراهيم النواب الملقب مدايح نكار (بدايع نكار) ابن محمد مهدي النواب ، هو شرح وترجمة لعهد مالك الأشتر من النهج .

١٠٦ ـ شرح النهج. للمولى أبي الحسن الشريف العاملي بن محمد طاهر ابن عبدالحميد الفتوني العاملي الاصفهاني الغروي .

١٠٦ ـ شرح النهج . للميرزا أبي القاسم بن الميرزا أحمد شيخ الاسلام الاصطهباناتي المعاصر ، وهو شرح خطبة همام .

١٠٨ ـ شرح النهج . للشيخ الميرزا أبي المعالي ابن الحاج محمدابراهيم الكلباسي الخراساني الاصفهاني المتوفى بها سنة ١٣١٥ ، هو شرح الخطبة الشقشقية من النهج .

١٠٩ ـ شرح النهج. للمولى أحمد الكاشاني المولود قريباً من سنة ١٣٠٠ وكان حياً في سنة ١٣٥٦ .

١١٠ ـ شرح النهج. للشيخ أحمد بن حافظ العقيلي الكرماني المتخلص في شعره بأديب ، هو شرح عهد مالك الأشتر .

١١١ ـ شرح النهج . العلامة المجلسي الثاني المتوفى سنة ١١١٠ ، هو شرح لعهد مالك الاشتر بالفارسية .

١١٢ ـ مختصر شرح النهج . للاية العلامة الحلي ذكره في الخلاصة . قال صاحب « مرآة الكتب » قاله في« الخلاصة » ولم يعين المقصود من الشرح ولعل مراده شرح ابن أبي الحديد . والله أعلم .

نقتصر هنـا على هذه المذكورات ولا نزيدها خوفـاً من الاطالة ومراعاة للاختصار، ومن أراد زيادة الاطلاع على شروح النهج فعليه «بالذريعة» و«خاتمة

المستدرك » و « مرآة الكتب » و « الغدير » و « مصادر نهج البلاغة » وغيرها من المظان .

« منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة »

هو للامام الشيخ قطب الدين أبي‌الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن بن عيسى الراوندي. المؤلف والمؤلف غنيان عن‌التعريف، وهما أشهر من‌الشمس في رابعة النهار ، ونحن نشير اليهما اجمالا اقتفاء للقوم فنقول :

ترجمة قطب الدين الراوندى

هو الامام الفقيه المتكلم المحدث الاديب اللغوي النحوي أبو الحسين سعيد ابن هبة الله الراوندي .

كان من أكابر علماء الشيعة الامامية ، وفطاحل فقهائهم ، وأعاظم محدثيهم صنف في كل فـن ، وألف في كل علم ، وتأليفاته منـذ ظهورها الى الان كانت مـورد الاستفادة والاستدلال للعلماء والفضلاء ، ويذكرون أقـواله وآراءه في تأييد رأيهم وتقوية أنظارهم .

أقوال العلماء فيه :

ذكره ابن شهراشوب في « معالم العلماء » ص٥٥ وقال :شيخي أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي . ثم ذكر تآليفه .

وذكره الشيخ الاقدم منتجب الدين في « الفهرست » ٨٧ وقال بعـد سرد نسبه : فقيه عين صالح ثقة .

وذكره المولى الافندي في«الرياض» ٤١٩/٢ وقال بعد ذكر اسمه ونسبه: فاضل عالم متبحر فقيه محدث متكلم بصير بالاخبار شاعر ، ويقال انه « ره » كان تلميذ تلامذة شيخنا المفيد ، وقد ينسب الى جده كثيراً اختصاراً فيقال : سعيد بن هبة الله الراوندي ، فلا تظنن المغايرة بينهما .

وذكره الشيخ الحر العاملي في « أمل الامل » ١٢٥/٢ وقال : فقيه ثقة عين صالح . ثم ذكر تصانيفه .

وذكره العلامة الاميني فيموسوعته القيمة الكبيرة « الغدير » ٣٨٠/٥ عند ذكر شعراء الغدير وقالبعدذكر اسمه وسرد نسبه مالفظه :امام من أئمة المذهب، وعين من عيون الطائفة ، وأوحدي من أساتذة الفقه والحديث ، وعبقري من رجالات العلم والادب ، لايلحق شأوه في مآثره الجمة ، ولا يشق له غبار في فضائله ومساعيه المشكورة وخدماته الدينية وأعماله البارة وكتبه القيمة. الخ .

وذكره العلامة المدرس التبريزي في « الريحانة » ٤٦٧/٤ وقال مانصه : مكنى بأبوالحسين يا أبوالحسن معروف بقطب الدين عالمياست عامل فاضل كاملفقيه محقق متكلم مدقق محدث متمهر مفسر متبحر شاعر ماهر جليل القدر از اعيان علماى اماميه واز خانواده علميه كه جد وپدر وبرادر وفرزندانش هم از اكابر علما بوده اند . الخ .

وذكره العلامة الاردبيلي في« جامع الرواة » ٣٦٤/١ وقال :الشيخ الامام قطب الدين أبوالحسن فقيه صالح ثقة . ثم ذكر تآليفه .

وذكره السيد عبدالزهراء في « المصادر » ٢٥٢/١ وقال : المعروفبقطب الراوندي الفقيه الحجة في كل فنون العلم المصنف في كلها ، من أعاظم علماء الامامية ومحدثيهم ، وهو أحد مشايخ ابن شهراشوب ، ويروي عن جماعة من المشايخ . الخ .

وذكره العلامة الطهراني في « الثقات العيون » ١٢٤ وقال : الشيخ الامام قطب الدين أبو الحسين الراوندي فقيه عين صالح ثقة . الخ .

وذكره العلامة الاية الخوئي في « معجم رجال الحديث » ٩٣/٨ وقال : سعد (سعيد) بن هبة الله . ثم ذكر ما قال منتجب الدين في الفهرست وابن شهراشوب في « معالم العلماء » والشيخ الحر في تذكرة المتبحرين والسيد ابن طاوس في « كشف المحجة ». والعلامة الحاج الميرزا ابراهيم الدنبلي الخوئي في رجاله « ملخص المقال » .

وذكره السيد الميرزا محمد باقر الخوانساري في « الروضات » ٥/٤ وقال بعد سرد نسبه : فقيه عين ثقة . الخ .

وذكره العلامة السيد الامين في موسوعته الكبيرة « الاعيان » ٢٣٩/٧ ، ٢٦٠ بعنوان سعيد بن عبدالله ـ و ـ سعيد بن هبة الله ، وأثنى عليه وذكر أقوال العلماء فيه وقال : في مجموعة الجباعي فقيه صالح ثقة ، وفي مجمع الاداب قطب الدين ابو الفرج سعيد بن هبة الله بن ابى الفرج الراوندي فقيه الشيعة كان من أفاضل علماء الشيعة. الى أن قال : تكنيته بأبى الفرج وتكنية جده بأبى الفرج ولم يذكرهما غيره ، فالظاهر وقوع اشتباه من صاحب « مجمع الاداب » . انتهى .

وذكره العلامة المامقاني في «تنقيح المقال» ٢١/٢، والعلامة المحقق الفقيه الشيخ اسدالله التسترى فى « مقابس الانوار » ص١١، والعلامة الميرزا ابراهيم الخوئي في شرح النهج والعلامة الحاج ميرزا حبيب الله الخوئي في شرح النهج وابن ميثم أيضاً فى شرحه والعلامة الطهراني في « الذريعة » ٥٥/٣ ، والكنى والالقاب ٧٢/٣، ولؤلؤة البحرين ٣٠٤، ولسان الميزان ٤٨/٣ والمستدرك ٤٨٩/٣،

وقال فيه بعد أن أثنى عليه : وبالجملةففضائل القطب ومناقبه وترويجه للمذهب بأنواع المؤلفات المتعلقة بـه أظهروأشهر من أن يذكر . الخ .

نسبته :

الراوندي نسبة الى « راوند » ، ذكره ياقوت في المعجم ٧٤١/٢ وقال : بليدة قرب كاشان و اصبهان ، قال حمزة : واصلها « راهاوند » ومعناه الخير المضاعف . وانظر « مراصد الاطلاع » ٥٩٨/٢ .

وقال السمعاني في « الانساب » ص ٢٩٥ على مافي مقدمة « ديوان » ابى الرضا الراوندي : وهي قرية من قرى قاشان بنواحي اصبهان . الخ .

وقال ابو الفداء في « تقويم البلدان » : ومن القرى المشهورة في نواحي اصبهان « راوند » والنسبة اليها « الراوندي » .

بيته واسرته :

كان بيت قطب الدين مركز علم وشرف وحلم ووقار ومجمع العلماء والفضلاء ، وكان جده وابوه واخوته وأبناؤه من العلماء والفقهاء على ما ذكره في « الريحانة » .

ونسب زميلنا الصديق السيد احمد الحسيني سلمه الله تعالى في « مقدمة فقه القرآن » للمترجم له هذا القول الى صاحب « الرياض » وقال : لا نعرف شيئاً من تاريخ اسلاف قطب الدين الراوندي وانهم هل كانوا من العلماء أم لا؟ الاما صرح به في « الرياض » مجملا أن والده وجده كانا من العلماء . الخ .

أقول :لم أجد هذا التصريح في «الرياض» . نعم قال المولى الشيخ عباس القمي في « الكنى والالقاب » ٥٨/٣ : وكان والد القطب الراوندي وجده

وأولاده كلهم علماء .

أقول : وأما العلماء من أولاده فهم :

الشيخ الامام ظهير الدين ابوالفضل محمد بن الشيخ الأمام قطب الدين ابى الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، ذكره منتجب الدين في « الفهرست» ص ١٧٢ وقال : فقيه ثقة عدل عين .

والشيخ نصير الدين ـ أو نصر الدين ـ ابوعبدالله الحسين بن الشيخ الامام قطب الدين ابى الحسين الراوندي ، ذكره الشيخ منتجب الدين في «الفهرست» ٥٦ وقال : عالم صالح شهيد .

أقول :وذكره العلامة الاميني في « شهداء الفضيلة » ص ٤٠ وقال بعدذكر اسمه وسرد نسبه ما لفظه : ضم الى ذاتي المجد والحسب موروث الفضل والمكتسب ، فهو أحد الاعاظم والعمد والدعائم . ثم ذكرماقال المنتجب بعينه وقال :ووصفه غيره من أجلاء المحدثين وعلماء الرجال بالعلم والعمل والشهادة كما في أمل الامل والروضات ورياض العلماء والمستدرك .

والشيخ الامام عماد الدين علي بن الشيخ الامام قطب الدين ابى الحسين سعيد بن هبةالله الراوندي. ذكره الشيخ منتجب الدين في الفهرست ١٢٧وقال فقيه ثقة .

ومن أحفاده أيضاً الشيخ برهان الدين ابوالفضائل محمد بن علي بن ابى الحسين الراوندي سبط الامام قطب الدين ، ذكره الشيخ منتجب الدين في « الفهرست » ١٧٢ وقال : هوفاضل عالم ، وذكره في « الرياض » ١١٧/٥ .

مولده :

لم نجد أحداً من المترجمين والمؤرخين اشار الى تاريخ تولده .

وفاته ومزاره :

قال العلامة الطهراني في « الثقات العيون » ١٢٤ : وفي مجموعة الجبعي نقلا عن خط الشيخ الشهيد محمد بن مكي أنه توفي صاحب الترجمة ضحوة يوم الاربعاء ١٤ شوال سنة ٥٧٣ .

قال في « الاعيان » ٧/٢٣٩ نقلا عن الشيخ البهائى : انه مدفون في مقبرة الست فاطمة .

وذكر في « الروضات » ٢/٨ بعد نقل هـذا عن البهائي وتلميذه المولى نظام الدين التفريشى في « نظام الاقوال » وقال : قلت : وقبره المطهر ثمة الى الان معروف يزار وقد تشرفت بزيارته واتفق وقوعـه مما يلي رجلى الحضرة الفاطمية في مقاديم المقبرة . الخ .

أقول :هذا المزار الشريف هناك معروف ومشهور واقع في الصحن الجديد مقابل الباب القبلة رحمة الله عليه .

وماقيل من أن قبره الشريف في«خسروشاه» من توابع تبريز ليس بصحيح كما نقله في «الرياض» عن المولى الحشري الشاعر في كتابه « تذكرة الاولياء » ثم قال صاحب « الرياض » أقول : وانا أيضاً رايت قبراً بتلك القرية يعرف عند أهلها بأنه قبر القطب الراوندي وكانوا يزورونه فيه وقد زرته أنا أيضاً فيه ، ولا يبعد أن يكون أحدهما قبر الشيخ قطب الدين الراوندي والثانى قبر السيد فضل الله الراوندي او أحدهما قبر احد أولاده المذكورين أو قبر والده أو جده والاخر قبره . وفيها أيضاً قبر سلار بن عبدالعزيز الديلمي .

وخسرو شاه قرية معروفـة بقرب تبريز بينها وبين « الدهخارقان » ذكرها ياقوت وقال : وهى بلدة من تبريز على سبعة فراسخ . وقال في «الرياض» بعد

ذكرما قاله ياقوت :ولكن الان بلدة خسروشاه التى بآذربايجان قد خربت ولم يبق الاقليل منها ولذلك قلنا قرية .

شعره :

وكان له طبع لطيف وله اشعار كثيرة في أهل البيت عليهم السلام منهاقوله:

قسيم النار ذو خير وخير　　　يخلصني الغداة من السعير
فكان محمد في الناس شمساً　　　وحيدر كان كالبدر المنير
هما فرعان من عليا قريش　　　مصاص الخلق بالنص الشهير
وقال له النبي لانت مني　　　كهارون وأنت معي وزيري
ومن بعدي الخليفة في البرايا　　　وفي دارالسرور على سريري
وأنت غياثهم والغوث فيهم　　　لدى الظلماء والصبح السفور
مصيري آل أحمديوم حشري　　　ويوم النصر قائمهم مصيري

وقوله :

بنو الزهراء آباء اليتامى　　　اذا ما خاطبوا قالوا السلاما
هم حجج الاله على البرايا　　　فمن ناواهم يلق الاثاما
يكون نهارهم في الدهر صوماً　　　وليلهم كما تدري قياما
ألم يجعل رسول الله يوم الـ　　　ـغدير علياً المولى اماما
ألم يك حيدر أحوى علوماً　　　ألم يك حيدر أعلى مقاما
بنوه العروة الوثقى تولى　　　عطاؤهم اليتامى والايامى
هم الراعون في الدنيا الذماما　　　هم الحفاظ في الاخرى الاناما

قال في « الاعيان » : وفي مجموعة الجبعي عن الكفعمي أنه قال :ومن شعر المترجم في أهل البيت عليهم السلام :

امامـي علي كالهزبر لـدى العشا — وكالبدر وهـاجـاً اذا الليل اغطشا
امامـي علي خيـرة الله لا الـذي — تخيرتم والله يختار مـن يشـا
أخو المصطفى زوج البتول هو الذي — الى كل حسن في الرية قـد عشا
بمولـده البيـت العتيق كما روى — رواة وفي حجـر النبوة قـدنشا
مواليه قوامون بالقسط في الورى — معادوه أكالـون للسحت والرشـا
له أوصيـاء قائمـون مقامـه — أرى حبهم في حبة القلب والحشا
هـم حجج الرحمن عترة احمـد — أئمة حق لا كمن جار وارتشى
مودتهم تهـدى الـى جنـة العلى — ولكنما سبابهـم يـورث العشـا
واني بريء مـن فعيل فانه — لا كفر من فوق البسطية قـد مشى
فلولاه مـا تمت لفعل امارة — ولاشاع في الدنيـا الضلال ولافشـا

وله عليه الرحمة :

محمـد وعلـي ثـم فاطمـة — من الشهيديـن زيـن العابدين علي
والصادقان وقد سارت علومهما — والكاظم الغيظ والراضي الرضا علي
ثم التقي النقي الاصل طاهره — محمد ثـم مولانـا النقي علي
ثم الزكي ومن يرضى بنهضته — أن يظهر العدل بين السهل والجبل
انـي بحبهم يـارب معتصم — فاغفر بحرمتهم يوم القيامة لـي

وله رحمه الله أيضاً :

لآل المصطفى شرف محيط — تضايق عن تنظمه البسيط
اذا كثر البلايـا والرزايا — فكل منهم جاش ربيط
اذا ما قام قائمهم بوعظ — كـأن كلامـه در لقيـط
اذا امتلأت بعدلهم ديار — تقاعس دونه الدهر القسوط
هم العلماء ان جهل البرايا — هم الموفون ان خان الخليط

بنو اعمامهم جاروا عليهم ومال الدهر اذ مال العبيط

اساتذته ومن روى عنه :

ابوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب المجمع المتوفى بسبزوار سنة ٥٤٨ وحمل جثمانه الى المشهد الرضوي ودفن في قتلكاه .

السيد عماد الدين ابو الصمصام ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسينى .

الشيخ ابوجعفر الحلبى . وهومحمد بن على بن الحسين الحلبى ، ذكره في آخر شرح الخطبة الاولى من «النهج» .

الشيخ ابونصر محمد بن الحسن بن ابراهيم، ذكره في آخر شرح «الخطبة الثالثة» من « النهج » .

الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، والد نصيرالدين الطوسي .

السيد المرتضى بن الداعي صفي الدين الحسينى الرازي .

شيخ السادة السيد المجتبى بن الداعي أخو السيد المرتضى الماضي .

الشيخ الامام عماد الدين ابوجعفرمحمد بن ابى القاسم بن محمد بن علي الطبرى الاملي الكجي .

الشيخ عبدالله بن الحسن أو الحسين الراوندي .

الشيخ هبة الله بن دعويدار ، ذكره في « الرياض » وقال : فاضل عالم جليل الشأن .

الشيخ علي بن علي بن عبدالصمد النيسابوري .

السيد ابوالبركات محمد بن اسماعيل الحسينى المشهدي .

الأستاذ ابوالقاسم بن كميح ، قال في « الرياض » : فاضل عالم كامل يروي عن المفيد .

الاستاذ ابو جعفر محمد بن المرزبان ، وهو يروي عن الدوريستي .
الاديب ابو عبدالله الحسين المؤدب القمي .
ابو سعد الحسن بن علي الارابادي .
الشيخ ابو القاسم الحسن بن محمد الحديقى .
الشيخ أبو الحسين احمد بن محمد بن على بن محمد المرشكى .
الشيخ أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الاسدي، ذكره في « النابس ».
الشيخ أبو المحاسن مسعود بن علي بن محمد العواني المتوفى سنة ٥٤٤ كما عن تاريخ البيهق .
السيد علي بن أبي طالب السليقي .
السيد أبو السعادات هبة الله بن على ابن الشجري البغدادي المتولد سنة ٤٠٥ والمتوفى سنة ٥٤٢ او سنة ٥٢٢ كذا فى المستدرك .
الشيخ محمد بن علي بن الحسين المقرى .
الشيخ محمد بن عبدالصمد التميمي .
الشيخ علي بن عبد الصمد التميمي ، أخو السابق الذكر .
الشيخ أبو علي الحسن بن احمد بن الحسن الحداد ، ذكره نفسه في آخر شرح الخطبة الثانية من « النهج » .
السيد أبو معبد الحسينى .
الشيخ أبو عبدالله، لعله هو الاديب الحسين المؤدب القمي الماضي ذكره .
الشيخ أبو منصور شهريار بن شيرويه بن شهريار الديلمي .
الشيخ عبدالرحيم بن احمد الشيبانى المعروف بابن الاخوة البغدادي .
الشيخ أبو عبدالله جعفر بن محمد الدوريستى الفقيه الجليل .
الشيخ أبو نصر الغاري .

الاستاد الشيخ أبو جعفر اخو الاستاد ابي القاسم بن كميح المتقدم .

الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي المقرى النيسابوري ، من مشايخ السيد الراوندي أيضاً .

الشيخ أبو الفرج سعيد بن أبي الرجا الصير في الاصفهانى ، ذكره في « الرياض » ٢ / ٤١٨ .

تلاميذه ومن روى عنه :

الشيخ احمد بن علي بن عبدالجبار الطبرسى القاضي ، وماقيل الطوسى فى بعض المجاميع اشتباه .

السيد الشريف عزالدين أبو الحارث محمد بن الحسن بن علي العلوي البغدادي .

الشيخ رشيدالدين محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني .

الشيخ الفقيه علي بن محمد المدائني .

الشيخ زين الدين أبو جعفر محمد بن عبدالحميد بن محمود الدعويدار ، ذكره في « الرياض » ٢ / ٤٣٠ وقال : وسننقل في ترجمته أنه كان من تلامذة القطب الراوندي .

أقول : ولم اجد ترجمته لافي « الرياض » ولافي غيره .

الشيخ نصيرالدين الحسين بن سعيد الراوندي ، ابن المترجم له .

الشيخ ظهير الدين محمد بن سعيد الراوندي ، ابن المترجم له .

الشيخ على بن قطب الدين الراوندي، ابن المترجم له. ذكره في «الغدير».

الشيخ نصيرالدين راشد بن ابراهيم البحراني .

الشيخ سعد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن بابويه .

القاضي جمال الدين علي ، ذكره في « الغدير » لعله هو الشيخ الفقيه علي ابن محمد المدائني .

الشيخ منتجب الدين علي بن عبيدالله، ذكره في مقدمة البحار الطبع الجديد.

تأليفاته :

شرح آيات الاحكام المعروف بفقه القرآن .

شرح النهاية للشيخ الطوسى .

ضياء الشهاب ، أو ضوء الشهـاب في شرح كتاب « الشهـاب » للقاضي القضاعى .

علامات النبى والائمة عليهم السلام .

عيون المعجزات .

الموازاة بين المعجزات .

رسالة في عدد المسائل التى وقع الخلاف فيها بين المرتضى واستاذه المفيد في المسائل الكلامية .

تلخيص فصول عبدالوهاب في تفسير بعض الايات والروايات. سماه « اللب واللباب » .

لباب الاخبار ، كتاب مختصر في الاخبار .

الدلائل والفضائل .

الناسخ والمنسوخ من الايات في جميع القرآن .

نوادر المعجزات .

أم القرآن .

رسالة الفقهاء .

تفسير القرآن مجلدان .

المغنى في شرح النهاية عشر مجلات .

خلاصة في الشرائع مجلدن .

نهية النهاية ، وهو غير شروحه على النهاية .

المستقصى في شرح الذريعة ثلاث مجلات .

المجالس في الحديث .

حل المعقود في الجمل والعقود .

الانجاز في شرح الايجاز .

نهية النهاية في غريب النهاية .

احكام الاحكام .

بيان الانفرادات .

شرح ما يجوز ومالايجوز من النهاية .

التغريب في التعريب .

الاغراب في الاعراب . والظاهر أن هذا غير السابق .

زهرالمباحثة وثمر المناقشة .

تهافت الفلاسفة .

جواهرالكلام في شرح مقدمة الكلام .

خلاصة التفاسير ، في عشر مجلات .

النيات في جميع العبادات .

اللباب في فضل آية الكرسى .

نفثة المصدور ، وهي منظوماته .

الخرائج والجرائح في المعجزات .

شرح الايات المشكلة في التنزيه .

شرح الابيات المشكلة في العربية .

شرح الكلمات المائة لامير المؤمنين عليه السلام .

شرح العوامل المائة .

شجار العصابة في غسل الجنابة .

المسألة الشافية في الغسلة الثانية .

مسألة في العقيقة .

مسألة في صلاة الايات .

مسألة في الخمس .

مسألة اخرى في الخمس .

مسألة فيمن حضره الاداء وعليه القضاء .

جنا الجنتين في ذكر ولد العسكريين .

قصص الانبياء .

رسالة في أحوال احاديث أصحابنا واثبات [1] صحتها .

---

١) عندنا مختصر « رسالة في احوال الاخبار » في ثلاث اوراق كتبه الناسخ من خط المولى محمد امين الاسترآبادى في سلخ جمادى الآخرة سنة ١٠٢٩. ولعل هذه النسخة مختصر من تلك الرسالة . وذكر الناسخ في أولها بعد البسملة: « اختصار من الرسالة التى صنفها الامام الكبير السعيد قطب الدين شيخ الاسلام ابى الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى قدس سره في احوال الاخبار » .

أقول: لم يصرح باسم المختصر لعله المولى الاسترآبادى. والكتاب يشتمل

شرح مشكلات النهاية .

البحر .

على فصول اولها: في حجية التواتر والثاني: في حجية اجماع الامامية والثالث: في حجية النقل بالواسطة عن الامام فيما يلزم فرضه في حال البلاغ ببلاغه لوجوب عصمته في الاداء. والرابع : حجية نقل العدل عن مثله . والخامس: في علامة الفاسد من الاخبار . والسادس : في علامات ما يسقط العمل به مما يقطع على صدق ناقليه . السابع : في علامة ما يسقط العمل به مع الشك في صدق ناقليه وطريق ذلك واحد الخ . والثامن : في علل الاختلاف في الأخبار والتاسع : في علل الشبه في اختلاف ماليس بمختلف في الاخبار . والعاشر : في عرض الاخبار على الكتاب. الحادى عشر: ومن العامة من يدفع صحة عرض الاخبار على الكتاب . والثاني : عشر في عرض ما اختلف من الاخبار على المذهبين . والثالث عشر: في كيفية العرض وعلة من انكر عرض الخبرين على المذهبين . الخ .

قال الناسخ : هذا آخر فصول تلك الرسالة ، وقال في خصوص مواضع البياض : انها كانت تالفة . وقال في الاخر : نقلت هذه الرسالة في مكة المعظمة من خط افضل المتقدمين واعلم المتأخرين أعني استادنا مولانا محمد امين الاسترآبادى سلمه الله تعالى في سلخ جمادى الآخرة سنة ١٠٢٩ . انتهى .

والناسخ هو المولى عبد الغفور بن مسعود الطالقاني، وكانت هذه الرسالة بضميمة الاستبصار للشيخ الطوسى نسخهما في طريقه الى مكة المباركة وفيها وعند مراجعتها واتمهما في سنة ١٠٣٧ في بندر الكجرات من بلاد الهند ، كما نص عليه في آخر كتاب الاستبصار الذي هو أيضاً عندنا. والاسف أنه ناقص من مواضع عديدة .

فقه القرآن . قيل هو غير شرح آيات الاحكام .

كتاب كبير في المزار ، نسب اليه في « المقابس » .

كتاب القاب الرسول وفاطمة والائمة عليهم السلام .

ام المعجزات .

الفرق بين الحيل والمعجزات .

اسباب النزول .

تحفة العليل في الادعية والاداب واحاديث البلا واوصاف جملة من المطعومات .

كتاب الدعوات ، سماه : سلوة الحزين .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، وهو هذا الكتاب .

تحقيق الكتاب

اعتمدنا في تحقيق الكتاب ـ متناً وشرحاً ـ على نسخ كلهـا مصورة من « المكتبة العامة » لسيدنا الاستاذ الاية العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله العالى بقم ومن « مكتبة المجلس الاسلامي » بعاصمة طهران ومكتبة الملك بطهران .

النسخ التى اعتمدنا عليها فى تصحيح المتن :

١ـ نسخة مصححة مقروءة على العلامة المجلسي، وفي آخرها هكذا بخطه الشريف بعد البسملة :

« أنهاه الاخ في الله المبتغي لمرضاة الله تعالى مولانا غياث الدين محمد وفقه الله تعالى سماعاً وتصحيحاً وضبطاً في مجالس عديدة آخرها ثامن شهر رجب الاصب سنة ١٠٩٢ فأجزت له روايته عني بأسانيدي المتصلة الى السيد الاجل قدس الله روحه . وكتب الحقير محمد باقر بن محمد تقى عفي عنهما حامداً

مصلياً مسلماً » .

والنسخة خالية عن اسم الناسخ والتاريخ ، وموجودة في المكتبة العـامة المرعشية بقم تحت رقم (٤٠١) . ورمزنا لها بالحرف « الف » .

٢ ـ نسخة عتيقة أخرى للمكتبة العامة المرعشية أيضاً خالية عن اسم الناسخ والتاريخ ، وفي حواشيها علامات التصحيح موجودة . ورقم المكتبة (١٥٤) ورمزنا لها بالحرف « ب » .

٣ ـ نسخة مصححة وفيها بلاغات بخـط محمد امين نسخها في الواحـد والعشرين من شهر شوال المكرم من شهور سنة ثلاثين ومـائة بعد الألف في دار السلطنة قزوين وسجع خاتمه في ظهر الورقة الاولى وآخر الكتاب هكذا « رب نجنى بمحمد امين وحيك » وفي آخر الكتاب أيضاً ختم له آخر هكذا « محمد امين » . وأيضاً في آخر الكتاب ختم في ذيل كلمة « بلغ مقابلة » ابن علي نقي ابو الحسن الحسنى الحسينى . وهذه النسخة الشريفة موجودة عندنا ورمزنا لها بالحرف « نا » .

٤ ـ متن نهج البلاغة المطبوع مع شرح ابن ابى الحديد المطبوع بمصر ، ورمزنا لها بالحرف « يد » .

النسخ التى كانت مراجعنا فى تصحيح الشرح :

١ ـ نسخة مصورة لمكتبة الملـك بعاصمة طهران تحت رقـم (١١٥١) تاريخها الحادي والعشرون من شوال سنة احدى وثمانين وستمائة . وليس فيها اسم الناسخ وفي أوسطها سقطات . رمزنا لها بالحرف « د » .

٢ ـ نسخة مصورة لمكتبة المجلس الاسلامي بطهران تحت رقم (٦٤٤٢٧) وهي بالخط الجيد جداً واوائلها مزين بالذهب ، وفي هامشها شرح خطبة

نهج البلاغة لعله هو شرح الشارح القطب للخطبة . والله العالم .

والنسخة جيدة عالية قيمة وفي أولها فهرس الكتاب كله .

والتاريخ في آخر الفهرس هكذا : تم الفهرس في يوم الاربعاء عاشر ذيحجة الحرام سنة ١٣٤١ . وخط كاتب الفهرس مع كاتب الكتاب متحد ولم يصرح باسم الناسخ . ورمزنا لها بالحرف « م » .

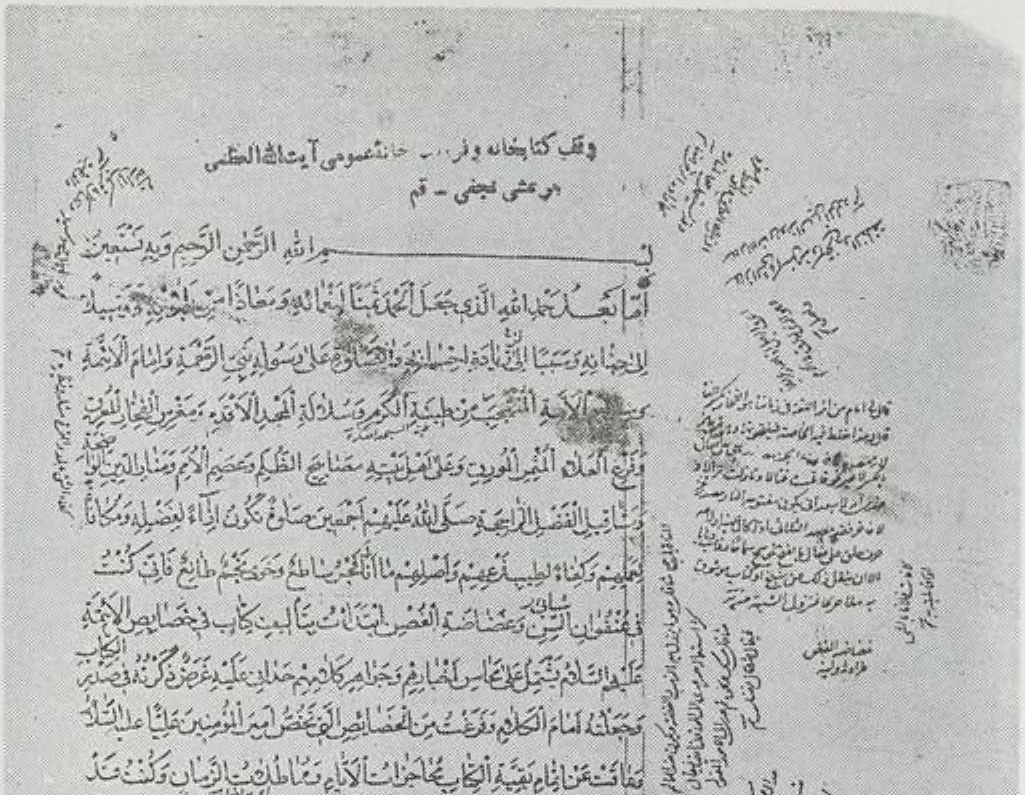
٣ـ نسخة مصورة أخرى من المجلس الاسلامى بطهران تحت رقم(٦٦٩٥٤) عتيقة قديمة بخط داود بن محمد بن ابراهيم بن الحسام ، نسخها يوم الاربعاء ثالث ذى حجة سنة اثنى وخمسين وستمائة ٦٥٢، وهى الجزء الاول من الكتاب ويليه في الجزء الثانى خطبته عليه السلام في الملاحم. ورمزنا لها بالحرف «ص».

٤ ـ نسخة مصورة من أول خطبة همام الى آخر الكتاب .

والنسخة عتيقة ثمينة وخطها جيد وعناوينها بالخط الكوفي والناسخ محمد ابن الامام السعيد امين الحاج والحرمين . . . الرشيد بن الحسن بن الامام المفيد ابن العباس ، كتبه في محرم سنة ثلاث وستمائة .

وهذا التصوير مغشوش بحيث لايمكن القراءة الابعض الكلمات من بعض الاوراق . ورمزنا لها بالحرف « ح » .

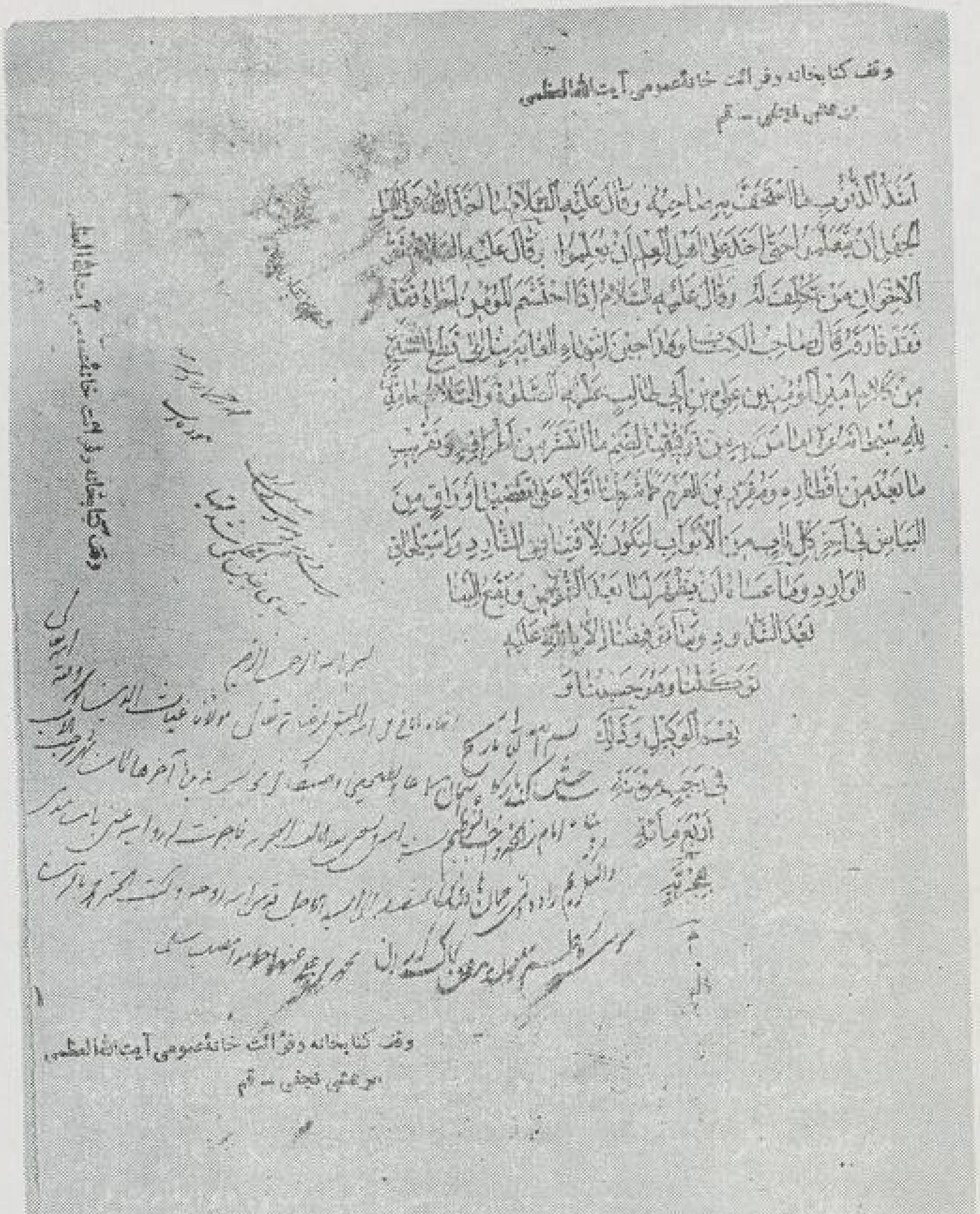
وقد رجعنا في التصحيح ايضاً الى نسخة عتيقة من شرح النهج للعتايقي ، وهي المجلد الثالث من الكتاب مرذكره عند ذكر شروح النهج، وكذا استفدنا من شروح النهج لابن ابى الحديد ولابن ميثم والدرة النجفية للخوئي ولفيض الاسلام .



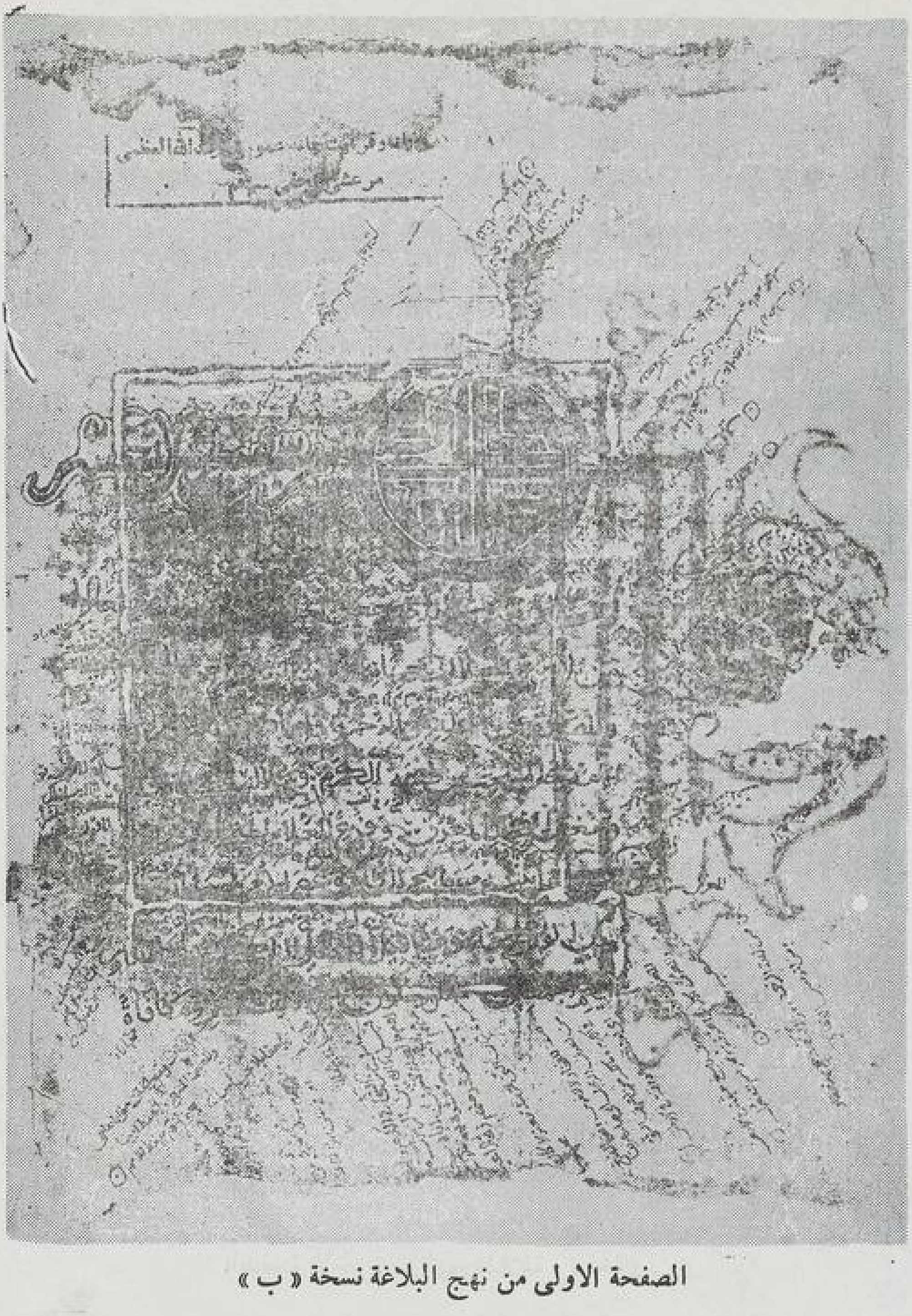
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه ومعاذاً من بلائه ووسيلاً
إلى جنانه وسبباً لزيادة إحسانه والصلاة على رسوله نبي الرحمة وإمام الأئمة
وسراج الأمة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الأقدم ومغرس الفخار المعرق
وفرع العلاء المثمر المورق وعلى أهل بيته مصابيح الظلم وعصم الأمم ومنار الدين الواضحة
ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم ومكافأة
لعملهم وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم ما أنار فجر ساطع وخوى نجم طالع فإني كنت
في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة
عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب
وجعلته أمام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام
وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان وكنت قد
بوبت ما خرج من ذلك أبواباً وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن
ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون
الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه
الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك
أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه
ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب علماً أن ذلك يتضمن من
عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية و
الدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام

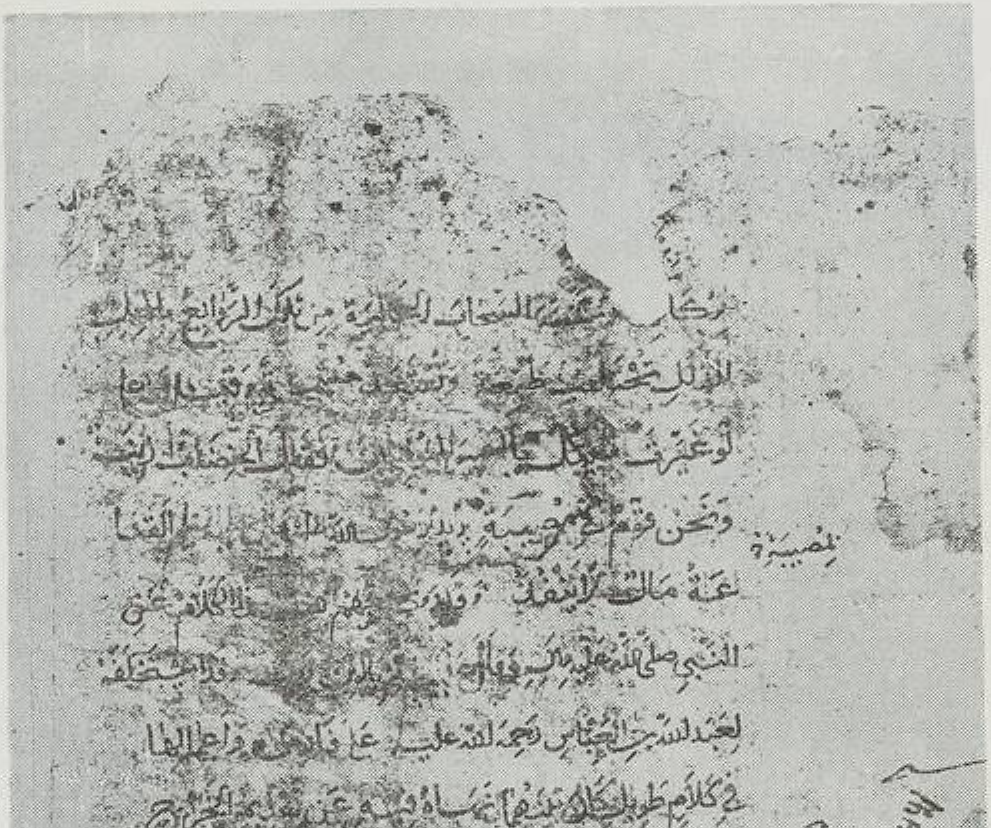
الصفحة الاولى من نهج البلاغة ، نسخة « الف »



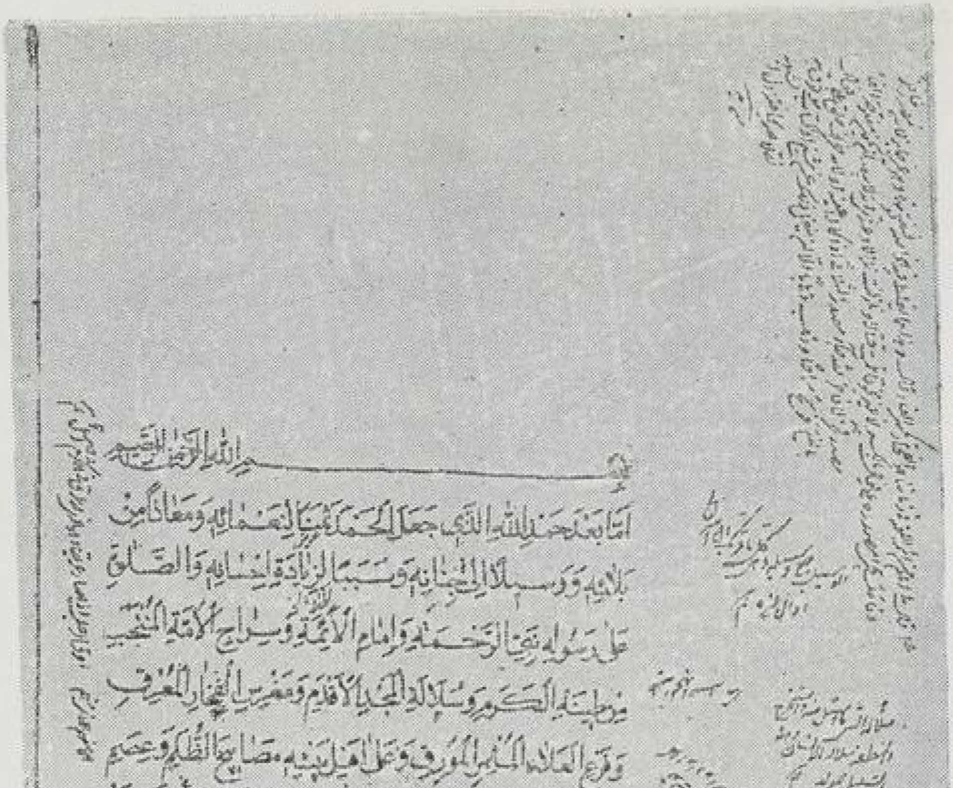
الصفحة الأخيرة من نهج البلاغة ، نسخة « الف »



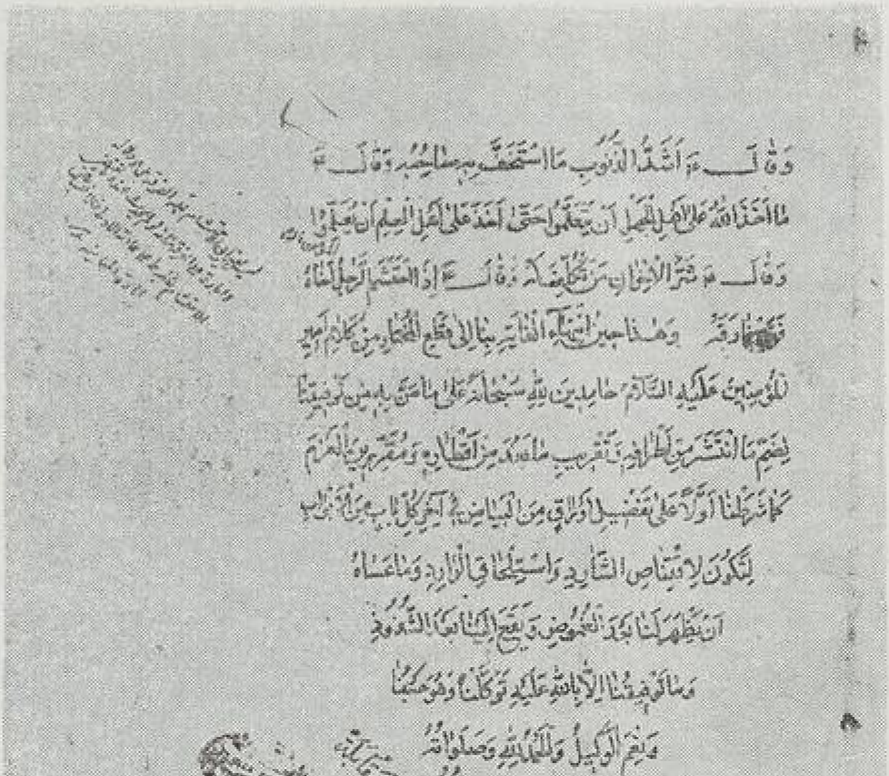
الصفحة الاولى من نهج البلاغة نسخة « ب »



الصفحة الاخيرة من نهج البلاغة ، نسخة « ب »


بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه ومعاذاً من
بلائه ووسيلاً الى جنانه وسبباً لزيادة احسانه والصلوة
على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتخب
من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق
وفرع العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم
الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة فصلى الله
عليهم اجمعين صلاة تكون ازاء لفضلهم ومكافاة
لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع و
خوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن
ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلم
يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه
غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وفرغت
من الخصائص التي تخص امير المؤمنين عليه السلام

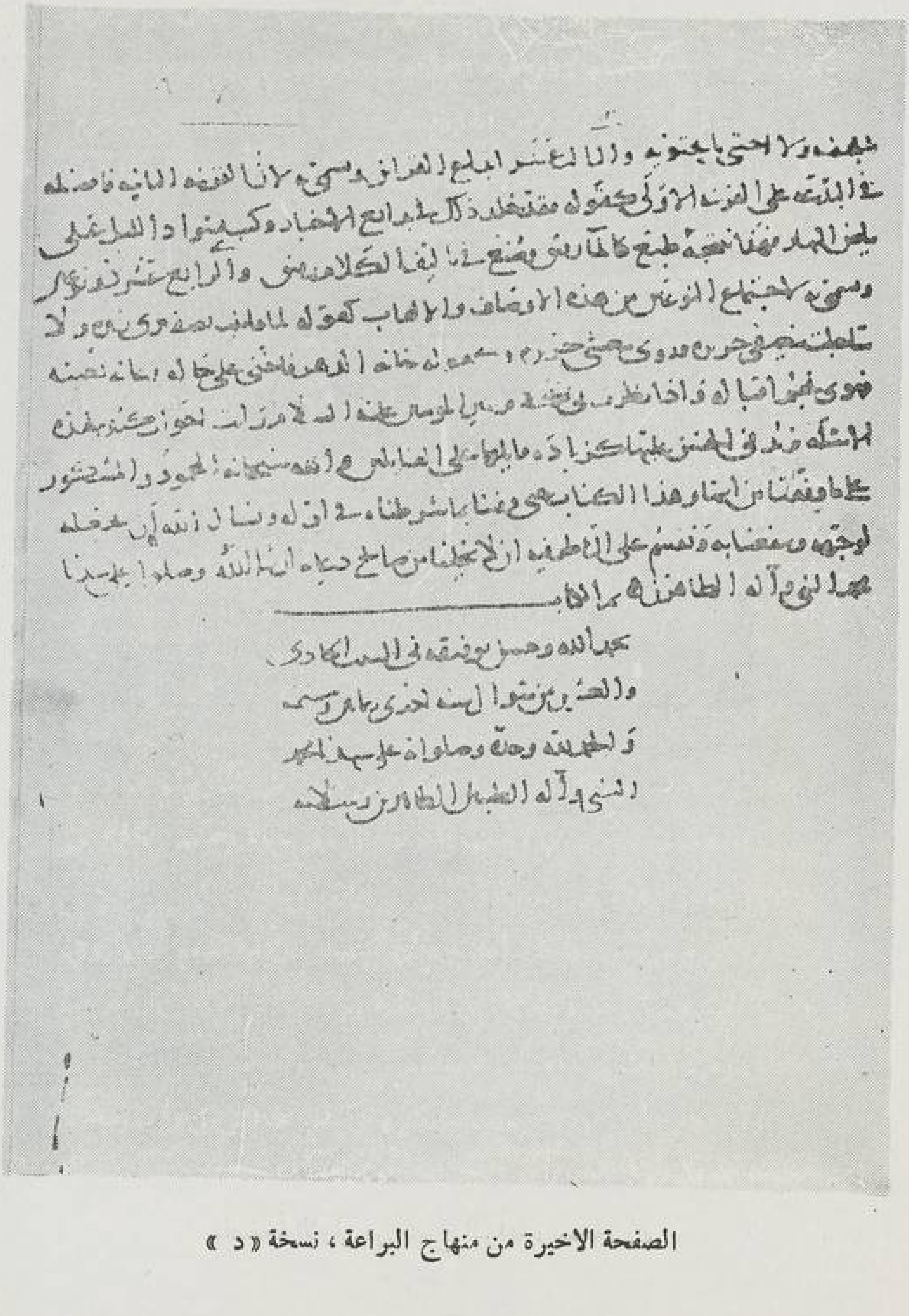
الصفحة الاولى من نهج البلاغة ، نسخة « نا »


وقال ع: أشد الذنوب ما استخف به صاحبه. وقال ع:
ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا
وقال ع: شر الإخوان من تُكُلِّف له. وقال ع: إذا احتشم المؤمن أخاه
فقد فارقه. وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أمير
المؤمنين عليه السلام حامدين لله سبحانه على ما منّ به من توفيقنا
لضم ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره ومقررين العزم
كما شرطنا أولاً على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب
لتكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عساه
أن يظهر لنا بعد الغموض ويقع إلينا بعد الشذوذ
وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا
ونعم الوكيل والحمد لله وصلواته
على رسوله محمد وآله وسلامه
تم
الحمد لله الذي وفقني على إتمام هذه النسخة الشريفة حمداً كثيراً والصلاة
على أشرف الورى محمد وآله مصابيح الدجى وكان
الفراغ في ... عشر ...
شوال المكرم ...
ثلثين ومائة بعد الألف

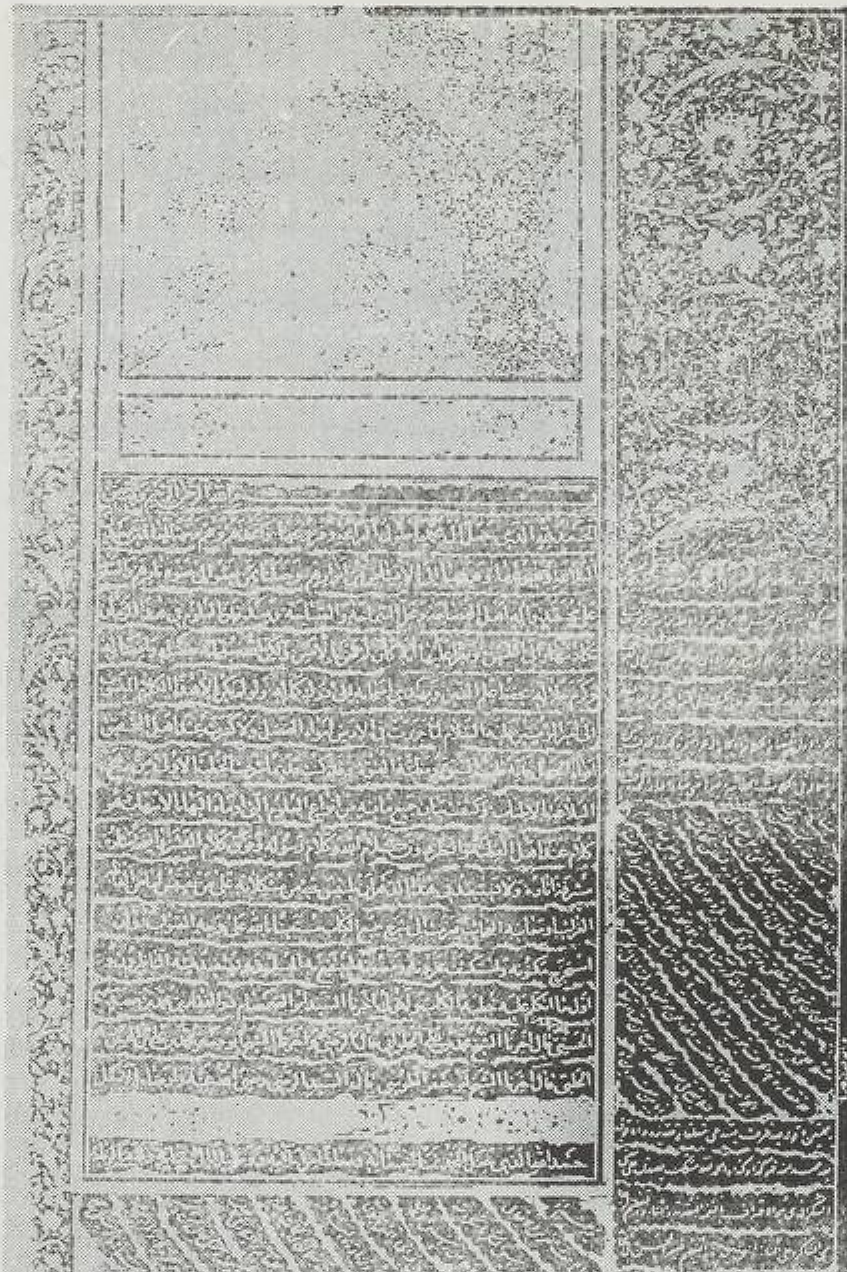
الصفحة الأخيرة من نهج البلاغة ، نسخة « نا »



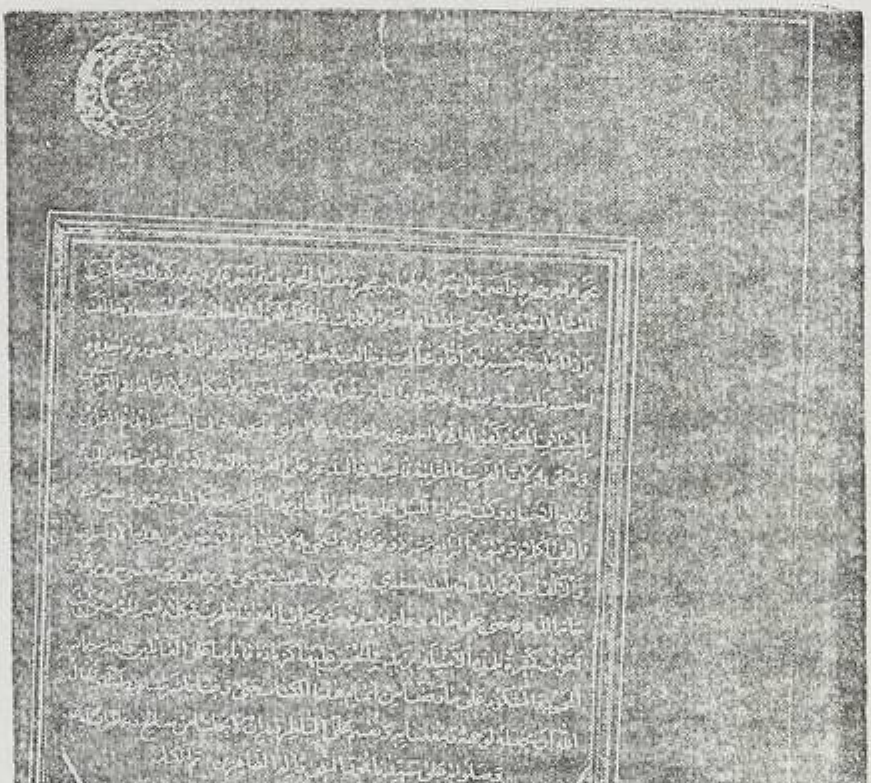
الصفحة الاولى من منهاج البراعة ، نسخة « د »



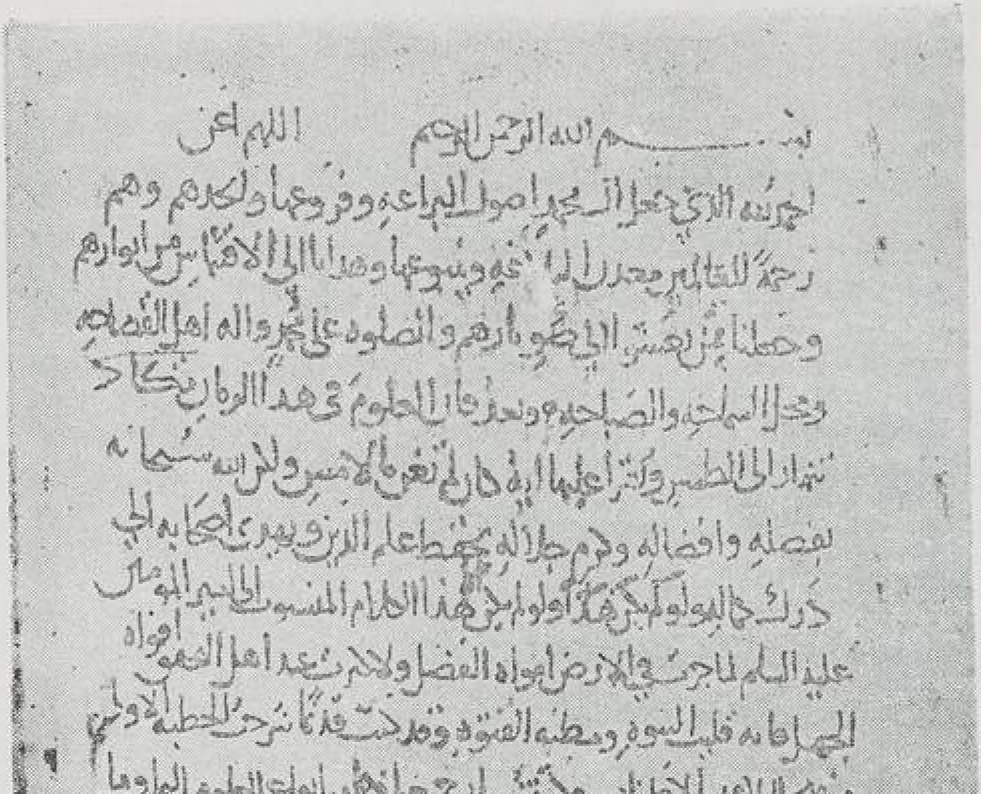
الصفحة الاخيرة من منهاج البراعة ، نسخة « د »



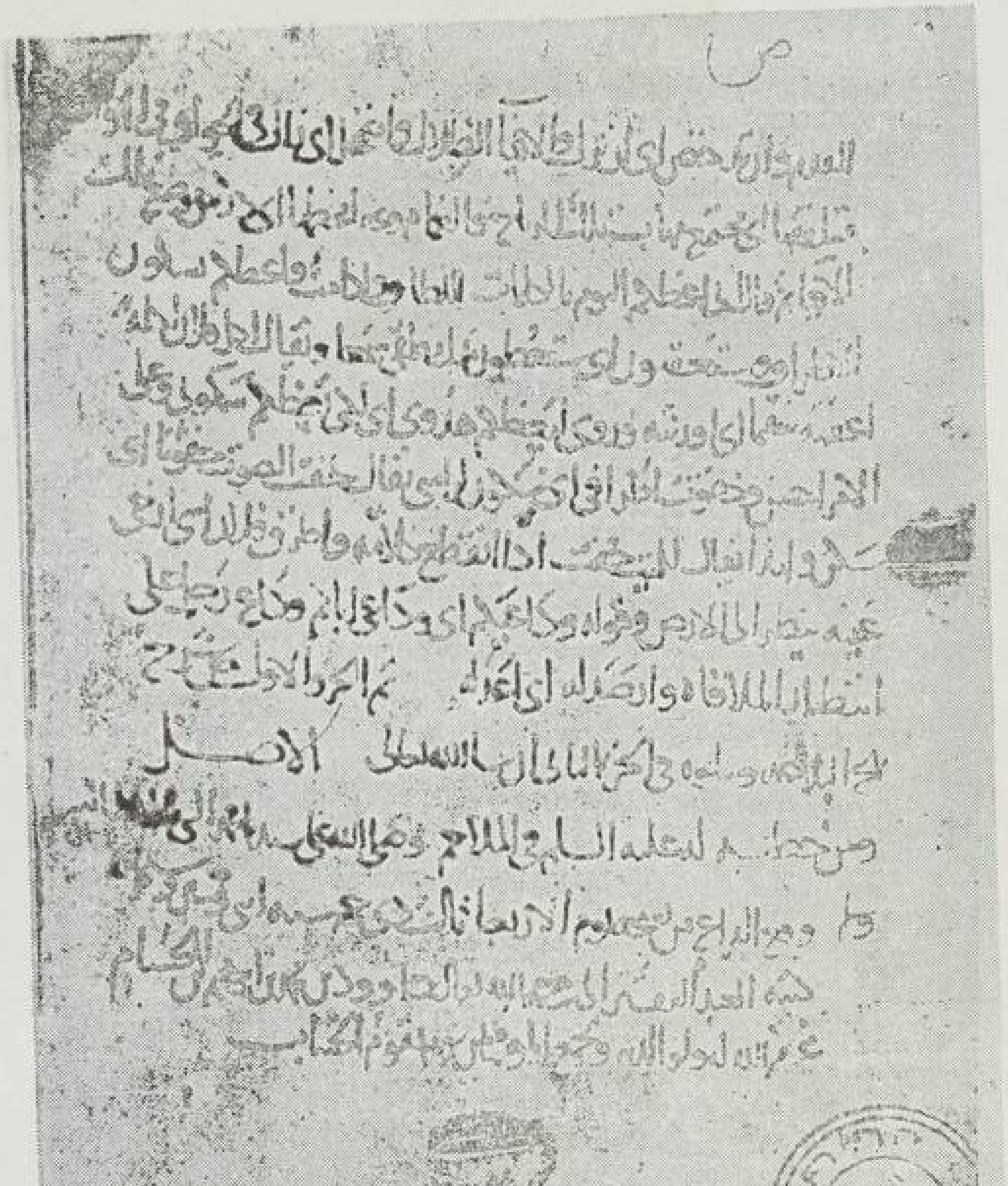
الصفحة الأولى من منهاج البراعة، نسخة «م»



الصفحة الأخيرة من منهاج البراعة ، نسخة « م »


بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اعن

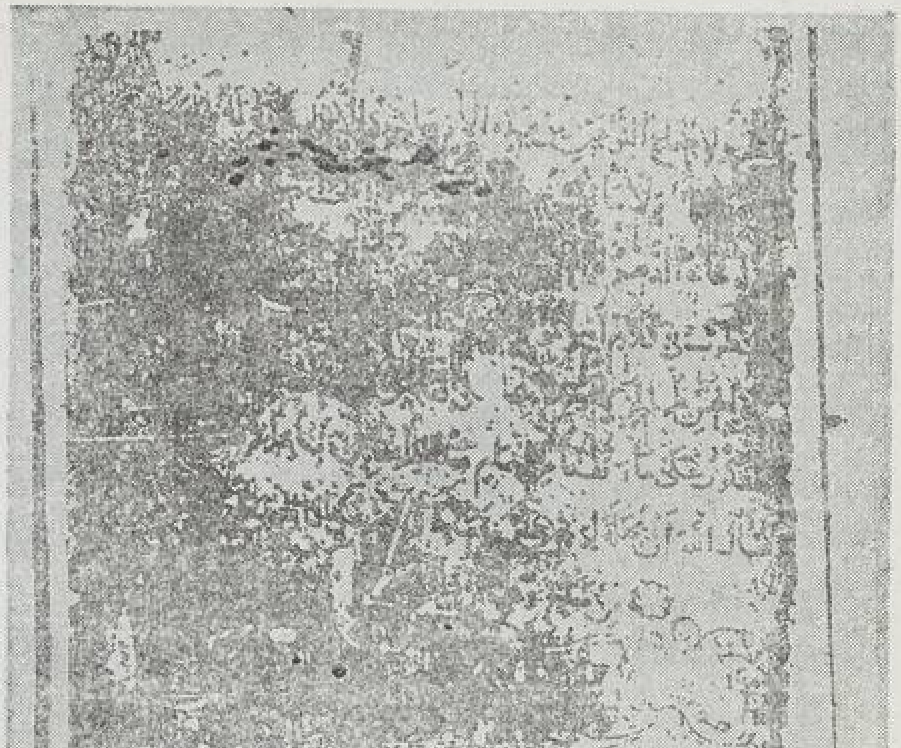
الصفحة الاولى من منهاج البراعة ، نسخة « ص »



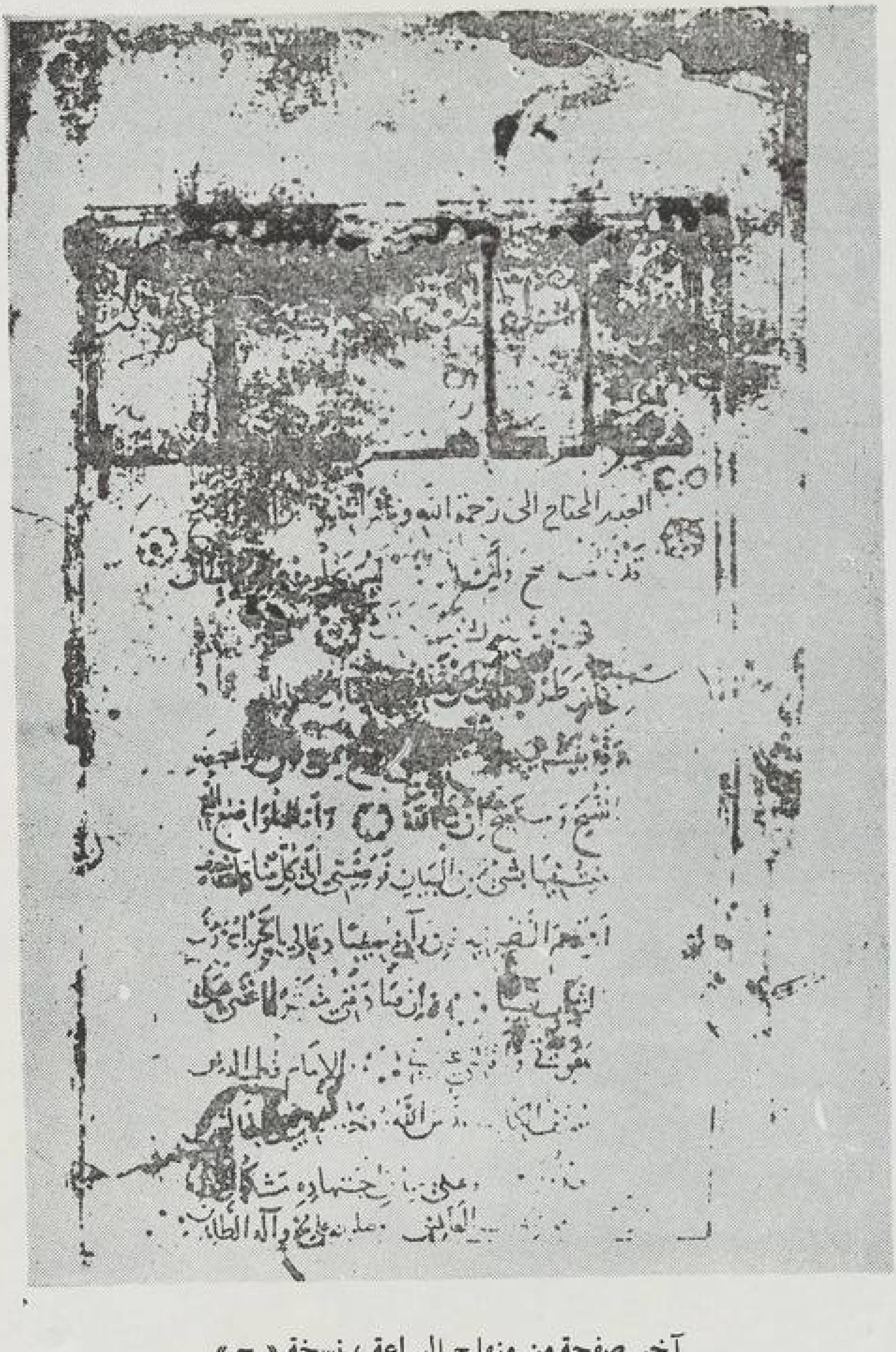
الصفحة الاخيرة من منهاج البراعة ، نسخة « ص »



الصفحة الاولى من منهاج البراعة ، نسخة « ح »



الصفحة الاخيرة من منهاج البراعة ، نسخة « ح »



آخر صفحة من منهاج البراعة ، نسخة « ح »

مِنهاجُ البَراعَة

في شرح نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي[1] جعل آل محمد أصول البراعة وفروعها، واتخذهم وهم رحمة للعالمين معدن البلاغة وينبوعها، وهدانا الى الاقتباس من أنوارهم ، وجعلنا ممن يعشو[2] الى ضوء نارهم. والصلاة على محمد وآله أهل الفصاحة، ومحل السماحة والصباحة .

وبعـد :

فان العلوم في هذا الزمان تكاد تنهار[3] الى الطمس[4]، وتقرأ عليها آية «كأن

---

(١) ليس في « د » أول الخطبة الى « أخبرنـا السيد ابوالصمصام . . . » وبدله: « الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . قال الشارح: أخبرنا ابوالصمصام .... » الخ.

(٢) في اللسان: والعرب تقول: عشوت الى النار أي قصدتها مهتدياً بها .

(٣) هار الجرف والبناء: انهدم. وقيل: اذا انصدع الجرف من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فقدهار، فاذا سقط فقد انهار وتهيّر .

(٤) الطمس والطموس: الدروس والمحو ، طمست الشيء : استأصلـت أثره .

لم تغن بالامس »[1] ، ولكن الله سبحانه بفضله وافضاله وكرم جلاله يحفظ علم الدين ويهدي أصحابه الى درك كماله. ولولم يكن الا هذا الكلام المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام لماجرت[2] في الارض أمواه الفضل ، ولاكثرت[3] عند أهل التحقيق[4] أفواه الجهل، فانه قليب النبوة ومظنة الفتوة .

وقد كنت قديماً شرحت الخطبة الاولى من نهج البلاغة بالاطناب، وكشفت بيان جميع مافيها من أنواع العلوم التي أومأ اليها بالاسهاب[5]، وهو كلام عند أهل الفطنة والنظر دون كلام الله ورسوله وفوق كلام البشر ، واضحة مناره مشرقة[6] آثاره . ولايستبعد في هذا الدهر آن يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس امامن ألفاظه الغرائب أومعانيه العجائب .

فعزمت على شرح جميع الكتاب مستعيناً بالله على وجه الصواب، وان استخرج مكنونه واستكشف مخزونه ومصونه، لينتفع به المسلمون ويستفيد منه الناظرون .

وأول ماأتكلم عليه خطبة الكتاب وأقول :

أخبرنا السيد ابوالصمصام ذوالفقار بن محمدبن معبد الحسني[7]،قال أخبرنا

---

(١) سورة يونس: ٢٤ « فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس » .

(٢) في م: جزرت .

(٣) في م: كسرت .

(٤) في ص: التحقق .

(٥) اسهب الكلام وفي الكلام: اطال .

(٦) فی م : مشرفة .

(٧) هو السيد عماد الدين ابوالصمصام ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسني المروزي، عالم ديّن ، يروي عن السيد الاجل المرتضى علم الهدى والشيخ

الشيخ ابو عبدالله محمد بن علي الحلواني(١) [قال الرضي(٢) اخبرنا الشيخ ابو جعفر

أبي جعفر محمد بن الحسن، وقد صادفته وكان ابن مائة سنة وخمس عشرة سنة.
فهرست منتجب الدين ٧٣، امل الامل ٢/١١٦ وفيه: الحسني الرازي من مشائخ ابن شهرآشوب، يروي عن النجاشي صاحب الرجال، طبقات أعلام الشيعة القرن السادس ٩٩ قال فيه: من مشائخه محمد بن علي الحلواني .

(١) محمد بن علي الحلواني ابو عبدالله ،كان عالماً فاضلا عابداً أديباً، من تلاميذ السيد المرتضى والسيد الرضي، ويروي عنه ابو الصمصام ذو الفقار بن معبد الحسني . امل الامل ٢/٢٨٤، النابس في القرن الخامس ص١٧٣ .

(٢) هو الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي. كان فقيهاً صالحاً ديناً، روى عن الشيخ ابي جعفر الطوسي وابن البراج والشيخ الفقيه محمد بن علي الكراجكي .

وروى عنه عدة من الفحول منهم: السيد الامام ابو الرضا الراوندي والشيخ الفقيه الامام قطب الدين ابو الحسين الراوندي « الشارح »، والاخير يروي « النهج » عنه كما صرح به، وكذلك قال في أول « الخرائج والجرائح » ما هذا نصه : وقد أخبرنا جماعة ثقات منهم : الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي .

وأيضاً روى عنه أبو جعفر رشيد الدين ابن شهرآشوب صاحب «المناقب» المتوفى سنة ٥٨٨ .

انظر: رياض العلماء ٥/١٤٣، أعيان الشيعة ٩/٤٣٣، المناقب ١/١١ .

محمد بن علي بن المحسن الحلبي قال اخبرنا الشيخ أبوجعفر الطوسى[1]][2] قال السيد الرضي رضي الله عنه وأرضاه :

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه ومعاذاً من بلائه ووسيلا[3] الى جنانه وسبباً لزيادة[4] احسانه، والصلاة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة، المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار[5] المغرق وفرع العلاء المثمر المورق، وعلى أهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة . صلى الله[6] عليهم أجمعين صلاة تكون ازاءاً لفضلهم ومكافأة لعملهم وكفاءاً لطيب فرعهم وأصلهم، ماأنار فجر ساطع وخوى نجم طالع[7] .

---

(١) الشيخ أبو جعفر الطوسي هو شيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي صاحب « التهذيب » و « الاستبصار » و « المبسوط » وغيرها من التآليف القيّمة الكثيرة .

ولد سنة ٣٨٥ بطوس وتوفي بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام فى آخر محرم سنة ثمان وخمسين وأربعمائة أو سنة ٤٦٠، وكان سنّه ٧٥ سنة .

راجع: معالم العلماء ١١٤، رجال النجاشي ٢٨٧، جامع الرواة ٩٥/٢ .

(٢) مابين القوسين من م .

(٣) فى د: « سبلا » .

(٤) فى الف: « الى زيادة » .

(٥) الفخار بكسر الفاء ان كان من « فاخر » وبالفتح ان كان مصدراً للثلاثي

(٦) فى نا، ج، يد: « فصلى الله » .

(٧) فى يد: « ... فجر طالع وخوى نجم ساطع » .

فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن، ابتدأت تأليف[1] كتاب في خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن [2] أخبارهم وجواهر كلامهم ، حداني[3] عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام ، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان. وكنت قد بوبت ماخرج من ذلك أبواباً وفصلته فصولا، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن مانقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والاداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الاصدقاء مااشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه ، وسألوني عند ذلك أن ابدأ[4] بتأليف كتاب يحتوي [على ماوقع الي من][5] مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب، علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب[6] الكلم الدينية والدنياوية مالايوجد مجتمعاً في كلام ولامجموع الاطراف فى كتاب، اذكان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة

---

(١) في نا ، الف ، ب : « بتأليف » .

(٢) في هامش ب: « المحاسن » جمع حسن على غير قياس، وقيل هو جمع لا واحد له .

(٣) حدوت بالابل أحدو حدواً : حثثتها على السير بالحداء مثل غراب وهو الغناء لها، وحدوته على كذا: بعثته عليه .

(٤) كذا فى ص، يد .وفي نا ، الف ، ب: ان ابتدأ .

(٥) في نا ، الف ، ب ، يد : « يحتوى على مختار كلام » .

(٦) فى نا « ويواقيت » .

ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا، لان كلامـه عليه السلام الكلام الذي عليـه مسحة من العلم[1] الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي .

فأجبتهم الى الابتـداء بذلك عالماً بمافيـه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر، واعتمدت بـه ان أبين عن عظيم قدر أميرالمؤمنين عليه السلام فى هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة، وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد ، فأمـا كلامه فهو البحر الذي لايساجـل[2]والجم الذي لا يحافل، وأردت ان يسوغ لي التمثل فى الافتخار به صلوات الله عليه بقول[3] الفرزدق[4]:

أولئك آبائي فجئني بمثلهـم　　　　اذا جمعتنـا ياجريـر المجامع

---

(١) في نا « من الكلام الالهي » .

(٢) في نا ، الف ، ب : « لايساحل » .

(٣) ليس فى « د » من اول الخطبة من « وسبباً لزيادة احسانه » الى هنا.

(٤) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ابوفـراس المعروف بالفرزدق،كان شاعراً مجيداً عظيم الاثر، أخذ أبوه يعلمه الشعر وانطلق به لسانه فقدمه ذات يوم الى أميرالمؤمنين عليه السلام بعد واقعـة الجمل مفتخراً بجودة شعره على صغره، فقال عليه السلام: أقرئه القرآن. فقال الفرزدق: وكان هذا في ذكري حتى حفظت القرآن . وكان محباً لاهل البيت عليهـم السلام وذابـاً عن ساحتهم المقدسة بالشعر، وقصيدته التي قالها عند تجاهل هشام عن معرفة سيدنا الامام السجاد عليه السلام وهي :

بيانه :

اعلم أني بصدد أن أشرح هذا الكتاب شرحاً كافياً أتكلم في كل فصل منه على فقره[1] اللفظية ونكته المعنوية والاصولية، وأفسر غريب ألفاظه وأبين عجيب معانيه وأنّبه على كل أعجوبة وأشير الى كل نادرة، وأذكر المعاني بلفظ سهل حيث يصعب استخراجها أويكون بعض اشكال .

والكلام في هذه الخطبة وان لم يفتقر الى جميع ذلك فاني ألم به الماماً وأقول :

قوله « أما بعد » هو عند أهل هذا الشأن فصل الخطاب ، ومعناه البين من الكلام ، فالفصل التميز بين الشيئين ، وهم يستعملونه على وجهين : اما على اضافته الى مايفصل منه الكلام الى شيء آخر كما هو هاهنا ، ونصبه على الظرف أويبنونه . والاضافة مرادة . ويذكر بعد الانفصال من كلام الى آخر .

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

معروفة مشهورة . وغضب عليه هشام بذلك وحبسه .

ولد الفرزدق سنة ١٩ بالبصرة ونشأ بها والبادية وعاش قريباً من مائة سنة ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٤ أو ١١٠ .

أنظر : جمهرة اشعار العرب ١٦٣، تاريخ الادب العربي ١٦٤ ، جواهر الادب ٢/١٦٨، الاعلام ٩/٩٦، قصص العرب ١/٢٤٢، ٢/١٥٢، ٢٦٠، ٢٧٤ ٣/١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ٤/ ١٩٦، 316 .

(١) الفقرة كسدرة جمعها فقر وفقرات ، وفقارة الظهر ، يقال لاخر كل بيت من القصيدة والخطبة فقرة تشبيهاً بفقرة الظهر .

فهذا حكمه مع التركيب، وأما تفسير كل واحدة من الكلمتين : فان « أما » للتخيير يدل على معنى الشرط لدخول « الفاء » بعدها ، وهي تجيء لتفصيل ماهو مجمل ، و « بعد » كلمة دالة على الشيء الاخير .

و « الحمد » الثناء على الفاضل ومن في معناه، ويكون شكراً للمفضل . والشكر أخص من الحمد ، فانه لايكون الا على النعمة .

وكون الحمد ثمن النعمة مجاز .

وانما جعل الحمد سبباً لهذه الاشياء الاربعة لما روي أن من قال « الحمد لله » فقد أدى حق نعم الله ،[1] ومن قال « الحمد لله » فقد تخلص من بلاء الله ، وكفران النعمة يؤذن بانقطاعها[2].

وقال تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » [3].

و « المعاذ » الملجأ ، وكلاهما مصدر . ويجوز أن يكون موضعاً .

و « البلاء » البلوى، يقال بلاه الله بلاء سيئاً وابلاه ابلاء حسناً . وأصل الكلمة الاختبار .

و « الوسيل » جمع وسيلة ، وهو مايتقرب به الى الغير .

و « الجنان » جمع جنة ، و « السبب » كل شيء يتوصل به الى الغير ، وأصله الحبل . و « الطينة » الخلقة ، يقال هي من الطينة الاولى . و « سلالة » الشيء ماastل منه . و « النطفة » سلالة الانسان .

و « المجد » الكرم. قال ابن السكيت[4]: الشرف والمجد يكونان في الاباء.

---

(١) البحار ٤٤/٧١ .

(٢) راجع البحار ١٨/٧١ باب الشكر .

(٣) سورة ابراهيم : ٧ .

(٤) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت الخوزي الدورقي الاهوازي

و « الاقدم » بمعنى القديم ، وفيه شمة من المبالغة .

و « مغرس الفخار » مستعار من غرس الشجر، و « المغرس » هاهنا المكان، و « الفخار» أن يكون أكرم ابا وأما . هذا أصله ثم قيل فاخرت فلاناً ، والتفخر التعظم .

و « المعرق » ذو العرق ، ومنه أعرق الشجر : اذا امتدت عروقه . ويقال انه لمعرق في الكرم واللؤم اذا كان له عرق في ذلك .

و « العلاء المثمر » استعارة من أثمر الشجر طلع ثمره . و « المورق » ذو الاوراق، من أورق الشجر ، أي خرج ورقه .

و « المصباح » السراج .

البغدادي ، كان عالماً بعلم القرآن والنحو والادب والشعر، ولقي فصحاء الاعراب وأخذ عنهم ، وله حظ من الستر والعفاف والدين .

قال ثعلب : وكان يقول ـ أي ابن السكيت ـ : أنا أعلم من أبي بالنحو وأبي أعلم مني بالشعر واللغة . وكان مؤدباً لولد المتوكل ، وله معه أخبار. قال ابن النديم : ويقال ان المتوكل ناله بشيء حتى مات .

أقول : كان ابن السكيت يوماً عند المتوكل ، فقال له المتوكل : يايعقوب كيف تنسبني من علي بن أبي طالب وتنسب ابني هذين ـ أشار الى المعتز والمؤيد ـ من ابنيه ؟ قال : والله قنبر خادم علي خير منك ومن ابنيك . فأمر المتوكل حتى داسوا بطنه فحمل فعاش يوماً وبعض الاخر. وقيل : حمل ميتاً في بساط . وقيل: أمر بسل لسانه من قفاه فمات رحمه الله في يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٢٤٤ أو سنة ٢٤٦ .

انظر : فهرست ابن النديم ٧٩ ، ريحانة الادب ٥٦٩/٧ ، روضات الجنات ٢١٧/٨ .

و « عصم الامم » أي هم الطاف يمتنع الخلق بهم من المعاصي. و « العصمة » المنع والحفظ أيضاً ، يعني انهم حفظة الامم [أي كل واحد منهم حافظ لامة في زمانه][1].

و « المنار » الاعلام ، وهو جمع منارة ، ولذلك أنّث صفته .

و « مثاقيل الفضل » استعارة من مثاقيل الذهب ، ومثقال ميزانه من مثله .

و « الراجحة » الرزينة من قولهم رجح الميزان[2].

و « الازاء » الحذاء ، يقال جلست بأزائه .

و « مكافأة » أي مجازاة ، بغير همز من الكفاية وبالهمز من الكفؤ ، والاول أليق هنا . والكفاء النظير ، يقال فلان لاكفاء له أي لانظير ، وهو فى الاصل مصدر

و « الفجر الساطع » المرتفع . و « حوى » أي سقط .

و « عنفوان الشيء » أوله ، يقال هو في عنفوان شبابه. و « الغضاضة » الطراوة ، وشيء غض أي طري ، وكل ناضر ـ نحو الشباب وغيره ـ غض .

و « حداني » أي ساقني ، من قولهم حد الريح السحاب وحدوت الابل.

و « الامام » القدام ، و « عاقت » شغلت وحبست وصرفت .

و « المحاجزات » الممانعات، وانما جمع المصدر لاختلاف أجناس المنع كقوله تعالى : « وتظنون بالله الظنونا » [3]، وكل ممدود ممطول ، يقال مطلت الحديدة اذا ضربتها ومددتها لتطول ، ومنه المطل بالدين .

وقوله : « بوبت ماخرج » أي جعلت باباً باباً ماحصل، وقوله : « معجبين ببدائعه » يقال عجبت من كذا وعجبت غيري ، والعجب ما لايدرى سببه وموجبه

---

(١) الزيادة من م ، وفيه : حفظة للامم .

(٢) في م ، د : أي مال .

(٣) سورة الاحزاب : ١٠ .

ويكون على غير العادة . والكلمة « البديعة » المخترعة على غير مثال ، والجمع بدائع ، أي يعجبون غيرهم بها وبمن ابتدعها ، أو ينسبون ذلك الى العجب . وروى « معجبين » من قولهم : أعجب فلان برأيه .

وعجبهم بتلك البدائع أما من حيث أنها علموها وأدركوها ، لان الفضلاء يعجزون عن تعلم مثل ذلك ، أو من حيث ان لهم اماماً يأتي بهذه البدائع .

و « الناصع » الخالص من كل شيء ، أي تعجبت أنفسهم من الكلمة الفصيحة النواصع ، وهو جمع ناصعة ، وهي الكلمة الخالصة الفصيحة .

و « الثواقب المضيئة » استعارة من شهاب ثاقب ، وقوله[1] « علماً » مفعول له ، أي سألوني للعلم بأن ذلك [متضمن للبلاغة العجيبة] [2] ، أو مصدر في موضع الحال .

و « القوانين » الاصول ، الواحد قانون وليس بعربي .

و « حذوت النعل بالنعل » اذا قدرت كل واحدة على مثال صاحبتها .

وانما قال « مسحة من الكلام الالهي » اشارة الى أن على كلام أمير المؤمنين عليه السلام صقالا وضوءاً من كلام الله ، أي ضوؤه يؤخذ في طريق ذلك الضوء ، لأنه هو أو يشبهه هو ، لان المسحة مؤذنة بأنها مسحة[3] ولطخة لم تنزل في سنخه .

ثم قال « وفيه عبقة من الكلام النبوي » والعبقة لاتكون الا حيث يتحقّق كون صاحبها ، وكلام علي عليه السلام فرع على كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فعروق كلامه في كلامه راسخة وأساليبه منه متناسخة ، يقال عبق به

---

(١) في م : عالماً حال ، وروى علماً .

(٢) الزيادة من م .

(٣) في م : « مسّة » مكان « مسحة » .

الطيب أي لزق به . ولو وضع المسحة [1] مكان العبقة وجعل هذا مكان ذاك لم يستقم .

و « الدثرة » الكثيرة .

وقوله « انما يؤثر [2] عنهم منها » أي ينقل وتذكر عنهم من تلك المحاسن والفضل ، والضمير في « منها » لها .

وقوله في وصف كلام علي عليه السلام « والجم الذي لايحافل » أي لايفاخر بالكثرة ، والمحافلة : المفاخرة بالامتلاء ، يقال ضرع حافل أي ممتلىء .

ومن شجون الحديث: انني لما كنتُ بالحجاز حدثني بعض العلماء أنه وجد بمصر مجموعاً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً .

وخلاصة معنى ذلك أنه يقول تيمّناً وتبركاً باسم الله ابتدأ وأخبر بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله أني كنت في أول شبابي جمعت كتاباً مختصراً من الكلام القصير لعلي عليه السلام، فاستحسنه الناس فسألوني أن أجمع كتاباً كبيراً من درر ألفاظه وغرر معانيه ، ففعلت ذلك ولم يتصعب [3] علي ، فان كلامه بحر لايبلغ ساحله ، أي شاطئه وطرفه .

هذا اذا كان روي بالحاء ولابساحل [4] البحر مقلوب ، وانما الماء سحله أي قشره . واذا روي « لايساجل » بالجيم أي لايفاخر ، والمساجلة المفاخرة [6] ، بأن تصنع كصنيعه ، وأصله من الدلو [5] .

---

(١) يقال على فلان مسحة من جمال: أي أثر وعلامة ، وهو خاص بالمدح ومنه قول النبي «ص» لجرير بن عبدالله البجلي: عليه مسحة من ملك أي أثر ذلك.

(٢) يقال : قلته آثراً أي حاكياً .

(٣) في د : لم يصعب .

(٤) كذا في ص ، وفي د : روى بالحاء لايساحل وساحل البحر مقلوب .

(٥) قوله: وأصله من الدلو . لان السجل : الدلو الضخمة المملوءة ماء .

تمام خطبة الكتاب :

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة[1]: أولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ، ومفصلا [2] فيه أوراقاً لتكون لاستدراك ماعساه يشذ عني عاجلا ويقع الي ّ آجلا .

واذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال[3] أو غرض من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى أليق الابواب به[4] وأشدها ملامحة لغرضه ، وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير مستقيمة[5] ومحاسن كلم غير منتظمة ، لاني أورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي[6] والنسق .

وقيل ملؤها. وقيل: اذا كان فيه ماء قل ّ أو كثر، والجمع سجال وسجول. ولايقال لها فارغة : سجل ولكن دلو .

(١) السقط في « د » من هاهنا الى « الشرح » . وفي « ص » بدل الشرح « بيانه » .

(٢) في ب ، ألف، نا : « مفضلا » بالضاء المعجمة .

(٣) في ألف ، نا : «كتاب» .

(٤) في نا : « بها » .

(٥) في ألف ، ب ، نا ، يد : « غير متسقة » .

(٦) في ب : « التوالي » .

ومن عجائبه عليه السلام التي انفردبها وأمن المشاركة فيها: أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر اذا تأمله المتأمل وفكر فيه المفكر[1] وخلع من قلبه أنه كلام مثله عليه السلام ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك في أنه كلام[2] من لاحظ له في غير الزهادة ولاشغل له بغير العبادة ، قد قبع في كسر بيت أو انقطع الى سفح جبل ، لايسمع الا حسه ولايرى الا نفسه، ولايكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال[3].

وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الاضداد وألف بين الاشتات، وكثيراً ماأذاكر الاخوان بها وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها .

وربما جاء في أثناء هـذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر ، والعذر في ذلك أن روايات كلامـه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً ، فـربما اتفق الكلام المختار في روايـة فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخـرى

---

(١) فى ب : « متفكر » .

(٢) في نا : « من كلام » .

(٣) في هامش ب : قوله « وهو بدل الابدال » يعني الزاهد البار الصالح الذي هو بدل الانبياء في الصلاح والبركة واستجابة الدعاء . وفى الحديث : الابدال بالشام ، والابدال هم الذين يذكر أن الله تعالى يحفظ الانبياء بمكانهم. وقيل انهم لاينقصون عن أربعين نفساً كلما مات منهم واحد قام بدله آخر...وفى الحديث: الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق جمع عصبة يجتمعون فيكون بينهم حرب . انظر شرح ابن ميثم البحراني ١/١٠٥ .

موضوعاً غير وضعه الاول ، امـا بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار وغيرة على عقائل الكلام. وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولا فأعيد بعضه سهواً ونسياناً لاقصداً واعتماداً .

ولا أدعي[1] مع ذلك أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لايشذ عني منه شاذّ ولا يندّ نادّ ، بل لا ابعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، وماعلي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله .

ورأيت بعد[2] تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة ، اذ كان يفتح للناظر فيـه أبوابها ويقرّب عليه طلابها ، وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ، ماهو بلال[3] كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة . ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة وأتنجزّ التسديد والمعونة ، وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ، ومن زلـّة الكلم قبل زلـّة القدم ، وهو حسبي ونعم الوكيل[4].

بيانه :

ذكـر أن مباني كلام أمير المؤمنين عليه السلام التي يـدور عليها ذلك هي

---

(١) في ب : « ومادعى » .

(٢) في نا ، ب ، يد : من بعد .

(٣) بلال الشيء : مايبل الشيء مثل الماء واللبن بالحلق .

(٤) الى هاهنا ساقط من « د » كما تقدم .

الخطب والكتب والحكم ، وكل واحدة منها لكلامه[١] كقطب الرحى ، يعني لم تكن الدواعي التي دعته[٢] الى الكلام الا هذه الثلاثة ومايجري مجراها .

وقوله « فأجمعت بتوفيق الله على الابتداء » وهوعلى اضمارفعل ، كأنه قال: أجمعت عازماً على الابتداء باختيار خطبه بلطف من الله .

وقوله « بتوفيق الله » اعتراض ونحوماقدمناه تقدير قولهم: اذا قالوا أجمعت على الامر. وانما قلنا ذلك لانه لايقال الا أجمعت الامر، قال الله تعالى « فأجمعوا أمركم »[٣].

والمحاسن جمع الحسن الذي هونقيض القبح على غير قياس ، كأنه جمع محسن .

وقوله « ماعساه » ورد على اللغة الشاذة مثل لولاه ولولاك ، وروي « عسى أن يشذ » ، وعلى هذا يمكن أن تعد من كلتا اللغتين .

« وملامحة » الشيئين ، وهو أن ينظر كل واحد منهما الى صاحبه نظراً كلا ولا[٤]، وهي هاهنا استعارة حسنة لتناسب الكلام بعضه من بعض ، يقال لمحه وألمحه : اذا أبصره بنظر خفيف ، وفي فلان لمحة من أبيه أي شبه، ثم جمعوه على غيرقياس لفظه ، فقالوا « فيه ملامح من أبيه » أي مشابه . وروي ملاحمة[٥] يقال لاحمت الشيء بالشيء اذا ألصقته به ، والملحم الملصق بالقوم . واللحمة

---

(١) في د : منها قطب لكلامه كقطب .

(٢) في د : ادعته .

(٣) سورة يونس : ٧١ .

(٤) كذا فى د ، ص .

(٥) في شرح ابن ميثم البحرانى ٩٤/١ : وروى ملاحمة وهى الملائمة وروى ملائمة أيضاً .

بالضم القرابة وبالفتح لحمة الثوب وقد تضم .

وقوله « انه كلام مثله » أي كلام مثل كلام علي عليه السلام .

« وأصلت السيف » جرّده من غمده ،و « القط » القطع طولا[1]، « وقطر » الماء وغيره وقطرته أنا يتعدى ولايتعدى. « والمهجة » دم القلب خاصة، « ونطف » الماء سال ينطف .

وقوله « قبع في كسربيت » أي انزوى الى زواية، والبيت : الخيمة وكسرها أسفل شقتها التي تلي الارض ، ويقال كسر بالفتح أيضاً .

« وقبع » الرجل اذا أدخل رأسه في قميصه ، من قولهم قبع القنفذ رأسه في جلده .

« وسفح الجبل » أسفله حيث يسفح فيه الماء . « والحس » و « الحسيس »: الصوت الخفي .

وقولـه « ينغمس في الحرب » استعارة ، أي يتستر فيها لشدة دخوله بين الشجعان ، من قولهم غمسته في الماء فانغمس .

وقوله « يجدل الابطال » أي يرميهم على الجدالة وهي وجه الارض، يقال طعنه فجدله أي رماه بالارض فانجدل وسقط . « والبطل » الشجاع .

« والابدال » قيل هم قوم من الصالحين لايخلو الدنيا منهم اذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر ، والبديل والبدل بمعنى . وبدل الشيء غيره . وقال ابن دريد واحد الابدال بديل .

---

(١) قال ابن أبي الحديد ١/٥: « ويقط الرقاب » يقطعها عرضاً لاطولا كماقاله الراوندي ، وانما ذاك القد قددته طولا وقططته عرضاً ، قال ابن فارس صاحب « المجمل » : قال ابن عائشة : كانت ضربات علي عليه السلام في الحرب أبكاراً اذا اعتلى قد وان اعترض قط .

وقوله « واستخرج عجبهم » أي أعرفهم أنهم عاجزون عنها وعن أمثالها ، فـلايبقى لـهم حينئذ عجب بأنفسهم ، ومنها أي من معرفتها . وروى عجبهم[1]، والاول أحسن .

« وأثناء الشيء » تضاعيفه ، يقال كنبته ثنى كتابي أي في طيه ووسطه .

وقوله « غيرة على عقائل الكلام » أي كرائمه ، وعقيلة كل شيء أكرمـه ، ومنه عقيلة الحي وعقيلة الابل ، والدرة عقيلة البحر. وأصلها أنها تعقل ولاتبتذل و « الغيرة » مصدر غرت على أهلي أغار .

« والقطر » الناحية والجانب ، والجمع الاقطار .

« وشذ عنه » يشذ شذوذاً : انفرد عن الجمهور وندر، وأشذه غيره .« وند البعير » نفر وشرد .

و « الـربق » بالكسر حبل فيـه عدة عرى تشد فى كل عروة بهم[2]، فأمـا

---

(١) قال ابن ميثم فى الشرح ١٠٥/١ : قوله « وقـد استخرج عجبهم » أي تعجبهم منها مـن القوة الى الفعل ، ومن روى « عجبهم » بضم العيـن فالمراد أني أذاكرهـم بهذه الفضيلة لتظهر محبتهم لها وميلهم اليهـا . قال أبو الحسن الكيدري « واستخرج عجبهم » أي أعرفهم أنهم عاجزون عن أمثالها فلايبقى لهم حينئذ عجب بأنفسهم منها ، أي من أجل معرفتها . والظاهر أن هذا اللفظ لايعطي هذا المعنى .

(٢) الربق وزان حمل : حبل فيه عدة عرى تشد به البهم الواحدة من العرى ربقة ، ويجمع أيضاً على رباق .

أقول : البهم جمع البهمة ، مثل تمرة وتمر ، وجمع البهم بهام مثل سهم وسهام . والبهم : أولاد الضأن ذكراً وأنثى .

وقال ابن فارس: البهم صغار الغنم ، وقال أبوزيد : يقال لاولاد الغنم ساعة تضعها الضأن أو المعز ذكراً كان الولد أو أنثى ، سخلة ثم هي : بهمة .

الربقة : فهي الحبل ، والجمع ربق .

و « الجهد » و « الوسع » الطاقة .

« والنهج » الطريق الواضح، وكذلك « المنهج » و « المنهاج »، وأنهج الطريق أي استبان[1] وصار نهجاً ، ونهجت الطريق أتيته[2].

و « البلاغة » ايصال المعنى الى القلب في حسن صورة اللفظ .

و « التوفيق » لطف يفعله الله بالعبد يختار معه الطاعة . « والعصمة » لطف يمتنع من المعصية معه ، وكل مايبل بـه الحلق من الماء واللبن فهو « بلال » ، ويقال أيضاً مافيسقائك بلال ؟ أي ماء . والبلة : الندوة .

و « الغلة » حرارة العطش .

و « جلوت السيف جلاء » أي صقلته ، وجلاء الشبهة كشفها .

و «نجزحاجته» ينجزها بالضم نجزاً قضاها، والاستنجاز والتنجزالاستنجاح.

و « الخطأ » نقيض الصواب ، يقال منه أخطأت وتخطأت ، والخطأالذنب ويقال منه خطى يخطى: والخطيئة الاثم[3]. و « الجنان » القلب.

---

(١) في ص : أي استنار .

(٢) قال ابن ميثم فيالشرح ١٠٥/١ : قوله « نهج البلاغة » استعارة لطيفة لهذا الكتاب ، لان النهج حقيقة فيالطريق الواضحة المحسوسة، ووجهالمشابهة أن الطريق لما كانت محل الانتقال بالشيء وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى آخر كذلك الذهن ينتقل فى هـذا الكتاب من بعض لطائف البلاغـة وشعب الفصاحة الى بعض انتقالا سهلا ، فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه واستعارته له .

(٣) في م ، د : الاسم بالسين .

الأصل :

(باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره ويدخل فى ذلك المختار(١) من كلامه الجارى مجرى الخطب (٢) فى المقامات المحضورة (٣) والمواقف المذكورة والخطوب الواردة)

فمن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم عليه السلام :

الحمد لله الـذي لايبلغ مدحته القائلون ، ولايحصي نعماءه(٤) العادون ،

---

(١) في م : المنتزع ، بدل المختار .

(٢) في م : الخطب والمواعظ .

(٣) في م ، د : المحصورة . وفى غيرهما من النسخ الموجودة عندنا : المحضورة. ومعنى الاولى المعدودة . والثانية : المشهورة والتى قد حضرها الناس .

(٤) في ألف ، ب : نعمه .

ولايؤدي حقه المجتهدون[1]، الذي لايدركه بعد الهمم ولايناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حد محدود ولانعت موجود ولاوقت معدود ولاأجل ممدود ، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان أرضه .

أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه. لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال على م فقد أخلى منه .

كائن لاعن حدث ، موجود لاعن عدم ، مع كل شيء لابمقارنة ، وغير كل شيء لابمزايلة ، فاعل لابمعنى الحركات والالة ، بصير اذ لامنظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده . أنشأ الخلق انشاءاً وابتدأه ابتداءاً بلاروية أجالها ولاتجربة استفادها ولاحركة أحدثها ولاهمامة نفس ، اضطرب فيها آجال[2] الاشياء لاوقاتها ، ولائم بين مختلفاتها وغرّز غرائزها وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً بقرائنها وأحنائها[3].

بيانه :

أخبر عليه السلام عن نفسه بأنه يحمد الله بظاهر كلامه، وأمر غيره من فحواه

---

(١) في ب : الجاهدون .

(٢) في نا ، ألف ، يد ، م : « احال » بالمهملة .

(٣) في د : وأجناسها . وفيه الشرح ، مكان بيانه .

بأن يحمد الله ، وأنه ثابت على ذلك مدة حياته ، ويجب على المكلفين ثبوتهم عليه مابقوا[١]. ولو قال « أحمد الله » لم يعلم منه جميع ذلك[٢].

والحمد أعم من الشكر ، والله أخص من الاله[٣].

ثم قال « الذي لايبلغ مدحته القائلون » أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده ، والمعنى ان الحمد كل الحمد ثابت للمعبود الذي حقت له العبادة في الازل واستحقها حين خلق الخلق[٤]، وأنعم بأصول النعم التي

---

(١) قال ابن الحديد ١/٦٢: ولاأعلم كيف قد وقع ذلك للراوندي، فانزعم أن العقل يقتضي ذلك فحق ولكن ليس مستفاداً من الكلام ، وهو انه [انما] قال : ان ذلك موجود في الكلام .

(٢) قال ابن أبي الحديد ١/٦٣ : فانه لافرق في انتفاء دلالة « أحمد الله » على ذلك ودلالة « الحمد لله » ، وهما سواء في أنهما لايدلان على شيء من أحوال غير القائل فضلا عن دلالتهما على ثبوت ذلك ودوامه في حق غير القائل .

(٣) قال ابن أبي الحديد ١/٦٣ : وأما قوله « الله أخص من الاله » فان أراد في أصل اللغة فلافرق بل الله هو الاله وفخم بعد حذف الهمزة ، هذا قول أكثر البصريين، وان أراد ان أهل الجاهلية كانوا يطلقون على الاصنام لفظة « الالهة » ولايسمونها « الله » فحق ، وذلك عائد الى عرفهم واصطلاحهم لاالى أصل اللغة والاشتقاق .

(٤) قال ابن أبي الحديد : ظاهره متناقض ، لانه اذاكان انما استحقها حين خلق الخلق فكيف يقال : انه استحقها في الازل ، وهل يكون في الازل مخلوق ليستحق عليه العبادة ؟.

ثم قال : واعلم أن المتكلمين لايطلقون على الباري سبحانه أنه معبود في الازل أو مستحق للعبادة في الازل الا بالقوة لابالفعل ، لانه ليس في الازل مكلف يعبده تعالى ولاأنعم على أحد في الازل بنعمة يستحق بها العبادة .

يستحق بها العبادة الـذي لايصل قائل الى كنه مـدحه ، والمدحة فعلة كالـركبة والمشية والجلسة التى هي حالة الركوب وهيئة المشي وغاية أكثر الجلوس .

والمدح يستحق بفعـل الواجب وبفعل ماله صفة الندب وبالتحـرز من القبيح .

والحمد والمدح يكون بالقول والفعل ، والالف واللام فىقوله«القائلون» لتعريف الجنس ، كمثلهما فى الحمد . ولو قال « الحمد لله الذي لايبلغ مدحه قائل » لكان أيضاً عاماً شائعاً ، الا أنـه خصص القائلين المبالغين فى ذلك ليكون آكد لفظاً ومعنى ، وداعى الجمعية وعذوبة اللفظ .

والبلوغ الوصول بل هو أعم ، يقال: بلغت المكان اذا أشرفت عليه[1] وان لم تدخله ، قال الله تعالى « فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف »[2]، وهـذه مشارفة . واذا لم يشرف على حمده تعالى بالقول فكيف يوصل اليه بالفعل .

والاله مصدر بمعنى المألوه .

وأما قوله « ولايحصي نعماءه العادون » فهو اشارة الى مـاروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ياعلي ماأول ماأنعم الله به عليك؟ فقال: أن خلقني حياً قادراً مشتهياً . فقال : وما الثانية ؟ قـال : أن عرفني نفسه ومكنني من طاعته ولطف معي توفيقاً وعصمة . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : وما الثالثة ؟ فقال : يـارسول الله « وان تعدوا نعمة الله لاتحصوهـا »[3]. فقال : ملئت علماً

---

(١) قال ابن أبى الحديد : فالاجود شارفته، وبين قولنا « شارفته » و« أشرفت عليه » فرق .

(٢) سورة الطلاق : ٢ .

(٣) سورة ابراهيم : ٣٤ ، سورة النحل : ١٨ .

وحكمة[1]. فاقتبس كلامه هاهنا من كلام الله ، ففصل مجمله وقيد مطلقه وجمع مفرده .

وفى ايراد لفظ النعمة مفرداً فى كلام الله وعلى لفظ الجمع فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام سر عجيب ، وهو أن الله دل عباده على الاية العظام[2]، بأن قال نعمة واحدة منها لايمكنكم عدوجوه كونها هذا حقيقته، والا فالشيء الواحد لايمكن عده . وقيل المراد بها الجنس ، وانما ذكر علي عليه السلام نعماءه ونعمه على الجمع فى الروايتين اشعاراً أن أصول نعمه لاتحصى لكثرتها فكيف تعد وجوه فروع نعمائه .

وكذلك لطيفة عجيبة في ايراد كلامه على لفظ الخبر وفي كون كلام الله على لفظ الشرط، لانه تعالى يقول لعباده : ان أردتم أن تعدوا نعم الله لاتقدروا على حصرها لان تفاصيلها لايعلمها الا الله ، وأخبر على أنه أنعم النظر ، فعلم أن أحداً لايمكنه حصر نعمه غيره تعالى .

ولو قال « ولا تعد نعمة الحاسبون » لم يحصل المبالغة التي أرادها عليه السلام بعبارته، لان الحساب اشتقاقه من الحسبان الذي هو الظن، والعدد من العد وهو الماء الذي لاتنقطع كماء العين. والاحصاء الاطاقة، يقال أحصيته أي طقته، قال تعالى « علم أن لن تحصوه »[3] وقال « وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها »[4] أي

---

(١) في حديث طويل أخرجه في البحار ٢٠/٧٠ عن أمالي الصدوق ٢/ ١٠٥، ١٠٦ .

(٢) كذا في ص ، د .

(٣) سورة المزمل : ٢ « علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن » .

(٤) سورة ابراهيم : ٣٤ ، سورة النحل : ١٨ .

لاتحصروها ولاتطيقوا عدهـا . فقوله « ولايحصي نعماءه العادون » أي لايطيق عدنعمائه العادون ، فحذف المضاف وأقـام المضاف اليه مقامـه ، فأكد بهـذه الجملة القرينة الاولى.

والمعنى : ان مدائـح الله لاتشرف علـى ذكرها الانبياء والمرسلون ، لان نعماءه أكثر من أن تعدها الملائكة المقربون والكرام الكاتبون .

وأما قوله «ولايؤدي حقه المجتهدون » فالتأدية ايصال الشيء الى الغير بأداة والحق : ما يكون أخذه حقيقاً . والمجتهد من يحتمل المشقة فـي فعل أو ترك، أي ان حقوقه على العباد عظيمة لايمكن المجتهدين في التحرز من المعصية القيام بقضاء حق من تلك الحقوق على الوجه الذي يجب .

وانما ذكر حقه مفرداً وله تعالى حقوق كثيرة ، امـا لان الحق مصدر يقع على القليل والكثير، أو لان حقاً من حقوقه لايمكن العباد أن يؤدوه .

فلينظر البلغاء في هذه الكلمات الثلاث تتضمن فوائدجمة، ذكر أنه لايستحق العبادة غيره تعالى وجعله محموداً وممدوحاً منعماً عاجلا وآجلا، وان له حقوقاً واجبة على الخلائق ، ثم حقق هذا الاثبات الـذي هولله تعالى بالنفي مـن جهة عباده بأنه لايمكنهم تأدية حقوقه ولااحصاء نعمائه ولاذكر مدائحه ولابلوغ محامده وان بالغوا في ذلك واجتهدوا فيه .

وبالـغ في تعظيم مدحـه بتقديم ذكره تعالى مع كـونه في موضع المفعول وأخر الفاعل ، كقوله « انما يخشى الله من عباده العلماء »[1]، وراعـى الفواصل بحروف [متشاكلة في المقاطع توجب افهام المعنى لـم يتكلف السجع ، وزاد معنى][2] القرينة الاولى بتقرير البيان مع تلاوة الحروف وتكرير المعنى واظهار

---

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في ص .

المعاني الكثيرة باللفظ اليسير. وكلها من مراتب البلاغة .

ثم قال « الذي لايدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن » فالادراك اذا أضيف الى ذوي الحواس وما في جملتهم يستعمل بمعنى الرؤية ، ولذلك لافرق بين « أدركت » اذا كان مطلقاً وبين « رأيت » . والبعد : ضد القرب سواء كانا محسوسين أو لم يكونا . والهمة : ما هممت به ، وهو عزم مخصوص. والنيل : الاصابة . والغوص: الدخول تحت الماء لاستخراج الدر ونحوه. والفطنة : علم متجرد من سماع كلام أو اشارة أو كناية .

وهذه الجملة صفة لله، لان الذي معرفة لصلته ، وهذا صفة لموصوف يستغني عن المخصص والبيان والتخلية، وانما هو صفة جارية عليه تعالى على سبيل الثناء والمدح والتعظيم ،كما يقال في« بسم الله الرحمن الرحيم» الرحمن الرحيم صفتان للمدح والثناء لاعلى جهة التخصيص والتخلية، ونحو ماحكي عن بعض العلماء أنه سمع المقريء يقرأ «هو الله الذي لااله الاهو عالم الغيب والشهادة» فلما أتمها أنشد:

أساميأ لم نزده معرفة   وانما لذة ذكرناها[1]

---

(١) هو من قصيدة لابى الطيب المتنبى ، واسمه احمد بن الحسين ، يمدح بها عضد الدولة الديلمي .

قوله : « أسامياً» منصوب على ما أضمر عامله ، وهو جمع اسم . و « نزد » متكلم مع الغير، من الزيادة ضد النقصان. والمراد تكرار ذكر الاسامى. و« معرفة » مفعول لاجله، وكذا قوله « لذة » وهى بالفتح نقيض الالم، والضمير فى ذكرناها للاسامى .

يقول : ان ألقاب الممدوح واسماءه التى نعدها لا نعرفه بها لانه اشهر من ذلك ، ولكن للتلذذ بها ، لان المحب يستلذ بذكر من يحبه . راجع المطول ص ١٧٨ وجامع الشواهد ص ٣٦ .

ونزل عن المنبر. والمعنى ان الحمد كائن لله الذي ليس بجسم ولاعرض بل هو خالقهما ، ولو كان بصفة شيء منهما لرآه الراؤون أو أصابوه .

وانما خص الهمة العالية باسناد نفي ادراكه اليها وخص الفكر في قعر بحر العلم باسناد نفي اصابته لغرض صحيح ، وهو أن الثنوية[1] يقولون بقدم النور والظلمة وانهما حيان هذا مطبوع على الخير وهذه مطبوعة على الشر، وان العالم ممتزج منهما ، ويثبتون النور خالصاً جهة العلو والظلمة خالصة جهة السفل. فرد عليه السلام عليهم ذلك بأن النور والظلمة جسمان والاجسام كلها محدثة والله تعالى قديم ، وان كانت الظلمة هي فقدان النور فلا يضرنا ولاتنفعهم .

فان قيل : كلامه عليه السلام هذا ينقض أصلكم ويبطل مذهبكم، فأنتم تقولون ان النظر في طريق معرفة الله توصل الى العلم به تعالى .

قلنا: لاتناقض بينه وبين مانقول، بل كلامه عليه السلام ينبه على صحة جميع مايعتقده ويولده، لانا نثبت صانع العالم من طريق الصنع ونستدل عليه بأفعاله ، فان الموجودات على ماتدل عليه الدلائل العقلية ثلاثة : كتاب الله تعالى، وذوات الجواهر، وذوات الاعراض. وطريق اثبات الاجسام وكثير من الاعراض الادراك، وطريق اثبات ماسواهما من الاعراض الاحكام ، ولايجوز هاتان الطريقتان في اثبات الله تعالى ، فصح أنه تعالى لايدرك ولايرى بالمشاهدة ولاينال بالاصابة كالاجسام والاعراض، ولايحيط العلم به تعالى على أحد الوجهين المذكورين، وانما يعلم سبحانه وتعالى من طريق فعله ، وذلك على منهاج قوله تعالى :

---

(١) قال في دائرة المعارف ٢/ ٧٧٠ : هذه الفرقة يزعم أصحابها أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام وبتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والعقل والحيز والمكان والاجناس والابدان والارواح .

« ولايحيطون به علماً » [١] .

وروي أن رجلا جاء اليه فقال: ياامير المؤمنين خبرني عن الله أرأيته حين عبدته؟ فقال عليه السلام: لم اك بالذي أعبد من لم أره. فقال له : كيف رأيته ؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهدة الابصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان [٢]، معروف بالدلالات منعوت بالعلامات، لايقاس بالناس ولاتدركه الحواس .

ويجوز أن يقال: ان البعد والغوص مصدران بمعنى الفاعل والمصدر يوضع مكان الفاعل للمبالغة، كقولهم « هوعدل » أي عادل ، قال الله تعالى « ان أصبح ماؤكم غوراً » [٣] أي غائراً ، فيكون المعنى : لايدركه العالم البعيد الهمم فكيف الجاهل .

وحذف الموصوف كثير في كلامهم، فكأنه رد على المشبهة فيما تزعم من اسراء الله بمحمد عليه السلام الى مافوق السماوات السبع الى الافق الاعلى من أنه رأى ربه هناك، وكذا في انزال الله تعالى يونس عليه السلام في بطن الحوت الى قعر البحر لم يكن لمثله، ولم يكن صعود محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاهبوط يونس الالمصلحة [٤] .

---

(١) سورة طه : ١١٠ .

(٢) راجع « التوحيد » للصدوق ٣٠٥ ، ٣٠٨ .

(٣) سورة الملك : ٣٠ .

(٤) قال ابن ابى الحديد ١/٦٩ : ولقائل أن يقول: ان المصدر الذي جاء بمعنى الفاعل ألفاظ معدودة ولايجوز القياس عليها ، ولوجاز لما كان المصدر هاهنا بمعنى الفاعل، ولوجاز أن يكون المصدر المضاف بمعنى الفاعل لم يجز أن يحمل كلامه عليه السلام على الرد على من أثبت أن الباري سبحانه مرئي، لانه ليس في الكلام نفي الرؤية أصلا، وانما غرض الكلام فى معقوليته سبحانه وان الافكار والانظار لاتحيط بكنهه ولاتتعقل خصوصية ذاته جلت عظمته.

وفي هاتين الكلمتين أنواع من البلاغة :

منها ـ المجاز الذي هووصف الهمة بالبعد والفطنة بالغوص، وفي الحقيقة يوصف بذلك أربابهما [1] .

ومنها ـ جمع الكلام المبالغ فيهماهودونه، فإنه قال « لايدركه بعد الهمم » على أن الهمة القريبة لاتدركه أيضاً، وكذا الكلام في « غوص الفتن » ومادون ذلك . ونحوه « الرحمن على العرش استوى » [2]، فانه لما استولى على العرش مع أنه اكبر المخلوقات فلان يكون عالياً على مادونه أولى .

ونحوه و[ان كان] بالعكس من وجه آخر قوله « فلا تقل لهماأف » [3] ، فانه أدنى العقوق وقد نهى سبحانه عن كثير العقوق أيضاً ، أي لاتؤذهما بقليل ولاكثير .

ومنها ـ المقاطع بالحروف غيرالمتجانسة، لقوله تعالى « والبيت المعمور والسقف المرفوع » [4].والعلة في حسن ذلك أن المراد بالمقاطع الدلالة على انتهاء

---

(١) قال ابن ميثم في الشرح ١/١١٤ : .. فان حقيقته تعالى لماكانت برية عن جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات مترعة عن كثير المتكثرات وكانت الاشياء انما تعلم بماهي من جهة حدودها المؤلفة من أجزائها ، فاذن صدق أن واجب الوجود ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة، فلاتدركه همةوان بعدت ولاتناله فطنة وان اشتدت، فكل سائح في بحار جلاله غريق ، فكل مدع للوصول فبأنوار كبريائه حريق . لا اله الا هوسبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

(٢) سورة طه : ٥ .

(٣) سورة الاسراء : ٢٣ .

(٤) سورة الطور : ٥ .

كلام وابتداء كلام ، واذا ظهرت بالحروف المتقاربة فقد قامت مقام المتجانسة وصح أن تزدوج الهمم بالفطن لقرب مخرجى الميم والنون ولذلك تدغم فيها ، قال الله تعالى « فأما ترين من البشر أحداً »[1]، هو أن الشرط وما المزيدة للتأكيد.

ثم قال « الذي ليس لصفته حد محدود » وذكر بعد اثبات ذات الله تعالى وجوهاً من النفي على ماتقدم ، وذكرهاهنا أيضاً بعد اثبات صفته تعالى فنوناً من النفي يريد بها جلالا وعظمة. ونحن نتكلم عليه من حيث وضع اللغة أولا ثم نبين معانيه ثم نذكر مايتعلق به من علم الاصول، فنقول :

ليس كلمة لنفي الحال وهو فعل والصفة فى أصل الوضع مصدر كالوصف، وفي العرف اسم صريح . وأصل « الصفة » وصفة حذف فاء فعلها كالزنة والعدة .

ولم تكن العرب ممن تثبت الصفات على ما اصطلح عليه أهل الاصول ، وانما يعرفون من حيث الصفات والصور والهيئات ، وذلك منفي عنه تعالى . وأوضاع الصور أغيار للذات، فيجوز أن يكون مراده عليه السلام ذلك .

والحد في اللغة منتهى الشيء وغايته ، ويكون بمعنى المنع، وانما قال « حد محدود » وصفه بماهو منه للمبالغة، كقولهم « شعر شاعر » .

والنعت: وصفك الشيء بمافيه من حسن ــ قاله الخليل ، فكل شيء جيد بالغ فهو نعت .

والموجود: هو الذي له صفة الوجود من المعلومات، والاصح أن لايحد الموجود ، لان الحد انما يذكر ليكشف المحدود والموجود أظهر من كل ما يحد به، ولذلك عيب على من حده بأنه الكائن أوالثابت .

---

(١) سورة مريم : ٢٦ .

وتصح التسمية[1] بالنفـي والاثبات فى الموجود ، لانه اما لابد أن يكون لوجوده أول وهو المحدث أولا أول لوجوده وهو القديم .

والوقت : الزمان ، وهو عند المتكلمين عبارة عن تحريك الفلك ودورانه على وجه ، وهو حادث أو في حكم الحادث .

والاجل : مدة الشيء، يقولون المحرم وقت مولد فلان وصفر أجل موته .

والاصل فى الاجل أيضاً الوقت ، والمدة والوقت سواء ، يقال مددت الشيء مداً : طولته وزدته .

فأما المعنى فانه يقول : الشكر لله تعالى متجدد علي[2] عند تجدد كل ساعة ولهذا أبدل هذه الجملة من الجملة التي قبلها وهي الثانية ، كما أبدل الثانية من الاولى[3] .

ثم قال « الذي ليس لصفته حد محدود » يعني معبودي الذي له صفات العظمة وهو منزه عن صفات النقص فانه تعالى قادر عالم حي موجود على سبيل الوجوب ويقدر على كل مـا يصح أن يكون مقدوراً لـه ، ويعلم جميع المعلومات سواء كانت موجودة أو معدومة ، ولا يبلغ كونه قادراً الى غاية من المقدورات لايصح [منه] فعل شيء منها ، ولايبلغ كـونه عالماً الى نهاية لايعلم شيئاً آخر ، أو لا

---

(١) فى د : القسمة .

(٢) في م : متجدد منى .

(٣) قال ابن أبي الحديد فى شرحه ١/٧٠: ولقائـل أن يقول : الوقت عند أهل النظر مقدار حركة الفلك لا نفس حركته، والاجل ليس مطلق الوقت. ألا تراهم يقولون جئتـك وقت العصر ولايقولون أجل العصر. والاجل عندهـم هو الوقت الذي يعلم الله تعالى أن حياة الحيوان تبطل فيه، مأخوذ من أجل الدين، وهو الوقت الذي يحل قضاؤه فيه .

يصح منه احكام فعل ، اذ ليس لكونه قادراً عالماً ونحوهما حد .

وهـو تعالى منفرد بذلك على الوجه ، لان غيره وان كان قادراً عالماً فان هاتين الصفتين له جائزتان ، وهـو قادر بقدرة وعالم بعلم ينتهي كونه قادراً الـى حد لايعلم شيء آخر .

فصح أن صفات الواحد منا في حكم المخالف لصفاته تعالى اذا كان كذلك فليس نعت الموجودات من المعقولات مثلا لصفته .

والاحسن أن يكون المراد بالنعت هاهنا المعنى كالقدرة والعلم والحياة على ما نذكره ، وكذلك ليس لكونه تعالى حياً موجوداً أول اذ لم يكن فـي وقت ميتاً او مائتاً[1] أو معدوماً ثم صار حياً موجوداً .

واذا كان هذا ليس لصفته وقت معدود ـ وهو الموصوف بهذه الاوصاف ـ لاتخرج منها أبداً ، لانها واجبة له فلا يصير قط عاجزاً ولا جاهلا ولا ميتاً ولا معدوماً ، واذا كان كذلك فليس لصفته أجل ممدود أيضاً .

فان قيل : بينوا أن هذه التفاصيل التى ذكرتموها يفيدها قوله « الذي ليس لصفته حد » وهل يجوز فيه غير ذلك ؟

قلنا : لاشك أنه عليه السلام أثبت لله تعالى صفة ونفى أن يكون لها حد ، ولا يخفى ذلك على من له أقل استيناس بكلام العرب. وقريب من ذلك ماسألني بعض العلماء ، وهو كلمتان لله شريك غير بصير وليس شريك الله بصيراً ، وقال: ان احداهما كفر والاخرى ليس كذلك ، فأيهما كلمة الكفر ؟

قلت : على مذاق كلامه ان قوله : ليس شريك الله بصيراً كفر ، لان قائله

---

(١) عن الفراء : يقال لمن يمت : انه مائت عن قليل وميت ، ولا يقال لمن مات : هذا مائت .

أثبت الشريك لله تلويحاً وأخبر [بعد مشيراً الى نحو الاصنام] [١] ان ذلك الشريك غير بصير تصريحاً .

فأما الكلمة الاخرى فليس بكلام عليه مسحة من الفصاحة ، ولعله كلام وضع للمطارحة يمتحن أهل العلم بمثل ذلك بعضهم بعضاً ، فقوله « لله » تقديره أالله استفهام على سبيل الانكار يخاطب به عابد الوثن . وحذف الهمزة في مثل هذا الموضع كثير [٢] .

وقد أجبته بغير ذلك أيضاً ، والغرض بايراده الكلمة الاولى ، فانها كالاستشهاد فيما نحن بصدده .

واذا ثبت ذلك فاعلم : ان أصحابنا قد اضطرب كلامهم فيه واختلفوا في تفصيل ذلك اختلافاً وان اتفقوا فيه جملة ، فاذاً خلافهم كلاخلاف . وانما قلنا ذلك لان كل واحد من أصحابنا يقول : انه تعالى هو المميز تميزاً يصح لاجله أن يفعل وان لايفعل اذا لم يكن الفعل مستحيلا ، وهذا هو القادر .

ويقولون أيضاً : ان الله سبحانه هو المتبين ، وهو الذي يصح أن يفعل

---

(١) الزيادة من م .

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ٧١/١ : فأما القضيتان اللتان سأله السائل عنهما فالصواب غير ماأجاب به فيهما ، وهو أن القضية الاولى كفر لانها صريحة في اثبات الشريك ، والثانية لاتقتضي ذلك لانه قد ينفى قول الشريك بصيراً على أحد وجهين : اما لان هناك شريكاً لكنه غير بصير لان الشريك غير موجود ، واذا لم يكن موجوداً لم يكن بصيراً ، فاذا كان هذا الاعتبار الثاني مراداً لم يكن كفراً وصار كالاثر المنقول « كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتؤثر هفواته » أي لم يكن فيه هفوات فتؤثر وتحكى ، وليس انه كان المراد في مجلسه هفوات الا أنها لم تؤثر .

الافعال محكمة تحقيقاً أو تقديراً ، وهذا هو العالم .

ويقولون: انه تعالى هو المتميّز تميزاً لاجله يصح أن يعلم ويقدر ، وهذا هو الحي .

وكلهم يقولون انه موجود، لان وجوده[1] عندهم ذاته، وكل مايدل على أنه خالق للعالم يدل على وجوده من وجه .

ويقولون: انه قديم، لانه لوكان محدثاً لكان قادراً بقدره واستحال منه فعل الاجسام ، فمن قال انه تعالى ذات مخصوصة ويجري عليه جميع ماذكرناه ثم نقول: انه لايوصف بصفة فلامشاحة .

فان قيل : ان قوله عليه السلام « ليس لصفته حد » لايدل على أكثر من صفة .

قلنا: ان أهل اللغة فسروا ذلك بأنه ليس لعظمته حد. على أن بعض أصحابنا قال: ان المعني بها صفته الخاصة التي هي الالهية والوجوه الاربعة تكون منفية عنها، يعنى ان ليس لها حد ولانعت ولاابتداء ولاآخر .

وقال أكثر أصحابنا: ان ذلك يدل على صفاته الاربع الذاتية الواجبة له ، لان الصفة في الاصل مصدر والمصدر يدل بلفظه على القليل والكثير، فأثبت له تعالى كونه قادراً وعالماً على العموم، فلايقال انه قادر على جنس دون جنس أو عالم شيء دون شيء، اذليس لكل واحد منهما غاية تحد دونها كمايحد من يكون قادراً لقدرة وعالماً بعلم .

وليس لصفة من صفاته أيضاً نعت موجود، لان الصفات الحاصلة للواحد منا لايشابه صفته تعالى، ولا يقال : انه تعالى صار موجوداً من وقت، ولايقال : انه يخرج من كونه حياً في أجل ، بل كان تعالى كذلك لم يزل ويكون لايزال كذلك .

---

(١) فى ص: لان وجودهم عنده .

وأما من يختار من أصحابنا طريقة أبي الحسين البصري[1] فانه يقول: معنى قوله « ليس لصفتـه حد » أي ليس لوصفنا اياه بما نذكره من الحمد والمدح ونحوهما غاية . ويقول: ان هذا على أصل الوضع، فالصفة في اللغة هي قول الواصف ، وهي فيها بمعنى الوصف ،كما أن العدة بمعنى الوعد .

وقيل : المراد بقوله « نعت موجود » أي قدرة موجودة[2] وعلـم موجود وحـياة موجودة ، وانما جاز ذلك لان كل واحد منهما يوجب صفـة ، فسمي الموجب باسم الموجب توسعاً. وانما اختير المجاز فيه دون الحقيقة لقرينة، وهي وصفه عليه السلام للنعت بالموجود والصفـة لا توصف وحدها . والمتكلمون يعبرون بالصفة عمايكون عليه الذات من الحال التي اختصت بها وتميزت من الذوات التي ليست على مثلها من الاحوال .

وطرق اثبات الصفة ثلاثة: الحكم، والوجدان، والادراك .

فمثال الحكم صحة العقل التي تدل على كون القادر قادراً ، وصحة أحكام الفعل التي تدل على كون فاعله عالماً ، وصحة كونه قادراً عالماً التـي تدل على كونه حياً ، وتعلق الشيء بغيره لذاته التي تدل على كونه موجوداً ـ الى غيـر ذلك من آحكام الصفات .

ومثال الوجدان هو : أن يجد الانسان من نفسه صفـة عند ادراكه شيئاً من المحسوسات[3] نحو الجسم واللون والطعم والرائحة وغيرها ، فانـه يجد من

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن علي القاضي البصري شيخ المعتزلة ليس بأهل للروايـة . مات ببغداد في ربيع الاخر سنة ٤٣٦ . وله تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته . ميزان الاعتدال ٦٥٤/٣ .

(٢) ليس في ص: « اى قدرة موجودة » .

(٣) فى ص: من المخصوصات .

نفسه حينئذ صفة كان[1] لم يجدها قبل ذلك، وهي كونه مدركاً . وكذلك يجد من نفسه صفة عند اشتهائه شيئاً كان لايشتهيه من قبل، وهي كونه مشتهياً .

ومثال الادراك هو: أنا ندرك الجسم رؤية ولمساً وندرك الصوت والرائحة والطعم والحرارة والبرودة والالم ، فنعلم أن كل واحد من هذه الاجناس على صفة يتناول ادراكنا اياه ، [و][2] تلك الصفة .

فليتأمل [المتأمل][3] عذوبة اسجاع هذه الكلمات ولينظر الى تناسب ألفاظه ومعانيه . والى ماذكر أيضاً بعد اثبات صفته تعالى فنوناً من النفي يزيد بها في التعظيم لله سبحانه وتعالى .

والسجع قسمان : يحمد أحدهما ، وهو أن تكون الالفاظ تابعة للمعاني ، ويذم القسم الاخر، وهو أن تكون المعاني تابعة للالفاظ .

ثم قال « فطر الخلائق بقدرته » مع قرينتين[4] .

أما تفسير ألفاظه: فان « فطر » بمعنى خلق وابتدع. قال ابن عباس: ماكنت أرى فاطر حتى اختصم الي أعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أي ابتدأتها[5] .

و « الخلائق » أبلغ فى التأكيد من الخلق لفظاً ومعنى وأعم شياعاً، وقدرة الله على خلقه كونه قادراً عليهم. وأصل القدرة أن يكون مصدراً، ويقال القدرة العظمة. والباء في قوله « بقدرته » لاستصحاب الحال، كقولنا رفع يديه بالتكبير

---

(١) فى د: كان لايجدها .

(٢) ليس فى د .

(٣) ليس في ص .

(٤) في ص : مع قرينتين .

(٥) راجع تفسير الفخر الرازي ١٢/١٦٨ .

أي مكبراً، أي أنشأ الخلق قادراً عليهم، وليس تأثيره فيهم تأثير العلل وانما أثره أثر القادرين، ليس على سبيل الايجاب بل على طريق الاختبار .

وقوله « نشر الرياح برحمته » أي وسعها طويلة. وأصله من نشرت الكتاب خلاف طويته . ويعتبرون في صفة الريح النشر اذا كان فيها خير لا شر معه ، كالرياح الملقحات التي ينشرها الله ، فتكون سببها الانوار والازهار والفواكه والثمار ، وكالتأثيرات رياح الرحمة ينتشرون السحاب في الجو ، فتكون منه الامطار والرياح تجمع قطع السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا اتصل السحاب أنزلت الاقطار .

وفي الخبر : اللهم اجعلها رياحاً لاتجعلها ريحاً[1]. وهذا اشارة الى عرف العرب في ذلك، فانهم يقولون ريح العذاب ورياح الرحمة، وبه نزل القرآن ، قال الله تعالى « ريحاً صرصراً »[2] الريح العقيم وتنشر الرياح ترسل الرياح . وهذا ايماء الى أن ثواب الله مزيد مضاعف على المستحق وعقاب الله مقصور على الاستحقاق، فلذلك جمع مافيه النعمة وأفرد مامعه النقمة .

و « برحمته » أيضاً حال، والرحمة من الله انعام وافضال ومن الادميين رقة في القلب تقتضي الاحسان الى المرحوم، يقال رحم يرحم اذا رق وتعطّف . ونحوها الغضب، فانه في الواحد منا تغيّر يقتضي عذاب الغير ومن الله الغضب على الكفار ارادة انزال العقاب بهم ، فيحمل على المسبب في الموضعين دون السبب .

---

(١) راجع مجمع البحرين « روح » . وقال فيه : وعلّل بأن الرياح اذا كثرت جلبت السحاب فكثر المطر والخير والزرع والثمار ، واذا كانت ريحاً واحدة فانها ربما يكون عقيماً أوصرصراً فلاتلقح .

(٢) سورة فصلت: ١٦، سورة القمر: ١٩ .

وقوله « ووتـد بالصخور ميدان أرضه » عبر بالتوتيد عن ازالـة اضطراب الارض الكائن أول مرة أوعن كونه أماناً عن زلزالها الذي يكون في آخر الامر ويقال وتدت بالوتد أتده ، وللتكثير وتّد يوتد . والله تعالى أرسى الارض وتد بها بالجبال كمايرسى البيت بالاوتاد والجبال .

« والصخر » الحجر الشديد الصلب، والمراد بالصخور الجبال .

ويقال مادت الاغصان ميداناً : أي تحركت وتمايلت ، والفعلان انما يقال في شيء فيه اضطراب شديد وتحرك عظيم وتزلزل قوي . والارض لم يجيء في القرآن جمعها .

وأما المعنى : فانه عليه السلام نبـه المكلفين على النظر في نعماء الله، فانه ابتدأ خلقهـم وقدرهم ومكنهم وأقدرهم وأعلمهم ، فمنهم من خلقه الله نطفة ثم علقـة ثم مضغة ثم عظماً ثم أنشأه خلقاً سوياً [وهذا يكون في مثل بني آدم][1] بالتناسل، ومنهم من خلقه على سبيل الانشاء والابتداء [كالملائكة] على ماتقتضيه المصالح .

ثم هيأ أسباب أرزاقهم وهيأ أمر معاشهم ، أرسل الرياح فجمعت السحاب فأنزل المطر منه فأنبت بـه الزرع والاشجار ، يأخذون منها المآكل والثمار ، وجعل الارض قراراً مهيناً للتصرف فيها كالمهد للصبي ، وجعل الجبال للارض أوتـاداً لئلا تميد بأهلها ، كما أن الخيام انما تستقر وتثبت بالاطناب والاوتـاد فيستمهد أهلها لكونها ويستنيمون لمكانها .

وأما مايتعلق به من الكلام: فان أصحاب الصفات من الاشعرية[2] ونحوهم

---

(١) الزيادة من م .

(٢) هم الذين يثبتـون لله تعالى الصفات الازليـة كالعلم والقدرة والحياة وغيرها من الارادة والسمع والبصر والجلال والكلام والاكرام والجود والانعام

يتمسكون بمثل ذلك ويقولون انه اثبات لقدرة الله .

ولاطائل لهم في ذلك، لان الدلائل العقلية التي لايدخلها التأويل تدل على أنه لا يحتاج الى القدرة سواء كانت قديمة أو محدثة ولا الى غير ذلك ، فهو تعالى قادر لا بقدرة عالم لا بعلم حي لا بحياة ، بل هو قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته .

والقدرة كما تحمل على معنى مخصوص ، فانها تكون مصدراً في كلا الموضعين يستعمل على الحقيقة، وانما يخصص بأحدهما لقرينة، ولاقرينة آكد من دليل العقل .

فان قيل : كيف تركيب هذه الجملة تدل على أنه فطر الخليقة قبل خلق السماوات والارض .

قلنا : في ذلك وجهان :

أحدهما ـ أن مايحسن منه تعالى أن يخلقه ابتداءاً هو خلق[1] حي وخلق شهوة

والعزة والعظمة ، ولايفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً. وكذلك يثبتون صفات جسدية مثل اليدين والرجلين ولا يؤلون ذلك، الا أنهم يقولون بتسميتها صفات جبرية .

وهم أصحاب ابى الحسن علي بن اسماعيل بن ابى بشر اسحاق الاشعري المتولد بالبصرة سنة ٢٦٠ والمتوفى ببغداد سنة ٣٢٤، ينتهي نسبه الى ابى موسى الاشعري. وأبو الحسن تلميذ أبى علي الجبائي، وأبو علي أحد مشائخ المعتزلة.

أنظر: الملل والنحل ١/٨٥، ٩٤، الاعلام للزركلي ٥/٦٩، دائرة المعارف وجدي ٥/٤٩٨، شرح النهج لابن ابى الحديد ١/١٧ ، ٥٩ .

(١) وهكذا نقل ابن أبي الحديد ١/٧٢ قول المصنف أيضاً: أول ما يحسن منه تعالى خلقه ذاتاً حية يخلق فيها شهوة لمدرك تدركه فتلتذ به .

فيه لمدرك موجود يدركه فليتذ به ، ويجوز أن يكون ذلك المدرك هو الحي نفسه ، ويجوز أن يكون غيره ، لانه يجوز أن يشتهي غيره من المدركات ، ولهذا قيل : ان تقديم الجماد على الحيوان مطلقاً قبيح من حيث كان عبثاً .

والثاني ـ ماقاله المرتضى[1] رضي الله عنه ، وهو أنه لايمتنع أن يبتديء بخلق الجماد اذا علم أنه اذا خلق بعد ذلك مكلفاً وأخبره بأن الجماد خلق أولا كان ذلك لطفاً له ، ولايمكن أن يكون هذا الخبر صدقاً الا بأن يكون خلق الجماد قد تقدم .

ويطعن على هذا بأن يقال : وجه الحسن لايجوز أن يتأخر عن حال حدوث الفعل ، والخبر عن خلق الجماد بعد خلقه الجماد متأخر ولايجوز أن يكون وجهاً في حسن خلق الجماد .

والجواب عنه أن نقول : [انه اذا علم من حاله انه يخلق المكلف][2] فيما بعد ويخبره بذلك فينتفع به وقع في الحال خلق الجماد حسناً ، كما أن وجه حسن التكليف علمه تعالى بأن المكلف متى فعل ما كلف فعل به الثواب المستحق وان كان فعل الثواب متأخراً .

---

(١) هو سيدنا ومولانا فخر الشيعة أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى ابن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام الملقب بالمرتضى ذي المجدين علم الهدى ، كان نقيب الطالبيين ، وكان اماماً في علم الكلام والادب واللغة ، مناقبه لاتعد وأوصافه لاتحصى . ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ ودفن أولا في داره ثم نقل الى جوار جده الحسين الشهيد روحي فداه .

انظر : رجال النجاشي ١٩٢ ، فهرست الشيخ الطوسي ٢١٨ ، رجال العلامة ٤٦ .

(٢) في م مابين القوسين هكذا : انه اذا علم الله من حال ماخلقه جماداً أنه يجعله مكلفاً فيما بعد .

ثم قال « أول الدين معرفته » الى قوله « ولايستوحش لفقده » جعل عليه السلام الدين على أربعة أصول : معرفة الله ، والايمان به، وتوحيده،والاخلاص له . ثم جعل تمام الاخلاص نفي صفات المخلوقين عنه ، وجعل تمام توحيده الاخلاص ، وجعل تمام الايمان به التوحيد ، وجعل تمام معرفته الايمان .

ثم استدل على صحة ماهو تمام الفصل الرابع ، بأن قال : ان في الشاهد لايلتبس فعل لفاعله ولايشتبه فاعل بفعله ، فكذلك الخالق والخلق لاتجري صفات الخلق على خالقهم ، اذ لامشابهة ولامماثلة ولامناسبة بينهما .

واكتفى بالاستدلال على ماذكره أخيراً من ايراده على ماسواه ، اذهويرجع قهقرى صحة الاصول الاربعة من آخرها الى أولها . فليتفكر البلغاء في ذلك يطلعوا في فصاحة ماوراها مرتقى لبليغ .

وأما اللغة : فان « الاول » هو ابتداء الشيء ، وهو أفعل من الاول ، وهو الرجوع ، يستوي فيه المذكر والمؤنث اذا لم يكن فيه الالف واللام ، واذاكانا فيه قيل للمؤنث الاولى .

و « الدين » الطاعة لغة والاسلام والملة عرفاً ، ولاتنافي بينهما ، لان الله [قد] أمر العقلاء أن ينظروا في الدليل ليعرفوا الله، فمن عرفه فقد أطاعه، وأمر أيضاً بالايمان به والتصديق له ، فمن آمن به وصدقه فقد أطاعه ، وأمر أن لا يشركوا به شيئاً ويوحدوه، فمن وحد فقد أطاعه، وأمر أن يخلصوا له في العبادة ولايخلطوها بالنفاق والرياء والسمعة، فمن أخلص لله فقد أطاعه . فهذه بعينها هي الملة والاسلام[1].

---

(١) قال ابن ميثم في شرحه١/١١٩ : واعلم أن معرفة الصانع سبحانه على مراتب : فأوليها وأدناها أن يعرف العبد أن للعالم صانعاً ، الثانية أن يصدق بوجوده، الثالثة أن يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء

و « العرف » ضد النكر والعلم ، والمعرفة والعلم اخوان وكلاهمامايقتضي سكون النفس .

و « الكمال » مصدر كمل ، أي تم ، والكمال أبلغ من التمام . و «كمال الدين » الفرائض ، وأما السنن فانها زينته .

و « الصدق » خلاف الكذب ، والتصديق من أفعال القلوب ، لان من علم أن ماأوجبه الله على عباده وحقق ذلك وصدق أنه مصلحة لهم والاخلال بهعلى كل وجه مفسدة منهم فهو مؤمن .

وصرح بلفظ التصديق ولم يذكرهاهنا لفظ الايمان ـ وانكانا سواء ـ رفعاً للابهام الذي ذهب اليه جماعة أن الايمان هو التصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان ، والافرار باللسان وانكانا واجبين فهما حليتان للايمان وفرعان لاصل اذا ثبت لايزول بزوالهما .

و « وحدت الشيء » أي قلت انه واحد أوعلمت، لقولهم أثبت الشيء اذا قلت بثبوته . والاصل أن جعلهما كذلك .

و « الاخلاص » أن يفرد الانسان المعبود بعبادته لايشرك فيها غيره .

و « النفي » الاعدام ، ويستعمل في الخبر عن العدم على وجه التشبيه بما سمي نفياً في أصل اللغة . وكذا الاثبات هو الايجاد ، وقد يستعمل فيالخبرعن الوجود تشبيهاً. والشهادة: الاخبار بما شوهد في الاصل وشهد عند القاضي اذا بين وأعلم لمن الحق وعلى من هو ، واسناد الشهادة الى الصفة مجاز حسن .

الرابعة مرتبة الاخلاص له ، الخامسة نفي الصفات التي تعتبرها الاذهان له عنه . وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان ، وكل مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدأ لمابعدها من المراتب ، وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها . الى آخر قوله رفع الله درجته .

وقيل : الامور[1] الصامتة الناطقة هي الدلائل المخبرة[2] والعبر الواعظة .

وقال قوم : المراد بالصفات هاهنا المعاني ، لان أصحاب الصفات هم الاشعرية القائلون بأن الله تعالى قادر بقدرة قديمة وعالم بعلم قديم وحي بحياة قديمة ، وقال الاكثرون : المراد بالصفات الاحوال على ماهو معروف ، الا أنها مخصوصة هاهنا بصفات المخلوقين للدليل الذي قبلها وبعدها على مابينه ، ولا خلاف أن العام مخصص بالدليل المنفصل .

فان قيل : بينوا عن ذلك .

قلنا : لاصحابنا في ذلك ثلاثة أقوال :

فقال بعضهم : المراد من عرف أن له صانعاً وعرف أنه قادر عالم وحي ولا يكمل له هذا حتى يعلم أنه قادر لابقدرة عالم لابعلم حي لابحياة ، يعني لايكون كامل الاخلاص حتى يصف الله بتلك الاوصاف لاعلى الوجه الحاصل [للواحد منا ، بل يقول ان تلك الصفات له تعالى واجبة ولو كانت معنوية][3] لكانت جائزة كما للواحد منا ، فينبغي أن ينفي عنه هذه الصفات على هذه الوجوه لنا .

والاشعري وكل من يثبت لله تعالى قدرة وعلماً وحياة وغيرها من المعاني ويقولون انها قديمة ، يلزمهم أن تكون تلك المعاني كلها مثل القديم تعالى .

واذا قال هؤلاء من أصحابنا : ان كونه تعالى قادراً عالماً [حياً] [ان الله تعالى قادر عالم حي][4] صفات واجبة ، فما ذكرنا في قوله « وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه » ، اما أن يكون على سبيل الاستعارة والمجاز على ماحكيناه

---

(١) في د : الاموال .

(٢) في ص : للخير.

(٣) مابين المعقوفين ليس في ص .

(٤) مابين المعقوفين ليس في د .

واما أن يكون على جهة التحقيق بعد تجوز ، وهو أن يكون المراد بالصفات المعاني من القدرة والعلم والحياة ، فان هذه المعاني اذا وجدت توجب صفاتها البتة على كل حال . ولما لم تنفصل تلك العلل من معلولانها جاز أن يقوم مقامها كما تذكر المسببات وتقام مقام الاسباب وعلى عكس ذلك .

وجميعه حسن في العربية لامانع منه ، سيما اذا اقترن به أدلة عقلية .

والذي يؤكد هذا التأويل ماأورده الشيخ المفيد في كتاب « الارشاد » برواية أخرى عن علي عليه السلام أنه قال: أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي التشبيه عنه، جل أن تحله الصفات، لشهادة العقول أن كل من حلته الصفات مصنوع ، وشهادة العقول انه صانع ليس بمصنوع ، بصنع[1] الله يستدل عليه . وبالعقول يعتقد معرفته ، وبالنظر يثبت حجته ، جعل الخلق[2] دليلا عليه فكشف عن ربوبيته ، هو الواحد الفرد في أزليته لاشريك له في الهيته ولا ندله في ربوبيته ، بمضادته بين الاشياء المتضادة علم أن لاضد له ، وبمقارنته بين الامور المقترنة علم أن لاقرين له[3].

فهذه الرواية تصحح ماذكرناه ومانذكره من بعد .

وقال أكثر أصحابنا : المراد بنفي الصفات عنه وان أطلق اطلاقاً صفات المخلوقين على التخصيص ،كما ذكره في آخر هذه الخطبة في وصف الملائكة أنهم لايجرون على الله صفات المصنوعين . وذلك لانه عليه السلام أثبت الصفة لله في أول الخطبة بقوله « ليس لصفته حد محدود » على ماتقتضي أدلة العقول،

---

(١) في الارشاد : ليس « مصنوع بصنع الله » .

(٢) في د : الخلائق .

(٣) الارشاد ١١٩ .

فـان صفات العظمة لاتنفى عنه وأنما يجب نفي الصفات[1] عنه ، وكيف يجوز أن يقال : انـه لايوصف بكونه قادراً عالماً وقـد نطق القرآن بذلـك فضلا عن الدلائل العقلية ، قال الله تعالى « وهو على كل شيء قدير »[2]، « وهو بكل شيء عليم »[3]، « هو الحي لااله الا هو »[4].

فلما أثبت له تعالى الصفة أولا وقال هاهنا « وكمال الاخلاص نفي الصفات عنه » علمنا أن اثباته في الاول على وجه ونفيه ثانياً على وجه آخر، اذ لايجوز أن يتناقض كلام مثلـه . ومعنى ذلـك : ان كمال الاخلاص لله تعالى نفي صفات مصنوعاته عنه .

وقال بعض أصحابنا ممن يختار طريقة أبي الحسين البصري : ان لله ذات مخصوصة ليس له صفات ، وانما يخالف غيره بذاته المتميزة [من غيرهـا] ، لانه لو تميزت بصفة مميزة لوجب في تلك الصفة أن تتميز أيضاً من سائر الصفات بصفة أخرى، وذلك يؤدي الى مالانهاية له من الصفات . وان كانت تلك الصفة متميزة من غيرها بحكم لكان ذلك الحكم يجب أيضاً أن تتميز من سائر الاحكام بحكم آخر حتى تؤدي أيضاً الى مـالايتناهى ، فاذا تخالف ذات الله غيره بنفسها ولا حاجة الى اثبات صفة له تعالى .

قالوا : وذلك هو التوحيد ، وكمال الاخلاص نفي الصفات عنه تعالى كلها على العموم .

---

(١) في د : نفي صفات النقص عنه .

(٢) سورة التغابن : ١ ، سورة الملك : ١ ، سورة المائدة : ١٢٠ ، سورة هود : ٤ ، سورة الروم : ٥٠ ، سورة الشورى : ٩ ، سورة الحديد : ٢ .

(٣) سورة البقرة : ٢٩ ، سورة النساء : ١٧٦ ، سورة الحديد : ٣ .

(٤) سورة غافر: ٤٠ .

وتعليله عليه السلام نفي صفات المصنوعين عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، معناه أن الفعل في الشاهد لايشابه الفاعل ، والفاعل غير الفعل، لان مايوصف به الغير انما هو الفعل أو معنى الفعل ، كالضرب والفهم فان الفهم والضرب كلاهما فعل والموصوف بهما فاعل .

والدليل لايختلف شاهداً وغائباً ، فاذا كان الله قديماً وهذه الاجسام محدثة كانت معدومة ثم وجدت يدل على انها غير الموصوف بأنه خالقها ومدبرها .

ثم قال « فمن وصف الله فقد قرنه » فكأنه عليه السلام قال : أيها الذين يظنون أنهم يعرفون الله وأنهم يوحدونه ثم يصفونه بصفات المخلوقين ليس الامر على ماتظنونه بل أنتم تجهلونه ، لان كل من وصف الله بصفات المصنوعين فقد جعل له قريناً ومثلا ، وجمع حكمه تعالى وحكم المصنوعين في قرن واحد لان ماشارك الجسم في تحيزه فهو مثله وماشارك الخمرة في هيئتها فهو مثلها . واذا كان مذهب من يصف الله بصفات المخلوقين يؤدي الى أن يكون له تعالى قرين فليس هو بموحد بل جعل له ثانياً، ومن أدى كلامه الى هذا فقد جعل معبوده ذا أجزاء وأبعاض ، ومن كان هذا طريقه فهو جاهل بالله تعالى ، واذا كان كذلك فلادين له ، لان أول الدين معرفة الله .

ولو قال « فمن وصف الله فقد جهله » كان كلاماً مجملا ، ففصله تفصيلا عجيباً وبينه بياناً غريباً .

فان قيل : هذا الكلام على الاطلاق ، فبأي دليل قيدته بصفات المخلوقين .

قلنا : التناقض في كلام الحكيم غير صحيح ، فلما أثبت في صدر الخطبة لله تعالى الصفة بقوله « ليس لصفته حد محدود » وقال في صفة الملائكة بعد هذا في هذه الخطبة « انهم لايجرون عليه تعالى صفات المصنوعين »[1] وقال [هاهنا]

---

(١) في م : المخلوقين .

« فمن وصف الله فقد قرنه » وجب حمل كلامه المطلق على المقيد والمجمل على المفصل لئلا يؤدي الى التنافي .

على أن بعض أصحابنا يحمل ذلك على العموم ويقول : ان لله تعالى ذاتاً مخصوصة متميزة ، ولايصفه بصفة من الصفات على حال ، ايقوله المشائخ، ويقول انه يؤدي الى التنبيه من حيث أن الصفة والموصوف أمران .

وانما اختار أكثر أصحابنا القول الاول لدليل العقل والسمع على ماقدمناه وقد جمعنا بين القولين على وجه لايطعن في اعتقاد أحد القائلين منهم .

وقوله « ومن أشار اليه فقد حده » عطف هذه الجملة التي قبلها بالواو ومؤكداً بهما ماتقدمهما ، فقال : ومن أشار الى معبوده بنظير وتوهمه بتصوير فقد جعل له من المكان غاية أو من المحل نهاية ، ومن حده بالمحال والجهات فقد جعله من المعدودات، ومن قال انه حال [في شيء] [1] فقد جعله من الاعراض الحادثات ومن تصوره متمكناً مستقراً على العرش فقد أخلى منه الارضين والسماوات .

وهذا نهي أن يعتقد أحد مثل اعتقاد المشبهة في معبودهم أنه متكيء على العرش وأن الكرسي موضع قدميه، ولو كان ربهم هناك وكل ماسوى العرش خال منه وذلك من صفات الأجسام لا لخالقها .

وكذا هو نهي أن يعتقد مكلف مثل ماكان يقول البرقعي [2] أن آدم لما [3] تشرف بالنبوة لان الله دخل في صورته، وكذلك نوح وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء عليهم السلام . وكان يدعي ذلك لنفسه .

لان ماكان بهذه الصفة فهو العرض غير القائم بنفسه ، فهو أدنى حالا من

---

(١) ليس في د : في شيء .

(٢) لم أعثر عليه بعد الفحص الكثير ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

(٣) في د : انما « بدل » لما .

الجسم ، والله ليس في مكان ولاتصح الاشارة اليه ، فمن أشار اليه فقد جعله جسماً في مكان أوعرضاً في محل ، ومن جعل له مكاناً أو محلا فقده عده من جملة الاجسام والاعراض ، ومن جعل له محلا فقد جعل وجوده مضمناً بوجودمحله . وهذا في الفساد أظهر .

ثم قال « كائن لاعن حدث » انه عليه السلام حمد الله في أول الخطبة ثم أثبت له ماهو له أهل ونفى عنه ماهو منزه عنه ، وبين حكم العارف به والجاهل له ، ثم قال : هذا المعبود هو الكائن لم يزل والباقي لايزال ، لانه قديم لا أول لوجوده ولاآخر ، لايقال انه تعالى كان معدوماً ثم حدث فصار موجوداً ، ولا يقال انه تعالى مع كونه الان موجوداً فانه يصير معدوماً ، قريب مع كل شيء بمعنى الحفظ والعلم لابمعنى الحلول والمجاورة ، بعيد من أن تدركه الحواس أو يقاس بالناس في المباينة والمزايلة ، هو الفاعل للاجسام والاعراض التي لا يدخل جنسها تحت مقدور القدر على سبيل الاجتماع ، لم يحتج الى الالة في فعلها لكونه قادراً لذاته ، كان فيمالم يزل سميعاً بصيراً وعلى سائرصفات الكمال والجلال ويكون ذلك فيما لايزال ، هو الواحد المتوحد بالالهية لايجوز عليه الاستيناس والاستيحاش اذ ليس بشيء يشاكله ولايماثله .

وقوله « اذ لامنظور اليه » اذ عبارةعن تقدير الوقت، وقوله « ولايستوحش» كلام مستأنف. وحقيقة الواحد أنه شيء لاينقسم في نفسه أوفي صفته، فاذا أطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه بقول الجزء الذي لايتجزأ واحد واذا أجزىء على موصوف فهوواحد في صفته . تقول هذا الرجل انسان واحد.

واذا وصف الله بأنه واحد فمعناه أنه لانظيرله ولاشبيه، وأنه مختص بصفات لايشاركه فيها غيره على ذلك الوجه .

والسكن : ما سكنت اليه من العيال ، وأهل البيت الواحد ساكن .

والاستيناس : التأنس ، والاستيحاش : ضده .

وقوله « أنشأ الخلق انشاء » يقال انشأ الحديث : أي ابتدأه ورفعه، و انشأ الله الخلق: أحدثهم على سبيل الابتداء. وحقيقة الانشاء الاظهار. وابتدأ الله الخلق وابدأهم وبدأهم بمعنى .

ويذكر المصدر مع فعله لاحد ثلاثة أشياء ، وهي : توكيد الفعل ، وبيان النوع ، وعدد المرات .

والروية الفكرة ، غير مهموزة ، أصلها من روأت في الامر بالهمز : اذا دبرته [1] .وأجلت الشيء: صرفته. والمجرب: من عض عوداً ليعرف صلابته من خوره ولم يكن عالماً به فاطلع عليه بالتجربة. والله عالم بالحقائق فلايحتاج الى تجربة .

والفائدة : استحداث الخبر، واستفدته : أي استحدثته .

ويقال ماله همامة في هذا الامر ولاهمة : أي لايهم به ، والهمامة التردد[2]

---

(١) في د : اذا تدبرته .

(٢) ابن ابى الحديد ٨٢/١ : ولقائل أن يقول : العزم هو ارادة جازمة حصلت بعد التردد، فبطل قوله : ان الهمامة هي نفس التردد كالعزم وأيضاً قد بينا مراده عليه السلام بالهمامة .

حكى زرقان في كتاب « المقالات » وابوعيسى الوراق والحسن بن موسى وذكره شيخنا ابو القاسم البلخي في كتابه في « المقالات » أيضاً عن الثنوية أن النور الاعظم اضطربت عزائمه وارادته في غزو الظلمة والاغارة عليها، فخرجت من ذاته قطعة ـ وهي الهمامة المضطربة في نفسه ـ فخالطت الظلمة غازية لها فاقتطعتها الظلمة عن النور الاعظم وحالت بينها وبينه ، وخرجت همامة الظلمة غازية للنور الاعظم فاقتطعها النور الاعظم عن الظلمة ومزجها بأجزائه، وامتزجت

وهي ماهممت به كالعزم لامر عال . وروى همامة : أي همة ، وروى هامة نفس . وهو اسم الفاعل .

والنفس الروح وكلاهما كناية عن هذه الجملة المشاهدة .

و « الاضطراب » افتعال من الضرب في السير، وهو الاسراع . واضطرب : أي تحرك المتحير مع اسراع في البدن والقلب .

وأجال الاشياء : أعادها وردها ، أي وقتها وخلقهـا فى أوقاتها . والوقت : مقدار من الزمان ، واللام في أوقاتها لام التخصيص .

ويقال « لاءمت الصدع » وغيره على فاعلت: شددته وجمعته ، ويقال لام على فعل .

« والمختلفان » مالاينوب أحدهما مناب الاخر فيما يرجع الى ذاته .

والغريزة:الطبيعة، وغرزها اللهفي الخلق بالتخفيف والتشديد: أي ركبهافيهم.

همامة النور بأجزاء الظلمة أيضاً ، ثم مازالت الهمامتان تتقاربان وتتدانيان وهما ممتزجتان بأجزاء هذا وهذا حتى انبنى منهما هذا العالم المحسوس .

ولهم في الهمامة كلام مشهور، وهي لفظة اصطلحوا عليها، واللغة العربية ما عرفنا فيها استعمال الهمامة بمعنى الهمة والذي عرفناه الهمة والهمة بالكسر والفتح والمهمة ، وتقول : لاهمام لي بهذا الامر مبني على الكسر كقطام ، ولكنها لفظة اصطلاحية مشهورة عند أهلها ـ انتهى .

وقال قبل هذا ص ٨٠ عند شرح جملة « ولاهمامة نفـس اضطرب فيها » : فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة ، ولهم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات، وهذا يدل على صحة مايقال : ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها ، وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه عليه السلام .

وهذا يجوز أن يكون تجنيساً، لانه من غرزت الابرة في شيء وغرزت الجرادة بذنبها اذا جعلته في الارض، ويجوز أن يكون فعلا مشتقاً من الغريزة .

والشبح: الشخص، وشبحت الشيء مددته .

وأحاط بالشيء : ملكه وحازه وبلغ علمه أقصاه .

وحدود الاشياء: غاياتها، ويقال عرف الله الاشياء عرفاناً وعرفته معرفة. ويقال لزوج الشيء قرينه .

والاحناء: الاعطاف، والحنو الضلع المعوج كحنو السرج، ويروى « أخبائها » والخبى : الشيء المستور .

وأما المعنى فانه عليه السلام قال قبل هذا الفصل جملة كلها على لفظ اسم الفاعل ، وهو « كائن قبل كل شيء » وذكر بعده هاهنا على لفظ الفصل فقال « أنشأ الخلق وابتدأهم » ، وهذا مقتبس من قوله تعالى حكاية عن هود « وأنالكم ناصح أمين »[1] ومن قوله تعالى حكاية عن نوح « وأنصح لكم »[2].

أي خلق الله الخلق اختراعاً وابتدعهم بأسرع من كن فيكون ابتداعاً ، ولم يحتج الى أحد الاشياء الاربعة التي يفتقر اليها القادر بالقدرة ، فانه القادر لذاته أنشأهم ولم يكن فكر زماناً في ذلك حتى تولد العلم له من تفكره وتأمله ، كما يكون الواحد منا اذا أراد أن يفعل شيئاً محكماً ، وما جرب الله مدة مديدة مثلنا حتى انفتح له ماكان مغلقاً ، ولا استعمل سبحانه بدأ في ذلك ولا آلة في احداثهم وانما هو من شأن المخلوقين ، ولا عزم تعالى على ذلك مضطرباً كما يكون الواحد منا اذا أراد فعل ما دبر فيه وفكروهم ليكون مطمئنين القلب لدفع مضرة أو جلب منفعة ، والله تعالى لايجوز عليه المنافع والمضار وانما خلق الخلائق

---

(١) سورة الاعراف : ٦٨ .

(٢) سورة الاعراف : ٦٢ .

للاحسان اليهم والانعام عليهم عاجلا وآجلا، وقد دعاه داعي الحكمة الى خلقهم.

وانما أنشأ في وقت دون وقت وعلى صورة دون صورة ، لكونه عالماً بهم وبمصالحهم وألطافهم ، فعل ما فعل على وجه الاصلح والالطف لدينهم ، بأن خلق شيئاً في حالة ولم يخلقه قبلها ولابعدها ، أو ركب في صورة مختلفة الاعضاء علوم العقل أو شهوات مخصوصة ولم يخلقها في هيئة أخرى ، فان جميع ذلك لغرض صحيح ، اذ هو علام الغيوب .

ويظهر كونه مصلحة للعقلاء اذا فكروا في صنائعه من هذه السماوات والارضين من هذه الاشباح ذوات القرائن والاحناء والغرائز [والاحاء][1] .

فان قيل : ما أول ما أنشأه الله أولا .

قلنا : لايفعل الله تعالى الا ما يقتضيه الحكمة ، واذا ابتدأ الله تعالى بخلق عاقل وكلفه لم يكن ذلك عبثاً وكان فعلا حسناً فيه غرض المثل .

ولايستبعد آن يعلم الله من بعض المكلفين أنه متى كان أول خلقه جماداً فاذا أحياه وأقدره ومكنه كان في اعلامه أن مبدأه كان ماءاً أوناراً أو تراباً ، فيكون ذلك لطفاً له. فعلى هذا لايكون خلقه جماداً أول مرة عبثاً.

فان قيل : لم يفى عنه تعالى العزم ، وهو ارادة مخصوصة ، وان استحال عليه التجربة والتحرك ومعرفة شيء على سبيل الروية .

قلنا : العزم أولا لايجوز على الله ، لان الواحد منا انما يعزم على شيء في وقت متراخ عنه ليطمئن على ذلك الفعل قلبه وتقوى[2] دواعيه عليه [3] وليسر بذلك نفسه ، والله تعالى متعال عن ذلك. والارادة التي تؤثر في وقوع الفعل على وجه

---

(١) ليس في ص وكذا في د .

(٢) في ص : يتقوى .

(٣) في د : اليد .

دون وجه لايكون الا مقارنة للفعل تحقيقاً أو تقديراً .

ووجه الحكمة في ابتداء مخلوق ظاهر ، لانه لايخلو اما أن يكون فيه غرض أو لا يكون فيه غرض لانه عبث[١]. ولايجوز أن يكون الغرض عائداً اليه تعالى لانه غني على الحقيقة لاينتفع بشيء ، فلابد أن يكون الغرض نفع ذلك المخلوق أو نفع غيره أولهما مع تعرى ذلك من وجوه القبح . واذا حسن أن يخلقه لنفعه حسن أن يخلقه لينتفع به ، وان اجتمعا كان أولى بالحسن .

والمكلف[٢] منفوع بالتفضل والثواب وبالعوض ان كان في ايلامه مصلحة له أو لغيره، وغير المكلف منفوع بالتفضل . والعوض ان كان في ايلامه مصلحة لغيره من المكلفين .

(الاصل) :

ثم أنشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء[٣]، فأجرى[٤] فيها ماءاً متلاطماً تياره متراكماً زخاره ، حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة ، فأمرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده ، الهواء من تحتها فتيق[٥] والماء من فوقها دفيق .

ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها ، فأمرها بتصفيق الماء الزخّار واثارة موج البحار ، فمخضته مخض

(١) في د ، م : أولا يكون لايجوز أن لايكون فيه غرض لانه عبث.

(٢) في ص : متكلف .

(٣) في ب : الاهواء .

(٤) في ب ، نا : فأجاز .

(٥) في الف : فتق .

السقاء ، وعصفت به عصفها بالفضاء ، ترد أوله على آخره وساجيه على مائره ، حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه ، فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق ، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها .

ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً ، في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر .

ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهن أطواراً من ملائكته ، منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون ، لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ، ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ، ومنهم أمناء على وحيه وألسنة[1] على رسله ومختلفون بقضائه وأمره ، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ، ومنهم الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الاقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ، ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم ، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة ، لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر[2].

(بيانه) :

ذكر قبل هذا الفصل انشاء الله خلقاً ذا شبح وحياة وغريزة له أحناء وأعضاء ثم ذكر هاهنا انشاء الله السماوات وأول خلقها وفتق بعضها من بعض وتمييزها

---

(١) في الف ، ب ، نا ، يد : الى رسله .

(٢) في الف : بالمواطن .

وتزيينها ، فقال : « ثم أنشأ الله سبحانه فتق الأجواء » . كأنه قـال : ثم أنشأ الله وأنا أسبحه تسبيحاً وسبحوه تسبيحاً أيها السامعون في هذه الحال وفي كل حال التفت الى تعظيم الله وتسبيحه وتنزيهه عن شبه الخلق وكل ما لا يليق به ، لمـا قال : « ثم أنشأ الله » قبل أن ذكر مفعوله الذي هو « فتق الاجواء » حتى يعلم العلماء منه وحذوا على مثاله في كلامهم .

وجو السماء هو الهواء تحتها ، والجمع أجواء .

والرجاء مقصور[1] الناحية ، والجمع أرجاء .

والسكاك: الهواء بين السماء والارض، والجمع سكائك[2]، وانما أضافها الى الهواء ومعناهما واحد ، لان الاول أخص من الثاني، كما يقال « كرى[3] النوم » فكأن السكاك هو الهواء الذي فيه جواهر لطيفة .

والهواء : ما لا شيء فيه من الجواهر . وروى « فأجار[4] فيها ماء » أي أنفذه.

والتطمت أمواج البحر : ضرب بعضها بعضاً ، وهذا مستعار من اللطم الذي هو ضرب الوجه بالراحة .

---

(١) في المصباح : الرجا مقصور: الناحية من البئر وغيرها ، والجمع أرجاء مثل سبب وأسباب ، وفي اللسان : الرجا مقصور : ناحية كل شيء وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها الى أسفلها وحافتيها .

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرحه ١/ ٩٠ : وهذا غير جائز ، لان فعالا لا يجمع على « فعائل » وانما هو جمع سكاكة ـ بضم السين ـ ذكر ذلك الجوهري.

(٣) الكرا مثل عصا : النعاس .

(٤) هذه اللفظة تختلف في النسخ ، ففي بعضها « فأجاز »، وفي بعض آخر « فأحـار » ، وفي البعض « فأجار » . والظاهر أن الصحيح : « فأجاز » بالجيم والزاي المعجمتين ، بقرينة معناه ، فان « أجازه » في اللغة بمعنى « أنفذه » .

والتيار : موج البحر الذي ينضح الماء . وعرق تيار سريع الجرية .

وسحاب مرتكم ومتراكم بعضه فوق بعض، وكل شيء علا شيئاً فقدارتكمه وارتكبه ، فكأن الميم بدل من الباء لقرب مخرجيهما .

وبحر زخار : مواج يطول موجه ، من « زخر النبت » طال .

وريح عاصف : شديد سريع يعصف النبت أي يكسره . والريح الزعزع: الشديدة التي تزعزع كل شيء وتحركه . والريح القاصف[1]: المهلكة في البحر والحاصب[2]: المهلكة في البر . وروي والرعود القاصفة .

وقوله « فأمرها » مجاز، لان الحكيم لايأمر الجماد بشيء ، وكذلك ان قلنا: ان المراد من الملائكة الموكلين بالريح برد الماء [وهو مجاز على وجه آخر][3].

وسلطته على كذا فتسلط ، وهو قهر مع حجة . فالتسليط هنا استعارة على الوجهين .

والشد : العدو[4].

---

(١) قيل الرياح ثمان: أربع عذاب وأربع رحمة، فأما الرحمة : فالناشرات والذاريات ، والمرسلات ، والمبشرات . وأما العذاب : فالعاصف ، والقاصف وهما في البحر ، والصرصر ، والعقيم وهما في البر .

(٢) الحاصب : ريح تحمل التراب ، أو هو ما تناثر من دقاق الثلج والبرد والسحاب الذي يرمي بهما .

(٣) الزيادة من م .

(٤) قال ابن أبي الحديد في الشرح ١/ ٩٠: ولايجوز حمل الشد هاهنا على العدو ، لانه لامعنى له، والصحيح ما ذكرناه . انتهى .

أقول: وقد قال في ص ٨٨ : « وسلّطها على شده » أي على وثاقه ،كأنه سبحانه لما سلّط الريح على منعه من الهبوط فكأنه قد شده بها وأوثقه ومنعه من الحركة .

وقرنها الى حده : أي جمع الريح وضمّها الى حد الماء ، والهواء من تحت الريح مفتوق ، والماء من فوق الريح مصبوب بسرعة ، ودفيق بمعنى مدفوع أكثر .

واما المعنى : فأنه يقول : كانت السماوات مرتفعة مطبقة ففتقها الله سبع سماوات، وكانت الارضون كذلك ففتقها الله سبع أرضين، كما هو مضمون الاية « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما »(١). والمعنى كانتا ملتزقتين ففصلنا بينهما بالهواء .

ولاخلاف أن فتق الاجواء ليس هو بخلق لها ، وانما هو فصل سماء من سماء واظهار هواء بينهما .

ثم ذكر بعد هذا تمام التدبير الالهي الذي فيه المصالح والالطاف اذا علموا بفصل ذلك أو جملته ، وجاء في الاخبار : ان الله لما أراد خلق السماء والارض خلق جوهراً اخضر، ثم ذوبه وجعله ذائباً، فصار ماء مضطرباً ، ثم أخرج من ذلك الماء بخاراً ودخاناً مرتفعين، فخلق من ذلك الدخان السماء كما قال «ثم استوى الى السماء وهي دخان »(٢)، ثم فتق تلك السماء فجعلها سبع سماوات، ثم جعل من ذلك الماء زبداً وخلق منه أرض مكة ، ثم بسط الارض كلها من تحت الكعبة ، ولذلك تسمى مكة أم القرى لانها أصل جميع الارض ، ثم شق من تلك الارض سبع أرضين وجعل بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وكذلك بين كل أرض وأرض، وكذلك بين هذه السماء وهذه الارض ، ثم بعث ملكاً من تحت العرش حتى حمل الارض على منكبه وعنقه ومداليدين فبلغت أحداهما المشرق والاخرى الى المغرب ، ثم بعث لقرار قدم ذلك الملك بقرة من الجنة

---

(١) سورة الانبياء : ٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١١ .

لها أربعون ألف قرن وأربعون ألف رجل ويد، وبعث ياقوتاً من الفردوس الاعلى حتى وضع بين سنام تلك البقرة وأذنها ، فاستقر قدما ذلك الملك على السنام والياقوت، وان قرون تلك البقرة لمرتفعة من أقطار الارض الى تحت العرش، وان مآخر أنوفها بأزاء بحار الارض، فاذا تنفست البقرة مد البحر واذا قبضت أنفاسها فجزر البحر من ذلك، ثم خلق لقوائم تلك البقرة صخرة، وهي التي حكي الله عن لقمان في قوله « يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات »[1]، ويزيد مقدار سعة تلك الصخرة سبع مرات على مقدار سبع السماوات وسبع الارضين، ثم خلق حوتاً وهو الذي أقسم الله به فقال «ن والقلم»[2] والنون الحوت ، وأمر الله تعالى بوضع تلك الصخرة على ظهر ذلك الحوت ، وجعل ذلك الحوت في الماء وأمسك الماء على الريح ، ويحفظ الله الريح بقدرته .

فان قيل : أليس الله تبارك وتعالى قادراً على خلق الاشياء لامن شيء وعلى حفظ كل شيء بلا شيء آخر .

قلنا: ان الله قادر على ذلك، وانما خلق هذه الاشياء على هذا التدبير والترتيب والتقدير لما علم أن فيها لطفاً لعباده من الثقلين الجن والانس من المكلفين والملائكة المقربين ، كما أنه يخلق الادمي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم يكسوها لحماً ثم ينشئه خلقاً سوياً ، والله قادر على خلق الخلائق لامن التراب ولامن الماء ولا من النور ولامن النار، ثم خلق منها لكون ذلك مصلحة. وهذه السماء معلقة فوقنا بغير عماد ولاعلاقة مع عظمها وثقلها ، فهو تعالى خالق ما يشاء كما يشاء .

وقوله «ثم انشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها» وهذا تمام ما تقدم، ومعنى الفصلين

---

(١) سورة لقمان : ١٦ .

(٢) سورة القلم : ١ .

متعلق بعضهما ببعض متصل أولهما بآخرهما ، فانه عليه السلام ذكر أن الله أنشأ فتق الاجواء ، فكأنه اشارة الى الجهات التي كان عليها أو فوقها الجوهر الاخضر الذي ذكرنا في الخبر بأن الله خلقه في الاصل .

وشق الارجاء : اشارة الى النواحي من عن[1] يمينها وشمالها ، وذلك حين ذوب ذلك الجوهر الاخضر وجعله ماء سائلا، فأجرى بعض ذلك الماء المتلاطم فيها ، ثم حمله على متن الريح ، ثم أنشأ الله تعالى ريحاً أخرى شديدة فصفقت ذلك الماء حتى ازبـد ، ثم رفع ذلك الزبـد في هواء آخر أعلى مـن الهواء المذكور ، فخلق منه السماوات [السبع ـ على مافصله الخبر المتقدم . وهذه السماء] السفلى قـائمة بغير عماد يكون قراراً لها من تحتها ، ولاهي معلقة من فوقها الى حبل وعلاقة بل الله يحفظها بقدرته .

وأما ألفاظه : فان « اعتقم مهبها » أي شد وعقد ، وقيل[2] أي ذل ، وهو من الاضداد . فعلى الاول عبارة ان[3] الله تعالى أهب الريح ولم يطلقها بمرة فتفسد ماتأتي عليه كله بل عقد مهبها حتى تهب بقدر ، وأدام مع [ذلك على][4] ترتيبها للماء وترتيبها له وتسويتها . و مربها[5] مجتمعها، والصحيح أنه مصدر رب صنعته: أي أصلحها ، وأرب على الشيء : أي لزمه .

« واعصف مجراها » أي أسرع قوتها في الجري .

---

(١) كذا في ص ، د .

(٢) كذا في د ، م . وفي غيرهما من النسخ الموجودة: وقيل أي ذلك .

(٣) في د : عن الله تعالى .

(٤) ليس « ذلك على » في د .

(٥) في اللسان : المرب ـ بفتح الميم والراء وتشديد الباء ـ المحل ومكان الاقامة والاجتماع والتربب: الاجتماع . ومكان مرب بالفتح : مجمع يجمع الناس.

وأبعد منشأها : أي ارتفاعها ، وقيل المنشأ [أي] الحدوث .

وقوله « فأمرها بتصفيق الماء » أي أمر الملائكة الموكلين بالريح لتضرب الماء الكثير الموج بعضه ببعض ، من قولهم « صفق بيديه » أي ضرب احداهما بالاخرى ، ومنه « الصفقة » في البيع والبيعة ، وهو ضرب اليد على اليد .

ومخضت الريح ذلك الماء : أي حركته تحريكاً شديداً متتابعاً ، كمخض اللبن ، وهو تحريكه في سقاء وهو القربة أو في ممخض ليزبد .

وعصفت به : أي[1] اشتدت الريح بالماء مثل عصفها بالفضاء ، وهو المكان المتسع وهبوب الريح فيه أشد. ترد أوله على[2] آخره هذا حال من الاول. والرد الصرف ، أي لما اعتقم مهب الريح مع ترتيبها الماء كان ذلك الماء مردوداً ساكنة الى مترددة. « وسجا »[3] أي سكن .

وماد : سال ، حتى عب عبابه أي اجتمع موجه وكثر ، وعب النبت طال ، وعباب الماء معظمه والبحر زبد اذا هاجت أمواجه فيرى على وجه الماء بياض .

والركام : ذلك الماء المنضم الذي رمى بالزبد فرفع مجتمع ذلك الركام ذلك الزبد في هواء واسع منفتق .

والجو المنفهق: هو الهواء الممتلىء بالزبد حين رفع اليه، أو الهواء العالي.

---

(١) قال ابن ابي الحديد في الشرح ١/٨٨ : فيه معنى لطيف ، يقول : ان الريح اذا عصفت بالفضاء الذي لا اجسام فيه كان عصفها شديداً لعدم المانع، وهذه الريح عصفت بذلك الماء العظيم عصفاً شديداً كأنها تعصف في فضاء لا ممانع لها فيه من الاجسام .

(٢) في يد : الى آخره .

(٣) الساجي : الساكن ، والمائر المتحرك الذي يجيء ويذهب ، وفي المصباح : مار البحر : اضطرب ، ومار الدم : سال .

فسوى منه سبع سماوات أي خلقها منه، وقيل معنى تسوية السماوات السبع هو تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن ، فمن ثم خلقهن خلقاً سوياً مستوياً من غير تفاوت مع خلق مافي الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم .

وسفلاهن : هي السماء التي تلينا .

وموجاً مكفوفاً : يحتمل أن يكون شبهها بالموج لصفائها وارتفاعها ،ويمكن أن يكون اول ماكانت موجاً ثم عقدها ، أوماكان ارتفع من موج الماء من الزبد المشبه بالدخان ، فشبه ذلك المرتفع بالموج .

والمكفوف : الممنوع من السقوط ، والنزول كف ، مثل كفة الثوب وهو حاشيته .

وسقفاً محفوظاً : أي السماء حفظها من غير عماد وهي كالسقف للارض ، ويقال للسماء سمك أيضاً أي عال مرتفع ، وهو وصف بالمصدر ، اي مسموك وضع للمفعول .

والعماد : الاصطوانة .

ودعمت الشيء أدعمته : قويته بدعامة .

والدسار خيط من ليف تشد به ألواح السفينة ، والجمع دسر. وقيل الدسر المسامير ، وقال الباقر عليه السلام : (١) ولما أراد الله أن يخلق السماء أمر الرياح فضربن البحر حتى أزبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء.

---

(١) راجع البحار ٨٦/٥٧ .

وقال الفراء [١] في قوله « خلق السماوات بغير عمد ترونها » [٢] فيه قولان أحدهما أنه خلقها مرفوعة بلا عمد ولايحتاجون مع الروية الى حيز ، والثاني أنـه خلقها بعمد لا تـرون تلك العمد. وقال ليث : ان عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا والسماء مثل القبة أطرافها على قاف من زبرجدة خضراء ، ويقال خضرة السماء من ذلك الجبل فيصير يوم القيامة ناراً .

والذي تقتضيه العربية في قوله «ماء متلاطماً تياره» وفي قولة «بتصفيق الماء الذخار » أنهما ماء واحد ، كقوله « كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول » [٣] نكر الرسول أولا ثم عـرف ، لانه أراد أرسلنا الـى فرعون بعض الرسل وهـو موسى ، فلما أعاده وهـو معهود بالذكر أدخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه .

وكذا قوله « فتق الاجواء » وقوله «الهواء من تحتها فتيق» فهما جهة واحدة لكونهما معرفين .

فأما قوله «حمله على متن الريح العاصفة» وقوله «ثم أنشأ ريحاً اعتقم مهبها» فالريحان غيران ، لان الاولى معرفة والثانية منكرة . وللنحويين على هذا أربع مسائل : قالوا لو قال « صم يوماً صم اليوم » كان يوماً واحداً ، وكذا لـو قال « صم اليوم صم اليوم » فأما « صم يوماً صم يوماً » فانه يقتضي يومين ، وكذا

---

(١) الفراء هو يحيى بن زياد ـ اقطع بن عبد الله بن مروان اسلمي الديلمي الكوفي النحوي اللغوي المكنى بأبي زكريا ، كان اماماً في النحو واللغة وعالماً بأشعار العرب ، توفي بطريق مكة سنة ٢٠٧ .

انظر : فهرست ابن النديم ٧٣ ، ريحانة الادب ٣١٤/٤ .

(٢) سورة الرعد: ٢ .

(٣) سورة المزمل : ١٥ ، ١٦ .

« صم اليوم صم يوماً » . وأنكر المرتضى في « الذريعة » بعض ذلك .

فان قيل : الهواء مخلوق أم لا ؟ قلنا : قد تقدم أن الله خلق السماء والارض أولا متلاصقتين ثم فتق ما بينهما فجعل هواء من هذه وهذه، فالهواء اذا لم يكن فيه جواهر ولاهباء فيه فهوجهة وتقدير مكان وهو خلو .

وروي أن زرارة [1] وهشاماً [2] اختلفا في الهواء أهومخلوق أم لا ، فرفع ذلك الى الصادق عليه السلام بعض مواليه وقال :اني متحير قد أرى أصحابنا يختلفون

---

١) هوزرارة بن اعين بن سنسن الشيباني واسمه عبدربه وزرارة لقبه، شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين صادقاً فيما يرويه .

أنظر : رجال النجاشي ١٢٥ ، رجال الطوسى ١٢٣ ، ٢٠١ ، رجال الكشي ١٣٣ ، فهرست ابن النديم ٢٧٦ .

٢) هشام بن الحكم ابـومحمد مولى بنى شيبان الكوفي البغدادي ، من أصحاب الامام الصادق عليه السلام، ومن متكلمي الشيعة. كان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الامر .

قيل :توفي حدود سنة ١٩٠. وفي رجال الكشي :انه مات سنة تسع وسبعين ومائة. وقال ابن النديم في الفهرست :وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة وقيل في خلافة المأمون .

وقال : كان هشام يقول : ما رأيت مثل مخالفينا « عمدوا الى من ولاه الله من سمائه فعزلوه والى من عزله من سمائه فولوه » اشارة الى تبليغ سورة البراءة الى مشركي قريش .

أنظر : رجال النجاشي ٣٠٤ ، رجال الطوسى ٣٢٩ ، رجال الكشي ٢٥٥ فهرست ابن النديم ٢٢٣ ، الاعلام للزركلى ٨٢/٩ .

فيه . فقال : ليس هذا بخلاف يؤدي الى الكفر والضلال [1] .

فان قيل : انه عطف قوله « سكائك الهواء » على قوله « فتق الاجواء » وهذا يدل على أن لاهوية مخلوقة على قوله .

قلنا : تقدير الكلام أنه تعالى أنشأ فتق الاجواء فتق سكائك الاهواء ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ، أوتكون السكائك تلك الاهوية التي هي مدائن لطيفة فيها الملائكة بين السماء والارض ، على ما ورد في الاخبار . والله أعلم بصحة ذلك .

ويجوز أن تجر سكائك عطفاً على الارجاء . وقال المفسرون في قوله « وكان عرشه على الماء » فيه دلالة على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السماوات والارض ، وكان الماء قبل ذلك قائماً بقدرة الله على غير وضع [2] قرار وفي ذلك أعظم الاعتبار .

ثم خص بالوصف السماء الدنيا التي هي أقرب السماوات الينا وان أطلق اطلاقاً ، فان الله قيد ذلك وخصصه بقوله « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » [3]، « انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » [4] فالله تعالى خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة . والتزيين : تحسين الشيء على وجه تميل اليه النفس ، وزين الله هذه السماء ليتمتع الراؤون لهابحسنها وضوئها ويعتبرون بالفكر فيها ويستدلون بها على صانعها .

والمعنى : ان الله تعالى لما خلق السماء الدنيا وزينها بالنجوم الصغار والكبار والكواكب السيارة وغير السيارة جعل منها سبعة سيارة وهي : زحل

---

١) راجع البحار ١٨٢/٥٧ .

٢) في د ، م : غيرموضع .

٣) سورة الملك : ٥ .

٤) سورة الصافات : ٦ .

والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . وجعل لها اثنى عشر برجاً ، وهي : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت .

وأجرى فيها سراجاً يعني الشمس المستنير ضوؤها على الشياع والعموم ، وجعل بالليل قمراً مضيئاً اذا لم تكن شمس ليعلم بها عدد السنين والحساب .

والحكمة ظاهرة في خلق هذه الثواقب ، فانها دلالات لامؤثرات .

والزينة اسم لما يزان به شيء [1] ويكون مصدراً .

ويحتملهما [2] هذا الموضع ، فان كان المراد المصدر فعلى وجهين : اما أن يكون مضافاً الى الفاعل ، أي بأن زانتها الكواكب ، أويكون مضافاً الى المفعول أي بأن زان الله الكواكب .

وان أريد الاسم فللاضافة أيضاً وجهان : أن تقع الكواكب بياناً للزينة ، أو يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا والجوزاء وبنات نعش وغير ذلك .

والرقيم : اللوح الذي [3] فيه كتابة ، شبه السماء به ، وقيل الرقيم المابر كناية عن الفلك الدائر المتردد وفيه الكواكب ، كأنه لوح عريض مرقوم كتبت عليه حروف معجمة .

وقوله « ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهن أطواراً من ملائكته » صنف عليه السلام الملائكة الذين أسكنهم الله ما بين السماوات العلى ثلاثة أصناف: فصنف منهم مشتغلون بالعبادة ، وجعلهم على أربعة أحوال : من ركع ، وسجود وصافين ، ومسبحين . وصنف هم أمناء الله ، وجعلهم على أربعة أحوال : من

---

١) كذا في د ، وفي ص : وشيء يكون مصدراً .

٢) كذا في د ، ص .

٣) في د : الذي ليس فيه كتابة . والصحيح ما اثبتناه .

رسل الى الانبياء ، ومختلفين بتدبير الله في الارض، والحفظة لبني آدم ، والسدنة للجنة أي الخدم . وصنف هم حملة العرش ، وقد وصف جميعهم وصفاً حسناً وأثنى عليهم ثناء جميلا ومدحهم بالعلم والعمل، وأنهم يصفون الله تعالى بالتعظيم والاجلال وينزهونه عن صفات النقص ، وأنهم يعرفون ربهم علم اليقين بعد النظر والاستدلال لا بالتقليد[1] والتبخيت ولا بالتوهم والتمثيل والظن والتصوير، ولايثبتون له تعالى من مثل ولانظير .

وتلخيص جميع ذلك : أنه لما ذكر خلق الله السماوات السبع وأنه فتق بينهما وملأ كل واحدة منها ملائكة ، وصفهم بأنهم معصومون .

وأما ألفاظه : فالعلى جمع العليا ، والاطوار : الضروب والاجناس .

والسجود : جمع ساجد ، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر .

والراكع : المنحني . وكذا القول في قولهم « هم ركوع » .

وانتصب : استقام وارتفع .

وتزايل : زال من مكانه . وقوله عليه السلام « لايتزايلون » دخل النفي في النفي فصار اثباتاً .

والمسبح : القائل باللسان « سبحان الله » المعقد بالقلب تنزيهه تعالى . ولا يسأمون : لايملون .

وقوله «لايغشاهم نوم العيون» أي يكون لهم نوم ولهم عيون ولكن لايغفلهم النوم عن ذكر الله ، اثبت لهم نوماً قليلا وان نفى عنهم النوم الكثير، والله تعالى لاتأخذه سنة ولانوم مع أنه حي ، وهذا هو المدحة العظمى .

وكنى بالالسنة عن الرسل. والمختلفون : المترددون، والاختلاف المجيء والذهاب .

---

١) كذا في النسخ ولم أجد له معنى مناسب .

والقضاء : الحكم والنية .

والعباد لايقال الا لمن ينسب الى الله تعالى ، ويجوز عبيد زيد .

والسادن: الحاجب والخادم . والمروق : الخروج من شيء ، ويكنى عن الايدي بالاركان . ومناسبة : مماثلة ، استعارة من النسب .

وناكسة أبصارهم : أي مطرقون الرؤوس حياء وتعظيماً لله تحت العرش .

ودون بمعنى وراء وقبل . والبصر : العين الا أنه مذكر .

« متلفعون بأجنحتهم » أي مشتملون بها ، ويقال ضربت حجاباً بيني وبين الناس أي اتخذت ، والحجاب مايمنع بينك وبين غيرك .

والعزة : الغلبة . والقدرة : العظمة . وصفهم بأنهم اكرم من غيرهم من الملائكة الذين دونهم .

(الاصـل) :

منها في [صفة] [1] خلق آدم عليه السلام

ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة ، سنها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلة حتى لزبت ، فجبل منها صورة ذات أحناء وفضول[2] وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلصلت ، لوقت معدود وأجل معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا أذهان يجيلها

---

١) ليس « صفة » في ص ، وليس « خلق » في يد .

٢) في ب ، نا ، الف ، يد « ووصول » . وأثبت المصنف عند ذكرمعاني الالفاظ « ووصول » .

وفكر يتصرف بها ، وجوارح يختدمها ، وأدوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والاذواق والمشام والالوان والاجناس . معجوناً بطينة الالوان المختلفة ، والاشباه المؤتلفة ، والاضداد المتعادية ، والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور .

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود له والخنوع لتكرمته، فقال سبحانه « اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس»[1] وقبيله اعترتهم الحمية، وغلبت عليهم الشقوة، وتعززوا بخلقة النار، واستوهنوا خلق الصلصال . فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية، وانجازاً للعدة ، فقال « انك من المنظرين * الى يوم الوقت المعلوم »[2] .

ثـم أسكن سبحانه داراً أرغد فيها عيشته وآمن فيهـا محلته وحذره ابليس وعداوته ، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار ، فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه ، واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندماً .

ثم بسط [الله سبحانه] له في توبته ، ولقاه كلمة رحمته ، ووعده المرد الى جنته ، فأهبطه الى دار البلية ، وتناسل الذرية .

واصطفى سبحانه من ولدآدم أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم ، فجهلوا حقه ، واتخذوا الانداد معه، واحتالتهم[3] بالشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسلـه وواتر اليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته ،

---

١) سورة البقرة : ٣٤ .

٢) سورة ص : ٨٠ ، ٨١ .

٣) في نا ، يد ، الف : واجتالتهم الشياطين .

ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروالهم دفائن العقول ، ويروهم آيات المقدرة ، من سقف فوقهم مرفوع ، ومهاد تحتهم موضوع ، ومعـائش تحييهم ، وآجال تفنيهم ، وأوصاب تهرمهم ، واحداث تتتابع عليهم[1] .

ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل ، أو كتاب منزل ، أو حجة لازمة أو محجة قائمة . رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ، ولا كثرة المكذبين لهم ، من سابق سمي له من بعده أو غابر عرفه من قبله .

(بيانـه) :

اعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لما علم أن للمكلفين مصالح والطافاً في أن يعلموا أصل خلقة السماوات والارض، وكذلك لما علم أنهم اذا علموا أحوال أهل كل سماء من الملائكة [كانوا أقرب الى الطاعة][2]، بين لهم ذلك وذكر أن الله أنشاهم على سبيل الابتداء مـن غير تناسل ولاميلاد ، وفصل لذلك تفصيلا اقتضته الحكمة والمصلحة .

كما أن الله لما علم أن خلق الملائكة من النور وخلق آدم من التراب وخلق الجن من النار وخلق الارض والسماء من زبـد الماء وبخاره ، لطف ومصلحة لاهـل السماء وأهل الارض من المكلفين ، خلقهم كذلك على هـذا الترتيب والتدريج ، والا كان الله قادراً على أن يخلقهم لامن شيء كمـا خلق التراب والنار لا من شيء .

ولمـا كان المصلحة في خلق أهـل الارض من البشر أن يكون على سبيل

---

١) في نا ، يد ، الف : تتابع .

٢) الزيادة من م .

التوالد والتناسل ، وأن يكون كلهم من أصل واحد ، خلق تعالى آدم أولا على طريقة وخلق أولاده على طريقة أخري .

فذكر أمير المؤمنين عليه السلام صفة خلقة [1] آدم عليه السلام وابتداء أمره الى انتهائه في هـذه الخطبة ، وذكر كيفية أحوال الملائكة معه عليه السلام ، وذكر عداوة ابليس وأكثر نسله لادم وولده، الى أن ذكر بعثة الله الرسل والانبياء من أولاده في كل زمان الى أممهم .

ويذكر بعد هـذا الفصل نبوة محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم وشريعته ، ونفصلها ونبينها .

ونحن نذكر الان غريب هذه الجملة ثم نرجع الى معناها .

أما ألفاظها : فالحزن : ماغلظ مـن الارض . والسهل : خـلاف الجبل . والعذب من الارض : ماتنبت .

والسبخة : مايضيع فيها البذر لاينبت شيئاً ، قال الله تعالى « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربـه والـذي خبث لايخرج الانكداً » [2] ، فالطيب والخبيث استعارة للعذب والسبخ .

وقوله « تربة سنها » أي جمع ترباً بلها [3] وخلطها بالماء خلطاً [شديداً حتى صبها ، يقال :سن الدرع يسنهااذا صبها ، وسننت الماء على وجهي :أي ارسلته ارسالا من غير تفريق ، قال تعالى « مـن حمأ مسنون » أي خلصها الماء حتى خلصت عماسواها من الاقذاء. ولاطها بالبلة أي ملطها] [4] أو الصقها بالنداوة حتى

---

١) كذا في ص ، وفي د : صفة خلق خلقة آدم .

٢) سورة الاعراف : ٥٨ .

٣) الترب وزان قفل لغة في التراب . وفي « م » : أي جمع تراباً بلها .

٤) الزيادة من م .

التصقت ، يقال لطت الحوض بالطين أي ملطته [1] وطينته .

وبللت الشيء : نديته ، والبلة مصدر .

« ولزبت » بفتح الزاي : لصقت .

وجبل : خلق خلقاً عظيماً ، والجبلة الخليقة .

والاحناء : الاضلاع ، والاضلاع [2] المعوجة .

« والوصول » [3] جمع وصل ، وهو الشيء المنفصل [4] .

وأجمدها : جعلها كالجماد والجمد .

واستمسكت : أخذ بعضها بنفس غيره فلاتنفصل كما كان تراباً .

« وأصلدها » أي يبسها وصلبها حتى صلصلت ، أي صوتت ، من قولهم « صلصال » وهو الطين الحر اذا خلط بالرمل فصار يتصلصل اذا جف .

والنفخ : جعل الروح أو الريح في شيء . والروح ريح مخصوصة تتردد في مخارق هذه الجملة .

ومثلت : انتصبت وقامت وصارت جثة انسان على هذه الصفات صاحب ذهن وقوه وفكرة وتأمل ، وذا جوارح وأعضاء يقوم بخدمته ، يقال استخدمته لنفسي ولغيري واخدمته لنفسي خاصة . وذا علم يميزبه بين ما يذاق وما يشم .

---

١) ملط بالحائط : طلاه ، الملاط ككتاب :الطين يجعل بين ساقى البناء ، ويملط به الحائط أي يخلط .

٢) في د : الاعضاء المعوجة .

٣) قال ابن ميثم في شرحه ١ /١٧٠ : الوصول جمع كثرة للوصل ، وهي المفاصل ، وجمع القلة أوصال .

٤) كذا في ص ، د .

ومعجوناً :صفة انساناً أوحال من ضميره، ويعنى« بالطينة » السنخ[1] والاصل ويعنى « بالالوان » الاجناس. وروي الالوان[2] والاضداد المتعادية المتباعدة، من قولهم تعادى أي تباعد .

و« الاخلاط » جمع خلط ، وهوالشيء المخلوط .

و« الاستئداء » طلب الاداء ، يقال استأداه مالا أي صادره واستخرج منه .

والعهد : الامان . والوصية : الامر بما يعمل به بعد حال مقترناً بوعظ وعهد ووصية ، كأنه اشارة الى أمر سابق منه تعالى للملائكة بالسجود لادم عليه السلام اذ خلق ، وهو قوله تعالى « اني خالق بشراً من طين * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » [3] .

والاذعان : الانقياد . والخنوع : الخضوع . وانما كرر لفظ « الخنوع » لتكرمته بعد الاذعان بالسجود له ، لان الاول يفيد أنهم أمروا أولا بالخضوع له في السجود ، والثاني يفيد نياتهم على الخضوع له للتكرمة أبداً .

وقيل الجن نسله ، قال تعالى « انه يراكم هووقبيله »[4] وكل جيل من الجن والانس قبيل [5].

---

١) في ص ، د : السبخ .

٢) كذا في ص ، د . وفي م : الاكوان .

٣) سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

٤) سورة الاسراء : ٤٠ .

٥) قال ابن ابي الحديد في الشرح ١١٢/١ : وقول الراوندي :وكل جيل من الانس والجن قبيل، ينقض دعواه أن قبيله لايكون الانسله . وقال أيضاً قبل هذا : والصحيح أن قبيله نوعه كما أن البشر قبيل كل بشرى سواء كانوا من ولده أولم يكونوا .

واعتراه هم : أصابه ، وروي « اعترتهم » أي خدعتهم .

والحمية، الانفة التي يحمي الانسان، قال الله تعالى « اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية »[1] أي حميت قلوبهم بالغضب ، ثم فسرها فقال « حمية الجاهلية » أي عادة آبائهم ان لاينقادوا لاحد .

و« غلبت عليهم الشقوة » أي ملكتهم المضرة في العاقبة ، قال تعالى حكاية عن أهل النار « ربنا غلبت علينا شقوتنا »[2] أي أوجبت سيئاتنا الشقاوة لنا .

وتعززوا :أظهروا العز.واستوهنوا :استضعفوا. والصلصال :الطين الجاف.

والنظرة : التأخير ، أي أخر الله موته للاعذار .

وقوله « استحقاقاً » أي استوجب بفعله الغضب ، لقوله « انما نملي لهم ليزدادوا اثماً »[3] واللام للعاقبة .

وأرغد عيشه : طيبه في سعة وخصب . والعيش : الحياة .

و « نفاسة » أي حسداً ، من النفس ، يقال نفست عليه بكذا : أي حفظت جانب نفسي .

ومرافقة الابرار : ملاطفة الملائكة وحسن معاشرتهم ، لان كل واحد منهم بر مطيع .

وقوله «فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه» استعارة في استعارة من وجهين، لان بيع اليقين لايمكن بالشك على الحقيقة ولا بيع العزيمة بالوهن، وكان معيشته في الجنة على أحوال كان يتيقنها أو يعلمها على اليقين، وماكان يعلم كيف يكون معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها ، فان كان خلق لاجلها قال تعالى « اني جاعل في

---

١) سورة الفتح : ٢٦ .

٢) سورة المؤمنون : ١٠٦ .

٣) سورة آل عمران : ١٧٨ .

الارض خليفة »[1] ولولم يأكل الشجرة لخرج من الجنة الى الدنيا أيضاً ولكن على وجه أسهل له من ذلك، مثلا بعد أن بنى له في الارض دور وقصور ومساكن طيبة وجيران من الملائكة وقدر له من الارزاق مايكفيه عفواً صفواً ، فلما تناول الشجرة وفعل ماكان تركه أولى استحق التحول من دار الى دار وتغير لطفه ، فخرج من الجنة التي أعدت فيها الاسباب من الارزاق والمساكن والخيرات[2] الى أرض وحشة لازرع فيها ولاضرع ولاغطاء ولاوطاء ولاجليس ولاأنيس . وكلتاهما له في تلك الحال دار التكليف ، الا أن تكليفه في الثانية كان أشق ، فكأنه رضي بمقامه في الدنيا ثمناً لمقامه في الجنة ، كرضى البائع بما يأخذ ثمناً لما أعطى، وكان المقام الاول كالعلق الخارج من اليد بثمن دون وبالاغترار أعاد الباء لئلايكون عطفاً على عاملين مختلفين .

وقوله « وتناسل الذرية » أي أهبطه الى دار البلاء ودار تناسل الاولاد .

و« اصطفى أنبياء » أي اختارهم، افتعل من الصفوة . والولد المولود يقال للواحد والجمع ، لانه مصدر في الاصل .

وبدل : غير . والميثاق : المعاهدة وأخذالعهد ، اشارة الى ماهو مقرر في العقول من أن الفعل لابد له من الفاعل والمحدث لابد له من محدث ، وقد نصب الله لكل عاقل حجة دالة على توحيده وعدله . وهذا هوالفطرة التي فطر الله عليها الخلائق .

والند : المثل . واحتالتهم[3] : عدلتهم ، وحالت الريح التراب أثارته .

و « معايش » لايهمز ، لان الياء فيها عين الفعل بخلاف المدائن فهمزتها

---

١) سورة البقرة : ٣٠ .

٢) في د ، م : الجيران .

٣) في القاموس : « واجتالهم » حولهم عن قصدهم. والظاهر أن الصحيح أنه بالجيم .

من ياء زائدة .

و «واتر»[١] أي تابع ، والوصب : المرض . وأحداث الدهر : نوازله .

قوله «أوحجة لازمة» اشارة الى من يقوم مقام[٢] الرسول . «أومحجة قائمة» هى المعقولات والسنن ، والمحجة جادة الطريق . وروي « لايقصربهم » بضم الياء ، أي لايعيبهم .

والغابر : الباقى والمستقبل هنا وان كان من الاضداد .

وأماالمعنى فانه يقول : ان الله تعالى جمع تربة من أجناس تراب الارض اربعة[٣] لخلق آدم ، كما خلق الجان من مازج من خلط النار قبلها بالماء حتى التصق بعضها ببعض ، فخلق منها صورة ذات جوارح بعضها معوج وبعضها مستقيم وبعضها متصل وبعضها منفصل ، فكانت أولا تربة مسنونة ثم صورة مصورة [٤] ثم نفخ الله فيها الروح .

وجعلهاحية قادرة عالمة مشتهية نافرة ، بأن خلق الله فيها المعاني التى هي الحياة والقدرة والشهوة والنفرة ، وعلوم العقل التي تتميزبها بين الاشياء على مافصل ، ويعرف بها المتماثلات والمتضادات والمختلفات منها ومن غيرها .

والحي هوهذه الجملة المشاهدة دون أبعاضها ، وبها يتعلق جميع الاحكام

---

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١١٤/١ : « واتر عليهم انبياءه » أي بعثهم وبين كل نبيين فترة. وهذا مما تغلط فيه العامة فتظنه كما ظن الراوندي أن المراد به المرادفة والمتابعة .

٢) في د : مقام أمر الرسول .

٣) في د : الاربعة .

٤) ليس « مصورة » في د .

من الامر والنهي والمدح والذم .

وللناس خمسة مذاهب أخرفي ذلك، ذكر أولا أنه تعالى جمع التربة التي خلق منها آدم عليه السلام ، وان[1] كان بأمره كان ذلك وبتوفيقه على عزرائيل [2] عليه السلام على ماروي في الاخبار. ثم أمرتعالى ملكاًآخر فاغترف غرفة بيمنيه من المـاء العذب فصلصلها في كفـه فجمدت ، فقال الله : منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين . ثم أمره تعالى فاغترف غرفة بكفه الاخرى من المـاء الملح [3] الأجاج فصلصلها في كفه فجمدت ، ثـم قال تعالى : منك أخلق الجبارين والفراعنة .

ومعنى ذلك أنـه تعالى أعلـم الملائكة أن في بنى آدم يكون الصالحون والطالحون ،كما أن في تربة الارض الطيب والسبخ .

وليس المعنى أنه تعالى خلق من العذب من يصير مؤمناً ومن السبخة من يكون كافراً ، أفلا يقدر كل على غيرما في طبعه وأصله ، فيكون تنبيه الملائكة على مثل ذلك بتلك النظائر .

ثم أمر تعالى الملائكة الاربعة المو كلين [4] بالشمال والجنوب والدبور والصبا أن جولوا [5] على هذا الطين وانسموه بتلك الرياح ثم جزوه [6] وفصلوه، وركب فيه الطبائع الاربع التي هي الريح والبلغم والمرة والدم، فجالت عليه

---

١) في بعض النسخ : وانما كان .

٢) كذا في د ، ص .

٣) في د ، م : المالح .

٤) في د ، م : المو كلة .

٥) في ص : ان حولوا .

٦) في د : ثم جزؤوه .

الملائكة وأجرت فيه ذلك، فالريح في البدن من قبل الشمال ، والبلعم من ناحية الصبا ، والمرة من ناحية الدبور، والدم من ناحية الجنوب . واستقلت النسمة وكمل البدن .

وكل ذلك من تدبير الله لا من تأثير طبع وغيره، فدخل عليه من ناحية الريح حب الحياة وطول الامل والحرص، ومن البلغم حب الطعام والشراب واللباس واللين والحلم والرفق ، ومن المرة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة ، ومن الدم الشهوة للنساء واللذات وركوب الشهوات من الحلال والحرام .

وهذا اشارة الى أن الله أقدره على جميع ذلك، لقوله «وهديناه النجدين»[1] طريقي الخير والشر ليصح تكليفه بفعل هذا والاجتناب من ذلك، فلا اجبار ولا الجاء في ذلك .

ويتعلق بجميع ذلك الطاف الملائكة وغيرهم من المكلفين ، كما في غبر ذلك .

وعن الصادق عليه السلام :كانت الملائكة تمر بآدم وهو ملقى في الجنة من طين فتقول : لامر ما خلقت[2] .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : وان الله كان أودع الملائكة تلك التربة المصورة وكان أمرهم أن يسجدوا لادم اذ أحياه، فلما دخل الوقت الذي اقتضت الحكمة أن ينفخ في تلك الصورة فطلب من الملائكة أن يؤدوا اليه وديعته ويردوها عليه ، فلما أدوا تلك الصورة الى الله نفخ تعالى فيها الروح فقامت منتصبة .

وروي أن آدم نهض ليقوم قبل أن تم في جميع البدن الروح، فقال تعالى

---

١) سورة البلد : ١٠ .

٢) راجع البحار ٢٩/٥ ط الكمباني .

« خلق الانسان عجولا » [1] .

ثم صارت انساناً [2] له الاذهان والفكر كما تقدم ، وهذا اشارة الى أنه نظر وعرف الله .

ثم توارد الشبهات عليه فجعل يحلها ويدفعها باستدلال، وطفق يجيل الاذهان ويتصرف بالفكر ، حتى حصل من المعارف ما استحق لاجلها التعظيم واستأهل لذلك زيادة الالطاف ، فعلمه الله الاسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود خضوعاً منهم وتكرمة له ، فسجدوا كلهم .

لكن ابليس وقبيله أنفوا [3] من ذلك بسوء اختيارهم وقالوا : خلقنا من النار وخلق من التراب . وهذا قياس باطل ، لان الامر بالعكس من ذلك ، فالتراب خيرمن النار ، لان كل مايدخل النارينقص و كل مايدخل التراب يزيد . على أن الخيرية في العبد انما تكون بالاعمال الصالحة لا بأنه خلق من نار أونور أوتراب .

وأما وصف أمر الله الملائكة بالسجود فانه اما بخطاب من الله لهم أوبوحي منه تعالى الى من بعثه من رسله اليهم ، لان كلام الرسول كلام المرسل، أوبأن الله أظهر فعلا لهم دلهم به على أنه أمرهم بالسجود « فسجد الملائكة كلهم

---

١) تفسير القمي ٧١/٢ ، ونص الاية « خلق الانسان من عجل » سورة الانبياء : ٣٧ .

٢) قال ابن ميثم في شرحه ١٧٠/١ : ويشبه أن يكون أصل الانسان انس وهو الانيس ، والالف والنون في أصل لحوقها له للتثنية ، وذلك لان الانس أمر نسبى لايتحقق الابين شيئين فصاعداً، ولما كان كل واحد من الناس يأنس بصاحبه ثم كثراستعماله مثنى فأجريت على النون وجوه الاعراب .

٣) في د : « أبوا » بدل « أنفوا » .

أجمعون »[1] وفي هذا تأكيد العموم .

وهذا السجود لتعظيم شأنه . ولما كان تقديم المفضول على الفاضل قبيحا علمنا أنه كان في ذلك الوقت أفضل من الملائكة وفيما بعده .

فسجدوا الا ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة وان له نسلا وذرية والملائكة لايتوالدون .

ثم ذكر كيفية عيش[2] آدم بدء أمره في الجنة ومرافقته مع الملائكة ومحاسدة ابليس له ومعاداته ، ثم خروجه الى الدنيا ومقاساته فيها بالتفرد مرة وبطلب المعاش أخرى وبشدة التكاليف التي ضوعفت عليه هنا ، ولم يكن ثم تربية الاولاد ولاتأديب الذراري ويكدح المؤمن حتى يلقى ربه .

وقال تعالى « لقد خلقنا الانسان في كبد »[3] أي في تعب ومشقة .

وعن الصادق عليه السلام : هبط آدم عليه السلام على الصفا وحواء على المروة واعتزلها آدم وكان يأتيها بالنهار فيحدث عندها ، فاذا كان الليل خشي أن تغلبه نفسه فيرجع ، فمكث بذلك ما شاء الله ، ثم أرسل اليه جبريل فقال : السلام عليك يا آدم الصابر لبليته ان الله بعثني اليك لاعلمك المناسك التي يريد الله أن يتوب عليك بها . فلما فرغ من الطواف والسعي وغيرهما وحلق رأسه بمنى عرض عند الجمرة ابليس له ، فقال جبرئيل : يا آدم ارم بسبع حصيات ، ففعل فذهب ، فقال جبريل : انك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً . ثم انطلق فطاف بالبيت فقال جبريل : حلت زوجتك ، وكان الله زوجهما في الجنة[4] .

---

١) سورة الحجر : ٣٠ .

٢) في د : تعيش .

٣) سورة البلد : ٤ .

٤) البحار ١١/١٦٨ ، ١٦٩ .

وأما كيفية تناسل الذرية فقال الصادق عليه السلام : ان آدم ولد له سبعون بطناً ، فلما قتل قابيل هابيل جزع جزعاً قطعه عن اتيان النساء، فبقي لايستطيع أن يغشي حوا خمسمائة عام ، ثم وهب الله له شيئاً ، ثم ولدله يافث، فلما أدركا وأراد الله أن يبلغ بالنسل ماترون أنزل له بعد العصر من الغدحوراء من الجنة أخرى، وأمر آدم أن يزوجها من يافث، ففعل فولد لشيث غلام وليافث جارية ، فأمر الله آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث ، وأمر تعالى أن يزوج أولاد شيث من ولد يافث هكذا ، فولد الصفوة من البنين من نسلهما ، ولم يكن التناسل من ولد هابيل ولامن ولد قابيل، وما يقول هؤلاء أن آدم زوج بناته من بنيه فباطل [1] .

ومن قال هذا قوى قول المجوس .

فان قيل : أنتم لاتجيزون من الانبياء ارتكاب الذنوب ، وقال علي في حق آدم : انه باع اليقين بشكه ثم بسط الله في توبته .

قلنا :لاخلاف في الانبياء أنه لايجوزعليهم المعاصي عندنا لاكبيراً ولاصغيراً لاقبل النبوة ولابعدها، بل نقول في الائمة مثل ذلك، لان استحقاق الذم والعقاب منفي عنهم ، فوجب أن ينفي عنهم سائر الذنوب ، فان أنفسنا لاتسكن الى قبول قول من تجوز عليه كبائر المعاصي كسكوننا الى من لايجوز عليه الاقدام عليها وتجويز الكبائر عليهم يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول، وهذا معنى قولنا: ان وقوع الكبائر ينفر عن الامتثال. والمرجع فيما ينفر ومالاينفر الى العادات ، فمن رجع اليها علم ماذكرناه ، وكل من فيه مجون [2] وسخف فان ذلك ينفر من الاقتداء به فكيف ارتكاب الذنوب .

---

١) راجع العلل ١/١٨ ، البحار ١١/٢٢٣ .

٢) المجون : الهزل . السخف : النقص في العقل .

والطريقة في نفي الصغائر مثل ذلك، فانها منفرة أيضاً . وليس ترك النوافل كذلك ، فالانحطاط عن رتبة ثانية بخلاف أن لاتكون قط رتبة .

واذا دل الدليل العقلي على ان الأنبياء منزهون عن فعل القبيح وكل كلام ظاهره أنهم أذنبوا يجب أن يأول على وجه يوافق أدلة العقل .

أما أخذ آدم شكاً وتركه يقيناً فانه يجوز أن يكون ذلك في مباح أو مندوب، فلا يجب حمله على ما لا يليق بهم .

وأما التوبة فهو الرجوع وضعاً، وقد دل الدليل على أن التوبة لا يسقط العقاب، والذي يوجبه هو استحقاق الثواب .

ومعنى قوله « ثم بسط الله له في توبته » أنه تعالى وفقه في هذه الطاعة أو قبلها منه وضمن ثوابها . والتوبة تحسن أن تقع ممن لا يعهد في نفسه قبيحاً على سبيل الانقطاع الى الله والرجوع ، ويكون وجه حسنها استحقاق الثواب أو كونها لطفاً له ولغيره .

ثم اشار الى ماكان بعد وفاة آدم من غلبة ولدقابيل وعبادتهم الاصنام [فانه أخذ بكفره اختاً له واستولدها هاربين من آدم الى خلف جبل باليمن على مارُوي][1] وكان آدم يدعو ولده وولد ولده الى الله ويعلمهم الشرائع وينبههم على الدلالات، الى أن توفي فكان شيث وصيه فقام مقامه ، ثم قام وصي وصيه محافظاً لشريعة آدم ، وكلما مضى وصي قام آخر مقامه من قبل الله الى أن غير الخلق دينهم واشتغلوا بعبادة الاصنام ، فبعث الله اليهم ادريس ثم نوحاً ثم هوداً ثم ابراهيم عليهم السلام ، فذكروهم ووعظهم ومنعوهم من القبائح وأرى كل واحد منهم أممهم مقدورات الله ممايتنفع به عاجلا وقلة صبرهم عنها ومما يستضر به في الدنيا وقلة صبرهم عليها .

---

١) الزياده من م .

ثم قال : وما أخلى الله الخلق قط من رسول أو وصي له من كتاب وسنة ، وكل واحد من الرسل والائمة كان يقوم بما يجب عليه لا يدفعه قلة عدد أوليائه ولا كثرة أعدائه .

وكان من ألطاف الانبياء المتقدمين وأوصيائهم أن يعرفوا الانبياء المتأخرين وأوصياءهم ، فعرفهم الله ذلك . وكان لطف المتأخرين منهم أيضاً أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الانبياء والاوصياء ، فعرفهم الله أيضاً ذلك ، فتم اللطف لجميعهم.

(الاصل) :

على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور وسلفت الاباء ، وخلفت الابناء. الى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لانجاز عدته وتمام نبوته ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة ، وأهواء منتشرة ، وطرائق متشتتة ، بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أومشير الى غيره ، فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة .

ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لقاءه، ورضي له ماعنده، فأكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى، فقبضه اليه كريماً وخلف فيكم ماخلفت الانبياء في أممهم [1] ، اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولاعلم قائم كتاب ربكم ، مبيناً حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وأمثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه ، مفسراً جمله [2] ومبيناً غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على

---

١) في نا ، يد ، ب ، الف : في أممها .

٢) في يد : مجمله .

العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم [١] في السنة نسخه وواجب في السنة أخذه، مرخص في الكتاب تركه، وبين واجب لوقته [٢] وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه وبين مقبول في أدناه وموسع في أقصاه .

منها : وفرض عليكم حج بيته الذي جعله قبلة للانام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون اليه ولوه الحمام . جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه ، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الارباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته. جعله سبحانه [وتعالى] للاسلام علماً، وللعائذين حرماً . فرض حجه وأوجب حقه وكتب عليكم وفادته ، فقال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن [العالمين» [٣] .

(الشرح) :

أشار عليه السلام بقوله « ذلك » لما قال «على ذلك] [٤] نسلت القرون» الى قوله « من قبل » ولم يخل الله من نبي أو حجة [٥] .

يقول : ما مضى دهر ولا انقضى قرن الا كان فيهم معصوم منصوب للرئاسة

---

١) في يد : ومعلوم .

٢) في يد ، الف ، ب ، نا : بوقته .

٣) سورة آل عمران : ٩٧ .

٤) ما بين المعقوفين ليس في ص .

٥) هذه الجملة قالها قبيل هذا .

من قبل الله ، مذعهد آدم الى عهد محمد عليهما السلام، وكلما غاب نجم طلع نجم . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أنجز الوعد الذي كان قد أخذ العهد على كل نبي قبله بالبشارة به ، فكانوا يبشرون بمحمد، وكان في كل قرن معروفاً وبكرم الاصل موصوفاً .

وختم الله به النبوة وأظهر أمره في حالة كان بسيط الارض فيها ملان من الكفر لا يعبد الله الا نادراً ، فدعاهم الى الهدى وخلصهم من الردى .

ثم قال : وكلما مات الانبياء كلهم نقلهم الله الى جواره ، وهو عليه السلام خلف في أمته مثل ماخلف النبيون قبله، وخلف كتاب الله المنزل اليه كما خلفوا كتبهم ، وهو القرآن المبين ، فيه جميع أحكام شرعه .

ونحن نذكر بيان ما أشار اليه من تفاصيله من بعد .

ثم حث المكلفين على زيارة بيت الله ، وبالغ في ذلك حيث أطلق فرضه وان كان الحج مقيداً فرضه ، وأكد ذلك بأن ذكر أن بيت الله الذي تجب زيارته هو الكعبة التي جعلها الله قبلة للمكلفين ، وهو المأمن عاجلا وآجلا ، حتى أن الوحوش والطيور قد ألهمها الله بأنها تأمن حين دخولها حرم الله الذي حول مكة قد حرم الله تعرضها بصيد وغيره، وان الطيور لتفزع اليه وتتخذه مأمناً مع أنه لا عقل لها .

ثم ان الانبياء والاوصياء والصلحاء كان يزورون هذا البيت ويدعون الله عنده ويطوفون به ويتضرعون الى الله ويتواضعون له ويعظمونه ، وان الله اختار محمداً وأوصياءه وجميع أمته للوقوف بالموقفين اللذين كان الانبياء قديماً وحديثاً يقفون بهما للدعاء والتضرع والاستغفار والطواف والسعي والتنسك بمناسكهم ، فان آدم ونوحاً وابراهيم وغيرهم من النبيين والصديقين عليهم السلام كانوا قد اتخذوا تلك المتعبدات شوق الاخرة، وكان تجارتهم اليها وطلب

الربح عندها ، وكانوا يسارعون الى مكة مرة للحج ومرة للعمرة ، ويستغفرون لاممهم ولجميع المذنبين .

وكان قبل أن خلق الله آدم هذا البيت مطاف ملائكته ومزارهم ، وموضع طلب الحاجات ومحل اشرف الطاعات، ومن طاف بالبيت فقد تشبه بالملائكة الحافين من حول العرش المطيفين به .

وأكد الله تعظيمه في شريعة الاسلام وجعل حوله مشاعر ومعالم العبادات يعوذ بها المذنبون ، فان لكل ملك حمى وحرماً والله جعله حرماً للعائذين به ، وأوجب الوفادة اليه مذعهد آدم على الناس أمماً قائماً ، وهو حق من حقوق الله يزدحم اليه ويعظم الله حواليه لطفاً ومصلحة لهم ، وان من دخله مؤدياً لما أوجبه الله عليه كان آمناً في الاخرة من العقاب الدائم . وهو المروي عن الباقر عليه السلام .

ثم أكد كلامه بقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت » [1] ، ومعناه ولله على من استطاع الى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت، أي من وجد اليه طريقاً بنفسه وماله [فعليه الحج] [2] ومن جحد فرض الحج فلم يره واجباً «فان الله غني عن العالمين » [3] لم يتعبدهم بالعبادة لحاجة اليها وانما تعبدهم بها لما علم من مصالحهم فيها .

وأما تفسير ألفاظه : فقوله « على ذلك » يتعلق على بقوله « نسلت القرون »، أي مضت مسرعة ، من نسلان الذنب ، قال تعالى « الى ربهم ينسلون» [4] . وقيل : هو من نسلت الانثى بولد كثير .

---

١) سورة آل عمران : ٩٧ .

٢) الزيادة من م .

٣) سورة آل عمران : ٩٧ .

٤) سورة يس : ٥١ .

والقرن : أهل كل مدة فيها نبي أو وصي ، وفيها طبقة من العلماء وسلف، أي تقدم .

وخلف فلان أباه : أي صار خليفة عنه وخلفاً وبدلا عن أبيه .

وانجاز الوعد : اعجال قضاء الوعد .

والسمات : العلامات .

والميلاد : الولادة ، «ويومئذ» أي يوم اذ كان كذا، فلما حذف الجملة نون اذ .

وملة كل قوم : مذهبهم ، والجمع ملل .

وهوى النفس ، مقصور .

والتشتت : التفرق بعد الاجتماع .

والمشبهة [هم] الذين يجوزون على معبودهم ما يصح على الاجسام ويشبهونه بها .

والملحد : المائل على الاستقامة ، والعادل عن الحق .

وقوله « أو ملحد في اسمه » أي يميل في تسميته فيسميه بما لا يستحقه ، أو يسمي الاصنام باسمه ، كما قالوا « اللات » بدلا عن الله، و« العزى » بدلا عن العزيز .

وقبض الله للعباد : اماتتهم .

وخلفت كذا : أي تركته بعد موتي ، فكان خلفي خليفتي .

وأمة كل نبي : اتباعه ، ومن لم يتبع دين محمد وان كان في زمانه فليس من أمته .

والهمل : الغنم ترعى نهاراً بلا راع .

والعلم والجبل والراية والقائم : الثابت، أي ترك محمد فيما بينكم مثل

ماترك الانبياء في أممهم، اذ لم يترك نبي مذ عهد آدم الى زمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمته هملا ، بل وصى الى معصوم يقوم بعده في أمته مقامه وان كان له كتاب وشريعة فانه لابد من حافظ ومبين .

و « كتاب ربكم » بدل قوله « ماخلفت الانبياء » .

و « بين » لازم ومتعد ، ومبيناً حلاله المسموع بكسر الياء ومابعده مفعول، وروي فيه « مبيناً حلاله » أي بين حلاله .

و « الحلال » مستعار من حل العقدة ، والحرام الممنوع منه ، والفريضة ما أوجبه الله وله حدود ومعالم وبين وجوبه .

والفضيلة : الدرجة الرفيعة [1] .

والناسخ : هو الدليل الشرعي الذي يدل زوال مثل الحكم الذي ثبت بدليل شرعي آخر مع تراخيه عنه ، وهذا الدليل الاخر هو المنسوخ . والنسخ في اللغة أن يزيل أمراً كان من قبل .

---

١) في شرح ابن ابى الحديد ١/١٢٠ فالفضائل : النوافل ، أي هو فضلة غيرواجبة كركعتي الصبح وغيرهما، والفرائض كفريضة الصبح. وقال الراوندي الفضيلة وهي : الدرجة الرفيعة ليس بصحيح ، لان الفرائض جعل في مقابلتها وقسيماً لها . انتهى .

أقول : وقال ابن ميثم في شرحه ١/٢١٩ : قوله « وحلاله وحرامه وفضائله وفرائضه » اشارة الى الأحكام الخمسة الشرعية التى يدور عليها علم الفقه، وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة . وعبر بالحلال عن المباح والمكروه ، وبالحرام عن المحظور وبالفضائل عن المندوب، وبالفرائض عن الواجب ، وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثله . . . الخ .

و « الرخصة في الامر » خلاف التشديد .

و «العزيمة» العزم ، وهو عقد القلب على الشيء يريدأن يفعله . والعزيمة: الواجب .

والمخصوص : كل لفظ يقع على شيء بعينه دون ماعداه .

والخاص : ماتناول شيئاً واحداً . والعام : ماتناول لفظه شيئين فصاعداً .

والعبرة : الاعتبار بمامضى .

والمثل : قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول ، والاصل فيه التشبيه .

و « المرسل » هنا المطلق . والمحدود : المقيد المظهر حده وغايته .

والمحكم من القول : مالايحتمل وجهين أواكثر . والمفسر : المبين . والغامض : المستتر ، ويكون المفسر المظهر بلفظ آخر فائدته والله قد وسع على المكلفين في مواضع فيما كلفهم .

والجهل في اللغة : هو أن لاتعلم ذلك الشيء .

والمثبت في الكتاب : المدام فيه الذي أوجده الله فيه .

والسنة : كل فعل شرعي أدامه الرسول ولم يثبت أنه مخصوص به عليه السلام أونسخ . والفرق بين الفريضة والواجب أن الفريضة أخص من الواجب لانها الواجب الشرعي ، والواجبات اذاكانت مطلقة يجوز حملها على العقلية والشرعية .

والاخذ : الفعل . والترك : أن لايفعله لغة .

والكبيرة : خطيئة تكبر بالاضافة الى أصغر منها . والصغيرة :خطيئة تصغر بالاضافة الى خطيئة اكبر منها .

والايعاد : الوعد بالشر .

وأرصدله كذا : هيأه وترقبه وأعده له .

والغفران : ستر الذنب .

والاقصى : الابعد ، والادنى : القريب .

وأما أمثلة هذه الاحكام فالآيات الدالة عليها كثيرة وتفصيلها يشتمل على كتاب كبير :

أما الحلال والحرام فنحو قوله « أحل الله البيع وحرم الربا »[1] ، « أحلت لكم بهيمة الانعام »[2] ، « الامايتلى عليكم »[3] ، « حرمت عليكم أمهاتكم » الى قوله « وأحل لكم ماوراء ذلكم »[4] .

وأما فضائله فهي الاتيان بها أولى كقوله « ومن الليل فتهجد به نافلة لك »[5] ، « واحسنوا ان الله يحب المحسنين »[6] ، « وان تعفوا أقرب للتقوى »[7] .

وأما فرائضه فكقوله « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[8] ، « كتب عليكم الصيام »[9] ، « وأتموا الحج والعمرة »[10] ، « ولله على الناس حج البيت »[11] .

---

١) سورة البقرة : ٢٧٥ .

٢) سورة المائدة : ١ .

٣) سورة الحج : ٣٠ .

٤) سورة النساء : ٢٣ ، ٢٤ .

٥) سورة الاسراء : ٧٩ .

٦) سورة البقرة : ١٩٥ .

٧) سورة البقرة : ٢٣٧ .

٨) سورة البقرة : ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، النساء : ٧٧ ، النور : ٥٦ ، المزمل: ٢٠ .

٩) سورة البقرة : ١٨٣ .

١٠) سورة البقرة : ١٩٦ .

١١) سورة آل عمران : ٩٧ .

وأما الناسخ والمنسوخ فكقوله « فاقتلوا المشركين » [1] نسخ قوله « لكم دينكم ولي دين » [2] ، وكقوله « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » [3] منسوخ بقوله « الان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» [4] وكقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاًيتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشراً» [5] فهي ناسخة لقوله «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول » [6] وان كانت الاية الاولى في القراءة مقدمـة .

وأما رخصه فقد قال تعالى بعد تحريم الميتة « فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » [7] ، وقال «قل لاأجد فيما أوحي الي محرماً» الى قوله « فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه » [8] ، وقال « واذا حللتم فاصطادوا » [9] « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض » [10] وكلاهما أيضاً نوع

---

١) سورة التوبة : ٥ .

٢) سورة الكافرون : ٦ .

٣) سورة الانفال : ٦٦ .

٤) سورة الانفال : ٦٦ .

٥) سورة البقرة : ٢٣٤ .

٦) سورة البقرة : ٢٤٠ .

٧) سورة المائدة : ٣ .

٨) سورة الانعام : ١٤٥ . وتمامها « فان ربك غفور رحيم » . و « فلا اثم عليه » في سورة البقرة : ١٧٣ .

٩) سورة المائدة : ٢ .

١٠) سورة الجمعة : ١٠ .

من الرخصة .

وأما عزائمه فقد قال تعالى « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامرمنكم »[1] فان طاعتهم واجبـة على التضييق ، وهو عزمة من عزمات الله لايقوم شيء مقامه، وقال «فمن شهدمنكم الشهر فليصمه»[2]، وقال « انماوليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[3]، فولايتهم واجبة لاتسقط عن مكلف في حال .

وأمـا خاصه فكقوله تعالى « فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله » [4] فانـه مخصوص مـع الاختيار بمن يصلي نافلة على الراحلة ، وقوله « يا أيها النبي جاهدالكفار والمنافقين » [5] ، «كتب عليكم القصاص في القتلى » [6] ، « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس » [7] ، فالايتان وان كانتا على الاطلاق [فكلتاهما] خاصة، والمعنى أنه اذا قتلت نفساً على العمد نفس أخرى [8] ، وكان القاتل عاقلة مميزاً وكان المقتول مكافئاً للقاتل ، امـا أن يكونا مسلمين حرين أو كافرين أو مملوكين ، فان كان القاتل حراً مسلماً والمقتول كافراً أو مملوكاً فعندنا لايقتل به وله حكم آخر سوى ذلك .

---

١) سورة النساء : ٥٩ .

٢) سورة البقرة : ١٨٥ .

٣) سورة المائدة : ٥٥ .

٤) سورة البقرة : ١١٥ وليس في هذه الاية « وجوهكم » .

٥) سورة التوبة : ٧٣ .

٦) سورة البقرة : ١٧٨ .

٧) سورة المائدة : ٤٥ .

٨) كذا في ص ، وفي د : اذا قتلت نفس على العمد نفساً أخرى .

وأمـا عامه فكقوله « ان الله بكل شيء عليم » [١] ، « وجاهدوا في الله حق جهاده » [٢]، والجهاد واجب عام على جميع المكلفين بالشرائط. وقال « ولا يأب الشهداء اذا مادعوا» [٣] وكل مايصلح للعموم والخصوص في اللغة يقتضي العموم شرعاً الاما أخرجه الدليل .

وأما عبره فالايات التى فيها قصص الانبياء وأممهم ، قال الله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، [٤] « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون» [٥] وقال بعد ذكر مافيه اعتبار «ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار » .

وأما أمثاله فكقوله « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » [٦] ، « مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونـداء » [٧] ، « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم » [٨] ، وقال « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » [٩] .

وقال الصادق عليه السلام : ان أمثال القرآن لها فوائد ، فأنعموا النظر فيها

---

١) سورة العنكبوت : ٦٢ .

٢) سورة الحج : ٧٨ .

٣) سورة البقرة : ٢٨٢ .

٤) سورة الفيل : ١ .

٥) سورة فصلت : ١٧ .

٦) سورة البقرة : ١٧ .

٧) سورة البقرة : ١٧١ .

٨) سورة آل عمران : ٥٩ .

٩) سورة العنكبوت : ٤٣ .

وأكثروا التفكر والتدبر في معانيها ولاتمروابها .

وأما مرسله فكقوله « فاغسلوا وجوهكم »[1] فانه ماذكر له حداً .

وقيل هـو المجمل كقوله « خذ من أموالهم صدقة »[2] ، فانـه لايجب أن يؤخذ كل صدقة بـل صدقة مخصوصة ، وكقوله « أقيموا الصلاة » فلو فعلنا كل صلاة لكنا فاعلين مالم يرد الله منا .

والفرق بين المجمل والعام هو : أن كل لفظ فعل لاجل ما أريد ومالم يرد فهو المجمل ، ومثاله ماتقدم ، وكـل لفظ فعل لاجل مـا أريد به فهو عموم ، مثاله قوله « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »[3] ، ولو خلينا وهذه الاية لقتلنا الوثني واليهودي والنصراني وكل من تناوله هـذا الاسم وكنا فاعلين بموجب اللفظ وهو العموم شرعاً .

وأما محدوده فكقوله تعالى « وأيديكم الى المرافق »[4] ، « فكلوا واشربوا حتى يتبين لكـم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثـم أتموا الصيام الى الليل »[5] ، وقال « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه »[6] الاية .

وأما محكمه كقوله «الله لا اله الا هو الحي القيوم »[7] ، « قل هو الله أحد *

---

١) سورة المائدة : ٦ .

٢) سورة التوبة : ١٠٣ .

٣) سورة التوبة : ٥ .

٤) سورة المائدة : ٦ .

٥) سورة البقرة : ١٨٧ .

٦) سورة البقرة : ١٨٥ .

٧) سورة البقرة : ٢٥٥ ، سورة آل عمران :٢ .

الله الصمد»[1] «الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين»[2]

وأما متشابهه فكقوله « يدالله »[3] و« جنب الله »[4] و« خلقت بيدي »[5] و« كل شيء هالك الاوجهه »[6] « وجـاء ربك »[7] وقوله « وجوه يومئذ نـا ضرة * الى ربها ناظرة »[8] .

وأما قوله مفسراً جمله فكقوله « أقيموا الصلاة »[9] ، ثـم قال « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ولـه الحمد في السماوات والارض وعشياً وحين تظهرون »[10] ، فسر في هذه الاية ما أجمل هناك ، وقال « ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن»[11] ، ثم فسر كيفية طلاق الحامل بقوله «وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن »[12] وفسر طلاق الايسة من المحيض وهى على ضربين ، وطلاق اللائي لم يحضن وهي أيضاً على ضربين ، وفسر طلاق التى لم يدخل

---

١) سورة التوحيد : ١ ، ٢ .

٢) سورة الفاتحة : ١، ٢ ، ٣ .

٣) سورة الفتح : ١٠ .

٤) سورة الزمر : ٥٦ .

٥) سورة ص : ٧٥ .

٦) سورة القصص : ٨٨ .

٧) سورة الفجر : ٢٢ .

٨) سورة القيامة : ٢٣ .

٩) سورة البقرة : ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ .

١٠) سورة الروم : ١٧ ، ١٨ .

١١) سورة الطلاق : ١ .

١٢) سورة الطلاق : ٤ .

بها بقوله « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن»[1] وفسرطلاق المستقيمة الحيض بقوله « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء»[2] وفسر كيفية الطلاق بقوله «الطلاق مرتان فامساك بمعروف أوتسريح باحسان »[3] .

وأما قوله مبيناً غوامضه فكقوله « ولكم في القصاص حياة »[4] ثم بين بقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم »[5] وكآيات المواريث وأشباهها، فانه قال «للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون »[6] ثم بين ذلك في سورة النساء بقوله « يوصيكم الله في أولادكم »[7] الى ثلاث آيات ثلثاً في الاولاد وثلثاً في الابوين واثنين في الزوج واثنين في الزوجة واثنين في الاخوة والاخوات من الام وذكر أربعاً في آخر السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام أومن الاب في قوله « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »[8] ، وذكر واحدة في قوله « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »[9] وهي أصول الفرائض كلها ، وهي

---

١) سورة الاحزاب : ٤٩ .

٢) سورة البقرة : ٢٢٨ .

٣) سورة البقرة : ٢٢٩ .

٤) سورة البقرة : ١٧٩

٥) سورة البقرة :١٩٤ .

٦) سورة النساء : ٧ .

٧) سورة النساء : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

٨) سورة النساء : ١٧٦ .

٩) سورة الانفال : ٧٥ .

سبعة عشر فريضة .

وأما قوله « بين مأخوذ ميثاق علمه » فقد قال تعالى « هو الله الذي لااله الا هو عالم الغيب والشهادة »[1]، « فاعلم أنه لا اله الا هو »[2] ، «وهوعلى كل شيء قدير »[3] ، « وهو بكل شيء عليم »[4] فان جميع ذلك يجب علمه بالنظر . وقال « محمد رسول الله والذين معه أشداء »[5] وقال « ولوردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم »[6] الاية ، فيجب بالنظر والاستدلال معرفة رسوله وأولي الامر الذين هم الائمة .

وقيل : هو مثل معرفة الحلال والحرام كقوله « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات »[7] وقوله « حرمت عليكم الميتة والدم »[8] الايتان ونحوهما .

وأمـا قوله « وموسع على العباد في جهله » فانه يجوز أن يكون كقولـه : كهيعص حم عسق المر المص الر الم طسم طه حم ق والقرآن ن والقلـم ص والقرآن وغيرها من الحروف المتقطعة في أوائل بعض السور .

قال : من علم حكمة الله على الجملة في هذه الخماسيات والرباعيات والثلاثيات والثنائيات والوحدانيات ، ولايعلم تفصيل هذه الاشياء فليس عليه شيء .

---

١) سورة الحشر : ٢٢ .

٢) سورة محمد : ١٩ وفيها « فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك » .

٣) سورة هود : ٤ ، سورة الروم : ٥٠ ، سورة الشورى : ٩ .

٤) سورة البقرة : ٢٩ ، سورة الانعام : ١٠١ .

٥) سورة الفتح : ٢٩ .

٦) سورة النساء : ٨٣

٧) سورة المائدة : ٤ .

٨) سورة المائدة : ٣ .

وقيل : مثال ذلك قوله « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت »[١] ، وليس لاحد من المكلفين أن يطلب علم ذلك .

ومن الجائز أن يعلم الله من حال بعض المكلفين أن يكون لطفه[٢] في علم شيء من هذه الخمسة ، فيجب أن يطلعه الله عليه ، بأن يوحي الى [٣] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فيخبر الرسول ذلك المكلف به ، أو وصي النبي الى من بعده من حجج الله باعلامه ذلك الانسان اذا لم يكن هو في زمان الرسول .

وقيل : انه مثل قوله « ومنهم من لم نقصص عليك »[٤] ، فانه لايجب علينا معرفة الانبياء كلهم .

ويجوز أن يقال : ان قوله « بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله » كلها حكم واحد كحكم كل واحدة من الجمل التى بعدها من القرائن ، فيكون معناه : [ان في حكم الله من أحكام القرآن][٥] غوامض الفقه التى لايجب معرفتها على العامة وان وجب على النبي والائمة أن يعلموه، وذلك على ماتقتضيه المصالح. فعلى هذا اذا علم الله تعالى ذلك أوحاها الى نبيه وبين أن تلك الاحكام كلها تجب عليه وعلى من يقوم مقامه من بعده أن يعلموه على التحقيق[٦] وان

---

١) سورة لقمان : ٣٤ .

٢) فى ص : لفظه . والظاهر ماأثبتناه صحيح .

٣) فى د : الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٤) سورة غافر : ٧٨ .

٥) مابين المعقوفين فى م هكذا : ان في احكام القرآن غوامض . . .

٦) فى م : على التضييق .

وسع على غيرهم من أمته أن يعلمه وأن لا يعلمه ، وان كان علم ذلك أفضل .

وان الله أوجب على حججه وأوصيائهم خلفاً عن سلف معرفة ذلك كلـه ، وهو علم الشريعة وأحكامها كلها على الشياع والعموم ، لانه رئيس الكل ومرجع الخلق اليه في كل صغير وكبير حتى ارش الخدش ، ويجب عليه قراءة مسائل الشرع المنصوص عليها من قبل الله تعالى المبعوثة الى محمد صلى الله عليـه وآله وسلم وقد أملاها الى وصيـه وكتبها في صحائف مفصلة حتى يطلع على جميع تفريعات كل مسألة شرعية لعمومها ، ولايجب ذلك على افتـاء الرعية ، ولا يكون [1] لكل قرينة منها حكم آخر أظهر .

وتقدير ذلك : بين حكم مـأخوذ ميثاق علمه على كل مكلف وبين حكم موسع جهله عليهم على ماقدمناه .

وأما قوله « وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه » ، فكقوله « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » [2] ، « ولكم نصف ماترك أزواجكم » [3] ، «ولهن الربع مماتركتم» [3] ، «ولابويه فلكل واحد منهما السدس» [4] فظاهر هـذه الايات يقتضي أن الاولاد يرثون من الابوين ، سواء كانوا أحراراً أوعبيداً ، وسواء كانوا مسلمين أو كفاراً ، وسواء كانوا قاتلين للابوين ظلماً عمداً أولم يكونوا . وكذلك الابوان والزوجان يرثون على كل حال ، لعموم ألفاظ الايات وهي شرعية .

ويعلم من السنة أن الكفر في الوارث والرق في الوارث على وجه والقتل

---

١) كذا في ص . وفي د : ولان يكون .

٢) سورة النساء : ١١ .

٣) سورة النساء : ١٢ .

٤) سورة النساء : ١١ .

عمداً على سبيل الظلم من الوارث يمنع من الارث، واتصال هاتين القرينتين آكدوأبلغ من اتصال القرينتين المتقدمتين، لان قوله «معلوم في السنة» هاهنا صفة قوله «مثبت»، والصفة والموصوف شيء واحد.

وقوله «وموسع على العباد» معطوف على «مأخوذ ميثاق علمه»، والمعطوف والمعطوف عليه في الاكثر أمران، فآيات المواريث التى تلوناها آنفاً ونحوها كالمنسوخة في حق القاتل ظلماً عمداً بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لايرث القاتل من مقتوله [1]. وفي رواية: لاميراث لقاتل [1]. والتخصيص شرعاً قريب من النسخ.

وقال تعالى «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» [2] وظاهره يوجب قطع كل سارق.

ويعلم من السنة أن من سرق من غير حرز أوسرق دون نصاب وهو ربع دينار أوما قيمته ذلك فلا يقطع، وكان علي عليه السلام يقطع من يد السارق أربع أصابع ويترك الكف والراحة والابهام، فهو أيضاً تخصيص. وقال: اني لاكره أن تدركه التوبة فيحتج علي عند ربي اني لم أدع من كرائم بدنه مايركع به ويسجد [3].

وأما قوله «وواجب في السنة أخذه [و] مرخص في الكتاب تركه» فهو كقوله «واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم» [4]، فان قوله «ليس عليكم جناح» رخصة في القصر.

---

١) راجع سنن ابن ماجة ٢ / ٩١٣، الفقيه ٤ / ٢٣٢.

٢) سورة المائدة: ٣٨.

٣) راجع التهذيب ١٠/١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، الفقيه ٤/٤٦.

٤) سورة النساء: ١٠١.

وجاءت السنة ففرضت القصر في ثلاث صلوات من جملة الخمس اذا كان السفر مباحاً أوطاعة وكان قدر ثمانية فراسخ ، فالواجب في ذلك بالسنة والرخصة فيه بالكتاب ، وهو من باب نسخ الكتاب بالسنة .

وقيل :ان الصحيح في مثاله قوله « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدمنهما مائة جلدة » [1] وهذا على العموم في كل رجل زنا أوامرأة زنت ، وأقسام الزناة الاحرار على خمسة أوجه في السنة : منهم من يجب عليه القتل على كل حال كمن وطيء ذات محرم له ، ومنهم من يجب عليه جلد مائة ثم الرجم فهو الشيخ والشيخة اذا زنيا وكانا محصنين ، ومنهم من يجب عليه الجلد ثم النفي وهو البكر والبكرة والبكر هو من املك على امرأة ولم يدخل بها، ومنهم من لايجب عليه اكثر من الجلد وهو كل من زنا وليس بمحصن ولابكرفان كان حراً فمائة وان كان مملوكاً فخمسين، والحراذا زنا أربع مرات وضرب الحد في كل مرة يقتل في الخامسة .

فقدترى في هذه الاقسام مايزيد على جلد مائة [وماينقص من مائة][2] وليس ذلك في كتاب الله ظاهراً، فكأنه متروك مرخص في الكتاب نسخه، وذكر ذلك في السنة على الوجوب، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام[3] . وكذلك نص على الاقسام الاخر وبينها وفصلها .

وأما قوله «وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله» فكآية النجوى، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة»[3] أمر

---

١) سورة النور : ٢ .

٢) الزيادة من م .

٣) انظر سنن ابن ماجة ٢/٨٥ ، الفقيه ٤/ ١٧ .

تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لاصحابه ولجميع أمته اذا ساررتم الرسول فقدموا قبل أن تساروه صدقة ، وأراد بذلك تعظيم النبي صلى الله عليه وآله ، وان يكون ذلك سبباً لان يتصدقوا فيوجروا، ويكون ذلك أيضاً تخفيفاً عنه « ص » .

قال المفسرون :فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضن كثير من الناس فكفوا عن المسألة ولم يناجه الاعلي بن أبي طالب عليه السلام . والاية نزلت في الاغنياء لانهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكثرون مناجاته فأمر الله بالصدقة عند المناجاة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ان في كتاب الله لاية ماعمل بها أحد قبلي ولايعمل بها أحد [غيري] بعدي، وهي «ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول»[1] كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكلمات أردت أن اناجي رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت درهماً ، فنسختها الاية الاخرى وهي « أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة »[2] .

وقال علي السلام : بى خفف الله عن هذه الامة[3] .

---

١) سورة المجادلة : ١٢

٢) سورة المجادلة : ١٣ .

٣) راجع الكشاف ٤ / ٤٩٣ ، وقال : عن علي عليه السلام ان في كتاب الله لاية ماعمل بها احد قبلي ولايعمل بها احد بعدي الخ. ثم قال :قال الكلبي : تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وآله . وعن ابن عمر: كان لعلي ثلاث لـو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعـم : تزويجة فاطمة ، واعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى .

وقيل : ان مثال ذلك قوله « فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم »[1] قال تعالى « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »[2] الاية .

وقيل : انه مثل الهجرة التي كانت عند خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة الى وقت فتح مكة، فقال تعالى «ان الذين آمنوا وهاجروا»[3] الاية . وقال النبي صلى الله عليه وآله : لا هجرة بعد الفتح[4] .

وقيل : انه كصلاة العيدين وصلاة الجمعة ، فانها تجب بوقتها مع وجود شرائطها ويزول ذلك الوجوب في المستقبل .

والتقدير : وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله، فحذف الموصوف وعطف الصفة على الصفة ، وذلك جائز .

قوله « ومباين بين محارمه » كأحكام السرقة والزنا وشرب الخمر وقذف المحصنات ، فانها كلها مختلفة، وكذلك ماسواها . ألاترى الى قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »[6] وقال «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة »[5] وغير ذلك من الاي .

ثم فصل الكلام فقال : من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه، وقد قال الله تعالى «ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء»[7]،

---

١) سورة التوبة : ٤ .

٢) سورة التوبة : ٥ .

٣) سورة الانفال : ٧٢ .

٤) راجع مجمع البيان ٤ / ٥٦٢ .

٥) سورة المائدة : ٣٨ .

٦) سورة النور : ٤ .

٧) سورة النساء ٤٨ .

« وقال ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً»[1] وقال تعالى «الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم »[2] ، فالكبيرة كل ذنب حتم له بالنار ، والفاحشة كل ذنب فيه الحد، واللمم صغار الذنوب كالنظرة وغيرها .

وأما قوله « وبين مقبول في أدناه وموسع في أقصاه » فقد قال تعالى « ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك» الى قوله « فاقرأوا ما تيسر منه »[3] وكآية الصدقات، فقد قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم »[4] الاية ، فان « من » تدل على التبعيض وان أنفق الغني كثيراً من ماله فذلك حسن . وان قـرأ المصلي ليلا طوال السور وكثيراً من القرآن فذلك موسع عليه وهو أحسن وأفضل من قراءة سورة من المفصل على بعض الوجوه .

وقيل : ان المقبول في أدناه هو الاقتصار في الفقه على تعلم الفرائض منه دون مندوباته، وان الموسع في أقصاه هو التعمق في طلب العلوم واشتغال العلماء بمدارسة تفريعات أحكام الشريعة وتفسير القرآن وغير ذلك من العلوم التي هي كالمرقاة بعلم الدين بعد احكام الاصول نظراً واستدلالا وحل الشبه وغير ذلك. وأمثلة كل واحد منها اكثر من أن يذكر هاهنا ، وفيما ذكرناه مقنع .

ونرجع الى تفسير ما في الخطبة فنقول :

---

١) سورة النساء : ٩٣ .

٢) سورة النجم : ٣٢ .

٣) سوره المزمل : ٢٠ .

٤) سورة البقرة : ٢٦٧ .

«الحج» قصد بيت الله لزيارته مع مناسك، واضافة البيت الى الله للتفضيل والتشريف والتخصيص ، وان كانت الدنيا وما فيها لله .

والقبلة : اسم للمكان المتوجه اليه للصلاة وغيرها .

والانام : الخلق . والورود : الدخول في الماء .

والانعام :الابل والبقر والغنم .

وأله يأله ألهاً : أي تحير ، والاصل وله يوله ولهاً . وقال ابو الهيثم : أصل « الله » الاه، واصله ولاه، فقلبت الواو همزة، فالخلق يولهون اليه في حوائجهم ويفزعون اليه في كل ما ينوبهم .

وحمام الحرم يلتجىء اليه الهاماً من الله لها أنه المأمن ، ويقال : انها من نسل طير أبابيل . وولهت [الى كذا] [اي] فزعت .

والضمير في قوله «أجابوا اليه» للبيت ، وفي «دعوته لله تعالى» أي أجابوا قاصدين الى البيت دعوته تعالى .

والملائكة المطيفون بالعرش : هم الكروبيون ، مثل اشراف الملائكة وعظمائهم .

وطاف بالبيت طوافاً: أي دار حوله، وحقيقة اطاف أن المطيف هو الذي يطيف نفسه ، كأنه فزعها لذلك ، فهو بكليته مشتغل به من أفعال القلوب وأفعال الجوارح .

والاحراز : الحفظ .

وكتب عليكم وفادته : أي أوجب عليكم أيها المكلفون المستطيعون أن تفدوا اليه ركباناً من بعيد كما يأتونه من قريب .

[وأمارواية الخطبة فعن الشيخ ابى جعفر محمدبن علي بن الحسن الحلبي[1]، عن الشيخ ابى جعفر الطوسي، عن الشيخ المفيد ابى عبدالله الحارثي، أخبرنا ابوالحسن علي بن محمد الكاتب[2]، أخبرنا الحسن بن علي الزعفراني[3]، أخبرنا ابواسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي[4]، اخبرنا ابوالوليد العباس بن بكار الضبي[5]،

---

١) هو الشيخ أبوجعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي ، فقيه صالح ، أدرك الشيخ أبا جعفر الطوسي رحمه الله ، وقرأ عليه السيد الامام ضياء الدين أبوالرضا والشيخ الامام قطب الدين أبوالحسين الراونديان رحمهما الله .

جامع الرواة ١٥٨/٢ ، فهرست منتجب الدين ١٥٥ .

٢) هو الشيخ أبوالحسن علي بن محمد بن خبيش الكاتب ، من مشايخ شيخنا المفيد ، ويروي عن الحسن بن علي الزعفراني كما يظهر من بشارة المصطفى للطبري . الرياض ١٩٣/٤ .

٣) لم أعثر على ترجمته الانه قال الشيخ في الفهرست ١٨ عند ترجمة ابراهيم بن محمد الثقفى ان الحسن بن علي بن عبدالكريم الزعفرانى يروي عن ابراهيم الثقفي صاحب الغارات وغيره .

٤) هو ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣ صاحب كتاب الغارات و كتاب الجمل و كتاب صفين وكتاب الحسين وكتاب النهروان وغيرها . فهرست الشيخ ١٨ .

٥) لم أجد ترجمته الا انه قال الشيخ في الفهرست ٤١ في ترجمة ابى ذرالغفاري: يروي عباس ابن بكار عن أبى الشهب عن أبي رجاء العطاردي، قال خطب أبوذر . . .

أقول : وقد ذكره الذهبي في الميزان ٢ / ٣٨٢ وقال : بصري ، عن خاله ابي بكر الهذلى .

حدثنا ابوبكر الهذلي[1] ، عن الزهري[2] وعيسى بن زيد[3] ، عن صالح بن كيسان[4]،

---

١) ابوبكر الهذلي سلمى بن عبدالله بن سلمى البصري ، أخباري علامة لين الحديث، عن الحسن وعكرمة وجماعة ابن المبارك وغيره . ميزان الاعتدال ٤ / ٤٩٧ .

٢) هومحمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن حارث بن شهاب الزهري القرشي أبوبكر، كان تابعياً ومن أعيان الفقهاء والمحدثين، وكان حافظاً وأدرك عشرة من الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وروى عنهم ، وروى عن الامام السجاد عليه السلام. وعده بعض علماء الرجال من أصحاب الصادق عليه السلام. وروى عن الكثيرين منهم صالح بن كيسان . وتوفي الزهري ليلة الثلثاء ١٧ شهررمضان المبارك سنة ١٢٤ أوسنة ١٢٥ أوسنة ١٢٣ ، وكان سنه في حدود ٧٢ سنة .

انظر : ريحانة الادب ٣٩٨/٢ ، الجرح والتعديل ٧١/٨ ، لسان الميزان ٤٠/٤ .

٣) لم أجده ، ولعله هوعيسى بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، الذي يروي عن سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ومالك بن انس ونظر ائهم . وفي « م » عيسى بن يزيد . وهوعيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثى المدني، يروي عن عدة منهم صالح بن كيسان، وكان اخبارياً علامة نسابة. وقيل: توفي قبل مالك بن انس .

انظر : تنقيح المقال ٣٦٠/٢، ميزان الاعتدال ٣٢٧/٣، الجرح والتعديل ٢٩١/٦ .

٤) هوصالح بن كيسان مولى بنى غفار، وثقه ابن معين، وروى عنه الزهري انظر : الجرح والتعديل ٤١٢/٤ ، لسان الميزان ٢٩٩/٢ .

عن أمير المؤمنين عليه السلام . ولو أردت ذكر ما حذفه الرضي من الخطبة لطال هذا الكتاب] [1] .

(الاصل) :

ومن خطبة له عليه السلام

(بعد انصرافه من صفين)

أحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته. وأستعينه فاقة الى كفايته أنه لا يضل من هداه ، ولا يئل من عاداه ، ولا يفتقر من كفاه . فانه أرجح ما وزن ، وأفضل ما خزن .

وأشهد أن لا اله الا الله شهادة ممتحناً اخلاصها ، معتقداً مصاصها ، نتمسك بها أبداً ما أبقانا ، وندخرها لاهاويل ما يلقانا ، فانها عزيمة الايمان ، وفاتحة الاحسان ، ومرضاة الرحمن ، ومدحرة الشيطان .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والامر الصادع . ازاحة للشبهات ، واحتجاجاً بالبينات ، وتحذيراً بالايات، وتخويفاً بالمثلات [2] .

والناس في فتن ، انجذم فيها حبل الدين ، وتزعزعت سواري اليقين ، واختلف النجر ، وتشتت الامر ، وضاق المخرج ، وعمي المصدر . فالهدى خامل، والعمى شامل، عصي الرحمن، ونصر الشيطان، وخذل الايمان ،فانهارت

---

١) ليس ما بين المعقوفين « واما رواية هذه الخطبة » الى قوله « هذا الكتاب » في د .

٢) في نا ، م ، ب ، الف : للمثلات .

دعائمه ، وتنكرت معالمه ، ودرست سبله ، وعفت شركه . أطاعوا الشيطان ، وسلكوا مسالكه ، ووردوا مناهله ، بهم سارت أعلامه ، وقام لواؤه . في فتن داستهم بأخفافها ، ووطئتهم بأظلافها ، وقامت على سنابكها ، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران ، نومهم سهود ، وكحلهم دموع ، بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم .

[و] **منها** ويعني آل النبي عليهم السلام : هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه ، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه .

[و] **منها** [قوماً آخرين يعني] في المنافقين : زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور ، لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة أحد ، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين وعماد اليقين ، اليهم يفيىء الغالي وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة . آلان [1] اذ رجع الحق الى أهله ونقل الى منتقله [2] .

(بيانه) :

لايئل : أي لا ينجو .

فانه أرجح : أي فان الحمد أثقل في الميزان من كل طاعة ، والضمير في قوله « فانه » الحمد الذي يدل عليه « أحمده » فان الفعل يدل على مصدره .

---

١) في نا : « وكان قد رجع » ثم صحح في الهامش : الان اذ رجع .

٢) لم يذكر تمام الخطبة في د ، كما هو دأبه .

ممتحناً : أي مختبراً .

واعتقد لدى تقلبه والمعتقد ما يجعل اعتقاداً .

ومصاصها : أي خالصها ، والضمير للشهادة ، ومصاص كل شيء خالصه يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع .

فانها عزيمة الايمان: أي فان الشهادة يجب قولها بعد الايمان، وهي واجبة من واجبات الايمان .

ومدحرة الشيطان : أي مبعدة له ، من الدحور وهو الطرد والابعاد .

والعلم المأثور : أي المعجز الذي يذكر وينقل عنه .

والامر الصادع: أي البين، يقال صدعت الشيء أي أظهرته وبينته، وصدعت بالحق اذا تكلمت به جهاراً، ومنه قوله تعالى «فاصدع بما تؤمر»[1] . قال الفراء أي أظهر دينك .

وزاح الشيء : بعد وذهب ، وأزاحه غيره .

والمثلات : العقوبات ، الواحدة مثلة .

وانجذم : انقطع .

وتزعزعت : أي تحركت ، ويروى تزحزحت بالحاء أي تنحت .

والسارية : الاسطوانة ، وسواري اليقين استعارة .

والنجر : الاصل[2] الذي خلقوا عليه وغرز فيهم من الضبط والتحري للخير.

---

١) سورة الحجر : ٩٤ .

٢) قال في هامش ب :اي يصل الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهي خلقه اياهم قادرين ممكنين من الايمان والطاعة غير مؤمنين ولا كافرين بل مخيرين مأمورين بالايمان مزجورين من الكفر ، فاختلفت هذه الفطرة فصاروا بسوء اختيارهم كافرين يهوداً ونصارى ومجوساً ، فهذا اختلاف معنى النجر . وهذا هو المعنى

وانهارت : انهدمت .

والدعامة : عماد البيت ، وهذا مجاز أيضاً .

و« الشرك » جمع شراك وهو الطريق . وروي شركه ، والشركة معظم الطريق ووسطه ، والجمع شرك وعصاى [2] درست .

والمنهل : المورود ، وهو عين ماء يرده الابل في المراعي ، وتسمى المنازل التي في المفاوز على طريق السفار مناهل ، لان فيها ماء .

والعلم : الراية، والجمع أعلام، واللواء المطرد، والجمع ألوية ، ومطارد وهي دون الاعلام والبنود [3]

والاخفاف : للبعير ، والاظلاف : للبقر والشاة ، وواحدهما خف وظلف .

والسنبك : طرف مقدم الحافر ، والجمع سنابك . ويقال «داستهم الخيل» أي دفعتهم . واستعار للفتن هذه الاشياء التي تكون بمنزلة الرجل من الانسان وتحت أقدامهم، أو يكون المراد هم في فتن داسهم أهلها على أنواعهم ممن

الذي ورد في الحديث «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » . انتهى .

وقال ابن ميثم في شرحه ١/٢٤١ :وأشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس عليها ووردت الشريعة بلزومها، فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله ، فاختلف بعده بسلوك كل فرقة مذهباً غير الاخرى. على أن النجر هو الحسب أيضاً، والحسب هو الدين ، فيحتمل أن يريد واختلف الدين .

٢) كذا في د .

٣) البند : العلم الكبير ، والجمع بنود .

هو فارس أو باقر أو راكب .

والتائه والحائر : المتحير .

في خيردار: الكوفة، وقيل الشام، لانها الارض المقدسة وأهلها شر جيران، لانهم عساكر معاوية ، أي شر جيران دار . وعلى الاول شر جيران أهل الكوفة نومهم سهود اذا كان صفة اهل الشام، أي لا ينامون طول الليل يرتبون أمر معاوية، وان كان وصفاً لاصحاب أمير المؤمنين عليه السلام - وهو الاقرب - فالمعنى أنهم خائفون يسهرون ويبكون لقلة موافقتهم، ويكون ذلك شكاية لهم. وكحلهم دموع نفاقاً فلانه اذا تم نفاق المرء ملك عينيه .

بأرض عالمها ملجم، وهو علي عليه السلام، والتقي على كل حال ملجم عن الخناء والفحش [كما قال النبي ص] واذا كان بين فجرة يكون أيضاً ملجماً عن قول الحق .

وجاهلها مكرم : يعني معاوية وأمثاله .

وأهل بيت محمد لجأ أمرهم : أي هم الملجأ لما جاء به يقوى شرعه بهم ويلتجىء أهله اليهم .

بهم أقام رسول الله « ص » انحناء ظهر الدين ، يعني أن آل محمد يقيمون اعوجاجاً يبتدع فئة المبتدعون .

والفريصة: اللحمة التى بين الجنب والكتف التى لاتزال ترعد من الدابة، والجمع فرائص .

قوله « وأذهب ارتعاد فرائصه » استعارة، أي وأذهب الله بسبب آل محمد عن دينه كل خلل به واضطراب. ولما ذكر المنافقين بأنهم زرعوا الفجور بالغ في تشبيه ذلك الزرع فى الفجور بذكر سقيه وحصاده .

والثبور : الهلاك والخسران ، والاساس يمد ويقصر [1] .

---

١) قال في لسان العرب : الأس والاساس : اصل البناء . والاسس

ثم أشار الى رجوع عهد امامته ظاهراً [فقال : الان اذ رجع ، وتقديره: كنت منتظراً مذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الوقت .

قوله « اذ رجع » بدل من « الان » ، فيكون العامل في الظرف الذي هو الان فعلا مضمراً على ماقدرنا ، والاحسن أن يكون تقدير الكلام : هذا الوقت وقت رجوع الحق الى أهله ، فيكون مبتدءاً وخبراً] [1] .

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة بعد أن رجع من موضع كانت به وقعة تسمى صفين [2] بينه وبين معاوية، فقال :أحمده استتماماً لنعمته، أي

مقصور منه . انتهى .

أقول : لعل المراد من قوله « والاساس يمد ويقصر » أي يقال : الاساس والاسس .

١) هذه الزيادة ليست في م .

٢) في معجم البلدان ٤٠٢/٣ : صفين بكسرتين وتشديد الفاء وحالها في الاعراب حال صريفين وقد ذكرت في هذا الباب انها تعرب اعراب المجموع واعراب مالا ينصرف. الى أن قال :وهوموضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقعة صفين بين علي رضي الله عنه ومعاوية في سنة ٣٧ في غرة صفر، واختلف في عدة أصحاب كل واحد من الفريقين ، فقيل كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وكان علي [عليه السلام] في تسعين ألفاً، وقيل كان علي في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً. وهذا أصح. وقتل في الحرب هيهنا سبعون الفاً، منهم من أصحاب علي خمسة وعشرون صحابياً بدرياً ، وكان مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وكانت الوقائع تسعين وقعة .

أقول :وقال في صريفين : والعرب في هذا وأمثاله من نحو نصيبين وفلسطين

أشكره طلباً لتمام نعمته ، وهو أن يوصل النعم الدنياوية المتفضل بها بنعم الآخرة الباقية المستحقة .

وأشكره انقياداً لعظمته وغلبته على حسن توفيقه لي في أداء طاعاته. وأشكره أيضاً على عصمته اياي من المعاصي فيما مضى طالباً أن يعصمني منها فيما يستقبل.

ثم قال : وأستعينه أي أطلب العون منه في جميع أموري لفاقتي وحاجتي الى كفايته تعالى .

ثم ذكر ثلاثة أشياء بأنها ثمرة الاستعانة من الله تعالى، وهي الهداية والنجاة والكفاية .

ثم قال « فانه أرجح » يجوز أن يعود الضمير الى المذكور من الحمد والاستعاذة كليهما .

ثم ذكر فوائد الشهادتين وقال بعد ذلك : ان الله بعث محمداً بالاسلام المعروف في الزمن الاول ، وبعث بهذا القرآن لحل الشبه وايعاد المجرمين بأنواع العذاب في وقت كان الناس مفتونين فتنة لايقين لهم والدين قد تغيرت معالمه ، وأهل الفتنة استولوا على جميع الارض وأهلكوهم على اختلاف أصنافهم، فالخلائق حيارى جهال في هذه الدنيا التى هي سوق الاخرة ، وهي خيردار لمن عمل فيها . فعلى هذا يكون خيردار على العموم .

ثم نبه على فضائل أهل البيت عليهم السلام، وذكر أنهم موضع سر الله وأن

وسيلحين وبيرين، مذهبان : منهم من يقول انه اسم واحد ويلزمه الاعراب كما يلزم الاسماء المفردة التى لاتنصرف فتقول « هذه صريفين، ومررت بصريفين ورأيت صريفين » والنسبة اليه والى أمثاله على هذا القول صريفي . . . وقيل فيها غير ذلك لسنا بصدده .

ثم أقول : وبحث فيها ابن ابي الحديد في شرحه ١٣١/١ مفصلا ، وان شئت الاطلاع عليه فعليك بالكتاب .

أعداءهم مابين الفجور والغرور والثبور، لايكون احداً[1] من الخلق معهم سواء لانهم الاساس والاصول ، يفيء ويرجع اليهم كل من غلا[2] وتجاوز عن الحد، ومن تابعهم وشايعهم يلحق بهم .

وأما الرواية للخطبة :وعن أبي علي الحسن بن احمد بن الحسن الحداد[3]، عن الشيخ الحافظ أبي نعيم احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحق[4] ، أخبرنا

---

١) كذا في ص ، وفي ب « احد » بالرفع .

٢) في ص : علا .

٣) هوالحسن بن احمد بن الحسن بن محمد بن حداد ابوعلي الباقلاني، وهو كرجى الاصل ، ذكره في « تاريخ بغداد » وقال : كتب معنا وسمع من شيوخنا ـ ثم كتب شيوخه وقال : كتبت عنه وكان صدوقاً ديناً خيراً من أهل القرآن والسنة ، ومات في يوم الاربعاء الرابع عشر من المحرم سنة أربعين وأربعمائة ودفن بمقبرة باب حرب. وكان مولده في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ثم ذكر في الهامش عن صاحب معجم البلدان انه قال : « ابوعلى الحداد » وراجعت « معجم البلدان » فلم أجده فيه .

انظر : تاريخ بغداد ٢٨١/٧ .

٤) هوالحافظ الكبيرمحدث العصراحمد بن عبدالله بن اسحاق بن موسى ابن مهران المهراني الاصبهاني الصوفي الاحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء. قال الخطيب : : لم أر أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير ابي نعيم وابي حازم العبدوي ، وله تآليف جيدة منها كتاب « حلية الاولياء » .

وقيل : لما صنف كتاب « الحلية » حمل الكتاب في حياته الى نيسابور فاشتروه بأربعمائة دينار .

أقول :وهومن أجداد فخر الشيعة العلامة المجلسي، والمشهور أنه كان عامي

أبوبكر عبدالله بن محمد ، [أخبرنا][1] ابن ابي عاصم[2] ، حدثنا أبوهاشم الرماني محمد بن فضيل السري بن اسماعيل ، عن سفيان بن اميل [3] ، عن الحسن بن علي ، عن أبيه عليهما السلام .

المذهب ، وقال عدة من الفحول انه شيعي ، كما عن الشيخ البهائي العاملي الحارثي والسيدالمير محمد حسين الخاتون آبادي، بل عن حفيده العلامة المجلسي انه كان من خلصي الشيعة ، ونقل اسناد كونه شيعياً عن آبائه معنعناً واحداً بعد واحد ، وكان من شدة التقية يخفي عقيدته .

ولد ابونعيم باصفهان في أوائل الغيبة الكبرى سنة ٣٣٤ أوسنة ٣٣٦، وتوفي باصفهان أيضاً سنة ٤٠٢ أو٤٠٣ أو٤٣٠ أو٤٣٥ أو ٤٤٥ .

أنظر : تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣ ، ريحانة الادب ٢٨٤/٧، لسان الميزان ١١١/١ .

١) في م « أخبرنا » ساقط .

٢) لعله الحافظ الكبير الامام ابوبكر احمد بن عمرو بن النبيل ابن ابى عاصم الشيباني الزاهد قاضي اصبهان .

أنظر : تذكرة الحفاظ ٦٤٠/٢ .

٣) لم أجد هؤلاء الرجال بعد الفحص الكثير ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

وفي « م » خلط الراوي بالمروي عنه ، وأسقط « أخبرنا » و « حدثنا » و « عن » .

(الاصـل) :

ومن خطبته المعروفة بالشقشقية

أما والله لقد تقمصها فلان[1] وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى الي الطير . فسدلت دونها ثوبـاً ، وطويت عنهـا كشحاً ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى[2] ربه . فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق ، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الاول لسبيله فأدلى بها الى فلان[3] بعده . ثم تمثل بقول الاعشى [في النظم] [4] :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيـان أخي جـابر

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء ، يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها[5] والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، ان أشنق لها خرم ، وان أسلس لها تقحم . فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض .

فصبرت على طـول المدة ، وشدة المحنة ، حتى اذا مضى لسبيله جعلها[6]

---

١) في يد وهامش نا : ابن ابى قحافة ، مكان « فلان » .

٢) في ص : حتى يلقى فيها ربه .

٣) في يد : ابن الخطاب ، مكان « فلان » .

٤) ليس « في النظم » في يد ، ص ، الف ، ب ، م .

٥) ليس « فيها » في نا .

٦) في ب : جعلها شورى في جماعة .

في جماعة زعم أني أحدهم . فيالله وللشورى ، متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر، لكنني أسففت اذأسفوا وطرت اذا طاروا . فصغا رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن .

الى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، الى أن انتكث [1] فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته .

فما راعني الا والناس [2] كعرف الضبع الي ، ينثالون علي من كل جانب [3] ، حتى لقد وطيء الحسنان وشق عطفاي [4] ، مجتمعين حولي [5] كربيضة الغنم .

فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق [6] آخرون ، كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول « تلك الـدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الارض ولافساداً والعاقبة للمتقين » [7] . بلى والله لقدسمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم ، وراقهم زبرجها .

أما والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وماأخذ الله تعالى على العلماء ألايقاروا على كظة ظالم ولاسغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولالفيتم دنياكم

---

١) في ب : انتكث عليه فتله .

٢) في نا ، ص ، ب ، الف : والناس الي كعرف الضبع ينثالون .

٣) في ص ، الف : من كل وجه .

٤) في نا : عطافي . أقول : « العطاف » بمعنى الرداء والازار .

٥) ليس : « حولى » في ص .

٦) في يد : « وسقط » مكان « فسق » .

٧) سورة القصص : ٨٣ .

هذه أزهد عندي من عفطة عنز .

قالوا : وقام اليـه رجل من أهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه ، فلما فرغ من قراءته قال ابن عباس رحمة الله عليه : ياأمير المؤمنين لو اطردت مقالتك[1] من حيث أفضيت؟ فقال : هيهات يابن عباس[2] تلك شقشقة هدرت ثم قرت .

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على[3] هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد .

(بيـانه) :

قوله عليه السلام في هذه الخطبة « كراكب الصعبة ان أشنق لها خرم وان أسلس لها تقحم » يريد أنه اذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وان أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها، يقال أشنق الناقة : اذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنقها أيضاً . ذكر ذلك ابن السكيت في اصلاح المنطق .

وانما قال عليه السلام « أشنق لها » ولم يقل أشنقها ، لانه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » ، فكأنه عليه السلام قال : ان رفع رأسها بالزمام[4] ـ بمعنى

---

١) في يد : « خطبتك » مكان « مقالتك » .

٢) في ب : « يا عبدالله » مكان « يابن عباس » .

٣) في ب ، الف ، م ، نا : على ذلك ، مكان « على هذا » .

٤) في يد :« بالزمام » بعد « عليها » . وفي ص :ان رفع لها رأسها بالزمام يعني أمسكه عليها .

أمسكه عليها ـ وفي الحديث[1] : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس وهو على ناقة قد شنق لها[2] وهي تقصع بجرتها . ومن الشاهد على أن « أشنق » بمعنى شنق قول عدي بن زيد العبادي (شعر) :

ساءهـا مـا بنا[3] تبين في الايـ ـدي واشناقها الى الاعنـاق[4]

(الشرح) :

قوله « لقد تقمصها ابن ابي قحافة »[5] فانه أراد أنه لبس الخلافة واشتملت

---

١) في الف، ب ليس :وفي الحديث ـالى آخرقول الرضي ـالى الاعناق.

٢) في يد : فهى .

٣) في يد : مالها .

٤) في شرح ابن ابى الحديد ١٧٢/١ : قلت : « تبين » في هذا البيت فعل ماض تبين يتبين تبيناً ، واللام في « لها » تتعلق بـ « تبين » ، يقول : ظهر لها مافي أيدينا فساءها .

وهذا البيت من قصيدة أولها :

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المسبح الخـلاق

وقدكان زارته بنية له صغيرة اسمها هند وهو في الحبس ـ حبس نعمان ـ ويداه مغلولتان الى عنقه، فأنكرت ذلك وقالت : ما هذا الذي في يدك وعنقك يا أبت ؟ وبكت فقال هذا الشعر . وقبل هذا البيت :

ولقد غمني زيارة ذي قر بى صغير لقربنا مشتاق

ساءها مالها . . . .

أي ساءها ما ظهرلنا من ذلك .

٥) والمراد : ابوبكربن ابى قحافة ، وهو : عبدالله بن عثمان بن عامربن

عليه كما يشتمل القميص على لابسه .

والمراد بقوله « وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى » أن أمر الخلافة علي يدور وبى يقوم ، وأنه لا عوض عني فيها ولا بديل مني لها ، أي دخل في هذا الامر وقعد في مجلسي مع علمه بأنه ليس من أهله ، وأنه يقوم بى كما أن قطب الرحى ـ وهو الحديدة الموضوعة في وسطها ـ عليها مدار الرحى ولولا هي لما انتظمت حركتها ولا ظهرت منفعتها .

ثم استأنف كلاماً آخر فقال : « ينحدر عني السيل » ، وليس هذا متصلا بالكلام الاول من ذكر قطب الرحى ، والمراد به أنني عالي المنزلة بعيد المرتقى ، لان السيل [لا ينحدر الا عن الاماكن العالية والمواضع المرتفعة ، أي أنا فوق السيل] [1] بحيث لا يرتفع الي ، فالسيل نازل عن درجتي .

ثم أكد هذا المعنى بقوله «ولا يرقى الي الطير» ، لانه ليس كل مكان علا عن استقرار السيل عليه واقتضى تحدره عنه يكون مما لا يرقى اليه الطائر ، فان هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع .

ثم قال : لكني « سدلت دونها ثوباً » فمعنى سدلت ألقيت بيني وبينها حجاباً ، أي تنزهت عن طلبها وعزفت نفسي عنها وحجبت يدي عن مرامها وطويت عنها كشحاً ، نظير القرينة الاولى ، ومعناه أنني أعرضت عنها وعدات عن

عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي ، صار بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خليفة للمسلمين وخلف بعده عمر بن الخطاب وكان تولده بعد عام الفيل بسنتين وأربعة أشهر الا اياماً بمكة ، ومات بعد النبي صلى الله عليه وآله بسنتين وأشهر بالمدينة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

أنظر : اسد الغابة ٣/٢٠٥ .

١) ما بين المعقوفين ليس في ص .

جهتها ، ومن عدل عن جهة الى غيرها فقد طوى كشحه ، أي خاصرته عنها .

و « طفقت أرتأي » أي ظللت أجيـل رأيى بين أن أحمل على القوم مع قلة الناصر ـ واليد الجذاء: المقطوعة كناية عنها ـ أو اصبر على ظلمهم المظلم، فكان الرأي أن أصبر . وطفق : أي ظل . وأرتأى : افتعل من الرأي والتدبير . رحم جذاء وحذاء :اذالم توصل، والجذ[1] بالجيم والحاء القطع [ومعنا يدحذاء بالحاء غير المعجمة أي بيد قصيرة، أي لا أعوان لها، ومنه يقال للقطاة : الحذاء لقصر ذنبها . وقصيدة حذاء خفيفة الوزن][2] .

والصولة :الحملة . والطخية : الظلمة ، ووصفها بالعمياء مجازاً ، اذ لايكاد يبصر فيها الدين .

وروي « ويشيب فيها الصغير » لقوله تعالى « يوماً يجعل الولدان شيباً »[3] لشدة ذلك .

« وهاتا » بمعنى هذه . وأحجى : أولى .

والشجى: مااعترض في الحلق، أي صبرت مع الغصة في حلقي . والمؤمن في تعب حتى يلقى الله ، ونكر لفظة « مؤمن » شياعاً .

والتراث: الميراث، أي أرى حقي من الامامة وخلافة الرسول الذي ورثته بنصه علي واشارته الي نهباً غارة مقسمة متداولة موزعة .

حتى هلك فأدلى بتلك الخلافة الى ابن الخطاب بعد موته، من قولهم «أدلى

---

١) الجذاء بالجيم والذال المعجمة والدال المهملة : مقطوعة أومكسورة، وكذا بالحاء المهملة والذال المعجمة .

٢) ما بين المعقوفين ليس في ص ، د .

٣) سورة المزمل : ١٧ .

ماله الى الحاكم » اذا دفعه [1] اليه رشوة ، أراد ألقاها اليه وأرسلها الى جهته كادلاء الدلو في البئر ، أي القاؤها فيها .

وأما انشاده « ع » بيت أعشى قيس فالغرض في تمثله به تباعد ما بينه وبين القوم ، لانهم ظفروا بما قصدوه واشتملوا على ما اعتمدوه ورجعوا بطلابهم [2] . وهو عليه السلام في أثناء ذلك كله محقق من حقه مكد [3] من نصيبه ، فالبعد كما تراه منهم بعيد والاختلاف شديد .

والاستشهاد [بالبيت] واقع موقعه ووارد في موضعه ، فحيان هذا رجل من بني حنيفة كان ينادم الاعشى وهو من سادات بني حنيفة ، فأراد ما بعد [4] ما بين يومي على كور [5] المطية ورحلها أدأب وانصب في الهواجر ، وبين يومي وادعاً منادماً لحيان في نعمة وخفض [6] أمن وخصب ، وكذا كان حال علي مع رسول

---

١) قال ابن ابى الحديد ١٦٢/١ : وقوله « فأدلى بها » من قولـه تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام » أي تدفعوها اليهم رشوة . وأصله من : أدليت الدلو في البئر أرسلتها .

فان قلت : فان أبابكر انما دفعها الى عمر حين مات ولامعنى للرشوة عند الموت ؟ قلت : لما كان عليه السلام يرى أن العدول بها عنه الى غيره اخراج لها الى غير جهة الاستحقاق شبه ذلك بادلاء الانسان بماله الى الحاكم ، فانـه اخراج للمال الى غير وجهه ، فكأن ذلك من باب الاستعارة .

٢) الطلاب مثل كتاب : ماتطلبه من غيرك ، وهومصدر في الاصل .

٣) الكد : الشدة والالحاح في الطلب ، والمكد : الملح .

٤) كذا في ص ، وفي د : فأراد مابين البعد مابين يومي .

٥) الكور بضم الكاف : الرحل أورحل الناقة ، المطية : الدابة .

٦) يقال : هو في خفض من العيش أي في سعة وراحة .

الله صلى الله عليه وآله وبعده تغيرت .

وروي أن حيان عتب على الاعشى كيف نسبه الى أخيه مع استغناء حيان بشرفه عن ذكر أخيه ، فاعتذر الاعشى أن القافية ساقته الى ذلك ، فلم يعذره[1] .

ثم تعجب أمير المؤمنين عليه السلام من دقيق محاسبتهم[2] وشديد مناقشتهم، لان من يستقيل من أمر على ظاهر الحال يجب أن يكون زاهداً فيه متبرماً به ، وهذا ايماء الى ماكان من الاول من قوله « أقيلوني اذ لست بخيركم »[3] ، ومن عقد لغيره ووصى به[4] الى سواه فهو على غاية التمسك به .

ثم أقسم لشد ما تشطرا ضرعي ناقة الخلافة ، وهذا استعارة ، أي اقتسما منفعتها وتناصفا . من الشطر الذي هو النصف .

فلما وصى اليه بالخلافة صير مطيتها في حوزة ـ أى في ناحية ـ خشناء ،

---

١) حيان وجابر ابنا السمين الحنفيان ، وكان حيان صاحب شراب ومعاقرة خمر وكان نديم الاعشى ، وكان اخوه جابر أصغر سناً منه ، فيقال : ان حيان قال للاعشى نسبتني الى أخي وهو أصغر سناً مني . فقال : ان الروي اضطرني الى ذلك . فقال : والله لانازعتك كأساً أبداً ماعشت .

يقول شتان يومي وانا في الهاجرة والرمضاء أسير على كور هذه الناقة ويوم حيان وهو في سكرة الشراب ناعم البال مرفه من الاكدار والمشاق .

والاعشى هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ، يقال له : أعشى قيس . راجع شرح ابن ابى الحديد ١٦٦/١ .

٢) في ص : مجانستهم .

٣) اخرج في كنز العمال في هـذا المعنى أحاديث بألفاظ مختلفة ، راجع الكتاب المجلد الخامس ص ٥٩٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦ .

٤) كذا في ص ، وفي د : وأوصى به .

يجفو مسها ويعظم كلمها . وهو تعريض بجفاء خلق الرجل الثاني ونفار طبعه[1] .

ثم شبه ذلك براكب الصعبة التي ماذللت ولاريضت [2] ، فهي بين خطبين[3] :

ان أرخى لها الزمام توجهت به حيث شاءت حتى توقعه في المهالك، وان ضيق عليها الشناق خرق أنفها . لان الزمام يتصل بالانف، فاذا والى بين جذبه لشدة امساكه خرقه .

فبلي الناس بخبط ، وهو السير على غير جادة ، وحلف على ذلك ببقاء الله.

والشماس : النفار ، والتلون : التقلب والتبدل .

والاعتراض :نوع من التغير ، وترك لزوم القصد وجادة الطريق . وقيل : أي كانوا يعترضون علي في أفعالي[4] .

ثم ذكر شدة محنته وصبره بطول مدة عمر الثاني الى أن هلك فجعل الخلافة في ستة ، وهم أصحاب الشورى : طلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف[5]،

---

١) في ص : ونفا بطبعه .

٢) راض المهر رياضاً ورياضة : ذلله ، وناقة ريض كسيد : أول ماريضت وهي صعبة بعد .

٣) الخطب : الامر الشديد .

٤) في د : في أفعالهم .

٥) هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ابن كلاب بن مرة القرشي الزهري ، يكنى ابامحمد ، كان اسمه في الجاهلية عبدعمرو وقيل عبدالكعبة فسماه رسول الله عبدالرحمن . ولد بعد الفيل بعشر سنين ، وتوفي سنة احدى وثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة .

راجع : اسدالغابة ٣١٣/٣ ، طبقات ابن سعد ١٢٤/٣ .

وسعد بن ابى وقاص[1] ، وعثمان[2] ، وعلي . فصرح عليه السلام بذم الشورى والانفة من الاقتران بمن لايساويه .

ثم ذكر مقاربته ومساهلته واستصلاحه فقال : « لكنني أسففت » أي أجري معهم على مايجرون ، من أسف الطائر : اذا دنا من الأرض في طيرانه .

فصغا سعد بن ابى وقاص لحقده ومال ، فانه كان منحرفاً على[3] ماكان قتل أباه ببدر[4] ، وسعد أحد من قعد عن بيعة علي عليه السلام وقت رجوع الامر اليه .

---

١) هو سعد بن ابى وقاص ـ مالك ـ بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ، ويكنى ابا اسحاق . وهو الذي اعتزل عن أميرالمؤمنين ولم يحضر معه في حروبه، وأسلم قبل فرض الصلاة وله سبع عشرسنة، وتوفى سنة خمس وخمسين أوسنة أربع وخمسين .

راجع : اسدالغابة ٢/٢٩٠ ، طبقات ابن سعد ٣/١٣٧ .

٢) هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي الاموي ، وكان يكنى في الجاهلية ابا عمرو فكناه المسلمون بأبى عبدالله. بويع له بالخلافة أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين بعدالعصر، وكانت خلافته اثنتا عشرة سنة ، وكان سنه يوم قتل اثنتين وثمانين سنة أو ابن خمس وسبعين سنة .

راجع طبقات ابن سعد ٣/٥٣ ، اسد الغابة ٣/٣٧٦ .

٣) كذا في ص ، وفي د : فانه كان منحرفاً عن علي عليه السلام ، فانه عليه السلام كان قتل أباه .

٤) قال ابن أبى الحديد في شرحه ١/١٨٩ : وهذا خطأ ، فان أباه أباوقاص

ومـال عبدالرحمن بن عوف لصهره ، كانت بينـه وبين عثمان مصاهرة معروفة ، فعقد الامرله ومال اليـه للمصاهرة ، وهو أن عبدالرحمن كان زوج أم كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وأمها أروى بنت كريز وأروى أم عثمان ، فلهذا قال صهره .

وقال عمر للناس : كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف . فقال العباس لعلي عليه السلام : ذهب الامرمنـا والرجل يريد أن يكون الامر لعثمان. فقال علي عليه السلام :اناأعلم ذلك ولكننى أدخل معهم فى الشورى لان عمر قد استأهلني الان للامامة وكان من قبل يقول: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ان النبوة والامامة لايجتمعان في بيت ، واني لادخل في ذلك ليظهر أنه كذب نفسه بماروى أولا .

وقوله «مع هن وهن» أي أمور عظيمة شديدة . ووهن[3] كلمة كناية ، ومعناه شيء ، وأصله هنو .

ونفج ثدي المرأة قميصها: أي رفعه . والحضن: مادون الابط الى الكشح وهو الصدر والعضدان ومابينهما .

والنثيل : الروث ، من نثيلـه ومعتلفه أي بين الموضع الذي يروث فيـه والموضع الذي يأكل منه .

وقـام جميع بنى أمية مع الرجل الثالث يأكلون مـال الله خضماً بجميع أفواههم، ومنه قول أبى ذر رحمة الله عليه «يخضمون ونقضم والموعد الله »[1] .

واسمه مالك بن اهيب بن عبـد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب مات في الجاهلية حتف أنفه .

١) في ص : وهي كلمة .

٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ١/١٩٧ .

والقصم :الاكل بأطراف الاسنان ، والخضم : بالفم كله ، وذلك بالاشياء اللينة الرطبة . أي اكلوا الدنيا أكل الابل نبات الربيع ، وفي نباته مايهلك .

الا نتكاث‌و: الانتقاض اذا تزايلت قوى الحبل .

وأجهزعليه عمله: أي قتله فعله ، والاجهاز لايستعمل الافي اتمام قتل الجريح على اسراع .

والبطنة : كثرة الاكل والشرب في الشبع[1] ، وذلك غير محمود في ذوي الفضـل .

والضبع ذات عرف كثير[2] .

وينثالون : أي يتتابعون ويتزاحمون وينصبون على كثيرين ، مثـل كثرة الضبع، حتى زحم علينا بحيث وطىء الحسن والحسين، والحسنان كناية عنهما، وغلب في التثنية اسم الكبير على الصغير ، وقيل هما ابهاما الرجلين [3] .

---

١) في ص : وأشبع .

٢) في د : كبير . والصحيح ماأثبتناه . وعرف الدابة : الشعر النابت في محدب رقبتها .

قال ابن ميثم في شرحه ٢٦٤/١ : ان الضبع ذات عرف كثير قائم الشعر ، والعرب تسمي الضبع عرفـاً لعظم عرفها ، فكان حـال الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضاً قياماً يشبه عرف الضبع .

٣) في شرح ابن ميثم ٢٦٥/١ : وحكى السيد المرتضى رضوان الله عليه: أن أباعمر محمد بن عبدالواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام « وطىء الحسنان » انهما الابهامان . وأنشد للشنفرى :

مهضومة الكشحين حزماء الحسن

وروي أن أميرالمؤمنين عليه السلام انما كان يومئذ جالساً محتبياً ، وهي

والعطف : المنكب ، وروي « عطافي » ، وهـو الرداء . وشبههم بالغنم الرابضة لقلة فطنتها وبعد تأملها ، والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الذكاء[1] .

ثم قال: فلما قمت بالامر نكث طلحة والزبير ومن معهما، ومرق الخوارج، وفسق معاوية ، وقسط وأصحابه . وروي وقسطت .

وحليت : تزينت [في] أعينهم ، من الحلي .

وراقهم : أعجبهم . والزبرج كالزخرف : وهـو ماله ظاهر جميل وباطنه بخلافـه .

ثم قال: ان الفرض يعين علي وتوجه الي مع وجود من أنتصر به في الظاهر على دفع المنكر ومنع الباطل وأبين لكل من لاعلم لـه بسبب قعودي في اول الامر مع نهوضي في حرب الجمل ومابعدها ، ان ذلك لفقد الانصار أولا وهذا لحضورهم ثانياً .

والكظة : الامتلاء من الطعام .

ومعنى « ألقيت حبلها على غاربها » أي تركتها وتخليت منهـا ، والغارب أعلى السنام ، واذا ألقي زمام البعير على غاربه فقد خلي بينه وبين اختياره .

جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة بالقرفصاء ، وهي جمع الركبتين وجمع الذيل ، فلمـا اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطؤا ابهاميـه وشقوا ذيله بالوطىء ، ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام، وهمـا رجلان كسائر الحاضرين .

وهذا القول يؤيد الرواية الاولى ، ولكن ارادته للحسن وللحسين أظهر .

١) قال ابن أبي الحديد في الشرح ٢٠١/١ :وهذا التفسير بعيد وغير مناسب للحال ، بل معناه : أي كالقطعة الرابضة من الغنم ، يصف شدة ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه .

ولسقيت آخرها بكأس أولها : أي لولا اجتماع هـؤلاء علي الان لكنت استعملت في آخر الامرما استعملته في أوله .

والعفطة [١] : عطسة عنز أوضرطته .

والشقشقة [٢] : التى تخرج البعير عند قطمه [٣] وغضبه ، أراد عليه السلام أنها سورة التهبت ثم خمدت ونشأت ثم وقفت، والكلام يتبع بعضه بعضاً ، فاذاقطع انحل نظامه .

ولما تقاضى عبدالله بن عباس بقية الكلام وقد انقطع بما اعترضه وزال عن سننه [٤]، اعتذر عليه السلام في العدول عن تمامه بانطفاء ناره وتلاشي دواعيه.

[وأما الرواية للخطبة : فعن الشيخ أبي نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم ابن اليونارتي [٥] ، عن الحاجب ابى الوفا محمد بن بديع وأبي الحسين احمد

---

١) العفطة : ماتنثره العنزمن أنفها ، ويقـال في العنز النافطة وفي النعجة : العافطة .

٢) في القاموس الشقشقة بالكسر:شيء كالرئة يخرجه البعيرمن فيه اذا هاج. والخطبة الشقشقية العلوية لقوله لابن عباس « هيهات تلك شقشقة هدرت » .

٣) قطم كفرح : اشتهى الضراب والنكاح فهو قطم .

٤) كذا في ص ، وفي د : سننه . يقال : على سنن واحد أي طريق واحد، وزان رطب ، وسنن الطريق : نهجه وجهته .

٥) هو ابونصر الحسن بن محمد بن ابراهيم بن احمد بن علي بن حيويه المقرىء اليونارتي الاصبهاني - يونارت : قرية على باب اصفهان - كان حافظاً مكثراً كثير الحديث ، فكان احد أئمة هذا الشأن ، سافر العراق وخراسان وسمع من العلماء الكبار كأبى بكر ابـن ماجة الابهري وابى منصور شكرويه

ابن عبدالرحمن الذكواني[1] ، عن الحافظ ابى بكر ابن مردويه الاصبهاني[2] ، عن سليمان بن احمد الطبراني[3]، أخبرنا احمد بن علي الابار[4] ، أخبرنا اسحق

والحسن بن احمدالسمرقندي بنيسابور . عن ابن النجار أنه قال : قدم اليونارتى بغداد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وحدث بها بجامع الترمذي وأملى بها .

وكان مولد اليونارتي في آخرسنة ست وستين وأربعمائة، ومات في شوال سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وما قاله ياقوت في « المعجم » ١٠٤٤/٥ انه توفي باصبهان في حدود سنة ٤٣٠ سهو واشتباه .

راجع : تذكرة الحفاظ ١٢٨٦/٤ ، معجم البلدان ١٠٤٤/٥ .

١) هو ابو الحسين احمد بن عبدالرحمن بن ابى بكر بن ابى على الذكواني الاصفهاني ، ذكره في « تذكرة الحفاظ » ١١٩٦/٣ وقال : انه توفي سنة ٤٨٤ عن تسعين سنة .

٢) ابو بكر ابن مردويه الكبير الحافظ الثبت ، كان مؤرخاً ومفسراً ، ذكره الذهبى في ترجمة سليمان بن احمد اللخمي الطبراني . أقول : وهو احمد بن موسى بن مردويه الاصبهاني صاحب التفسير والتاريخ وغيرذلك. ولد سنة ٣٢٣ وتوفى سنة ٤١٠ .

أنظر : تذكرة الحفاظ ١٠٥٠/٣ ، ميزان الاعتدال ١٩٥/٣ .

٣) هو سليمان بن احمد بن ايوب اللخمى الطبراني، الحافظ الثبت المعمر، ابو القاسم .

أنظر : ميزان الاعتدال ١٩٥/٢ ، الاعلام للزركلى ١٨١/٣ .

٤) هو الحافظ الامام ابو العباس احمد بن علي بن مسلم النخشبى المعروف بالابار، محدث بغداد ، وثقه الدارقطني ، توفي يوم الاربعاء النصف من شعبان

ابن‌سعيد أبوسلمة الدمشقي[١]، أخبرنا خليدبن دعاج[٢]، عن عطا بن ابى رباح[٣]، عن‌ابن عباس : كنامع علي عليه السلام بالرحبة ، فجرى ذكرالخلافة ومن تقدم عليه فيها ، فقال : أما والله لقد تقمصها فلان . الى آخره][٤] .

سنة تسعين ومائتين .

أنظر: تاريخ بغداد ٣٠٦/٤ ، تذكرة الحفاظ ٦٣٩/٢ .

١) هواسحق بن سعيد بن اركون الذي ذكره في‌ميزان الاعتدال ١٩٣/١ بقرينة روايته‌عن خليد بن دعلج ، وذكره الرازى ايضاً في الجرح والتعديل ٢٢١/٢ .

٢) هو أبوحلبس خليد بن دعلج ، ويقال أبوعمر ، بصري نزل القدس ، روى عن الحسن وجماعة ، وعنه النفيلي وأبوتوبة وجماعة ، ويروي عن عطاء عن ابن عباس ، مات بنجران سنة ١٦٦ .

ميزان الاعتدال ٦٦٣/٢ ، الجرح والتعديل ٣٨٤/٣ .

٣) هو عطاء بن رباح سيد التابعين علماً وعملا واتقاناً في زمانه بمكة . ميزان الاعتدال ٧٠/٣ .

وذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٩٨/١ ولقبه بمفتي‌أهل‌مكة ومحدثهم وقال بعد ما أثنى عليه‌كثيراً : مات على الاصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة وقيل خمس عشرة بمكة .

٤) قال ابن ميثم في الشرح ٢٥١/١ :أقول :ان هذه الخطبة وما في‌معناها مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في‌امرالامامة هومحل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم ، فان جماعة من الشيعة ادعوا أن هذه الخطبة وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر، وجماعة من

. . . .

السنة بالغوا في انكارذلك حتى قالوا : انه لم يصدرعن علي عليه السلام شكاية فيهذا الامر ولاتظلم أصلا، ومنهم من أنكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي. والتصدر للحكم في هذا الموضع هومحل التهمة للشارحين، وأنامجدد لعهدالله على اني لاأحكم في هذا الكلام الابما أجزم به أويغلب على ظني أنه من كلامه أوهومقصوده عليه السلام .

ثم قال : ان الطرفين في الافراط والتفريط، وادعاء التواتراللفظي الواقع من بعض الشيعة ممنوع ، وكذلك نسبتها الى السيد الرضي .

قال :اما خصوصيات الشكايات بألفاظها المعينة فغيرمتواترة وان كان بعضها أشهر من بعض . . . وعلى هذا التقرير لايبقى لانكاركون هـذه الخطبة صادرة عنه عليه السلام ونسبتها الى الرضي معنى . . .

على أن هذه الخطبة خاصة قداشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي، روى عن مصدق بن شبيب النحوي قال :لما قرأت هذه الخطبة على شيخي ابي محمد ابن الخشاب ووصلت الى قول ابن عباس « مـا أسفت على شيء قـط كأسفي على هذا الكلام » قال :لوكنت حاضراً لقلت لابن عباس : وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ، فانه ماترك لاالاولين ولاالاخرين . قال مصدق : وكانت فيه دعابة ، فقلت لـه : ياسيدي فلعلها منحولة اليه . فقال : لا والله اني أعرف أنها من كلامه كما أعرف أنك مصـدق . قال : فقلت ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي . فقال :لاوالله ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب ، فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لايقرب من هذا الكلام ولاينتظم في سلكه ، على أني قدرأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن يخلق ابوالرضي فضلا عنه .

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

بنا اهتديتم في الظلماء وتسنتم العليا ، وبناانفجرتم[1] عن السرار، وقرسمع لم يفقه الواعية . كيف يراعى النبأة من أصمته الصيحة ، ربط جنان لم يفارقه الخفقان. مازلت أنتظربكم عواقب الغدر، وأتوسمكم بحلية المغترين. سترني عنكم جلباب الدين ، وبصرنيكم صدق النية . أقمت لكم على سنن الحق

وأقول :وقد وجدتها في موضعين تاريخها قبل مولد الرضي بمدة :أحدهما أنها مضمنة كتاب الانصاف لابى جعفر بن قبة تلميذ ابى القاسم الكعبى أحد شيوخ المعتزلة، وكانت وفاته قبل مولد الرضي. الثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابى الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة . والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة . انتهى .

أقول : ذكر ابن ابى الحديد قول مصدق بن شبيب في شرحه ٢٠٥/١ بتمامه مع اضافات في اللفظ ، وقال بعد نقله : قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابى القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة . الى آخر ما قال .

١) في هامش نسا « افجرتم » انتهى . وقال ابن أبي الحديد في الشرح ٢٠٨/١ : وروي « أفجرتم » وهو أفصح واصح ، لان انفعل لايكون الامطاوع فعل ، نحو كسرته فانكسر . الى أن قال : وأما « افعل » فيجيء لصيرورة الشيء على حال وأمر ، نحو أغد البعير أي صار ذا غدة ، وأجرب الرجل اذا صار ذا ابل جربى . وغير ذلك . فأفجرتم : أي صرتم ذوي فجر .

في جواد المضلة ، حيث تلتقون ولادليل ، وتحتفرون ولاتميهون . اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان . عزب رأي امرىء تخلف عني، ماشككت في الحق مذأريته ، لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه [بل] [1] أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال . اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل ، من وثق بماء لم يظمأ .

(بيـانه) :

قال أبوعلي مسكويه [2] : خطبها أميرالمؤمنين عليه السلام بعد مقتل طلحة والزبير. وقوله «تسنمتم» أي علوتم، أي كنتم خاملي الذكرفشرفتم بنا. واشتقاقه من السنام .

وسرار الشهر :آخر ليلة منه ، ويخفى القمر ليلة السرار ، وربماكان لليلة أم لليلتين .

---

١) ليس « بل » في نا ، ألف ، ب ، يد .

٢) هو أبوعلي أحمـد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، كان مؤرخاً بحاثاً فيلسوفاً كيمياوياً منطقياً أديبـاً منشئاً . واختلف في « مسكويه » أنه لقبه أم لقب جده . كان خازناً على كتب ابن عميد، ثم كتب على عضد الدولة الديلمي فلقب بالخازن ، ثم اختص ببهاء الدولة البويهي وعظم شأنه عنده .

ونقل أن السيد الميرداماد في « الرواشح » والقاضي السيد نورالله الشهيد والمولى الميرزا عبدالله الافندي في « الرياض » صرحوا على أنه كان شيعياً .

توفي ابن مسكويه في ٩ صفر الخير سنة ٤٢٠ أو سنة ٤٢١، باصبهان ودفن بتخت فولاد .

أنظر : الريحانة ٢٠٦/٨ ، الاعلام للزركلي ٢٠٤/١ .

والفجر : في آخر الليل كالشفق في أوله ، ويقال منه : أفجرنا وانفجرنا ، يقول : بسببنا وببركتنا دخلتم في فجر الدين عن ظلمة الجاهلية ، وهذا استعارة، أي متخلصين عن السرار .

ثم ذكر كلمات كأنها أمثال ، فقال أولا على سبيل الدعاء : صمت [١] اذن من لم يفهم الصارخة ، ولم يتدبر العبر التى كان فيها الصوت والجلبة [٢] . ويقال: وقر الله أذنه ووقرت أذنه على مالم يسم فاعله ووقرت أذنه بكسر القاف وفتح الواو لازم ، أي صم سمعه .

ثم قال : كيف يعتبر بكلامي من تغافل وغفل عن تدبر كلام الله .

والنبأة : الصوت الخفي . والصيحة : الصوت العالي ، أي من لم يراع عظائم الامور كيف تمكنه مراعاة صغائرها، فان من لم ينتفع بموت آبائه وأمهاته وهلاك من كان قبله من الجبابرة كيف يتنبه بوعظ واعظ .

ثم دعا لمؤمن يكون قلبه أبداً على خوف ووجل .

وروي « ربط » على مالم يسم فاعله ، أي ربط الله وثبت قلباً لايزال يخفق من خوف العقاب . واذا روي ربط بفتح الراء فتقديره ربط قلب له وجيب [٣] ، من خشية الله نفسه وعزائمه وبقيته [٤] ، فيكون المفعول محذوفاً .

و « لم يفارقه الخفقان » صفة جنان ، نبه عليه السلام أولا قريشاً على عظم شأن آل محمد ، وخاطبهم وقال : ان من اهتدى منكم كان ذلك بهدايتنا ، ومن شرف بعز الاسلام فهو بدلالتنا .

---

١) فى ص : صمتاً .

٢) الجلبة : اختلاط الصوت .

٣) وجب القلب وجيباً : اي رجف وتحرك واضطرب .

٤) كذا في ص ، د .

ثم ضرب مثلين لمن يتغافل ولم يتفكر ، ودعا لمن استبصر وخشي .

ثم ذكر جملة على سبيل الخطاب لطلحة والزبير ومن كان سبب حرب الجمل، فقال : اني لم أزل أتفرس فيكم الغدر ، وكان النبي صلى الله عليه وآله ناجاني بنكث العهد منكم في العاقبة ، فكنت أنتظر ذلك .

وتوسمت فيه الخير، أي تفرست . ووسمته بكذا وتوسمته [١] به :اذا اثرت فيه بسمة وكي ، واذا أمرت منه قلت توسمته .

وقوله «سترني عنكم جلباب الدين» أي حالت الديانة بيني و بينكم، فلست أحدكم على ما أقهركم به ، فكأني لا أراكم ولاترونني . وروي « ستركم عن جلباب الزينة » وهذا ظاهر .

أما بيان الرواية الأولى المعروفة فنوردها [٢] على الوعيد والتهدد للقوم في تثاقلهم عن نصره ومخالفتهم لامره استهانة بعذره ونذره ،كما يقول أحدنا لغيره اذا استهان بحق القائل واستخف بأمره ونهيه :أنت لاتعرفني ولوشئت لعرفتك نفسي . فيكون معنى الكلام : سترني عنكم جلباب ديني ومنعني من أن أعرفكم نفسي بما أقوى عليه من وجوه تقويمكم وتأديبكم ، وذلك أنكم لاتستقيمون الا بالخشونة والعنف أو بالظلم والعسف وأنواع الحيف ، وتمنعني ديانتي عن ذلك .

كما قال في موضع آخر : واني لعالم بمايصلحكم ويقيم أودكم ، ولكن لا أرى اصلاحكم بافساد نفسي .

ويجوز أن يكون المعنى : ان الدين والتزام حكمه حكم بالاغضاء [٣] عنهم

---

١) في ص : اى توسمته به .

٢) كذا في ص ، وفي د : فموردها .

٣) الاغضاء : الحلم ، يقال : أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ، وأغضى على القذى : اذا أمسك عفواً عنه .

[وسحب ذيل العفو عليهم] [1] كما قال : كم أغضي الجفون على القذى ـ الى آخره .

وقال « التقي ملجم » .

وكان هذا دأبه مع القوم ، فاذا كان كذلك فكان جلباب الدين قدغطى عليهم ولم يرخص في الكشف عنهم ، فقوله « سترني عنكم » اماأن يكون على القلب، أي ستركم عني، وتقويه الرواية الاخرى التي قدمناها. واماأن يكون على معنى أنه اذا سترهم عنه فقد ستره عنهم ، لان الجلباب اذا كان بينه وبينهم فقد صار حاجزاً للجانبين ولكل واحدٍ منهما عن الاخر .

[ومعنى] « وبصرنيكم صدق النية »أي صدق النية مني قدبصرني أحوالكم فيكون من باب قوله « المؤمن ينظر بنور الله » .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون المعنى انما أخفى رتبتي ومنزلتي عليكم وماأنا متعاطيه من التخلق بأخلاق الديانة، وهو أنه لايعرفهم نفسه بمفاخرها ومآثرها ، فيكون من باب قوله « ان هاهنا علماً جماً لوأصبت له حملة » [2] ، ومن باب ماقيل « المؤمن يغض من نفسه » . وعلى هذا يكون معناه انكم اذاصدقتم نياتكم ونظرتم بأعين لم تطرف [بأهداب] الحسد والغش وأنصفتموني أبصرتم منزلتي [3] .

---

١) سحبته على الارض سحباً : أي جررته فانسحب، وفي م :وسحب الذيل على أذاهم .

٢) راجع الرقم ١٣٩ من كلامه عليه السلام لكميل : فيض الاسلام ٢/ ١١٤٤ .

٣) قال ابن أبي الحديد في الشرح ١/ ٢١٠ : وهذا ليس بجيد ، لانه لو كان هو المراد لقال :وبصركم اياي صدق النية، ولم يقل ذلك وانما قال «بصرنيكم»،

ثم قال محرضاً لهم على طلب العلم[1] والشرع منه ودرايته فلعلهم يستضيئون بدلالته وهدايته ، وذكر عليه السلام[2] أنه يقيم لاجلهم على طريق الحق في جواد[3] يضل فيها الطريق، ولوطلبتم بعد رسول الله غيري هادياً[4] ماوجدتم، ولوحفرتم بمعول [5] النظر في ذلك لما أمهتم .

والسنن : الطريقة ، يقال استقام فلان على سنن واحد وامض على سنتك وسنتك :أي على وجهك، وتنح عن سنن الطريق:أي عن وجهه. والسنة :السيرة.

يقال « أرض مضلة » بفتح الضاد وكسرها : التي يضل الطريق فيها .

و«العجماء» صفة موصوف محذوف، أي أنطق لموعظتكم الكلمات العجماء التي لايكون لها نطق في الحقيقة، فاذا نظر فيها الناظر وتأمل اطلع على مايفيده،

فجعل صدق النية مبصراً له لا لهم . وأيضاً فانه حكم بأن صدق النية هو علة التبصير وأعداؤه لم يكن فيهم صادق النية ، وظاهر الكلام الحكم والقطع لا التعليق بالشرط .

١) في د : في الشرع .

٢) في د ، م : مقيم .

٣) جواد جمع جادة : وسط الطريق ومعظمه ، مثل دواب جمع دابة .

قال ابن ميثم في الشرح ٢٧٣/١ :تنبيه لهم على وجوب اقتفاء أثره والرجوع الى لزوم أشعة أنواره في سلوك سبيل الله واعلام لهم على سواء السبيل الحق وفي الطريق التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها ـ الخ .

٤) في ص : ليس « ما » وفيه « وجدتم » .

٥) المعول بكسر الميم : حديدة ينقر بها الجبال . قال الجوهري : هو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر .

وتكون له فيها فائدة [عظيمة][1] وعائدة، فكأنهاذات بيان . فالعجماء اشارة الى مايذكر في هذه الخطبة من الرموز تشبيهاً بالعجماء من الحيوان ، يعني أعرض عليكم الادلة التي لامحيص لكم عنها ، فكأنها تنطق ولالسان وتقول ولابيان ، اذ الادلة تنطق بلسان الحال وان كانت تعجز عن القال ، كما قيل « بالامور الصامتة الناطقة » فقال المجيب الدلائل المخبرة والعبر الواعظة .

ثم ذكر خمس كلمات كلها غرر ، فقال : من تخلف عني فقد عزب رأيه اذ رضي بالطريقة الجاهلية ، لان من لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية[1] .

ثم نبه على كونه معصوماً ، بأن قال : أنامنذ حصلت المعارف الواجبة ما دخلني شك قط بعدذلك ، فأنا على اليقين ، ومن ضل عني فهوشاك كافر ، وأنا أخاف على الامة غلبة معاوية وأصحابه ودولة أمثاله، فان ماأخبر الله عن كليمه عليه السلام بقوله « فأوجس في نفسه خيفة موسى »[2] فانه خاف أن يلتبس على الناس سحر السحرة وتطول دولة فرعون فتصير القلوب قاسية، وقد كان من قبل في أيدي الناس الحق والباطل [فلمارجع الامر الي تو اقفنا على سبيل الحق والباطل][3] .

ثم قال : [ان] استظهرتم بى وبمكاني وبعلمي اكتفيتم ولم تحتاجوا الى غيري في الامور الدينية ، فان [من][4] كان معه ماء زلال لايصير عطشان[5] ، كمالم

---

١) الزيادة من م .

٢) راجع كفاية الاثر ٢٩٢ ط بتحقيقنا في سنة ١٤٠١ ق .

٣) سورة طه : ٦٧ .

٤) الزيادة من ص ، وفي م معها زيادة أخرى وهي : أي أنا وأصحابي على الحق وأعدائي على سبيل الباطل .

٥) الزيادة من د .

٦) كذا في ص ، د . أقول : فليكن « عطشاناً » بالنصب .

يعطش [قبل] ذلك لماوثق بالماء .

وأما الراوية: فعن جماعة عن جعفر الدوريستي[1]، عن أبيه محمد بن العباس[2]، عن ابى جعفر ابن بابويه[3]، أخبرنا محمد بن علي الاسترآبادي[4]، عن علي

---

١) هو أبو عبدالله جعفر بن محمد بن احمد بن العباس الدوريستي - بالدال المهملة المضمومة والواو الساكنة والراء المهملة المكسورة بعده الياء والسين المهملة الساكنة والتاء المنقوطة ثم الياء - قرية من قرى الري . وفي التعليقة : ان الدوريست الان يقال له : درشت .

أقول : وهي على ميلين من طهران وبها مشهده الشريف . ثقة عين عدل ، قرأ على الشيخ المفيد الحارثي وعلى الاجل الشريف المرتضى علم الهدى ، وله تصانيف .

راجع : جامع الرواة ١ / ١٥٨ ، فهرست المنتجب ٣٧ .

٢) هو محمد بن احمد بن العباس بن الفاخر الدوريستي ، فقيه عالم فاضل يروي عنه ولده جعفر .

راجع : امل الامل ٢ / ٢٤١ ، رياض العلماء ٥ / ٢٦ .

٣) هو الشيخ الاقدم الاعظم رئيس المحدثين فخر الفقهاء محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه أبو جعفر الصدوق القمي المتوفى سنة ٣٨١ . الفهرست للشيخ ٣٠٤ ، النجاشي ٢٧٦ ، جامع الرواة ٢ / ١٥٤ .

٤) محمد بن علي الاسترآبادي، وهو من مشايخ الصدوق، سمع منه عند قدومه باستراباد . وذكر أصحاب التراجم أنه من مشايخ الصدوق ، ذكره مترضياً عليه في الامالي المجلس ٣٣ الحديث ١ ، ولم يزيدوا على هذا شيئاً .

أقول : وذكروا أيضاً من هذا البلد عالماً آخر بهذا الاسم، وهو القاضي فخر الدين محمد بن علي بن محمد الاسترآبادي قاضي الري « فقيه » . لعله هو أو غيره . والعلم عندالله .

ابن محمد بن سيار[5] ، عن أبيه ، عن الحسن العسكري ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(الاصـل) :

ومن كلام له عليه السلام

(لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

(وخاطبه العباس وابوسفيان بن حرب ان يبايعا له بالخلافة)

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة ،

انظر : الامالى : ١٠٥ ، معجم رجال الحديث ٢٩٣/١٦ ، رياض العلماء ٥ / ١٤٤ ، فهرست منتجب الدين ١٨٨ . مقدمة علـل الشرائع للعلامة السيد محمد صادق بحرالعلوم ط النجف سنة ١٣٨٥ .

٥) هو ابو الحسن علي بن محمد بن سيار ، قال الصدوق في معانى الاخبار: كان من الشيعة الامامية . انتهى .

وذكره ايضاً في الامالي : ١٠٥ في سند رواية عن رسول الله «ص» أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: قسمت فاتحة الكتاب بينى وبين عبدي نصفها لي ونصفها لعبدي . الخ .

وأيضاً فيه ١٠٦ في سند رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قـال : ان البسملة آية من فاتحه الكتاب ، وان هذه السورة سبع آيات . الخ .

أنظر الامالي ١٠٥ ، ١٠٦ ، معاني الاخبار : ٤ ، تنقيح المقال ٢ / ٣٠٥ . وهو وثقه ، فراجع معجم الرجال ١٢ / ١٤٧ .

وضعوا تيجان المفاخرة . أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح . [هذا][1] ماء آجن ، ولقمة يغص بها آكلها ، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها، كالزارع بغير أرضه ، فان أقل يقولوا حرص على الملك، وان أسكت يقولوا جزع من الموت . هيهات بعد اللتيا والتي [2] ، والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اند مجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة .

(بيـانه) :

روي أنه لماتم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر من البيعة ماتم أراد ابوسفيان أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً فيكون ذلك دمار [3] الدين واندراسه ، فمشى الى العباس بن عبد المطلب فقال له : يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في رذل تيم ، وانه ليحكم فينا غداً هذا الفظ الغليظ من بني عدي، قم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه بالخلافة وأنت عم رسول الله وأنا رجل مقبول القول في قريش ، فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم قتالا شديداً وقتلناهم الى آخرهم .

فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر ابوسفيان له وقال : يا أبا الحسن لا

---

١) الزيادة موجودة في يد .

٢) كنايتان عن الشدائد والمصائب العظمية والحقيرة، وأصل المثل ان رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة سيئة الخلق فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ماقاسى من الصغيرة وقال بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابداً ، فصار ذلك مثلا للداهية الكبرى والصغرى .

٣) كذا في ص ، وفي د : صغارالدين .

تغافل عن هذا الامر متى كنا تبعاً لتيم الارذال [1] . وكان علي عليه السلام علم أن ابا سفيان لا يقول ذلك غضباً لدين الله ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان قدشافهه بجميع مايكون بعده بوحي من الله وأمره بلزوم البيت والسكوت لفقد الانصار وازديادالفساد فساداً ان حرك [بدا][2] في ذلك، فقال مجيباًله بهذاالكلام.

ومعناه انه يقول: يامعشر الناس ان هذه فتن قد تلاطمت أمواجها فاعبروها بسفينة النجاة وانصرفوا عن التفاخر وضعوا تاج التكبر، وكيف أنهض فيطلب حقي بلا ناصر ولامعين، فان المفلح والظافر ببغيته من اذاقام فيطلب أمر عظيم كان له في ذلك جناح ومعين يكون معه يداً واحدة ، ومن لم يجد الناصر على مثل ذلك ليس له الا الاستسلام والانقياد حتى يستريح الناس .

ثم هذه الدنيا فانية بمنزلة [3] ماء منتن لاينتفع به شاربه، وكلقمة من الطعام ذات غصة ، وهؤلاء قد زرعوا في غير أرضهم ، فلا فائدة لهم ولا طائل تحت ما فعلوا . وأما لو طلبت أمراً بغير وجه مطالبته وفي غير وقته لم أظفر في ذلك، فيختل عاقبة أمري كاختلال حال الزارع في غير أرضه .

ثم اني لا يمكنني الارضى الخالق ، فرضى الخلق غاية لا تنال، [فان أقل لم اخذتم حقي ؟ قالوا : ان علياً لحريص على الملك، وان لم اتكلم في ذلك قالوا : يخاف على أن نقتله ان نطق في الخلافة] [4] .

ثم قال: ليس الامر على ماتظنون، فان سروري بالموت مثل سرور الطفل

---

١) كذا في ص ، وفي د : ارذل .

٢) الزيادة من د .

٣) كذا في ص . وفي د : من هذه الدنيا فانه بمنزلة .

٤) ما بين المعقوفين ليس في ص ، د .

عند الارتضاع[1]، ولو أظهرت مما أعلم في ذلك شيئاً قليلا لاضطربتم بسببه مثل اضطراب الحبل في البئر التى لها قعر عظيم .

و« شق امواج الفتن » استعارة، وسفن النجاة هم أهل البيت، يقول النبى صلى الله عليه وآله «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »[2] .

وانعرج الشيء :انعطف ، وعرجته عطفته. فعلى هذا مفعول « عرجوا عن طريق المنافرة » محذوف، أي عرجوا أنفسكم عنها. وقيل التعريج على الشيء الاقامة عليه ، يقال عرج فلان على المنزل : اذا حبس عليه نفسه[3] ، والتقدير على هذا عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة وهي المحاكمة في الحسب.

وقوله « أفلح من نهض بجناح » مورده على سبيل المثل، وهو اشارة الى نفسه عليه السلام ، يعني لا ناصر له .

والاستسلام :الانقياد . والماء الاجن : المتغير . واينا ع الثمر : ادراكها . وانما يقولون جزع من الموت لانه سكت ولم يقاتل القوم .

واللتيا والتي : الداهية الكبرى والداهية الصغرى .

وانس : اسر[4] . واندمج الشيء : دخل واستتر . وبحت به : أظهرته .

والرشأ : الحبل ، والجمع أرشية . والطوى : البئر المطوية بالحجارة والبعيدة ، أي يبعد قعرها[5] .

---

١) ليس « عند » في د ، وفيه : بالارتضاع .

٢) كفاية الاثر : ٣٨ .

٣) في م : مطيته .

٤) كذا في د ، ص .

٥) قال ابن ميثم في شرحه ١ / ٢٨٠ : وشبه اضطراب آرائهم باضطراب

[وأما اسنادرواية هذاالكلام ومابعده فيطول بهالكتاب، علىأنهلم يحضرني أصول ذلك وقت املائي هذا الشرح][1] [فلذلك أخللت به][1] .

(الاصـل) :

ومن كلام له عليه السلام

(لما أشير عليه بأن [2] لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال)

فقال : والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها، ولكنني أضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً حتى يأتي علي يومي، فوالله مازلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا .

الارشية في الطوى البعيده مبالغة ، وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ، وذلك أن الطوى كلما كانت أعمق كان اضطراب الحبل فيها أشد لطوله ، فكذلك حالهم حينئذ ، أي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد . الى آخر ما قال .

وقال ابن ابي الحديد في الشرح ١ / ٢١٥ : وهذا اشارة الى الوصية التى خص بها عليه السلام انه قد كان من جملتها الامر بترك النزاع في مبدء الاختلاف عليه . انتهى .

وقال أيضاً فيـه ١ / ٢٢٢ : قيل لابى قحافة يوم ولي الامر ابنه : قـد ولي ابنك الخلافة ، فقرأ « قل اللهم مالك الملك » الاية ، سورة آل عمران ٢٦ . ثم قال : لم ولوه ؟ قالوا : لسنه . قال : أنا أسن منه .

١) الزيادة من ص ، م . والثانية من م فقط .

٢) في د : بأنه .

(بيانه) :

روي أنه لما كان من أمر عثمان [وقتله] [1] بايع الناس علياً عليه السلام ، فأول من بايعه هو طلحة والزبير، فلما رأيا أن لا نصيب لهما في ذلك على الخصوص استأذنا أمير المؤمنين عليه السلام في الخروج الى مكة للعمرة، فقال لهما علي عليه السلام : انكما لا تخرجان الا لنكث العهد والفساد بين المسلمين . فحلفا أنهما لا يريدان الا العمرة .

فلما دخلا مكة وكانت عائشة بها استخرجاها وحملاها [2] الى البصرة في جماعة معهم مروان بن الحكم ، ولما دخلوا البصرة قتلوا جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة غدراً ، فاستنفر عليه السلام الناس ليخرج الى البصرة .

[وأشار بعض أهل الكوفة] [3] اليه عليه السلام أن لا يخرج خلفهم وأن لا يجعل القتال برصدهما ، فأقسم عليه السلام أن لا يكون قاعداً هناك حتى يجتمع عليه طلحة والزبير بعسكرهما ، فان ذلك مثل من لاعقل له، كالضبع في جحرها يدخل عليها قوم ويقولون : خامري ام عامر ابشري ام عامر بلحم سمين وخير كثير [4] .

---

١) الزيادة من ص .

٢) وفي م : «استخرجا حبيس رسول الله وحملاها» . وفي د : واحملاها.

٣) في م : فأشار أسامة بن زيد .

٤) قال في اللسان : ومن امثالهم « خامري ام عامر ابشري بجراد عظلى وكم رجال قتلى » فتذل له حتى يكعمها ثم يجرها ويستخرجها . قال : والعرب تضرب بها المثل في الحمق، ويجيء الرجل الى وجارها فيسد فمه بعدما تدخله

وهي تتغافل ويعقدون الحبل في رجلها وتتعاقل ، فاذا وصل اليها الشر فلا ينفعها صياحها .

ثم قال : وأنا اليوم أجد أنصاراً على الحق ، فليس لي القعود في البيت، بل يجب علي مع التمكن محاربة أهل البغي علي، ولما لم يكن في ظاهر الامر لي ناصر من الناس كان [لي][1] العذر في قعودي، وليس هذا بأول ظلم يجري علي، فاني منذ نقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى جوار رحمة الله كنت مظلوماً الى اليوم .

واللدم : صوت الحجر يقع على الارض وليس بصوت شديد . وقيل : ان الضبع اذا سمع اللدم خرج فاصطيد . قال الاصمعي[2] : اللدم صوت الشيء يقع بالارض وليس بالصوت الشديد [3] ، وفي الحديث « والله لاأكون مثل

لئلا ترى الضوء فتحمل الضبع عليه فيقول لها هذا القول . يضرب مثلا لمن يخدع بلين الكلام .

١) الزيادة من د .

٢) هو أبوسعيد عبد الملك بن قريب البصري . كان أديباً مقرئاً محدثاً ولغوياً وشاعراً ، أخذ العلم في البصرة عن ائمتها وتضلع في العلوم ، توفي سنة ٢١٦ .

أنظر : قصص العرب ١ /٣٠٠ ، جواهر الادب ٢ / ٢٢٦ ، تاريخ الادب العربي ٣٦١ .

٣) قال ابن ابي الحديد في الشرح ١ / ٢٢٥ : وقال أبوعبيدة : يأتي الصائد فيضرب بعقبه الارض عند باب مغارها ضرباً خفيفاً ، وذلك هو اللدم ، ويقول « خامري ام عامر » مراراً . الخ .

وقال أيضاً في ١ / ٢٢٤ : والعرب تقول في رموزها وأمثالها « احمق من

الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد » . ثم سمى الضرب لدماً .

فعلى هذا المراد بكلامه عليه السلام اني أخرج اليهم وأدفعهم بعون الله وأكفي المسلمين شرهما وشر من اتبعهما ، ولا أخرج خروج الضبع فتصاد .

وظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على المعنى الذي تقدم من أن الضبع تتغافل وتنام في جحرها مع طول سماعها صوتاً غير شديد على باب الجحر من علاج الصياد ، واذا كانت كذلك فهي تصاد لغفلتها .

وأرأب الرجل : صار ذا ريبة فهو مريب . والريبة : التهمة والشك .

وقوله « وكنت مستأثراً علي » أي اختاروا علي قديماً من لا يساويني .

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

اتخذوا الشيطان لامرهم مالكاً[1] ، واتخذوهم له اشراكاً، فباض وفرخ فى

الضبع ، ويزعمون أن الصائد يدخل عليها وجارها فيقول لها « اطرقي أم طريق خامري أم عامر » ، ويكرر ذلك عليها مراراً . معنى « أطرقى أم طريق» طأطىء رأسك ، وكناها أم طريق لكثرة اطراقها، على « فعيل » كالقبيط للناطف والعليق لنبت. ومعنى «خامري» الزمي وجارك واستتري فيه . خامر الرجل منزله اذا لزمه .

قالوا :فتلجأ الى أقصى مغارها وتنقبض، فيقول أم عامر ليست في وجارها أم عامر نائمة فتمد يديها ورجليها وتستلقي فيدخل عليها فيوثقها وهويقول لها: ابشري أم عامر بكم الرجال ابشري أم عامر بشاه هزلى وجراد عظلى ، أي يركب بعضه بعضاً فتشد عراقيبها فلاتتحرك ، ولوشاءت أن تقتله لامكنها . الى آخره .

١) فى نا ، يد ، ب : ملاكا .

صدورهم ، ودب ودرج في حجورهم ، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم ، فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل ، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق الباطل [٢] على لسانه .

(ومن كلام له عليه السلام)

(يعنى به الزبير [في حال اقتضت ذلك]) [٣]

يزعم أنه بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجة، فليأت بأمر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه .

(ومن كلام له عليه السلام)

وقد أرعدوا وأبرقوا ، ومع هذين الامرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر .

(ومن خطبة له عليه السلام)

ألا وان الشيطان قدجمع حزبه واستجلب خيله ورجله، وان معي لبصيرتي مالبست على نفسي ولالبس علي ، وأيم الله لافرطن لهم حوضاً أنا ماتحه ، لايصدرون عنه ولايعودون اليه .

(بيانه) :

ذكر في الخطبة الاولى أئمة الضلال الذين لايفعلون مايفعلون ولايقولون

---

١) فى نا ، الف ، ب ، يد : بالباطل .

٢) الزيادة من يد ، ب ، الف ، نا .

مايقولون الاعلى حسب هوى أنفسهم ، واتباع الهوى يكون بوسواس ابليس وتزيينه، فكأنهم اتخذوه في جميع أمورهم مالكاً [لها] [١] يأمرهم بها ويأتمرون ، واتخذ اللعين هؤلاء المضلين اشراكاً ، أي شركاء . والاشراك جمع شريك ، مثل شريف وأشراف . وقيل الاشراك جمع شرك كحبل وأحبال، والشرك حبالة الصياد ، الواحدة شركة .

وروي « لامرهم ملاكاً » أي جعلوا وسواسه قواماً لامورهم .

« فباض ابليس » أي وضع البيض في صدورهم ، يقال باضت الطائرة .

وفرخ الملعون أيضاً في صدورهم، أي دعاهم الى الذنوب فأجابوه، وتمكن ورسخ وساوسه في قلوبهم ، فمنها ما أبدى شروراً كثيرة وافراخاً جمة ، ومن تلك الوساوس ماهودون ذلك .

و« دب » أي مشى مشياً رويداً. ودرج : مشى كثيراً فيما بينهم ، فاذانظروا الى شيء فكأنه نظر بأعينهم ، واذا نطقوا فكأنه ينطق بألسنتهم ، لان جميع أحواله مصروفة في الفواحش ، وهم لاينظرون الا الى المحرمات ولاينطقون الابالباطل .

والخطل: المنطق الفاسد، ففعلوا فعل من يكون الشيطان شريكاً في مملكته. فنصب فعل على المصدر من فعل مقدر، اويكون منصوباً باتخذ [فيكون مصدراً] [٢] من غير لفظ الفعل .

وأما تفسير الكلام الذي هو كالجواب للزبير [٣] لما نكث عهده بعد البيعة

---

١) الزيادة في ص .

٢) الزيادة في ص .

٣) هو أبوعبدالله الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبدالعزى بن

وادعى أنه وان كان بايع باليد واللسان فكان قدوري [1] ولم يكن في قلبه وقتئذ

قصي ، وأمه صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عمة رسول الله صلى الله عليه وآلـه وعلي بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام ، وكان ابن اخ خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وآله، وكانت أمه تكنيه « ابا الطاهر » بكنية أخيها الزبير بن عبدالمطلب .

وأسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل اثنتاعشرة سنة، وقيل ست عشرة سنة ، وقيل اسلم وهو ابن ثماني سنين ، وكان اسلامه بعد ابى بكر بيسير ، كان رابعاً أو خامساً في الاسلام ، وهاجر الى الحبشة والى المدينة ، وآخى رسول الله صلى‌الله عليه وآله بينه وبين عبدالله بن مسعود بمكة، وآخى بينه وبين‌سلمة ابن سلامة بالمدينة .

وكان في أول الامرمستقيماً ثم‌استحوذ عليه الشيطان وأخرجه من النور الى الظلمات . وفي الخبر : ان الزبير كان معنا أهل البيت حتى بلـغ ابنه عبدالله .

وكان هـذا شيطانه الظاهري وفعل عليه مـا فعل حتى أنساه ذكر الرحمن ، حتى خرج على امامه المفترض الطاعة ، وقد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب البعض بالسيوف . فقتله ابن جرموز وكان عمره لما قتل سبعاً وستين سنة ، وقيل ستاً وستين . وقيل ان ابن جرموز جاء بسيف الزبير بعد أن قتله الى علي عليه السلام ، فقال عليه السلام : ان هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

راجع اسدالغابة ٢ / ١٢٩ .

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١/ ٢٣٠ : كان ابـن الزبير ـ والظاهر أن ابن زائد واشتباه من النساخ ـ يقول :بايعت بيدي لابقلبى، وكان يدعي تارة أنه اكره ويدعي تارة أنه ورى في‌البيعة تورية ونوى دخيلة وأتى‌بمعاريض لاتحمل

الوفاء بذلك ولااتمامه، فقال عليه السلام: انه مقر ببيعته لي وادعى دخيلة وتورية، فليثبت تلك الوليجة والا فليدخل في البيعة .

وكانوا في الجاهلية اذا عقدوا عقداً وحالفوا أحداً استنكفوا نقض ذلك، وكانوا كذلك بعد الاسلام ، يقول : أنت قد عاهدتني على معاونتي فكن على ما بايعتني عليه من النصرة ، وهو واجب على طريقتكم أيضاً .

ثم ذكر بالكلام الاخر أصحاب الجمل الخارجين عليه ، يقول : كان لهم

على ظاهرها .

الى أن قال :قال علي عليه السلام يوم بايعه :اني لخائف أن تغدر بي وتنكث بيعتي . قال : لاتخافن ، فان ذلك لايكون مني أبداً .

فقال عليه السلام : فلي الله عليك بذلك راع وكفيل . قال : نعم الله لك علي بذلك راع وكفيل .

وذكر بعد ذلك كتاب علي أمير المؤمنين عليه السلام الى معاوية وأمره بالبيعة ، وقال : فلما قرأ معاوية الكتاب بعث رجلا من بنى عميس وكتب معه كتاباً الى الزبير بن العوام وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن ابى سفيان . سلام عليك ، أما بعد فاني قد بايعت لك اهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لايسبقك اليهما ابن ابى طالب فانه لاشيء بعد هذين المصرين ، وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك ، فأظهر الطلب بدم عثمان وادعوا الناس الى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل مناوئكما » .

فلما وصل هذا الكتاب الى الزبير سر به وأعلم به طلحة وأقرأه فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية ، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام .

مع جبنهم ارعادوابراق وتوعد وتهدد ، وان وعيدنا القتل، يقال : وقعت بالقوم في القتال وأوقعت بهم بمعنى .

وقوله « ولانسيل حتى نمطر » استعارة حسنه أكدبها كلامه الاول .

ثم ذكر في الخطبة الاخيرة ماجرى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الاختلاف، وقال :ألا وان الشيطان استفتح بهؤلاء، تنبيهاً للمخاطبين أن الملعون قد جمع حزبه وجلب فرسانه ورجالته من كل موضع [علي و][1] على خلافي ، وجلب واستجلب بمعنى، وان ابس ابليس عليهم أولبسوا على أنفسهم فلست كذلك.

ثم أقسم بالله لاتركن حوضاً لهم أنا المستقي لهم ، فانهم يبقون حيارى لايخرجون من ذلك الحوض ولايرجعون اليه .

وكأن هذا الكلام منه عليه السلام اشارة الى الخلاف، فيكون الكلام وارداً مورد شكايتهم ، وأنه يذكر لهم جميع مشكلاتهم . ويقال « أفرطت المزادة» اذا ملأتها .

والمعنى:ان معاوية جمع الشاميين، ووالله لأملأن حوضاً من الشر والحرب لهؤلاء يتحسون[2] منه لايرجعون الى مثله ولايخرجون منه .

وأنا ماتح ذلك الحوض[3] ، وهذا استعارة كقول الشاعر :

---

١) الزيادة من ص .

٢) يقال ، حسا الطائر حسواً ، وهو كالشرب للانسان . قال سيبويه : التحسي عمل في مهلة .

٣) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١/ ٢٤٠ :والماتح المستقي، متح يمتح بالفتح ، والمايح بالياء : الذي ينزل الى البئر فيملأ الدلو . وقيل لابى علي رحمه الله : ما الفرق بين الماتح والمايح ؟ فقال : هما كاعجامهما، يعنى ان التاء بنقطتين من فوق وكذلك « الماتح » لانه المستقي فهوفوق البئر، والياء بنقطتين من تحت وكذلك « المايح » لانه تحت في الماء الذي في البئر يملأ الدلاء .

مخضت بدلوه حتى تحسا   ذنوب الشرملا ى أو قرابا[1]

ويقال : فرطته أي تركته وتقدمته ، وفرط أي سبق .

و «أيم الله» أصله أيمن الله، ورفعه على الابتداء وخبره محذوف ، وحذف النون تخفيفاً ، أي وأيم الله قسمي . وأيمن جمع يمين ، وهمزته كالاصلية ، الا أنه كثر استعمالهم « أيمن الله » ، فتصوروه همزة الوصل .

وروي « لافرطن » أي لاسبقن ، لقوله عليه السلام « لاتركن » ، فكأنه عليه السلام السبب لما يعود عليهم . ورواية «لافرطن» أي لاملأن يرجع أيضاً معناه الى هذا .

(الاصل) :

(ومن كلامه عليه السلام)

(لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل)

تزول الجبال ولا تزل ، عض على ناجذك وأعر الله جمجمتك ، تد في الارض قدمك ، ارم ببصرك أقصى القوم ، وغض بصرك ، واعلم أن النصر من عندالله سبحانه .

(ومن كلامه عليه السلام)

(لما ظفر[2] بأصحاب الجمل)

وقد قال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى مانصرك الله به على أعدائك ، فقال عليه السلام :

---

١) لم نعثر على هذا البيت ولم نجد قائله .

٢) في م : لما اظفره الله .

أهوى أخيك معنا؟ قال :نعم. قال :فقد شهدنا، ولقد شهدنا[1] في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان.

(ومن كلام له عليه السلام)

(في ذم البصرة وأهلها)

كنتم جند المرأة واتباع البهيمة رغا فأجبتم وعقر فهربتم ، أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق، المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه ، كأني بمسجدكم كجؤ جؤ سفينة ، قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها .

وفي رواية: وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة .

ويروى : كجؤجؤ طير في لجة بحر .

(ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك)

أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء ، خفت عقولكم وسفهت حلومكم، فأنتم غرض لنابل واكلة لاكل وفريسة لصائد[2] .

---

١) في م ، ب : والله لقد شهدنا .

٢) في ب ، الف : لصائل . وهذا كلامه الاخير في يد هكذا :

وفي رواية أخرى : بلادكم أنتن بلاد الله تربة ، أقربها من الماء وأبعدها من السماء، وبها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه والخارج بعفو الله، كأني أنظر الى قريتكم هذه قد طبقها الماء حتى مايرى منها الا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر .

(بيـانه) :

وصى ابنه محمداً [1] بسبع وصايا حسنة تكون سبب استحقاق الفتح ، لما

---

١) هومحمد ابن أميرالمؤمنين عليه السلام ، أمه خولة بنت جعفر بن قيس ابن سلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بـن حنيفة بن لجيم ابن علي بن بكر بن وائل .

وكان محمد بن الحنفية شجاعاً فقيهاً عالماً، أخذ العلم عن ابيه أمير المؤمنين وأخويه الحسن والحسين عليهم السلام ، وكان مطيعاً لهم وعارفاً بحقهم .

ذكر احمد زكي صفوت في كتابه « جمهرة رسائل العرب » ٢/٢٤ :وجرى بين الحسين بن علي وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام وافترقا متغاضبين ، فلما وصل محمد الى منزله كتب الـى الحسين عليه السلام بعـد البسملة :

« من محمد بن علي الى أخيه الحسين بن علي ، أما بعد فان لك شرفاً لا أبلغه وفضلا لا أدركه، فان أمي امرأة من بني حنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان ملؤ الارض نساء مثل أمي ماوفين بأمك، فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي لترضيني ، وايـاك أن أسبقك الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني ، والسلام » .

فلبس الحسين عليه السلام رداءه ونعليه وجاء اليه وترضاه . نقله عن كتاب « غرر الخصائص الواضحة » ص ٣٨٣ .

قال ابن ابى الحديد في الشرح ١/٢٤٤ : وكان علي عليه السلام يقـذف بمحمد في مهالك الحرب ويكف حسناً وحسيناً عنها. وقال :قيل لمحمد لم يغرر بك أبوك في الحرب ولايغرر بالحسن والحسين عليهما السلام ؟ فقال :انهما عيناه

كان حامل الراية في الحرب التي جرها طلحة والزبير ومروان بن الحكم على باب البصرة، يقول :اعتماد عسكر أمير المؤمنين عليك وأنت تحمل رايتهم، فمن حقك أن لاتزول عن مركزك وان لاتبرح من مكانك الا الى قدم ، وان زالت الجبال للشدة الواقعة ، وثبت قلبك عاضاً على سنك الناجذ يحرق [1] الارم على أعدائك غضباًلله ، وجد برأسك في حفظ دين الله معيراً له تعالى جمجمتك فانه يرد العارية سالمة .

ولفظة «أعر» ينبيء أن محمد بن الحنفية لايقبل في هذه المحاربة ، وأمره أيضاً أن يجعل قدمه في الوتد ولا يتأخر .

وارم أقصى القوم وأبعدهم [2] ببصرك ، أي كلما قتلنا الذين يلونك من البغاة ينبغي أن تكون همتك الى من بعدهم الى آخرهم .

وأنا يمينه ، فهو يدفع عن عينيه بيمينه .

وقال أيضاً : ومن كلامه في يوم صفين : املكوا عني هذين الفتيين ، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله .

مات محمد بن الحنفية سنة ثمانين، عن احمد بن حنبل . وذكر يحيى بن بكر أنه مات سنة احدى وثمانين وله خمس وستون سنة ، وقيل مات برضوى جبل بالمدينة ، وقيل انه جبل متصل بجبال عمان ودفن بالبقيع ، وقيل مات بالطائف ودفن بها .

راجع تنقيح المقال ١١٢/٣ .

١) حرق نابه أي سحقه حتى سمع له صريف . والارم كركع جمع أرم: أي ضرس ، يقال : فلان يحرق عليك الارم غيظاً أي يسحق عليك أسنانه غضباً. وقال الزمخشري في الفائق : ويقال للانسان : الازم والارم .

٢) في ص ، د « بنصرك » ، والظاهر أن ما أثبتناه هو الصحيح .

وغض بصرك : أي انظر اليهم ولكن لاتعبأ بهم ، يـأمره بنظرمن يستقلهم لانظر من يستكثرهم .

ويمكن أن يقال : « البصر » هيهنا هو حاسة الرؤية كما يفعله النظارة، وفي الكلمة الاولى « البصر » بمعنى العلم والتبصر والتأمل .

ومعنى القرينتين : أي لاتكثر النظر الى جمعهم لئلايستعظموا في عينك ، ولكن تأمل جميعهم فكن عارف أحوالهم كلهم من أولهم الى آخرهم .

فلاتناقض بين قوله « ارم ببصرك أقصى القوم » وقولـه « غض بصرك » ، لانه يقال : رميت ببصري أمراً عظيماً وان لم يكن ثم نظر .

واعلم أنك اذا احتملت الاذى في جنب الله فهو تعالى ينزل النصرة .

والكلام الاخر واضح الا لفظاً ، وهـو « سيرعف بهم الزمان » أي سيأتي بهم ، ويقال رعف الشيء يرعف : أي سبق وتقدم[١] .

وأما كلامه في ذم أهل البصرة ، فلا اشكال في معناه ويقع في ألفاظه مايحتاج الى تفسير .

قال عليه السلام : كنتم أتباع البهيمة لان الراكبة كانت في الهودج مستورة .

ثم قال :رغا وعقر ، وانما ذكر الضمير لان مراده بالبهيمة حملها ، وقيل هي المرادة باللفظة . والرغا : صوت البعير . وعقره : قطع ساقه .

والشقاق :الخلاف والعداوة . والماء الزعاق :الملح ، وهذا لايكون عيباً

---

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٤٧/١ : يرعف بهم الزمان :يوجدهم ويخرجهم كما يرعف الانسان بالدم الذي يخرجه من أنفه ، قال الشاعر :

وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا

وقال ابن ميثم في الشرح ٢٨٨/١ : وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم .

على أهله كالنفاق الذي هو فعلهم القبيح، ولعله عليه السلام أراد أنه كالعقوبة لهم[1].

ثم قال: الاقامة بين ظهرانيكم هي الذنب والشخوص[2] والذهاب من بينكم رحمة من الله، فذنب المقيم عندهم الذي هو به مرتهن هو اقامته بينهم.

وجؤجؤ الطائر والسفينة: صدرهما.

وجثم الطائر: اذا تلبد بالارض يجثم.

ولجة البحر: معظمه، وانما شبه مسجد البصرة بصدر السفينة والنعامة في وقت نزول العذاب على أهلها بانفجار الماء الاسود من أرضهم[3] فيغرق ديارها لبقاء ذلك المسجد بحاله وان انهدم ماحوله[4].

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٢٩١/١: ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة به مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمة لامراض كثيرة في استعماله، كسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء، ولان ذلك من أسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير سوادهم.

٢) شخوص المسافر من منزله: خروجه.

٣) في م: من دورهم.

٤) قال ابن ابي الحديد في الشرح ٢٥٣/١: والصحيح أن المخبر به قد وقع فان البصرة غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها الا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الان بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، وخربت دورها وغرق كل ما في ضمنها وهلك كثير من أهلها.

. . . .

وأخبارهذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عـن سلفهم . انتهى .

وقال أيضاً فيه ٢٦٦/١ : وخلص علي عليه السلام في جماعة مـن النخع وهمدان الى الجمل، فقال لرجل من النخع واسمه « بجير » : دونك الجمل يا بجير ، فضرب عجزالجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرانه الارض ، وعـج عجيجاً لم يسمع بأشد منه ، فما هوالا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب ، واحتملت عائشة بهودجها فحملت الى دار عبدالله بن خلف، وأمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح. وقال عليه السلام : لعنه الله من دابة، فماأشبهه بعجل بنىاسرائيل، ثمقرأ « وانظرالىالهك الذيظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً » سورة طه : ٩٧ .

وذكرأيضاً في ٢٥٠/١ : اتفقت الرواة كلها على أنه عليه السلام قبض ما وجد في عسكرالجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض ، فقسمه بيـن أصحابه ، وأنهم قالوا له : اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً . فقـال : لا . فقالوا : فكيف تحل لنا دماؤهم وتحرم علينا سبيهم ؟ فقال : كيف يحـل لكم ذرية ضعيفة في دارهجرة واسلام ؟ أما ما أجلب به القوم في معسكرهـم عليكم فهولكم مغنم ، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الابواب فهولاهله ولانصيب لكم في شيء منه . فلما اكثروا عليه قال : فأقرعوا على عائشة لادفعها الى مـن تصيبه القرعة . فقالوا : نستغفرالله يا أميرالمؤمنين ثم انصرفوا . انتهى .

أقول : في الفائق : البصر بضم الباء : غلظ الشيء ، يقال : ثوب ذوبصر اذاكان غليظاً وثيجاً ـ أي كثيفاً ـ ومنـه البصرة . والبصر بكسر الياء لنوع من

ثم قال : ان البصرة بعيدة من السماء ، لايسمع دعاء أهلها ولايستجاب [١] ، وأرضها تقرب من الماء الذي يغرقها ، وأهلها سفهاء يتخذهم كل ذي نبل مرمى لمطلبه مع أنه لقمة لاكل .

وروي « لصائل » أي لمن يصول ويحمل عليهم .

وقيل :فائدة قوله « فانتم غرض لنابل » ان كل خارجي يأتي اليكم ليتقوى بكم ، وأنتم ضعاف مع الخبث الظاهر منكم .

(ومن كلام له علية السلام)

(فيمارده على المسلمين من قطائع عثمان)

والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك بـه الأماء لرددته ، فان في العدل

الحجارة . انتهى .

وقال في القاموس :البصرة معرب « بس راه » أي كثير الطرق . . .والارض الغليظة وحجارة رخوة فيها بياض . انتهى .

وفي اللسان : « البصرة » أرض حجارتها جص ، وبها سميت البصرة ... الحجارة البراقة ، أرض كأنها من جص . . . الطين العلك . . . والنسب الى البصرة « بصري » بكسر الباء وفتحها ، والاولى شاذة .

وقال ابن ميثم في الشرح ٢٩٠/١ :أصل البصرة الحجارة البيض الرخوة، وصارت علماً للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها ، وقيل انها بالمربد كثيرة .

١) قال ابن ابي الحديد في الشرح ٢٦٨/١ : ومعنى البعد عن السماء هيهنا هو بعد تلك الارض المخصوصة عن دائرة معدل النهار، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك، وقد دلت الارصاد والالات النجومية على أن أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الابلة أي البصرة . وهذا من خصائص أمير المؤمنين لانه أخبر عن أمر لاتعرفه العرب . الخ .

سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(لما بويع بالمدينة)

ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم ، أن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه[١] التقوى عن تقحم الشبهات. ألا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه ، والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر ، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا .

والله ما كتمت وسمة[٢] ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم. ألا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها ، فتقحمت بهم في النار .

ألا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها واعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة حق وباطل ولكل أهل، فلان أمر الباطل لقديماً فعل ولان قل الحق فلربما ولعل، ولقلما أدبر شيء فأقبل[٣] .

---

١) في يد : حجزته .

٢) وسمة بالسين المهملة. وفي الف، نا، يد ، ب «وشمة» بالشين المعجمة.

٣) في الف ، ب ، يد ذكر بعد «فأقبل» قول السيد الرضي رضي الله عنه وهو: « واقول : ان في هذا الكلام الادنى ـ الى ـ الاالعالمون » . ثم قال : ومن هذه الخطبة : شغل من . . . الخ .

وفي نا ، ص ذكر قول السيد رحمه الله بعد تمام الخطبة الاتية كما ذكرنا وأثبتناه .

شغل من الجنة والنار أمامه ساع سريع نجى ، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار هوى. اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى [و] هي الجادة، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة .

هلك من ادعى ، وخاب من افترى .

من أبدى صفحته للحق هلك [عند جهلة الناس] ، وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره . لا يهلك على التقوى سنخ أصل ، ولا يظمأ عليها زرع قوم . فاستتروا بيوتكم[1] وأصلحوا ذات بينكم، و لتوبة من ورائكم، ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه .

قال السيد : وأقول ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان[2] ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، وان حظ العجب[3] منه أكثر من حظ العجب به، وفيه

---

١) في نا ، الف ، ب « ببيوتكم » وفي يد « في بيوتكم » .

٢) في هامش نسختنا نقلا عن شرح الميرزا علاء الدين محمد :الاحسان مصدر قولك أحسن الرجل احساناً اذا فعل فعلا حسناً. ومواقع الاحسان :محاسن الكلام التي أجاد فيها وأحسن . ومواقع الاستحسان :اما سائر محاسن كلام العرب، أي ان شيئاً منها لايوازي هذا الكلام ولايبلغه، أو يكون المراد بمواقع الاستحسان مبلغه ومنتهاه، أي الاستحسان لايصل الى مرتبة مافي هذا الكلام من اللطائف .

وقوله « ان حظ العجب » الخ، أي تعجب الفصحاء من حسنه وبدائعه اكثر من اعجابهم من أنفسهم بما يقدرون على استخراجه من هذا الكلام من بدائع النكات ولطائفها . انتهى ما في الهامش .

أقول :وذكره ابن ميثم في الشرح ٣٠٩/١ ثم قال :اوأريد بأكثر من عجبهم به ، أي اكثر من محبتهم له وميلهم اليه . انتهى .

٣) العجب بفتح الاول والثاني :النظر الى شيء غير مألوف ولامعتاد، كقوله

مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لايقوم بها لسان ولايطلع فجها انسان، ولايعرف ما أقوله الا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق. وما يعقلها الا العالمون [1].

(بيانـه) :

قطائع عثمان [2] ما أدى لبنى أمية قطعها لانفسهم خاصة من أرض الخراج

تعالى « واتخذ سبيله في البحر عجباً ». قال ابن عباس : أمسك الله تعالى جرية البحر حتى كان مثل الطاق فكان سرباً وكان لموسى وصاحبه عجباً .

و« العجب » بضم الاول وسكون الثاني : الزهو ، ورجل معجب : مزهو بما يكون منه حسناً أو قبيحاً .

١) في م وقع بيان السيد ـ اي « قال السيد :وأقول ان في هذا الكلام ـ الى الا العالمون » فيما بين « ادبر شيء فأقبل » و « شغل من في الجنة » وكتب قبل « شغل » لفظة « منها » دليلا على أنها من خطبة أخرى .

٢) ذكر ابن ابى الحديد في الشرح ٢٦٩/١ : « القطائع » ما يقطعه الامام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج ويسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيره عوضاً عن الخراج ، وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة، وقد كان عمر أقطع قطائع ولكن لارباب العناء في الحرب والآثار المشهورة في الجهاد ، فعل ذلك ثمناً عما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه .وعثمان أقطع القطائع صلة لرحمه وميلا الى أصحابه ، من غير عناء في الحرب ولاأثر.

ثم ذكر الخطبة عن الكلبى ان علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة .

ونحوها من أموال بيت المال، يقال: أقطعته قطيعة أي طائفة من أرض الخراج.

بين أن مال المسلمين اذا غصبه غاصب يجب على الامام عند التمكن أن يأخذ المغصوب ويرده على من يستحقه، وان يصرف فيه الغاصب تصرفاً شديداً، بحيث لو اشترى به جارية لكان من الواجب أن يسترد منه تلك الجارية ان اشتراها بعين المغصوب، وان كان اشتراها على ذمته ثم دفع المال المغصوب عوض ثمنها يأخذ ما يقاومه بدلا منه ويرد على أربابه. وكذا اذا ماجعله الغاصب مهراً لزوجته، فان كان المغصوب عيناً قائمة ـ كالارض وغيرها ـ أخذها، وان كان شيئاً استهلك أخذ قيمته ورد على مستحقه.

وانما كان كذلك لانه العادل يسعه كل ماهو عدل أن يفعله، يقال وسعه الشيء يسعه سعة، والسعة: الجدة والغنى أيضاً.

وفي العدل سعة على كل أحد ضعيفاً كان أو قوياً، اذ ليس لعاقل استعمل عقله أن يدفعه عن ذلك، ومن ضاق عليه أن يعدل بين الناس لضعفه فبأن يجور

الى أن قال: قال الكلبي: ثم أمر عليه السلام كل سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من ابل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر ألا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره، وأمر أن ترتجع الاموال التي أجازبها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها. انتهى.

قال ابن ميثم في الشرح ١/٢٩٥: خطبها بالمدينة لما قتل عثمان وبويع له.
الى أن قال: واعلم أنه قد كان عثمان أقطع جماعة من بني أمية وغيرهم من أصحابه كثيراً من أرض بيت المال، وكذلك فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقائع مشهورة في الجهاد في سبيل الله وترغيباً في الجهاد، لكن لما اختلف غرضا الامامين لم يرد علي عليه السلام الا ما أقطعه عثمان. وبالله التوفيق. انتهى.

عليهم أعجز ، لان للعبد دفعه عنه [1] .

وأما الكلام الذي تكلم به لما بايعه الناس بعد قتل عثمان ، فقد قال أولا : اني مرهون بجميع قولي وبما أقوله الان ، وأنا ضامن بجميع ما أدلكم عليه أنه حق . وهذا كالترغيب منه لهم في استماع كلامه وتدبره .

والذمة : العهد والامان، ويكنى بها [عن] [2] العنق ، يقال هو في عنقي وفي ذمتي .

و « بما أقول » ما مصدرية أو موصولة . والزعيم : الكفيل .

ثم قال: تفكروا في أحوال من كان قبلكم من الملوك والجبابرة والظلمة والفسقة كيف أهلكهم الله هلاك الاستيصال، وان كل من ظهر له نفس الاعتبار عن الاشياء التي بين يديه، أي قدامه من كل عقوبة، ومثله رآها سعة يقوى الله عن الدخول في كل شبهة .

ثم استفتح كلامه فقال :اعلموا يقيناً أن البلاء نزل بكم كنزوله يوم بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم أقسم وقال « لتحركن » بالشدائد والنوائب تحريكاً شديداً ، ولتغربلن في كل نازلة وحادثة عظيمة كغربلة الدقيق .

وقيل البلبلة الهم ، والغربلة الهلاك .

ولتختلطن اختلاط القدر اذا جاشت حتى يصير كل رذل سيداً عليكم وكل عزيز يصير ذليلا .

ثم حلف بأنه ما كتم شيئاً قليلا .

---

١) كذا في ص ، وفي د : لان العن دفعه عنه .

٢) الزيادة من د .

والوسمة [1] : السمة . وروي « وشمة » بالشين المعجمة ، أي كلمة .

ثم بين ما أراد فقال : ان مثل كل خطيئة [مثل] [2] فرس شموس [3] لا لجام عليها تدخل براكبها في نار جهنم، وان تقوى الله بمنزلة ناقة ذلول يكون زمامها في يد راكبها فتورده جنة الخلد .

ثم قال : هذا حق وهذا باطل ، [ولكل واحد منهما أهل. أويكون التقدير: وفي الدنيا حق وباطل] [4]. فعلى الاول حذف المبتدأ، وعلى الثاني خبر المبتدأ محذوف .

ثم فصل ذلك بأن قال : فلان أمر [5] وكثر الباطل لزمانا قديماً فعله الناس، ولان صار الحق قليلا لربما يكثر وترجع دولته .

ثم ذكر ما هو كضجر بأحوال نفسه، فقال : هيهات ذلك اذا أدبر شيء ففي

---

١) الوسم بالمهملة : أثر الكي . والوشم : ما تجعله المرأة على ذراعها بالابرة ثم تحشوه بالنؤور ، وهو دخان الشحم اوهو : النيلج .

وقال ابن شميل : الوسوم والوشوم بضم الاول وبالمهملة والمعجمة : العلامات .

وقال في لسان العرب :وفي حديث علي عليه السلام «والله ماكتمت وشمة» بالشين ، أي كلمة حكاها .

٢) الزيادة من د .

٣) شمس الفرس يشمس : استعصى على راكبه فهوشموس، وخيل شمس مثل رسول ورسل .

٤) الزياده من م .

٥) امر بفتح الاول وكسر الثاني يقال : أمر الباطل أي كثر. أي لزماناً قديماً فعل الباطل ذلك . ونسب الفعل الى الباطل مجازاً .

نادر يقبل .

وقيل في قوله «لقديماً فعل» أنه بمعنى انفعل ،كما يقال : جبرته فجبر مكان انجبر .

وما [كان] [1] من فعل يذكر الا ويكون فاعله ظاهراً ومضمراً ، الا « قلما » و«طالما»، فانهما يتركب ماخرجا عما [2] هو الاصل وصارا ظرفين، نحو« كلما».
ثم قال : من كانت الجنة قدامه والنار قدامه يجب أن يشغل عما سواهما .

ثم ذكر كلاماً ذا شعب ثلاث ،كأنه مقتبس من قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » [3] ، فقال: الناس على ثلاث طبقات: اما ساع يسرع في الطاعات فانه ناج ، أو مقصر في الواجبات فهو هالك ، أو طالب الخير متباطىء فيه فهو راج . فالاول هو المعصوم ، والثاني ذكرته في التفسير هو الكافر ، والثالث مؤمن خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليه .

ثم أمر بالتزام جادة الحق، فان يمينها وشمالها مضلة يضل فيها. وعلى هذه الجادة امام معصوم هو مافي الكتاب [4]، وهما «الثقلان كتاب الله وعترتي» الخبر.
وقيل : باقي الكتاب هو التأويل والاوامر والنواهي التي في القرآن جملته وفي السنة تفصيله . وروي عليها ما في الكتاب وعليها آثار النبوة مما أمر عليه السلام أو نهى عنه .

---

١) الزيادة من ص .

٢) كذا في ص . وفي د : عن الاصل .

٣) سورة الفاطر : ٣٢ .

٤) كذا في ص . وفي د : وهو باقي الكتاب .

ومنفذ السنة : طريق الشريعة [1] .

والكلمات الاخر واضحة الاقوله «من أبدى صفحته» أي من تجرد لاظهار الحق وسمر كمسه [2] عند الجهال، فانهم يسعون في هلاكه. واذا روي «من أبدى صفحته للحق هلك» فقط فمعناه من خاصم الحق فقد صار هالكاً وسنخ [3] أصل مثل لدى [4]

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٣٠٦/١ :أي طريقها ومبدأها الذي منه تخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والاخرة، فان من العدل بدأت السنة وانتشرت في الخلق واليه مرجع أمورهم . الخ .

٢) كذا في ص ، د . لعله « وتشمر لتمشيته عند الجهال » . و « تشمر في الامر » أي جد فيه واجتهد ، و« التمشية » التحكيم. يعني :ومن سعى واجتهد في تحكيم أمر الحق عند الجهال ، فانهم يقومون بمقابلته ويسعون في هلاكه.

٣) في المصباح : السنخ من كل شيء أصله ، والجمع أسناخ وسنوخ . وفي اللسان : وفي حديث علي عليه السلام « ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل » والسنخ والاصل واحد ، فلما اختلف اللفظان أضاف أحدهما الى الاخر .

٤) كذا في ص . وفي د : مثل كرى النوم . أقول :كرى كعصى : النعاس، وهو أول النوم ، وهو أن يكون الانسان بين النائم واليقظان .

ثم أقول : قال ابن ميثم في شرح قوله عليه السلام « لا يهلك على التقوى سنخ أصل ولا يظمأ عليها زرع قوم » تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين :

أحدهما: أن كل أصل بني على التقوى فمحال أن يهلك ويلحق بانيه خسران كما قال تعالى « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار » [سورة التوبة : ١٠٩] .

الثاني :أن من زرع زرعاً أخروياً كالمعارف الالهية في أرض نفسه مثلا أو دنيوياً كالاعمال التي بها تقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها ماء التقوى وجعله

الهوم ، فالسنخ أصل مخصوص[1] .

مادتها فانه لا يلحق ذلك الزرع ظمأ بـل عليه ينشأ بأقوى ساق وأزكى ثمرة ، واستعمال الزرع والاصل كناية عما ذكرناه . انتهى .

راجع شرح ابن ميثم ٣٠٨/١ .

١) قـال ابن أبي الحديد في الشرح ٢٧٥/١ : وهذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها، قد رواها الناس كلهم ، وفيها زيادات حذفها الرضي أما اختصاراً أوخوفاً من ايحاش السامعين، وقد ذكرها شيخنا أبوعثمان الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين »[1] على وجهها ، ورواها عن أبي عبيدة بن المثنى قال :أول خطبة خطبها أمير المؤمنين علي عليه السلام بالمدينة في خلافته حمدالله وأثنى عليه وصلى على النبي «ص» ثم قال :ألا لا يرعين مرع الا على نفسه ، شغل من الجنة والنار أمامه .

الى أن قال : قال شيخنا ابوعثمان رحمه الله تعالى : وقال ابوعبيدة : وزاد فيها في رواية جعفربن محمد عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام : ألاوان ابرارعترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً .

الى أن قال : ألاوبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل عن اعناقكم وبنا فتح لابكم ، وبنا يختم لابكم .

ثم شرح الخطبة وقال في آخرها : وأما التتمة المروية عن جعفربن محمد عليهما السلام فواضحة الالفاظ، وقوله في آخرها «وبنا يختم لابكم» اشارة الى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام ، وأصحابنا المعتزلة لاينكرونه وقد صرحوا بذكره في كتبهم واعترف به

---

١) راجع « البيان والتبيين » ٥٠/٢ ، « عيون الاخبار لابن قتيبة » ٢٣٦/٢ .

(الاصـل) :

(ومن كلامه عليه السلام)

(في صفة من يتصدى للحكم بين الناس [1] وليس لذلك بأهل)

ان أبغض الخلائق الى الله [2] رجلان : رجل وكله الله الى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله ، مضل لمن اقتدى [3] به في حياته وبعد وفاته ، حمال خطايا غيره رهن بخطيئته . ورجل قمش جهلا، موضع في جهال الامة، غار [4] من أغباش الفتنة ، عم بما في عقد الهدنة، قدسماه أشباه الناس عالماً وليس به، بكر فاستكثر من جمع، ماقل منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز [5]

شيوخهم، الاأنه عندنا لم يخلق بعدوسيخلق، والى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضاً .

وروى قاضي القضاة رحمه الله عن كافي الكفاة ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله باسناد متصل بعلي عليه السلام أنه ذكر المهدي وقال : انه من ولد الحسين عليه السلام ، وذكر حليته فقال : رجل أجلى الجبين أقنى الانف ضخم البطن أزيل الفخذين أبلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة . . . وذكر هذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في كتاب « غريب الحديث » . انتهى .

١) في نا ، يد ، ب ، الف : بين الامة .

٢) في ب : على الله .

٣) في ب : افتدى .

٤) في يد : عاد .

٥) في نا : « واكثر » وصحح بهامشه كالمتن .

من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فان نزلت به احدى المبهمات هيألها حشواًرثاً من رأيه ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لايدري أصاب أم أخطأ، ان[1] أصاب خاف أن يكون قد أخطأ وأن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خباط جهالات[2] ، عاش ركاب عشوات ، لم يعض على العلم بضرس قاطع ، يذري الروايات اذراء الريح الهشيم ، لاملىء والله باصدار ماورد عليه [ولاهو أهل لما فوض اليه][3]، لايحسب العلم في شيء مما أنكره ، ولايرى أن من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره ، وان أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله .

أشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر .

---

١) في يد : فان أصاب .

٢) في نا ، ب : جهلات .

٣) ليست هذه الزيادة في نا ، ص ، الف . وقال ابن ابى الحديد ١/٢٨٥ عند شرح قوله عليه السلام : «لاملىء . . .» وفي كتاب ابن قتيبة تتمة هذا الكلام « ولاأهل لما قرظ به » ، قال : أي ليس بمستحق للمدح الذي مدح به .

والذي رواه ابن قتيبة من تمام كلام امير المؤمنين عليه السلام هو الصحيح الجيد ، لانه يستقبح في العربية أن تقول « لازيد قائم » حتى تقول « ولاعمرو » أو تقول « ولاقاعد »، فقوله عليه السلام « لاملىء » أي لاهو مليء، وهذا يستدعي « لا » ثانية ، ولايحسن الاقتصار على الاولى . انتهى .

ومن كلام له عليه السلام

(في ذم اختلاف العلماء في الفتيا)

ترد على أحدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم تجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً ، والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد ، أفأمرهم الله سبحانه باختلاف فأطاعوه ، أم نهاهم عنه فعصوه، أم انزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه ، أم كانوا شركاء[1] له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول « مافرطنا في الكتاب من شيء »[2] و[3] فيه تبيان كل شيء ، وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[4]، وان القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق ، لاتفنى عجائبه ولاتنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الابه .

(بيانه) :

وصف[5] عليه السلام أولا من يتعرض للقضاء من الامة ولم يكن أهلا له فقال:

---

١) في ب : شركاء الله .

٢) سورة الانعام : ٣٨ .

٣) ليس « و » في نا ، الف .

٤) سورة : النساء ٨٢ .

٥) في م : يصف عليه السلام .

ليس أحد أبغض الى الله من رجلين :

أحدهما ـ انسان خذله الله ووكله الى نفسه ، عادل عن الطريق المستقيم، حريص بقول البدعة ، فهوضال مضل .

والثاني ـ انسان حفظ مقيسات قوم في الشرع مغروربذلك عم عن الحق، يقضي بين الخلق، وكلماورد عليه مسألة شرعية اجتهد فيها برأيه بالحشوالرث ويقطع أنالحق هوما استخرجه وانكان عنده مظنوناً لامعلوماً، يخبط بالجهل، ولايعلم أن ماوراء ذلك ماهوخيرمنه ، فللدماء والمواريث صراخ وعجيج الى الله من هؤلاء.

وأما ألفاظه :

فأصل « الفتن » الاحراق[1] ، يقال فتنته فافتتن .

و« قمش »[2] جمع ، وموضع[3] : مسرع .

وغار : أي غافل ، ذوغرة .

والغبش : ظلمة آخر الليل ، والجمع أغباش .

وروي « عاد[4] في أغطاش الفتنة » وهي الظلم .

وقوله « عم» بما في عقد الهدنة ، وروى رب[5] الهدنة ، كأنه اشارة الى ما

---

١) في المصباح : واصل الفتنة من قولك « فتنت الذهب والفضة » اذا أحرقته بالنار ليبين الجيد من الرديء .

٢) جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش .

٣) الموضع بفتح الضاد : المطرح ، وبكسرها : المسرع .

٤) عدا عليه يعدو : ظلم وتجاوزالحد ، وهوعاد. وغطش الليل يغطش : أظلم . قال في اللسان : قمش علماً غاراً بأغباش الفتنة : أي بظلمها .

٥) كذا في ص ، د .

كان من علي عليه السلام في زمان المهادنة مع القوم ، فتركه ظاهراً كما كان لصلاح كان يراه .

وقوله « استكثر من جمع » منون وما بعده تفصيل وصفة لـه ، وان روي جمع ماقل على الاضافة فله وجه ، وهـو أن يكون « ان » محذوفة منه، تقديره استكثر من جمع ما ان قل خير مما كثر كأنك قلت قليله خير من كثيره ، من باب قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

واكتنز : أي اتخذ لنفسه كنزاً .

وأمر غير طائل : اذا لم يكن فيه غناء ولا كفاية .

وغاش : داخل في ظلام .

والغشوة : أن يركب الانسان أمـراً على غير بيان ، وركاب غشوات : أي أمور ملتبسة .

وقوله «لم يعض على العلم بضرس قاطع» أي لم يحكمه، وضرست السهم: عجمته، والضرس: السن. والأسنان كلها مؤنثة الا الضرس والناب، وهو استعارة عمن لم يعلم شيئاً على اليقين .

والهشيم [1] : النبات المكسور .

وأصل « المليء » الهمز، من قولهم ملؤ الرجل اذا صار ثقة [2] ، ومنه غني

---

١) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

٢) في اللسان : وفي حديث علي عليه السلام « لا مليء والله باصدار ماورد عليه » . وقال : المليء : الثقة الغني .

أقول :قال ابن ميثم في الشرح ٣١٧/١ : انه غير مليء باصدار مايرد عليه، اشارة الى أنه ليس له قوة على اصدار الأجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو فقير منها . انتهى .

مليء .

« لايحسب » من الحسبان والظن ، وروي بضم السين من الحساب[1] .

وأنكر ونكر بمعنى .

ولايرى : أي لايعلم ، ويجوز أن يكون من الرأي . وروي « لايرى » أي لايظن .

والعج : رفع الصوت ، والصراخ مثله . وروي « يضج » ، وهـذا يقرب منه أيضاً .

وأما الكلام الاخرفهوفي ذم الذين يفتون بالقياس والاجتهاد في الشرعيات، فقال : ان ورد قاض نصبه مالك أوابـن حنبـل أونحوهما حكومة فقضى فيها

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٢١٧/١ : كونه لايحسب العلم في شيء مما أنكره ، يقال « فلان لايحسب فلاناً في شيء » بالضم من الحساب ، أي لايعده شيئاً لابفرده بالحساب والاعتبار . وعنى بالعلم الحقيقي الذي ينبغي أن يطلب ويجتهد في تحصيله، لا مايعتقده الموصوف علماً مما قمشه وجمعه ، فان كثيراً من الجهال ممن يدعي العلـم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على معلميه ، كأكثر الناقلين للاحكام الفقهية والمتصدرين للفتوى والقضاء بين الخلق في زماننا ومـا قبله ، فـانهم يبالغون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها، وهم غافلون عن أن أحدهم لايستحق أن يسمى فقيهاً الا أن تكون له مادة من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واثبات النبوة الذي لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية التي يدعون أنها كل العلم الا بعد ثبوتها .

وروى : يحسب بكسر السين من الحسبان ، وهو الظن ، أي لايظن العلم ذا فضيلة يجب اعتقادها واعتباره بها فهو مما أنكره . انتهى .

باجتهاده على وجه وان وردت تلك الخصومة على قاض آخر من قضاته قضى فيها على خلاف ذلك الوجه ، فان اجتمعا عند مالك أوعند احمد بن حنبل أو غيرهما ممن يقيسون [1] في الشرع صوب رأي كل واحد منهما وقال كل مجتهد مصيب .

فسبحان الله ما هذا الاختلاف في الدين والله تعالى المنزل للشرعيات، هو واحد ونبيه المبعوث لذلك وكتابه كلاهما واحد ، فاذا لم يكن هؤلا شركاه الله في ذلك ولاأنزل الله ديناً ناقصاً وما نقص عن ذلك الرسول شيئاً، وليس هيهنا دليل على أن الله اذن لهم في ذلك ، وليس الاأنهم عصوا الله تعالى [2] .

---

١) كذا في ص . وفي د : يفتون .

٢) قال ابن ميثم في الشرح ٣٢١/١ : وفي هذا الكلام تصريح بأنه عليه السلام كان يرى أن الحق في جهة وان ليس كل مجتهد مصيباً .

وهذه المسألة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء أصول الفقه ، فمنهم من يرى أن كل مجتهد مصيب اذا راعى شرائط الاجتهاد، وان الحق بالنسبة الى كل واحد من المجتهدين ما أدى اليه اجتهاده وغلب في ظنه ، فجاز أن يكون في جهتين أو جهات ، وعليه الامام الغزالي وجماعة من الاصوليين . ومنهم من ينكر ذلك ويرى أن الحق في جهة والمصيب له واحد، وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم . وربما فصل بعضهم . والمسألة مستقصاة في أصول الفقه . الى آخر ما قال .

وقال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٩٠/١ : واعلم أن هذه الوجوه هي التى يتعلق بها الامامية ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات ، وقد تكلم عليها أصحابنا في كتبهم وقالوا : ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس ، وادعوا اجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس، ودفعوا صحة هذا الكلام

وقوله « لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » أي اختلاف التناقض .

والانيق : المونق [المعجب][1] .

(الاصـل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

(قاله للاشعث بن قيس)

وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الاشعث قال : ياأمير المؤمنين هذه عليك لا لك . فخفض اليه بصره ، ثم قال :

وما يدريك ما علي مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك منافق ابن كافر. والله لقد أسرك الكفر مرة والاسلام أخرى، فما فداك من واحدة منهما مالك ولاحسبك ، وان امرءاً دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف

المنسوب في هذا الكتاب الى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقالوا : انه مـن رواية الامامية وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه وعـن أبنائه عليهم السلام في صحة القياس والاجتهاد، ومخالطة الزيدية لائمه أهل البيت عليهم السلام كمخالطة الامامية لهم ، ومعرفتهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الامامية ، لافرق بين الفئتين في ذلك .

والزيدية قاطبة جاروديتها وصالحيتها تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن أهل البيت عليهم السلام. واذا تعارضت الروايتان تساقطتا وعدنا الى الادلة المذكورة في هذه المسألة. وقد تكلمت في « اعتبار الذريعة » للمرتضى على احتجاجه في ابطال القياس والاجتهاد بما ليس هذا موضع ذكره . انتهى.

١) الزيادة من د، والانيق : العجيب معنى ووزناً، وقيل : الحسن المعجب.

لحري أن يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد .

وقال السيد الرضي رضي الله عنه : يريد عليه السلام انه أسر في الكفر مرة وفي الاسلام مرة [1] .

وأما قوله « دل على قومه السيف » فأراد به حديثاً كان للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة ، غربه [2] قومه ومكر بهم حتى أوقع خالد بهم ، فكان قومه بعد ذلك يسومونه [3] عرف النار ، وهو اسم للغادر عندهم .

(ومن خطبة له عليه السلام)

فانكم لو عاينتم [4] ماقد عاين من [قد] [5] مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ماقد عاينوا [6] ، وقريب ما يطرح الحجاب، ولقد بصرتم ان أبصرتم وأسمعتم ان سمعتم وهديتم أن اهتديتم . بحق أقول لكم : لقد جاهرتكم العبر، وزجرتم بما فيه مزدجر، ومايبلغ عن الله بعد رسل السماء الاالبشر

(ومن خطبة له عليه السلام)

فان الغاية أمامكم، وان وراءكم الساعة تحدوكم ، تخففوا تلحقوا ، فانما

---

١) في ب : أخرى .

٢) في نا ، يد ، ب ، الف : غرفيه .

٣) في نا ، ب ، الف ، يد : وكان قومه بعد ذلك يسمونه .

٤) في يد ، ب « لوقد عاينتم » .

٥) الزيادة من ص .

٦) في ب : ما قد عاينوه .

ينتظر بأولكم آخركم[١] .

قال السيد : ان هذا الكلام لووزن بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً وبرزعليه سابقاً . فأما قوله « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولاأكثرمنه محصولا، وما أبعد غورها من كلمة وأنقع نطفتها[٢] من حكمة. وقد نبهنا في كتاب « الخصائص » على عظم قدرها وشرف جوهرها .

(ومن خطبة له عليه السلام)

ألاوان الشيطان قد ذمرحزبه واستجلب خيله[٣] ، ليعود الجورالى أوطانه ، ويرجع الباطل الى نصابه[٤] . والله ماأنكروا علي منكراً، ولاجعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وانهم ليطلبون حقاً[٥] تركوه ودماً هم سفكوه . ولئن كنت شريكهم فان لهم لنصيبهم منه، ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعة الاعندهم . وان أعظم حجتهم لعلى أنفسهم ، يرتضعون أماً قد فطمت ، ويحيون بدعة قد أميتت .

ياخيبة الداعي من دعا والى ماأجيب، واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، فان أبوا أعطيتهم حد السيف، وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحق.

---

١) في الف : « باق لكم آخركم » ، والظاهر أنه تصحيف .

٢) في ص : نطقها .

٣) كذا في ص . وفي ب ، نا ، يد : جلبه . وفي الف : خيله جلبة .

٤) في ب ، نا : في نصابه .

٥) في نا ، يد ، الف : هم تركوه .

ومن العجب بعثهم [1] الي أن ابرز للطعان واصبر [2] للجلاد ، هبتلهم الهبول: لقد كنت والله ما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب ، واني لعلى يقين من ربى وغير شبهة في ديني [3] .

(بيـانه) :

انما عاب عليه السلام الاشعث [4] [بن قيس] بأمرين : أحدهما عيب على

---

١) في نا ، ب ، الف : بعثتهم .

٢) في يد ، نا ، الف ، ب : أن اصبر .

٣) في نا ، يد ، الف ، ب : من ديني .

٤) هـو الاشعث بن قيس الاشج ـ سمي الاشج : لانـه شج في بعض حروبهم ـ بن معديكرب بن معاوية بن معديكرب بن معاوية بن جبلة بن عبد العزى ابن ربيعة بن معاوية الاكرمين ـ ينتهي نسبه الى مرة بن ادد .

وكان اسم الاشعث « معديكرب » ، وامه كبشة بنت يزيد بن شرحبيل بن يزيد بن امرئ القيس بن عمرو المقصور الملك .

وكان الاشعث أبداً أشعث الرأس ، فسمي الاشعث وغلب عليه حتى نسي اسمه .

وفد الى النبى صلى الله عليه وآله سنة عشر من الهجرة في وفد كندة وكانوا ستين راكباً فأسلموا ، وخطب ام فروة أخت ابى بكر فأجيب وارتد بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فسير ابو بكر الجنود الى اليمن فأخذوا الاشعث أسيراً ، فأحضر بين يديه فقال لابى بكر : استبقني لحربك وزوجني باختك فأطلقه ابو بكر وزوجه اخته وهي ام محمد بن الاشعث .

الحقيقة عند كل محقق وهو النفاق والكفر [والثاني عيب عند اصحاب الدنيا ، كما قال تعالى «ولا تطع كل حلاف» الى قوله «زنيم» والزنيم ولد الزنا وليس

ولما تزوجها اخترط سيفه ودخل سوق الابل فجعل لايرى جملا ولا ناقة الاعرقبه، وصاح الناس كفر الاشعث ، فلما فرغ طرح سيفه وقال : اني والله ماكفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غيرهذه ياأهل المدينة انحروا وكلوا، ويااصحاب الابل تعالوا خذوا أثمانها ، فما رؤي وليمة مثلها .

وشهد حروب يرموك والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند ، ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي عليه السلام .

وتوفي سنة ٤٢ ، وقال ابونعيم مات بعد علي عليه السلام بأربعين ليلة ، وقال ابوعمر مات سنة اثنتين واربعين ، وقيل سنة اربعين .

أقول : كان بيت الاشعث بيت حقد وحسد وكفر ونفاق ، وهو من الذين أجبروا علياً عليه السلام على قبوله الحكمين كماذكره ابن قتيبة في كتابه «الامامة والسياسة » ١/١١٩، قال : فأقبل الاشعث بن قيس في أناس كثير من أهل اليمن فقالوا لعلي : لا ترد ماداعاك القوم قد أنصفك القوم ، والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ولا نرمي معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفاً . وكان أيضاً شريكاً في قتل علي عليه السلام، وكانت بنته سمت الحسن بن علي عليهما السلام، وابنه محمد أخذ مسلم بن عقيل بالكيد وسلمه الى ابن زياد اللعين فقتله وأيضاً حضر بكربلاء لقتل الحسين الشهيد مع عسكر كثير بأمر ابن زياد فقتلوه مظلوماً وعطشاناً .

راجع : أسد الغابة ١/٩٧ ، الامامة والسياسة ١/١١٩ ، شرح ابن أبي الحديد ١/٢٩٧ .

ذلك ذنباً منه ولا عيباً عليه من حيث الحقيقة] [1] .

وأما الحياكة فليست بنقيصة لاهل الاسلام، وان كانت هذه الحرفة في الاراذل والسفل في الاكثر ، وذلك عيب عند أهل الدنيا وأهل الشرف .

فكأنه قال : أنت عندي معيب من حيث نفاقك ، وأبوك معيب من حيث كان كافراً ، وأنت عند نفسك وعند كل من يفتخر بشرف الدنيا معيب أيضاً ، لانك حائك ابن حائك [2] . وفيك عيبان آخران أسرت مرتين [3] ولم يكن لك فدية من

---

١) الزيادة من م . والاية ١٠ من سورة القلم .

٢) قال ابن ميثم في الشرح ٣٢٣/١ : قوله « حائك ابن حائك » استعارة أشار بها الى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء في مواضعها وتأكيد لعدم أهليته للاعتراض عليه ، اذ الحياكة مظنة نقصان العقل ، وذلك لان ذهن الحائك عامة وقته متوجه الى جهة صنعته مصبوب الفكر الى أوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها يحتاج الى حركة رجليه ويديه .

الى أن قال: وقيل لان معاملة الحائك ومخالطته لضعفاء العقول من النساء والصبيان ، ومن كانت معاملته لهؤلاء فلاشك في ضعف رأيه وقلة عقله للامور.

الى أن قال :وقيل انما عيره بهذه الصنعة لانها صنعة دنيئة تستلزم صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذائل الاخلاق ، فانها مظنة الكذب والخيانة . الخ .

٣) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٩٣/١ : فأما الاسر الذي أشار أمير المؤمنين عليه السلام اليه في الجاهلية ، فقد ذكره ابن الكلبى في « جمهرة النسب»، فقال:ان مراداً لماقتلت قيساً الاشج خرج الاشعث طالباً بثاره فخرجت كندة متساندين على ثلاثة ألوية .

الى أن قال :فأخطئوا مراداً ولم يقعوا عليهم ، ووقعوا على بنى الحارث بن كعب ، فقتل كبس والقشعم ابو جبر ـ صاحبا اللوائين من الثلاثة ـ وأسر الاشعث

مالك ولادافع من العشيرة، وغدرت بقومك بدلالتك الخصم عليهم. والحسب الشرف، وهو ما يحتسب به، ويكون الحسب العرض أيضاً. والمقت: البغض .

ثم بالغ في خطبة يعظ الناس فيها بأن قال :

لوعاينتم ورأيتم مجاهرة مارأى الموتى منكم لوهلتم ـ أي لفزعتم ـ وصرتم سامعين مطيعين اختياراً، ولاعذر لكم فقدبصر الله كل واحد منكم بالعبر وهداكم الى وجوب طاعتي، وأنامبلغ اليكم ماهومستور عنكم من أحوال القيامة وغيرها.

وقوله «الا البشر» أراد به نفسه وقريب مايطرح الحجاب فاصلة زائدة [1] .

ففدي بثلاثة آلاف بعيرلم يفد بها عربى بعده ولا قبله . وأما الاسرالثاني في الاسلام .

ثم ذكر وفده الى النبى صلى الله عليه وآله واسلامه، ثم ارتداده بعدرحلة النبى وأسره .

وقال ابن الحديد في الشرح ٢٧٩/٢ : قلت : كل فسادكان في خلافة علي عليه السلام وكل اضطراب حدث فأصله الاشعث .

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٩٨/١ : وهذا الكلام يدل على صحة القول بعذاب القبر، وأصحابنا كلهم يذهبون اليه ، وان شنع عليهم أعداؤهم من الاشعرية وغيرهم بجحده . وذكرقاضي القضاة : انه لم يعرف معتزلياً نفى عذاب القبرلامن متقدميهم ولامن متأخريهم ، قال : وانما نفاه ضرارابن عمرو لمخالطته لاصحابنا وأخذه عن شيوخنا ما نسب قوله اليهم .

ويمكن أن يقول قائل : هذا الكلام لايدل على صحة القول بعذاب القبر ، لجوازأن يعني بمعاينة من قدمات ما يشاهده المحتضر من الحالة الدالة على السعادة أوالشقاوة، فقد جاء في الخبر: لايموت امرؤحتى يعلم مصيره هل هوالى جنة أم الى النار .

ثم قال: فان الغاية ـ يعني الجنة أو النار ـ أمامكم، أي قدامكم . والساعة ـ يعنى القيامة ـ ورائكم . وفي اختصاص القدام بهذا والخلف بذلك لسر يكفيه أدنى نظر بعد التنبيه عليه[1] .

وانما نصب الامام والوراء لكونهما ظرفين ، وجعل الساعة اسم « ان » .

وبرز الرجل : فاق أصحابه .

ويمكن أن يعني به ما يعاينه المحتضر من ملك الموت وهول قدومه . ويمكن أن يعني به ما كان عليه السلام يقوله عن نفسه : انه لايموت ميت حتى يشاهده عليه السلام حاضراً عنده .

والشيعة تذهب الى هذا القول وتعتقده ، وتروي عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الاعور الهمداني :

يا حار همدان من يمت يرني   مـن مؤمن أو منافق قبـلا

وذكر الابيات ثم قال : وليس هذا بمنكر ان صح أنه عليه السلام قاله عن نفسه . الى آخر قوله .

أقول : الاشعار للسيد الحميري الشاعر المعروف ، قالها في مضمون ما قاله عليه السلام لحارث الاعور الهمداني عند جزعه عن الموت، والحديث مشهور.

وقد ذكرنا في مقدمتنا على «حاشية الشيخ البهائي على الاثناعشرية الصلاتية للشيخ حسن صاحب المعالم » أن الاشعار للسيد الحميري . راجع هناك .

١) وأما كون الساعة ورائهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه ، وكانت العادة في الهارب من الشيء أن يكون وراءه مهروب منه ، وكان الموت متأخراً عن وجود الانسان ولاحقاً تأخراً ولحوقاً عقلياً أشبه المهروب منه المتأخر اللاحق تأخراً ولحوقاً حسياً، فلاجرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء . راجع شرح ابن ميثم ٣٣١/١ .

ونقع الماء العطش : سكنه . والنطفة : الماء . وروى « وانقع نطفتها » .

ثم ذكر أصحاب الجمل فقال : ان الشيطان قد ذمر[1] ـ أي حرض ـ أصحابه ليعود الظلم الى قطانه[2] ، أي أصله . وروي ليعود الى أوطانه ، أي ليعود الشيطان الى مستقره ويرجع هو الباطل الى نصابه وأصله ، فاذا روي « ليعود الجور » في الخطبة يكون [قوله] الباطل مرفوعاً ويكون يرجع أويعود لازماً . وعلى الاول « يرجع » أو « يعود » يكون متعدياً .

ثم حلف بأنهم ماأنصفوني والنصف النصفة، وان دم عثمان هم سفكوه فلا بيعة علي منهم .

وقيل :ان هذه الخطبة في حق معاوية . وهذا أظهر ، فانه كان يقول : ونبعث الى علي [من يقول له] انك خذلته .

وكان عثمان استعان بمعاوية وقت حصاره فما أجابه [ولانهض من الشام

---

١) في اللسان : الذمر : اللوم والحض معاً ، وفي حديث علي عليه السلام « ألاوان الشيطان قد ذمر حزبه » أي حضهم وشجعهم . وحرض حرضاً من باب تعب : أشرف على الهلاك .

٢) كذا في د ، وفي ص : الى اقطانه .

أقول :قطن بالمكان قطوناً :أقام به، فهوقاطن والجمع قطان . وقرىء : الى قطابه. والقطاب بكسر القاف :مزج الخمر بالماء، أي يعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان .

ذكره ابن ابى الحديد في شرحه وقال : قال الراوندي « قطابه » أصله ، وليس ذلك معروفاً في اللغة . انتهى .

أقول : في النسختين من شرح الراوندي عندنا « قطانه » . ثم قال :وروى ... اوطانه .

الى المدينة لمعاونته] فعرض عليه من فحوى الخطبة الى هذا .

وقوله «يرتضعون أماً قدفطمت» كناية واستعارة ، أي يسعون فيما لاخيرلهم فيه ولاطائل تحته .

ثم قال « ياخيبة الداعي » تنديره ياهؤلاء ، فحذف المنادى ، خاب هذا الداعي خيبة وهو معاوية ، دعا علياً عليه السلام الى المحاربة بدلالة قومه . ومن العجب ببعثهم الي أن ابرز وأن اصبر . وروي كلاهما على هذا الوجه أيضاً على لفظ الخبر ، والسماع على لفظ الامر .

ثم استأنف فقال : من دعا تحقر سوبه[1] . ثم ذكروا لي ما أجبت ، أي الى أي شيء أجبت هذا الداعي، فيكون «أجبت» فعلا ماضياً مالم يسم فاعله . وروي « والامر أجبت » برفع التاء على أن يكون « أجبت » للمتكلم، أي والى أهون أمرأجبته .

وقوله « هبلته » أي ثكلته ، والهبول من النساء : الثكول، أي ثكلته أمه لقد كنت غيرجبان في الحروب قبل هذا لعلمي بأن نعسى نعسى[2] ولم تكن لي شبهة في صحة دين الله[3] .

(الاصل) :

(من خطبة له عليه السلام)

أما بعد ، فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطرالمطر الى كل نفس

---

١) كذا في ص ، د . ولعله : « نحتقرشوبة » بالمتكلم مع الغير . او« تحتقر شوبته » بما لم يسم فاعله . والشوبة : الخديعة .

٢) كذا في د ، ص . ولعله « يقيني لقيني » أوبالعكس . وفي « م » يقيني يقيني ، والظاهر أن ما قلناه حسن .

٣) في م : في صحة ديني .

بما قسم لها من زيادة أو نقصان ، فاذا رأى أحدكم لاخيه غفيرة في أهل أومال أو نفس فلا تكونن له فتنة ، فان المرء المسلم مالم يغش دناءة تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغري بها لئام الناس [كان] [1] كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه[2] بها المغرم، وكذلك المرء المسلم والبرىء من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين : اما داعي الله فما عندالله خيرله ، واما رزق الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه .

ان المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله تعالى لاقوام ، فاحذروا من الله ماحذركم من نفسه ، واخشوه خشية ليست بتعذير .

واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له .

نسأل الله منازل الشهداء ، ومعايشة السعداء ، ومرافقة الانبياء .

أيها الناس انه لايستغني الرجل ـ وان كان ذامال ـ عن عشيرته[3] ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، فهم أعظم الناس حيطة من ورائه، والمهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به ، ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه[4] غيره .

(منها) : ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه ، ومن يقبض يده عن عشيرته

---

١) ليس « كان » في ص .

٢) ليس « عنه » في ب .

٣) في يد : عن عترته .

٤) في يد : يرثه .

فانما يقبض منه عنهم يداً[١] واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة ، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة .

قال السيد :ماأحسن المعنى الذي أراده بقوله عليه السلام «ومن يقبض يده عن عشيرته» الى تمام الكلام، فان الممسك يده وخيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة ، فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته، فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة .

(ومن خطبة له عليه السلام)

ولعمري ماعلي من قتال من خالف الحق وخابط البغي[٢] من ادهان ولا ايهان، فاتقوا الله عباد الله ، وفروا الى الله من الله، وامضوا في الذي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم ، فعلي ضامن لفلجكم ، آجلا أن لم تمنحوه عاجلا .

(بيانه) :

ذكرأولا أن الامر السماوي لكل[٣] أحد ـ وهوالرزق الذي ينزله الله تعالى أو نحوه ـ يكون على وفق المصلحة الدينية، يزيد ذلك وينقص على ماتقتضيه المصالح ، فلاينبغي لاحد أن يحسد ذا مال كثير ، فان من كان مؤمناً ولامال له فهو الظافر حقيقة .

وضرب له مثلا ، ثم طيب قلبه بأنه : ان لم يبق له عمر طويل فما يصنع هو بمال الدنيا ، وقد أعد الله له الخير الجزيل عنده ، وان عاش فاليسران

---

١) في نا ، يد ، الف ، ب : فانما تقبض منه عنهم يد واحدة .

٢) في نا ، يد ، الف : الغى .

٣) في م : لكل واحد .

بعد عسر واحد يكونان لـه من الاهل والمال ، ولـم يهن نفسه بالمحاسدة ولا غبار على دينه ولاعلى حسبه[1] .

ثـم أشار الى قوله تعالى « المال والبنون زينـة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك »[2] ، فهذه أربعة أشياء مجموعة في هذه الالفاظ .

ثم حذر من عقاب الله ودعا الى فعل الطاعة مع الاخلاص ، وسأل الله منزلة الشهداء لنفسه ولمن يكون على منهاجه .

ثم وصى باعانة الاقرباء ومراعاتهم ، وبالغ في ذلك .

وأما قوله « فاذا رأى أحدكم غفيرة في أهل أومال فلاتكونن له فتنة » فالغفيرة هاهنا الكثرة والزيادة ، من قولهم «الجم الكثير ، الجم الغفير ، والجماء الغفير»[3] .

ويروى «عفوة في أهل أومال» ، فالعفوة الخيار من كل شيء ، تقول «أكلت عفوة الطعام » أي خياره .

وانما قال لا تكونن له فتنة ، لان من نظر في أحوال الدنيا الى من فوقه يستحقر ماعنده من نعم الله ، فيكون ذلك فتنة عليه .

وقوله «ويغري بها لئام الناس» من أغريت الكلب بالصيد ، وأغريت بينهم

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٢/٤ : وحاصله الاشارة الى أن كل ما يحدث من زيادة أونقصان ويتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة أو مال أوعلم أوجاه أوأهل ، فانه صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شيء . والمراد بالامر حكم القدرة الالهية على المكنات بالوجود ، وهو المعبر عنه بقوله تعالى « كن» في قوله « انما قولنا لشيء اذا أردناه » . الخ .

٢) سورة الكهف : ٤٦ .

٣) يقال : جاؤا جماء الغفير والجماء الغفير أي بجملتهم .

اغراء . واغرى به : أي ولع به . وغريت الجلد : ألصقته بالغراء [1] . والفالج [2] : الظافر . والياسر : اللاعب بالقداح [3] . وهذا يكون في تلك

---

١) الغراء مثل كتاب :ما يلصق به معمول من الجلود، وقد يعمل من السمك والغرا مثل العصا لغة فيه .

٢) فلج فلوجاً كقعد : ظفر بما طلب .

٣) قال ابن ميثم في الشرح ٦/٢ :فلنشر أولاً الى كيفية اللعب المسمى ميسر ليتضح به وجه التشبيه ، فنقول : ان الخشبات المسماة قداحاً ـ وهي التى كانت لايسار الجزور ـ سبعة :أولها : الفذ بالذال المعجمة، وفيه فرض واحد. وثانيها : التوأم ، وفيه فرضان . وثالثها : الضريب بالضاد المعجمة، وفيه ثلاثة فروض . ورابعها : الحلس بكسر الحاء ، ونقل احمد بن فارس في « المجمل » الحلس بفتح الحاء وكسر اللام ، وفيه أربعة فروض . وخامسها : النافس ، وفيه خمسة فروض . وسادسها : المسبل ، وهي ستة فروض . وسابعها : المعلى ، وله سبعة فروض . وليس بعده قدح فيه شيء من الفروض ، الا أنهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة أخرى تسمى أوغاداً لافروض فيها وانما تثقل به القداح، وأسماؤها: المصدر ، ثم المضعف ، ثم المنبح ، ثم الصفيح .

فاذا اجتمع أيسار الحي أخذ كل منهم قدحاً وكتب عليه اسمه أوعلم بعلامة، ثم أتوا بجزور فينحرها صاحبها ويقسمها عشرة أجزاء على الوركين، والفخذين والعجز، والكاهل، والزور، والملحاء، والكتفين .ثم يعمد الى الطفاطف وجرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية، فاذا استوت وبقي منها عظم أوبضعة لحم انتظر به الجازر من أراده ممن يفوز قدحه، فان أخذه عير به والافهو للجازر.

ثم يؤتى برجل معروف أنه لم يأكل لحماً قط بثمن الا أن يصيبه عندغيره ويسمى « الحرضة » ، فيجعل على يديه ثوب وتعصب رؤوس أصابعه بعصابة

الحالة طيب النفس يرجو غنيمة يدفع بها غرامه ، وروي ينظر من الله، واحدى الحسنيين الوفاة أو الثروة ، أي الحالتين الحسنتين للمؤمن .

وأما قوله «اما داعي الله» هو الموت ، وقوله «ليست بتعذير»[1] أي بتقصير .

وانما سأل منازل الشهداء ولم يسأل الشهادة اختياراً للاحسن على الحسن وطلباً لجميع درجاتها ، وليس الشهادة هى القتل وانما هي الاصطبار عليه لله .

كيلا يجد مس الفروض، ثم يدفع اليه القداح، ويقوم خلفه رجل يقال له «الرقيب»، فيدفع اليه قدحاً قدحاً منها من غير أن ينظر اليها ، ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور أخرى لصاحب الجزور الذي نحرها، فان اتفق أن خرج المعلى أولا فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من الجزور، ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الاثلاثة أجزاء أخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور أخرى .

وأما القداح الاربعة الاوغاد فليس في خروج أحدها غنم ولا في عدم خروجه غرم . والمنقول عن الايسار أنهم كانوا يحرمون ذلك اللحم على أنفسهم ويعدونه للضيافة .

ثم قال : اذا عرفت ذلك فاعلم أن الشبه هو ما ذكره عليه السلام ، وذلك أن الفائز الياسر الذي ينتظر قبل فوزه أول فوزة من قداحه أوجب له فوزه المغنم ونفى عنه المغرم ، فكذلك المسلم البرىء من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله لما كان لابد له في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته أن يفوز باحدى الحسنيين .

الى أن قال : ولما كان فوزه مستلزماً لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه . الى آخر ماقال .

[1] التعذير : اظهار العذر ممن لاعذر له في الحقيقة .

على أنه لا يحسن منا أن نسأل الله القتل، فهو ضعف للاسلام وقوة لاهل الكفر، وانما يستحسن أن نسأله تعالى درجة المقتولين في سبيل الله ، وقد يكون ذلك مع الموت على الفراش .

وأعظم حيطة : أي احتياطاً ، على وزن بينة . وروي حيطة :وهي الحياطة والحفظ ، وقد حاطه يحوطه حوطاً أي كلأه ورعاه ، ومع فلان حيطة لك، ولا تقل عليك ، أي تحنن وتعطف . واحتاط : أخذ بالثقة .

ولسان الصدق[1]: أي كلمة الخير والصلاح، ولما كان اللسان جارحة الكلام جاز بأن تكنى عنها .

وقوله «برى بها الخصاصة» أي الفقر، والخصاصة : الخلل والثقب الصغير وان يسدها بذل من القرابة للاستمال ، وروي صونه بالنون .

وقوله « من ادهان » أي مداهنة . والايهان من الوهن .

وقوله « فروا الى الله »[2] أي باعتبار توبتكم الى الله .

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ١٠/٢ : فلسان الصدق هوالذكر الجميل بين الناس ، وهومن غايات البذل والانفاق ، وغاية جمع المال هي توريثه للغير .

٢) قال ابن ميثم في الشرح ١٤/٢ : الامر بالفرار الى الله وهوأمر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس الى كعبة وجوب وجوده . واعلم أن فرار العبد الى الله تعالى على مراتب :

فأولاها : الفرار عن بعض آثاره الى بعض ، كما يفرمن أثرغضبه الى أثر رحمته . . .

الثانية :أن يغنى العبدعن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال ، وهي الصفات ، فيفرمن بعضها الى بعض . . .

الثالثة : أن يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها ،

و« لياذكم بالله » أي اهربوا الى رحمة الله من عقاب الله .

وقوموا بما عصبه بكم: أي جعله كالعصابة وشدها بكم، وهو التكليف الذي تعبدنا الله به .

والفلج : الظفر .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدما[1] عليه عاملاه على اليمن ، وهما عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن ارطاة [2] ، فقام عليه السلام الى منبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي ، فقال عليه السلام :

ما هي الا الكوفة ، أقبضها وأبسطها، ان لم تكوني الا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله . وتمثل بقول الشاعر :

لعمر أبيك الخير ياعمرو انني على وضر من ذا الاناء قليل

ثم قال عليه السلام :

انبئت بسراً قداطلع اليمن، واني والله لاظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم

كقوله تعالى « لاملجأ من الله الا اليه » . . .

الى أن قال : اذا عرفت ذلك ظهر أن مقصوده عليه السلام بقوله « وفروا الى الله من الله » أمر بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة .

١) في نا ، يد ، الف ، ب : قدم .

٢) في نا ، يد ، : ابن ابى ارطاة .

باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم [1] عن حقكم ، وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل، وبأدائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم صاحبكم[2]، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلوائتمنت أحدكم على قعب لخشيت يذهب بعلاقته .

اللهم اني قدمللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني .

اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ، أما والله لوددت أن لي بكم الف فارس من بني فراس بن غنم :

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر .

قال السيد الرضي رحمه الله[3] : الارمية جمع رمي وهو السحاب . والحميم في هذا الموضع[4] : وقت الصيف، وانما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه أشد جفولا وأسرع خفوفاً، لانه لاماء فيه، وانما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ، وذلك لايكون في الاكثر الا في أزمان الشتاء . أراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا . والدليل على ذلك قوله :

هنالك لو دعوت أتاك منهم

---

١) في الف « من » بدل « عن » .

٢) ليس « صاحبكم » في نا ، الف ، يد .

٣) في الف بعد هذا : قلت انا .

٤) في يد : « هاهنا » مكان « في هذا الموضع » .

(ومن خطبة له عليه السلام)

ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن وحيات صم ، تشربون الكدر وتأكلون الجشب ، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم ، الاصنام فيكم منصوبة والاثام بكم معصوبة .

(ومنها) : فنظرت فاذا ليس لي معين الا أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت، فأغضيت[1] على القذى وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم .

(منها) : ولم يبايع حتى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمناً ، فلا ظفرت يد المبايع[2] وخزيت أمانة المبتاع، فخذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها، فقد شب لظاها وعلا سناها ، واستشعروا الصبر فانه أحزم[3] للنصر .

(بيانه) :

هذا بسر بن ارطاة[4] أحد بني عامر بن لؤي ، ذكره المبرد ، وكان قائداً

---

١) في نا ، الف ، ب ، يد : واغضيت .

٢) في يد : يد البائع .

٣) هذه الجملة في نا ، الف في الهامش بعنوان [ن ل] . وفي يد ، الف ، « ادعى الى النصر » .

٤) في ص : « بشر » بالشين المعجمة بعد الباء الموحدة .

وهو بسر بن ارطاة ـ وقيل: ابي ارطاة ـ بن عويمر بن عمران بن الحليس

. . . .

ابن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

بعثه معاوية الى اليمن في جيش كثيف ، وامره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام ، فقتل خلقاً كثيراً، وقتل فيمن قتل ابنى عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب وكانا غلامين صغيرين ، فقالت أمهما ترثيهما :

يا من أحس بابني اللذين هما　　　كالدرتين تشظى عنهما الصدف

في أبيات مشهورة .

وذكره في أسد الغابة ١٧٩/١، وقال بعد سرد نسبه :وقيل « ارطاة بن ابي ارطاة » واسمه عمير . والله أعلم. يكنى أبا عبدالرحمن وعداده في أهل الشام .

قال الواقدي : ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بسنتين ، وقال يحيى ابن معين واحمد بن حنبل وغيرهما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير، وقال أهل الشام سمع من رسول الله ، وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مدداً لعمرو بن العاص لفتح مصر على اختلاف فيه أيضاً .

الى أن قال : وشهد صفين مع معاوية ، وكان شديداً على علي عليه السلام وأصحابه .

وقال أبوعمر : كان يحيى بن معين يقول : . . . هورجل سوء ، وذلك لما ركبه في الاسلام من الامور العظام. ثم ذكر من فجائعه ومظالمه كذبح عبدالرحمن وقثم ابنى عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب وهما صغيران بين يدي أمهما، وقتله شيعة علي عليه السلام في الحجاز واليمن، ودخوله مدينة الرسول واخافة أهلها وفيهم من الصحابة ومنهم جابر بن عبدالله وابو ايوب الانصاري وغيرهما ، واغارته على همدان وسبى نسائهم وصبيانهم فكن أول مسلمات سبين في الاسلام.

من قواد معاوية ، وكان علي عليه السلام يستنفر الناس الى الجهاد نحو معاوية فيتثاقلون حتى تحرك معاوية من الشام ، فقال علي عليه السلام على المنبر :

ماهي : أي ما المملكة . الا الكوفة : أي أملكها .

أقبضها وابسطها : أي اتصرف فيها ، يعني ان لم تكن لنا في هذه الدنيا الواسعة الا أرض الكوفة فلاكانت ولا هبت ريح دولتها .

ذكر أولا الكوفة على سبيل الاخبار عنها ، ثم التفت وخاطبها. وهذا نوع من الفصاحة يسمى التفنن في الكلام ، كما قال تعالى « الحمدلله رب العالمين » ثم خاطب فقال « اياك نعبد [واياك نستعين »] .

والاعصار : ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق ، وقيل هي ريح تثير الغبار ويرفع الى السماء كأنه عمود [1] . وقال تعالى « فأصابها اعصار فيه نار » [2] وهي ريح لاتكون لها شده عظيمة ، وتكنى بالريح عن الدولة .

وقبحك الله عن الخير : أي نحاه عنه فهو من المقبوحين [3] . وقبحك الله بالتشديد من القبيح .

توفي بالمدينة أيام معاوية ، وقيل : توفي بالشام ايام عبدالملك بن مروان، وكان قد خرف في آخر عمره .

أسدالغابة ١٧٩/١ ، شرح ابن أبي الحديد ٣٤٠/١ و ٣/٢ ، شرح محمد عبده ٤٢/١ .

١) قاله في المصباح المنير: وذكر أن العرب تسمي هذه الريح «الزوبعة» وقال في الزوبع والزوبعة : ريح تدورفي الارض لاتقصد وجهاً واحداً تحمل الغبار وترتفع الى السماء كأنه عمود .

٢) سورة البقرة : ٢٦٦ .

٣) سورة القصص : ٤٢ . معنى من المقبوحين أي من المبعدين عن الفوز.

والوضر[1] : الدسم والدرن .

ومعنى البيت أنه أقسم فقال : بقاء والدك الصالح فسمى ابى على وضر قليل من الخير الذي في هذا الاناء ، أي لامنفعة له [2] فيه . وذا للاشارة. وروي « من ذي الاناء » يعنى الذي في الاناء ، يعنى اللبن .

يقال ضربه حتى ألقى داء بطنه : أي رجيعه .

ويقال الذئب يغيظ بذي بطنه . قال الراعي[3] :

ولما قضت من ذي الاناء لبانة أرادت الينا حاجة لانريدها

يقول : لما قضت تلك المرأة حاجتها من اللبن الذي في الاناء رغبت فيما رغبت عنه .

وقوله « سيدالون منكم » أي تكون لهم الدولة دونكم . وذكر علة ذلك ، وهي خصال أربع فيهم، وهي : اجتماعهم وطاعتهم وامانتهم وصلاحهم . وعلى عكسها فيكم .

وانما مل صحبة أصحابه لان اكثر أصحابه هم الذين كانوا رتبوا أمرمن قبله عليه السلام في الامر ، فلم يكن فيهم من مائة واحد من خواصه، وهو عليه

---

١) الوضر : الوسخ معنى ووزنا .

٢) في د : « لى » بدل « له » .

٣) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل الراعي النميري، أبو جندل. كان شاعراً من فحول الشعراء وأكابر المحدثين، كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الابل ، وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد ، وكان عاصر جريراً والفرزدق ويفضل الفرزدق . مات سنة ٩٠ .

أنظر : الاعلام للزركلي ٣٤٠/٤ ، قصص العرب ٢١٠/٣ ، جمهرة أشعار العرب ١٧٢ .

السلام يداريهم . ومللهم من صحبته ، لانه عليه السلام كان خشناً في دين الله .

وانماجمع بين السأم والملل ــ فهمابمعنى ــ لان المراد بالملل الضجر من القول والسأم من الفعل ، أوالملل وهو ضجر في العلانية والسأمة ضجرالسر . على أن الملالة أعم من السآمة ، فدعا لنفسه أن يدله الله بهم خيراً منهم ولم يكن فيهم خير البتة .

وحسن أن يقال هذا لقوله تعالى « أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة »[1] وكقوله « قل أذلك خير أم جنة الخلد »[2]. ولايخفى أنه ليس في نار جهنم خير للكفار .

وطلبه عليه السلام بدلاعنهم ، يجوز أن يكون ذلك في الدنيا ، بأن يهيىء الله ويوفق قوما صلحاء ويجتمعون اليه، أويكون ذلك تمنياً لما بعد الموت من صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وقوله « وأبدلهم بي شراً مني » ولم يكن فيه شر ، وانما مورد الكلام على ماهو عند القوم وعلى وفق اعتقادهم ، فكأن معناه : أخذلهم يارب كما خذلوني بحيث لو كان لهم بعدي وال ظالم خل بينه بينهم .

وروي لما دعا عليه السلام هذا الدعاء ولد بعد ذلك الحجاج بن يوسف عن قريب وصحبته مع أهل الكوفة وغيرهم في الاهلاك والظلم معروفة .

وقوله « اللهم مث قلوبهم » أي اجعلها ذائبة، يقال : مثت الشيء في الماء ومثته وأميثه وأموثه [3] اى دفنه . وقيل ان تمنيه بدلا من هؤلاء فرساناً من بنى

---

١) سورة فصلت : ٤٠ .

٢) سورة الفرقان : ١٥ .

٣) ماث الشيء يموثه موثاً : مرسه . قال الجوهري : مثت الشيء في

فراس بن غنم[1]، لانهم مع كفرهم يستقيمون في طريقة المصاحبة، لايكون فيهم الفساد والخيانة والعصيان والتفرق كما يكون في هؤلاء . وبنو فراس بن غنم أهل الروم، وقيل فيه غيرذلك. أي لوكان بدل هؤلاء الدؤلفة قلوبهم لكان أولى.

والبيت[2] الذي تمثل به لابى جندب الهذلي يخاطب امرأة . وأول الابيات:

الماء أموثه موثاً وموثاناً: اذا دوفته . والكلمة واوية . وماث الملح في الماء : أذابه . في اللسان: وفي حديث علي عليه السلام « اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء » .

١) بنو فراس بن غنم بـن خزيمة بن شركة بن الياس بن مضر ، أوهـم بنوفراس بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، حي مشهور بالشجاعة ، ومنهم علقمة بن فراس، وهو جذل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم حامي الظعن حياً وميتاً ولم يحم الحريم احد وهو ميت غيره. عرض له فرسان من بني سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهن وحده ، فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب قلبه ، فنصب رمحه في الارض واعتمد عليه واشار اليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيـوت الحي ، وبنوسلم قيام ينظرون اليه لايتقدم أحدمنهم نحوه خوفاً منه ، حتى رموا فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقدكان ميتاً . راجع شرح عبده ١ /٤٣ .

وقال ابن ميثم في الشرح ٢ / ٢٢ : وبنوفرس حي من تغلب أبوهم غنم - بفتح الغين وسكون النون - وهوغنم بن وائل. وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة اجابة الداعي .

٢) وقال ابن ميثم : وأما البيت « هنالك لودعيت » فمعناه ماذكره السيد الرضي رضوان الله عليه ، ووجه تمثيله عليه السلام بهذا البيت أن هؤلاء القوم ودأنهم كانوا له عوضاً عن قومه ، هم بصفة الفوارس الذين اشار اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم

ألا يا أم زيباع أقيمي صدورالعيش نحو بنى تميم

ثم يقول فيها «هنالك لو دعوت اتاك منهم» البيت . وقد شرحه الرضي .

ثم ذكر في الخطبة ثلاثة أشياء خاطب العرب وذكرهم :

رحمة الله عليهم بسبب بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان كل واحد منهم يعالج البعير والناقة ويقاسي الفقر والفاقـة يقتل بعضهم بعضاً ، فأصلح الله بمحمد [صلى الله عليه وآله وسلم] شأنهم .

ثم ذكر حال نفسه بعدوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد سلب حقه ولزم بيته وماحرك يداً اذ لم يجد معيناً الا أقرباه، فضن وبخل بهم عن القتل، فصبر وذكر احتراساً من أحوال معاوية وأصحابه، فقال : ولم يبايع عمرو بن العاص[1]

فلذلك تمناهـم عوضاً . ومقصوده في جميع ذلك ذمهم وتوبيخم وتحقيرهـم بتفضيل غيرهم عليهم، تغيراً لطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن دعوته للذب عن دين الله . وبالله التوفيق والعصمة . انتهى .

١) هو أبوعبدالله ـ او أبومحمد ـ عمروبن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد ـ بالتصغير ـ بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي .

أسلم في صفر سنة ثمان قبل الفتح بسنة أشهر وقيل غير ذلك .

وأمه «النابغة» بنت حرملة سبية من بنى جلان بن عتيك ابن اسلم بن يذكر ابن عترة .

ذكر في أسد الغابة أنه سأل رجل عمرو بن العاص عن أمه فقال : سلمى بنت حرملـة تلقب النابغة من بنى عترة أصابتها رمـاح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل، فولدت له فأنجبت ، فان كان جعل لك شيء فخذه . انتهى.

أقول : وفي أمه حكايات ذكرها أصحاب التاريخ فراجع .

معاوية الا بشرط أن يعطيه معاوية ثمناً لبيعته [٢] .

وكان من أمراء الاسلام في فتح الشام ومصر في زمن عمر بن الخطاب ، وولي عمرو امرة مصر في زمانه أيضاً ، وهو الذي افتتحها ، وأبقاه عثمان قليلا ثم عزله وولى عبدالله بن ابى سرح ، وكان أخا عثمان من الرضاعة .

وذكر صاحب « جمهرة رسائل العرب » مجيئه الى عثمان بعد عزله، الى أن قال : فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عمر .

ولما قصد الثوار الى المدينة أخرج لهم عثمان علياً عليه السلام فكلمهم فرجعوا عنه ، وخطب عثمان الناس فقال « ان هؤلاء من أهل مصر كان بلغهم عن امامهم أمر ، فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا الى بلادهم » .

فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتق الله ياعثمان فانك قد ركبت نهابير ـ جمع نهبورة أي مهلكة ـ وركبناها معك، فتب الى الله نتب . فناداه عثمان : وانك هناك يابن النابغة ، قملت والله جبتك منذ تركتك من العمل .

فلما حصر عثمان خرج عمرو الى فلسطين ، وكان يقول : انا أبوعبدالله اذا حككت قرحة نكأتها، مات سنة ٤٣ على الصحيح، وقيل قبلها بسنة وبعدها.

راجع : الاصابة ٥ / ٢ ، اسد الغابة ٤ / ١١٥ ، جمهرة رسائل العرب ١ / ٣٨٨ ، مروج الذهب ٢ / ٤ وغيرها .

٢) ذكر أصحاب التاريخ انمعاوية كتب الى عمرو بن العاص وهوبفلسطين: « أما بعد ، قد كان من علي وطلحة والزبير ماقد بلغك ، وقد سقط علينا مروان بن الحكم في رافضة من أهل البصرة » الخ .

وذكروا أنه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين

. . . .

استشار ابنيه عبدالله ومحمداً . . . قال عبدالله وهو الاكبر : أرى والله أن نبي الله قدقبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك، وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم في منزلك . . . وقال محمد :أرى انك شيخ قريش وصاحب أمرها فان ينصرم هذا الامروأنت فيه خامل يصغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل الى بني أمية .

فقال عمرو : أما أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي . ثم استشار غلامه وردان فقال: اعترضت الدنيا والاخرة على قلبك ، فقلت مع علي الاخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير الاخرة ، فأنت واقف بينهما . فقال : أرى أن تقيم في منزلك . . .

وقدم عمرو الى معاوية ووقعت بينهما مذكرات كثيرة . . . فقال عمرو : لاوالله لا أعطيك من ديني حتى آخذ من دنياك . قال معاوية . صدقت سل تعط. قال عمرو: مصرطعمة. فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة. وقال في جواب مروان اسكت يابن العم فانما نشتري لك الرجال .

وقال ابن ابى الحديد فى الشرح : قلت : قال شيخنا أبوالقاسم البلخي: قول عمروله « دعني عنك »كناية عن الالحاد بل تصريح به، أي دع هذا الكلام لاأصل له ، فان اعتقاد الاخرة وانها لاتباع بعرض الدنيا من الخرافات .

وقال رحمه الله تعالى :ومازال عمرو بن العاص ملحداً ماتردد قط في الالحاد والزندقة، وكان معاوية مثله، ويكفي في تلاعبهما حديث : السرار المروي وان معاوية عض اذن عمرو ، أين هذا من سيرة عمرو ؟ وأين هذا من اخلاق علي عليه السلام وشدته في ذات الله ، وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة . انتهى .

ثم دعا عليهما بأن المبايع الذي هو عمرو لاظفرت يداه ، وان الذي أخذ البيعة ويزيد بن معاوية هو المبتاع خزيت [1] أمانته .

ثم دعا أصحابه الى عدة الحرب التى شبها [2] معاوية .

وقوله « وانتم منيخون بين حجارة خشن وحيات صم » أي أنتم مقيمون بينها ومنيخون جمالاتكم وسطها .

والخشونة : ضد اللين ، وقد الخشن الشيء بالضم فهو خشن ، والا خشن مثـل الخشن ، والجمع خشن كأحمر وحمر وأسود وسود . وفى الحديث « أخيشن في ذات الله » و« معشر خشن » . ويجوز تحريكه في الشعر ، وقرىء في الشواذ « ثياب سندس خضر » .

والحية تكون للذكر والانثى، وانما دخلته الهاء لانه واحد من جنس، مثل بطة ودجاجة . ويقال فلان حية ذكر ـ والجمع حيات ـ يعنون به عدواً شديد الخصومة ، ولذلك يصفونه بالاصم والحياة الصم. وتكنى عن الداهية بالحية، ويقال الداهية الصماء والجمع صم . وحجر أصم [3] شديد [صلب] [3] مصمت، وكأنه مقتبس من قوله تعالى «أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» [4] واشارة

وقال الجاحظ : فكان مصر لعظمها في نفس عمرو وجلالتهـا في صدره لايستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه .

شرح ابن ابى الحديد ٢ / ٦٥ ، الامامة والسياسة ٨٨/١ ، جمهرة رسائل العرب ١ / ٣٨٧ .

١) خزي خزياً : ذل وهان وخسر .

٢) شبها معاوية : أي أشعل نارها وأوقدها .

٣) في ذ : صم . والزيادة من د .

٤) سورة قريش : ٤ .

الى ايلاف الله تعالى قريشاً .

وقيل: أي انما ماكنتم قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تنزلون في سهل الارض، وانما كانت الحجارة الخشن التى هي الجبال ملاذكم ومسكنكم وكنتم بين أعداء الد [1] .

والطعام الجشب : هو الغليظ الخشن ، وقيل هو الذي لا أدم معه .

والاثام بكم معصوبة : أي مشدودة .

والشجا : ماينشب في الحلق من عظم وغيره . والكظم : مجرى النفس .

والعلقم : ثمر الحنظل .

وقوله « خزيت أمانة المبتاع » أي ذلت وهانت ، وابتاع الملك ممن باعه أي أخذ بيعته .

والاهبة [2] : العدة ، والاهاب : القشر .

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

أما بعد : فان الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة [3]، وضرب على قلبه بالاسهاب،

---

١) لد يلد لدداً : اشتدت خصومته ، فهو : ألد .

٣) الاهبة الاستعداد والعدة. والجمع :أهب مثل غرفة وغرف . والاهاب: الجلد قبل أن يدبغ . والجمع أهب ككتاب وكتب .

٣) كذا في يد ، ب . وفي ص ، نا ، الف : والقماء .

وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف .

ألاواني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً سراً واعلاناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم . فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا .

فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان .

هذا أخو غامد قدوردت خيله الانبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها. وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ، ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام. انصرفوا وافرين، ما نال رجلا منهم كلم ، ولا أريق لهم دم .

فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعدها [1] أسفاً ماكان به ملوماً ، بل كان عندي [2] به جديراً . فياعجباً [والله] [3] يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً ، حتى صرتم غرضاً يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون .

فاذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر ، واذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد . كل هذا فراراً من الحر والبرد [4]، فاذا كنتم من الحر والبرد [5] تفرون فأنتم والله من السيف أفر .

---

١) كذا في ص ، وفي ب ، نا ، يد ، ألف : من بعد هذا .

٢) في يد ، نا ، الف ، ب : به عندي .

٣) ليس « والله » في ص .

٤) في يد ، نا ، ب ، ألف : والقر ، مكان « والبرد » .

٥) في يد : من القر .

يا أشباه[١] الرجال ولارجال، حلوم الاطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت اني لم أركم ولم أعرفكم ، معرفة ـ والله ـ جرت [٢] ندماً وأعقبت سدماً [٣] .

قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم [٤] صدري غيضاً ، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى[٥] قالت قريش: ان ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لاعلم له بالحرب .

لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أناذا[٦] قدذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

(ومن خطبة له عليه السلام)

أمابعد، فان الدنيا قدأدبرت وآذنت بوداع، وان الاخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع . ألا وان المضمار [٧] اليوم وغداً السباق ، والسبقة الجنة والغاية النار . أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ، ألا وانكم في

---

١) في ص : يا شباه الرجال . وفي الف « أشباه الرجال » باسقاط حرف النـداء .

٢) في الف : جزت .

٣) في ص وهامش نا و ب : « ذماً » .

٤) في ب : شجنتم بالجيم .

٥) في يد : حتى لقد قالت .

٦) في ب ، ص : وها أنا .

٧) في نا ، يد ، الف ، ب : وان اليوم المضمار .

أيام مهل [1] من ورائه أجل ، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضره أجله[2]، [ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله] [3] .

ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ، ألا واني لم أر كالجنة نام [4] طالبها ولا كالنار نام هاربها، ألا وانه من لم ينفعه الحق [5] يضرره الباطل ومن لا [6] يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى .

ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، وان أخوف ما أخاف عليكم [7] اتباع الهوى وطول الامل ، تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون [8] به أنفسكم غداً .

قال السيد رضي الله عنه : لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الامال وقادحاً زناد الاتعاظ والازدجار . ومن أعجبه قوله عليه السلام «ألا وان اليوم المضمار وغداً السباق والسبقة الجنة والغاية النار » فان فيه [مع] فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سراً عجيباً ومعنى لطيفاً، وهو قوله « والسبقة

---

١) في ب ، الف ، نا ، يد : في أيام أمل .
٢) في الف ، ب ، نا ، يد : ولم يضرره .
٣) هذه الزيادة ليست في ص .
٤) في ص : قام .
٥) في ب ، يد ، نا : من لا ينفعه الحق .
٦) في نا ، يد : لم يستقم .
٧) في الف ، ب : عليكم اثنان .
٨) في نا : تحوزون .

الجنة والغاية النار » ، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل «السبقة النار » كما قال « والسبقة الجنة » لان الاستباق انما يكون لامر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار. نعوذ بالله منها. فلم يجز أن يقول « والسبقة النار » بل قال « والغاية النار » ، لان الغاية قد ينتهي اليها من لايسره الانتهاء اليها ومن بسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الامرين معاً ، فهي في هذا الموضع[1] كالمصير والمآل. قال الله تعالى «قل تمتعوا فان مصيركم الى النار » ، ولا يجوز في هذا الموضع [2] أن يقال : فان سبقتكم الى النار .

فتأمل ذلك ، فباطنه عجيب وغوره بعيد ، وكذلك أكثر كلامه [3] .

وفي رواية الاخرى[4] : «والسبقة الجنة» بضم السين ، والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذ اسبق من مال أو عروض .

والمعنيان متقاربان ، لان ذلك لايكون جزاء على فعل الامر المذموم ، وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود .

(بيـانه) :

ذكر أولا ماهو حث لاصحابه على مجاهدة معاوية ، ثم ذكر شكايتهم وقال: ان جفوف أهل الشام نحوهم كله من تثاقلهم ، وذكر أخيراً تجرعه من أيديهم.

---

١) ليس « مع » في ص .

٢) في ص في الموضعين « في هذا المعنى » .

٣) من هنا الى قوله « المحمود » ليس في الف ، ب .

٤) في يد :في بعض النسخ « وقدجاء في رواية أخرى :والسبقة الجنة بضم السين » . وفي ناكذا : وقد جاء في رواية أخرى بضم السين .

وكله واضح .

أما قوله « ديث بالصغار والقماء » يقال : ديثه أي ذلله، وطريق مديث : أي مـذلل .

والقما فتح مع قصر ، يقال : قمو يقموقماً وقماة فهوقمى [1] ، وهو الصغير الذليل . والصغار بفتح الصاد : الذل والضيم .

وقوله «وضرب على قلبه بالاسهاب» أي بذهاب العقل ، يقال أسهب الرجل ـ على مالم يسم فاعله ـ اذا ذهب عقله من لدغ الحية [2] .

وروي « وضرب على قلبه بالاسداد » جمع سد ، وهـو الحاجز ، وأصله الجبـل .

قوله «وسيم الخسف» أي كلف الذل والمشقة ، يقال سامه خسفاً : أي أولاه ذلا ، ورضي فلان بالخسف : أي بالنقيصة [3] .

و « منع النصف » أي الانصاف .

وعقر الدار : أصلها ، وهـو محلة القوم . قال الاصمعي : عقر كـل شيء أصله ، وأهل المدينة يقولون عقر الدار بضم العين .

---

١) في القاموس : قما كجمع وكرم قمأة وقماءة وقماءاً بالضم والكسر : ذل وصغر ، فهو : قمىء .

وقال ابن ميثم وابن أبي الحديد :وروى الراوندي بالقما بالقصر، وهوغير معروف .

٢) في اللسان : وفي حديث علي عليه السلام «وضرب على قلبه بالاسهاب» قيل : هو ذهاب العقل .

٣) في د : بالتقصير . أقول : قال الفيروزآبادي في القاموس : الخسف : النقيصة .

وشنت عليكم الغارات : أي فرقت عليهم الغارة من كل وجه وصبت ، من قولهم « شن الماء على الشراب » أي فرقه عليه .

« وأخوغامد » وهو واحد في هذه القبيلة، وغامد حي من اليمن . وقال ابو محمد الاسود الغندجاني[1] وكان ممن جمع كلام علي عليه السلام أيضاً في كتاب أصغر من « نهج البلاغة » : أخوغامد هذا اسمه سفيان بن عوف[2] وهو صاحب

---

١) الحسن بن أحمد بن محمد الاعرابي ، أبومحمد الاسود الغندجاني، نسبة الى غندجان بضم الغين المعجمة وسكون النون ، عالم بالادب والنسب وغيرهما من علوم العرب ، من كتبه « أسماء الخيل » و « أسماء الاماكن » و « فرحة الاديب » ، توفي نحو سنة ٤٣٠ .

أنظر : الاعلام للزركلي ٢/١٨٠ .

٢) هو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي الازدي اليمني .

ذكره ابن أبي الحديد ٢/٨٥ وقال بعد سرد نسبه ماهذا نصه : روى الثقفي في كتاب « الغارات » عن أبي الكنود قال حدثني سفيان بن عوف الغامدي ، قال : دعاني معاوية فقال : اني باعثك في جيش كثيف ذي أداة وجلادة . الخ.

وذكره الثقفي في كتابه « الغارات » ٢/٤٦٤ .

أقول : ثم ان الفاضل المتتبع المحدث اللارموي رحمه الله ذكر ترجمة سفيان بن عوف في الذيل وقال : في الاصابة : سفيان بن عوف الاسلمي أو الغامدي . . . يأتي في مالك بن وهب ـ الى آخر ماقال .

أقول : قال في الاصابة عند ترجمة مالك بن وهب الخزاعي أنه قال : ان النبي صلى الله عليه وآله بعث سليطاً وسفيان بن عوف طليعة يوم الاحزاب فقتلا فدفنهما النبي صلى الله عليه وآله في قبر واحد . الخ . فيعلم من هذا أن المترجم له غير الذي ذكره العسقلاني في الاصابة ، لانه قتل مع صاحبه في

معاوية ، أغارعلى جماعة من عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام بعد صفين. وغامد رجل كان أبا قبيلة، وهوغامد بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك ابن نصر بن الازد ، وأخو غامد كقوله تعالى « والى ثمود أخاهم صالحاً » [1] .

و« المسالح » واحدها المسلحة، وهي كالثغر والمرقب . وفي الحديث «كان أدنى مسالح فارس الى العرب العذيب » [2] .

والمعاهدة : الذمية ، والمعاهد : الذمي الذي أخذ العهد والامان والذمة واليمين والموثق والحفاظ .

والحجل : الخلخال . والقلب : السوار . والرغاث : القرطة ، واحدتها رغثة .

والاسترجاع قول « انا لله وانا اليه راجعون » .

وقوله « فيا عجباً » أي يا عجبى أوياعجباه على الندبة ، وعجباً بعد نصب على المصدر ، أي عجبت . ويجوزأن يكون التقدير « يارجل عجبت عجباً » فوقف عليه فجعل الألف بدلا من التنوين .

غزوة الاحزاب .

نعم نقل المحدث الارموي رحمه الله أيضاً بعد هذا عن الحاكم عن مصعب الزبيري قال :وسفيان بن عوف الغامدي صحب النبي صلى الله عليه وآله، وكان له بأس ونجدة وسخاء ، وهو الذي أغار على هيت والانبار في أيام علي عليه السلام فقتل وسبى ، واياه عنى علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته . الخ.

ويظهر من قول الحاكم أن الرجل صحابي وبعثه معاوية الى الاغارة على هيت والانبار ثم استعمله على الصوائف .

١) سورة الاعراف : ٧٣ .

٢) ذكره في اللسان في « س ـ ل ـ ح » والعذيب بالتصغير .

ثم قـال « عجباً يميت القلب » فجعله بدلا من الاول ووصفه بالجملة التي بعده .

وقبحاً : أي بعداً عن الخير .

والترح : ضد الفرح ، يقال ترحه أي حزنه ، وترحاً مصدراً منه .

والغرض : مايرمى اليه .

وحمارة القيظ : شدة الحر ، وربما خفف . والقيظ من الصيف : ما اشتد حره من أوقاته وأزمانه .

وقوله « يسبخ عنا الحر » أي تخف شدته ، يقال : سبخ الحرأي فتروجف. وروي « يسبخ » على مالـم يسم فاعله ، وذلك ماحكي عن الاصمعي أنـه قال يقال : سبخ الله عنك الحما أي حفظها .

ودعت عائشة رضي الله عنها على سارق سرقها ، فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لاتسبخي عنه بدعائك[1] ، أي لاتخففي عنه اثمه .

وأما « سبخ الحر » فانه لا يتعدى على مـا تقدم ، ويجوز أن يكون متعدياً ومفعولـه محذوف ، أي يسبخ عنـا الحر نفسه . وتؤكده رواية « يسبخ » على ما لم يسم فاعله .

وصبارة القر : شدة البرد ، يقال انسلخ صبارة الشتاء أي مضت . والقر : الـبرد[2] .

---

١) سنن أبيداود ٢٧٨/٤. وفي « هامشه » هكذا :أي لاتضيعي اثم السرقة عن السارق بدعائك عليه .

٢) عن النسخة الموجودة فيالخزانة الرضوية بالمشهد المقدس « وقريب من معنى هاتين الكلمتين قول أبي الحسن ابن فارس لانه : اذا كان يؤذيك حر

والحلم [1] : الاناة ، « وحلوم الاطفال » مبتدأ وخبره محذوف ، أي لكم حلومهم ، أي لاثبات لكم . ولكم عقول النساء، وربات الحجال كناية عن نساء لايبرزن ، فانهن أقل اختباراً .

وقوله «أعقبت ندماً» أي أورثته، يقال «أكل اكله فأعقبته سقماً» أي أورثته. وروي « سدماً » [2] أي تحيراً . وفي صحاح اللغة : السدم الندم والحزن ، ورجل سادم نادم ، ويقال انه اتباع .

و « قاتلكم الله » ليس بدعاء عليهم وانما هو نوع من التعجب .

وقوله «جرعتموني نغب التهمام أنفاساً» النغبة[3]: الجرعة. قال ابن السكيت: نغبت من الاناء بالكسر نغباً ، أي جرعت منه جرعاً . والتهمام [4] : الاغتمام . وأنفاساً حال من النغب ، أي مرة بعد مرة . والنفس أيضاً : الجرعة ، يقال : اكرع [5] في الاناء نفساً ونفسين ، أي جرعة أوجرعتين ، ولايرد عليه ، والجمع

الصيف وكرب الخريف وبرد الشتاء ويكفيك حسن زمان الربيع فاخذل للعلم قل لي عني » . انتهى .

١) في ص : « الحليم ». أقول : في اللسان :الحلم بالكسر :الاناة والعقل، وجمعه أحلام وحلوم .

٢) في النهايـة : السدم : اللهج والولوع بالشيء . ومن الدر النثير عن الفارسي : هو هم في ندم . وفي اللسان « السدم » بالتحريك : الندم والحزن.

٣) نغب الانسان الريق ينغبه نغباً : أي ابتلعه .

٤) التهمام بفتح التـاء : الهم ، وكذلك كل « تفعـال » كالترداد والتكرار والتجوال ، الا التبيان والتلقاء فانهما بالكسر . كذا ذكر في شرح ابن أبي الحديد .

٥) كرع في الماء كرعاً من بـاب نفع وكروعاً : شرب بفيه من موضعه ،

أنفاس مثل سبب وأسباب . وانما اكد بعد التجريع بلفظ « النغب » ثم زاد التأكيد بقوله «أنفاساً»، ونغب مفعول ثان. وان جعلت النغب نصباً على المصدر جاز وجمع المصدر ، كقوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا »[1] لاختلاف ذلك ، أي جرعتموني من الاحزان والهموم جرعاً مجرعاً .

وقوله « لله أبوهم » دعاء بالخير ولكن فيه تهزؤ ، وقيل : هو تعجب وليس بدعاء .

وذرفت [2] : أي زدت قليلا على الستين ، أي ستين سنة ، وهو من ذرف الدمع اذا نظر [3] قليلا .

والخطبة الاخرى وعظ بليغ لااشكال في معناها .

وأما قوله « ألاوان اليوم المضمار » فالاحسن أن يجعل اليوم اسماً صريحاً، ويكون اسم «ان» ، وترفع المضمار على أنه خبران . وعلى هذا اعراب «وغداً السباق » ، وكذا نصب سباق أحسن .

والمضمار سمي بذلك لانه تضمر فيه الخيل ، فتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت ، وذلك في أربعين يوماً ، وهذه المدة تسمى المضمار . والموضع الذي يضمر فيه الخيل أيضاً مضمار . والضمر : الهزال وخفة اللحم ، ولم يضرره فك الادغام لانه أفصح ، وهولغة الحجاز .

وقوله «ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة» ، أي اعملوا في حال الدعة مثل ما تعملونه في الخوف والخشية .

فان شرب بكفيه أو بشيء آخر فليس بكرع .

١) سورة الاحزاب : ١٠ .

٢) في الفائق : ذرف على الخمسين وذرف عليها : اذا زاد .

٣) كذا في ص ، د . ولعله : « اذا قطر قليلا » . وفي م : « اذا مطر قليلا ».

ومعنى قوله «واني لم أركالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها» ان من حق من يهرب من النار ويطلب الجنة أن لاينام ، وحقه أن يقال : تقديره « الهارب منها » الا أنه حذف ، كقوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلا »[1] .

والضمير في هاربها لا يرجع الى النار ، اذ لاتعلق بينه وبينها ، فيجب أن يقدرمحذوف يكون موصوفاً لكاف التشبيه، فانها بمعنى المثل، كأنه قال: مارأيت نقمة مثل النار نام الهارب منها ولانعمة مثل الجنة نام طالبها .

وقوله « يجربه الضلال » من قوله جارعن الطريق: أي عدل عنها. والظعن: السفر .

وروي « ماتحوزون به أنفسكم »[2] .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

أيهـا الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهـواؤهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الاعداء . تقولون في مجالسكم[3] كيت و كيت، فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياداً[4] ماعزت دعوة من دعاكم ، ولااستراح قلب

---

١) سورة الأعراف : ١٥٥ .

٢) كذا في ص . وفي د : ما تجورون به أنفسكم وتجورون .

٣) في الف ، ب ، يد ، نا : في المجالس .

٤) في اللسان :وفي خطبة علي عليه السلام « فاذا جاء القتال قلتم « حيدي حياد » حيدي أي ميلي ، وحياد بوزن قطام هو من ذلك ، مثل فيحي فياح أي اتسعي، و« فياح »اسم للغارة . انتهى .

من قاساكم، أعاليل بأضاليل دفاع ذي الدين، المطول لايمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق الا بالجد [1] .

أي دار بعد داركم تمنعون ، ومع أي امام بعدي تقاتلون . المغرور والله من غررتموه ، ومن فازبكم فاز [2] بالسهم الاخبث [3] ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل .

أصبحت والله لاأصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم. [مابالكم] [4] مادواؤكم ، ماطبكم القوم رجال أمثالكم . أقولا [5] بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعاً في غير حق .

ومن كلام له عليه السلام
(في معنى [6] قتل عثمان)

لوأمرت بـه لكنت قاتلا، أونهيت عنـه لكنت ناصراً ، غير أن من نصره لايستطيع أن يقول خذله من أنا خير [لكم] [7] منه، ومن خذله لايستطيع أن يقول نصره من هو خير مني. وأنا جامع لكم [8] أمره . استأثر فأساء الاثرة ، وجزعتم

---

١) في الف : الا بالحد ، بالحاء المهملة .

٢) في يد : فقد فاز بالسهم .

٣) في نا ، يد ، الف ، ب : الاخيب .

٤) ليس « مابالكم » في ص .

٥) في ص : من غير علم .

٦) ليس « معنى » في الف .

٧) الزيادة من ص فقط .

٨) ليس « لكم » في الف ، ب ، يد ، نا .

فأسأتم الجزع . ولله حكم واقع في المستأثر والجازع .

(ومن كلام له عليه السلام)

(قاله لعبد الله بن العباس لما أنفذه الى الزبير)

(يستفيئه الى طاعته [قبل حرب الجمل][1])

لاتلقين طلحة ، فانك ان تلقـه تجده كالثور عاقصاً قرنـه يركب الصعب ويقول : هو الذلول . ولكن الق الزبير ، فانه ألين عريكة ، فقل له يقول لـك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فماعدا مما بدا .

قال السيد : هو أول من سمعت منه هذه الكلمة ـ أعني « فما عدا ممابدا».

(بيـانه) :

ذم عليه السلام أصحابه الذين كانوا يتأخرون عن الجهاد بسبب عصيانهم اياه ، اذلم يجيبوا دعوته، فقال : أنتم تقولون في بيوتكم « نحارب الاعداء » ، ويكون كلامكم فيذلك فيالقوة والشدة بحيث يوهي ويضعف الحجارة الصم الشديدة والجبال الصلبة ، ولكن أفعالكم في الضعف تطمع عدوكم في الغلبة عليكم . أبوعبيدة[3] يقال « كان من الامركيت وكيت »[4] بالفتح والكسر . وهذه

---

١) في ب ، يد : ليستفيئه .

٢) ليست الزيادة في يد .

٣) كذا في ص ، د . لعله : قال ابوعبيدة . أقول : هو جعفر بـن المثنى البصري النحوي اللغوي .

٤) في اللسان : وهي كناية عن القصة أو الاحدوثة، تقول العرب : كان من

التاء كانت في الأصل هـاء فصارت في الوصل تاء ، أي تتهددون في المجالس فاذا كان قتال تكرهونه وتقولون انها الحرب . حيدي حيدي[1] : أي جانبي منا، وحايده محايدة أي جانبه، وحيدي حياد مثل[2] فيحي فياح، وحياد وفياح كلاهما اسم للغارة . « وفيحي » أي اتسعي، وهذا من كلام الجاهلية كانوا يتكلمون به ، أي أعرضي عنا أيتها الحرب .

وقيل :حياد اسم الامر، فكأنه أمر مرتين بلفظتين مختلفتين، كقوله « ارجعوا ورائكم» والمعنى ارجعوا ارجعوا. أويكون حياد اسماً للحرب على وزن قطام، أي ياحياد حيدي[3] .

ورفع « أعاليل » على أنه خبرمبتدأ محذوف ، أي اعتلالاتكم[4] في مدافعة الحرب علل باطلة . و« أعاليل » جمع اعلال . يقال: اعل اذا جاء بعلة ، وصار

الامر كيت و كيت. وهذه التاء في الاصل هاء مثل« ذيت وذيت »، وأصلها :كيه وذيه بالتشديد فصارت تاء في الوصل .

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١١١/٢ ما لفظه : حيـدي حياد كلمة يقولها الهارب الفار وهي نظيرة قولهم « فيحي فياح » اى اتسعي و « صمى صمام» للداهية. وأصلها من حاد عن الشيء اي انحرف، وحياد مبنية على الكسر وكذلك ماكان من بابها نحو قولهم : «بدار» اي ليأخذ كل واحد قرنه . وقولهم «خراج» في لعبة للصبيان أي اخرجوا .

٢) في د ، م : « اي » مكان « مثل » .

٣) قال ابن ميثم في الشرح : وهى كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم اردف ذلك بما العادة ان يأنف منه من يطلب الانتصار به على وجه التضجر منهم عن كثرة تقاعدهم عن صوته .

٤) في م : أي اعلالابكم . والظاهر أن الصحيح ما اثبتناه .

صاحب علة : أي تعللون اذا أمرتكم [بأمر] ، يعني تعللون بضلال .

«والاضاليل» جمع اضلال . وقيل أعاليل جمع جمع العلة، وكذا الاضاليل.

« ودفاع » نصب على المصدر، أي تدافعونني [مدافعة. والمديون :صاحب الدين من الذي قد ماطله ، والمصدر مضاف الى المفعول والفاعل محذوف][1].

وقوله « ومن رمى منكم فقدرمى بأفوق ناصل » . [أي من بعث بكم الى عدو ولايكسر العدوبكم فانكم][2] ـ أي فان كل واحدمنكم ـ بمنزلة السهم الافوق الناصل، فالافوق سهم مكسور فوقه ، والناصل سهم خرج نصله[3]. ويقال « رجع فلان بأفوق ناصل » أي بحظ غير تام، ونحوه « عاد بخفي حنين»[4] .

---

١) الزيادة من النسخة الرضوية .

٢) الزيادة من ص وكانت هيئته هكذا .

٣) في اللسان : في حديث علي عليه السلام : ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل » اي بسهم منكسر الفوق لانصل فيه .

أقول :الفوق من السهم :موضع الوتر،وسهم افوق :مكسور الفوق. ورجع فلان بأفوق ناصل اذا خس حظه اوخاب، ومثل للعرب يضرب للطالب لايجد ما طلب « رجع بأفوق ناصل » أي بسهم منكسر الفوق لانصل له، أي رجع بحظ ليس بتمام .

٤) « رجع بخفي حنين » يضرب مثلا للذي رجع عن حاجته بالخيبة . وأصله : ان حنيناً كان رجلا شريفاً ادعى الى اسد بن هاشم بن عبد مناف ، فأتى الى عبدالمطلب وعليه خفان أحمران فقال : ياعم أنا ابن اسد بن هاشم . قال له عبدالمطلب : لاوثياب هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع راشداً. فانصرف خائباً ، فقالوا « رجع حنين بخفيه » فصار مثلا .

وقال الجوهري :هواسم اسكاف من أهل الحيرة ساومه أعرابى بخفين فلم

و « ماطبكم » أي ،اعادتكم . وروي «القوم رجال أمثالكم أقوالا بغيرعلم» فهذا أصح ، ويكون جميع ذلك جملة واحدة .

ومعنى أمثالكم أقوالا، أي يشبهونكم أقوالا، واذا روي « أقولا » فالكلام يكون جملتين .

« وطمعاً في غيرحق » أي في التكاذيب وفيما لايجوز .

وأماكلامه [عليه السلام] فيقتل عثمان فانه نفى به عن نفسه أنه كان ناصراً له أوخاذلا اياه .

ويتضح معنى هذا الكلام بالتمثيل ، وتصويرذلك :أنه كان له انصاروخذال فاذا حققت الصورة يتبين المعنى، فالناصرله مروان بن الحكم والخاذل عبدالله ابن مسعود مثلا . فمروان لايستطيع أن يقول : خذله من أنا خيرمنه، لانمروان لم يكن خيراً من عبدالله ولامثله . ولاعبدالله يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرمني، لان مروان ليس خيراً من عبدالله . فقد صح أنه ورد مورد التبري من ذمه ونفى أنه كان له أوعليه .

ونقد بعض النقاد قوله « غيرأن من نصره » الى آخره ، فقال : كلمة قرشية[1]

يشترهما ، فغاظه ذلك وعلق أحد الخفين في طريقه وتقدم وطرح الاخروكمن له ، وجاء الاعرابى فرأى أحد الخفين فقال ما أشبه هذا بخف حنين لوكان معه آخراشتريته ، فتقدم ورأى الخف الاخر مطروحاً في الطريق فنزل وعقل بعيره ورجع الى الاول فذهب الاسكاف براحلته وجاء الى الحي بخفي حنين .

١) قال ابن ميثم في الشرح ٥٨/٢ :وقال بعض النقاد :ان هذه كلمة قرشية، وأراد بذلك أنه عمى على الناس في كلامه . قال : ولم يرد التبرؤ من أمره ، وانما أراد أن الخاذلين لايلحقهم المفضولية بكونهم خاذلين له ، وان الناصرين له لايلحقهم الافضلية بنصرته . والذيذكره بعيد الفهم منهذا الكلام . انتهى.

يعني أنه عمى عليهم ، والمعنى من خذله ومن نصره ليس خيريتهما لخذلانهما اياه ولالنصرتهماله . والسامعون[1] حسبوا أنه يتبرأ من كونه ناصراً له أوخاذلا .

وقيل : ان كلامه هذا يدل على خذلان منه له ، وآخر كلامه الذي هوقوله « استأثر فأساء الاثرة وجزعتم فأسأتم الجزع » يدل على هذا. والمعنى اختار لنفسه أمراً وأساء ذلك الاختيار ، حيث استبد بمالم يكن له، وأنتم جزعتم على قتله وأسأتم الجزع عليه ، فان هذاكان ينبغي منكم له قبل قتله .

و « الاثرة » بالتحريك اسم لما يستأثر . والتيس الاعقص : الذي التوى قرناه على أذنيه من حلقه ، وقد عقص بالكسر [2] أي اعوج .

وصف خشونة جانب طلحة، فانه يستصغر أمراً عظيماً، أي هومتكبرمتجبر طاغ باغ . والزبير أسهل منه .

والعريكة [3] : بقية السنام، يقال لانت عريكته : اذا انكسرت نخوته .

وكانت والدة الزبير صفية بنت عبدالمطلب ، ولذاك كان علي عليه السلام ابن خاله ، فقدكان ابوطالب بن عبدالمطلب .

---

١) في ص : المسامعون .

٢) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١٦٢/٢ : عقص بالفتح . وقالالقطب الراوندي عقص بالكسر ، وليس بصحيح ، وانما يقال عقص الرجل بالكسر : اذا شح وساء خلقه فهوعقص .

٣) العريكة فعيلبمعنى مفعول، والتاء لنقل الاسم من الوصفية الىالاسمية الصرفة ، وأصل العرك دلك الجلد بالدباغ وغيره .

وقال ابن ابى الحديد : والعريكة هاهنا : الطبيعة، يقال فلان لين العريكة اذاكان سلساً . قال : وقال الراوندي : العريكة بقية السنام ، ولقد صدق ولكن ليس هذا موضع ذاك .

ومن شجون الحديث أن صفية اعتقت مملوكاً تطوعاً ، وماتت صفية ثم مات معتقها ولم يخلف نسباً وترك مالا ، فقال علي عليه السلام : ميراثه لي . وقال الزبير : بل ارثه لي . وكان في عهد عمر ، فحكم للزبير بذلك ، فقال علي عليه السلام : هذا خلاف ما ورد به الشرع ، فان ولاء معتق المرأة اذا كانت ميتة يكون لعصبتها وهم عاقلته وليس لاولادها[1] .

---

١) ذكر ابن ابي الحديد هذه القضية ثم قال مانصه :قلت هذه المسألة مختلف فيها بين الامامية ، فأبو عبدالله بن النعمان المعروف بالمفيد يقول : ان الولاء لولدها ، ولايصحح هذا الخبر ويطعن في راويه . وغيره من فقهاء الامامية كأبي جعفر الطوسي ومن قال بقوله يذهبون الى أن الولاء لعصبتها الالولدها ويصححون الخبر ، ويزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام سكت ولم ينازع على قاعدته في التقية واستعمال المجاملة مع القوم . فأما مذاهب الفقهاء غير الامامية فانها متفقة على أن الولاء للولد لا للعصبة كما هو قول المفيد رحمه الله تعالى . انتهى .

أقول : قال المفيد عليه الرحمة في المقنعة ١٠٧ : فان ماتت ـ أي المعتقة كصفية ـ قبله ـ أي المعتق ـ وخلفت ولداً ذكراً كان ميراثه له ، فان لم يكن لها ولد ذكر فميراثه لعصبة سيدته . انتهى .

وقال الشيخ في النهاية . ٦٧ : فان كان الذي أعتقه لم يكن حياً وكان له أولاد ذكور وأناث كان ميراث المعتق لولده الذكور منهم دون الاناث ، فان لم يخلف غير اناث من الاولاد وخلف معهن عصبة كان ميراثه لعصبة مولاه دون بناته انتهى .

والشيخ كما ترى لم يفرق في المعتق بين الرجل والمرأة .

وأما في المبسوط ١٠٨/٤ قال : اذا كان المعتق امرأة وخلفت ولداً ذكراً أو اولاداً أو عماً أو بني عم فولاء مواليها لعصبتها التي هو العم وابن العم دون

وقوله « فماعدا مما بدا » له معنيان : أحدهما أي ماالذي منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة، والثاني أن يكون المعنى ماالذي عاقك من البداء الذي يبدو للانسان، ويكون المفعول الثاني لعدا محذوفاً يدل الكلام عليه، أي ماعداك ، بمعنى ما منعك وما شغلك مما كان بدا لك من نصرتي[1] .

الابن الذكر، وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا :الواحد أحق، وفي أصحابنا من قال بذلك .

١) قال ابن ميثم في الشرح ٢/ ٦٠ :قال ابن ابى الحديد : عدا بمعنى صرف، و« من » هيهنا بمعنى عن، ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك، أي ظهر، أي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها . وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى « واسئل من أرسلنا قبلك » أي أرسلناه .

ثم نقل ماقاله القطب الراوندي بعين مافي المتن وقال :قال ابن أبي الحديد ليس في الوجه الثانى مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الازيادة فاسدة، اما انه لازيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع ، وفسر قوله « مما كان بدا منك » في الوجهين أيضاً بتفسير واحد ، فلم يبق بينهما تفاوت . وأما الزيادة الفاسدة فظنه أن « عدا » يتعدى الى مفعولين ، وهو باطل باجماع النحاة .

وأقول : الوجه الذي ذكره ابن ابى الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي ، لان الصرف والمنع لاكثير تفاوت بينهما، وان كان قد يفهم ان المنع أعم. وأما اعتراضه عليه بأنه لافرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو ، لان معنى « بدا » في الوجه الاول ما ظهر للناس منك من البيعة لي ، ومراده به في الثاني ما ظهر لك في الرأي من نصرتي وطاعتي .

الى أن قال : وأما ماذكره من أنه زيادة فاسدة ، فالاظهر أن لفظة « الثاني » في قوله « المفعول الثاني » زيادة من قلمه أوقلم الناسخ سهواً، ويؤيده اظهاره

(ومن خطبة له عليه السلام)

أيها الناس انا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن شديد ، يعد فيه المحسن مسيئاً ويزداد الظالم فيه عتواً ، لاينتفع بما عملنا[1] ، ولانسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحتل بنا ، فالناس على أربعة أصناف :

منهم من لايمنعه الفساد في الارض الامهانة نفسه وكلالة حده ، ونضيض وفره .

ومنهم المصلت[2] بسيفه ، والمعلن بسره[3] ، والمجلب بخيله ورجله ، قد اشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أومقنب يقوده أومنبر يفرعه ، ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما لك عندالله عوضاً .

ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ، ولايطلب الاخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية .

للمفعول الاول تفسيراً لقوله ، ويكون المفعول لعدا محذوفاً . الى آخر ماقال .

أقول : وعن النسخة الموجودة في الخزانة الرضوية بالمشهد بعد « من نصرتي » هكذا : وفي كلام آخر لعلي عليه السلام : ما زلنا نعد الزبير رجلامنا أهل البيت حتى نشأ جروه ــ أي ابنه ــ عبدالله . وغرور عبدالله كان من حيث كانت والدته أخت عائشة بنت ابى بكر .

وأقول : قد ذكر السيد عليه الرحمة كلامه عليه السلام هذا في باب الحكم والمواعظ من « النهج » كما في بعض النسخ .

١) في نا ، يد ، الف ، ب : لانتفع بما علمنا .

٢) في الف : المصلب .

٣) في الف ، ب ، نا ، يد : بشره .

ومنهم من أقعده[1] عن طلب الملك ضؤولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرته الحال على حاله ، فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس أهل الزهادة ، وليس من ذلك في مراح ولامغدى .

وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد، وخائف مقموع، وساكت مكعوم، وداع مخلص ، وثكلان موجع ، قد أخملتهم التقية ، وشملتهم الذلة ، فهم في بحر اجاج ، أفواههم ضامزة ، وقلوبهم قرحة[3] ، وقد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قلوا .

فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ ، وقراضة الجلم ، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، وارفضوها ذميمة فانها قدرفضت من كان أشعف[4] بها منكم .

قال السيد [الرضي رحمه الله] : وهذه الخطبة ربما نسبها الى معاوية من لاعلم له ، وهي من كلام امير المؤمنين عليه السلام الذي لاشك فيه. وأين الذهب من الرغام ، و[اين][5] العذب من الاجاج . وقد دل على ذلك الدليل الخريت، ونقده[6] الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ، فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب

---

١) في يد : ابعده .

٢) في ب . النقية .

٣) في ص : ترحة .

٤) في يد : أشغف .

٥) الزيادة من يد .

٦) في الف : نفذه النافذ . وفي ص نقد الناقد .

« البيان والتبيين »[1] ، وذكر من نسبها الى معاوية، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته أنــه قال : وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الأخبار عماهم من القهر والاذلال ومن النقية والخوف أليق. قــال ؛ ومتى وجدنا معاوية في حال من الاحوال يـسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد .

(بيــانه) :

ابتدأ في أول الخطبة بنوع من الموعظة وختمها بمثل ذلك ، وذكر أصناف الخلق فقال : أربعة منهم على الضلالة وواحد ناج كما فصله .

والعنود : الذي يعدل عـن طريق الحق ، يقال : عند عـن الطريق يعند عنوداً أي عدل .

والدهر والزمن كلاهما عبارة عن وقت مخصوص ، فلايجوز أن يوصف

١) البيان والتبيين ٥٩/٢ :عن شعيب بن صفوان، وقال :وزاد فيها اليقطري وغيره وقال :لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له :من بالباب ؟ قال :نفرمن قريش يتباشرون بموتك . فقال :ويحك ولم ؟ قال : لاأدري . قال :فوالله مالهم بعدي الا الذي يسوؤهم . واذن للناس فدخلوا ، ثم أورد الخطبة بروايته وقال في آخرها : وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب مـن العجب ، منها أن الكلام لايشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية . ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الأخبار عماهم عليه من القهروالاذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه ومعانيه وحاله منه بحال معاوية، ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولايذهب مذاهب العباد، وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه . والله أعلم بأصحاب الاخبار وبكثيرمنهم .

بصفات العقلاء . فالمعنى نحن في دهر عنود أهله . وروي « وزمن كنود »[1] ، وهو الذي لاخير فيه .

والعتو [2] : العصيان . والقارعة : الداهية التي تقرع . والمهانة :الحقارة . والنضيض : المال القليل ، والناض : المال الحاصل ، مشتق منه .

و« الوفر » مصدر سمي به المال الكثير ، ونضيض ماله : أي قليل ماله .

فالصنف الاول هو الذي في نفسه مفسد، ويمنعه من ذلك ضعف بدنه وماله القليل الذي يرجو أن يصير كثيراً ، فهو يخاف عليه ان أفسد وأظهر مافي قلبه .

والصنف الثاني هوالذي سل سيف العدوان وأعلن سره ، وروي « بشره» أيضاً ، وأجلب بجيشه ، أي جمع فرسانه ورجالته .

واشرط نفسه لامر كذا : أي جعل لها علامة يعرف بها فيه ، ومنه الشرط لانهم أعلموا أنفسهم بعلامة ، والواحدة شرطة . وأوبق : أهلك .

والحطام : مال الدنيا .

وانتهز : اختلس .

والمقنب : الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين .

ويفرعه[3] : أي يعلوه . وطامن[4] : خفض .

---

١) في اللسان : كند يكند كنوداً : كفر النعمة . « ان الانسان لربه لكنود » قيل :هو الجحود، وقيل : هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده . وأرض كنود : لاتنبت شيئاً .

٢) في اللسان : عتايعتوعتواً وعتياً : استكبر. والعتا بضم العين :العصيان.

٣) فرع المنبر يفرعه : أي علاه .

٤) في المصباح :موضع مطمئن أي منخفض ، قال بعضهم :والاصل في اطمأن الالف مثل احمار واسواد ، لكنهم همزوا فراراً من الساكنين على غير

وشمر[1] : أي قصر .

وزخرف : أي زين وموه وزور ، وأصل الزخرف الذهب ، ثم شبه به ماذكرناه .

والفرق بين الصنف الاول والرابع : أن الاول قليل من المال والرابع لاشيء له .

والضؤلة[2] : النحافة والهزال .

فقصرته الحال : أي حبسته حاله السيئة على حاله ، أي على ضعفه .

وتحلى : أي اتخذالقناعة حلية ، وليس منها في شيء .

وفي مراح ومعنى ومعدى كناية عنه ، أي لايكون في وقت الرواح ولافي وقت الغداة له أثرالزهد أبداً ، كقوله تعالى « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً »[2] أي دائماً .

وقيل لا في وقت المشيب ولا في أوان الشباب . والمغدى والمراح كناية عن حالتي الصبى والشيب .

وغض أبصارهم : أي خفضها و كفها .

وبين شريد : أي طريد نافر ناد متفرق .

وخائف مقموع : أي مقهور ، يقال قمعته وأقمعته أي أذللته وقهرته فانقمع.

قياس . وقيل : الاصل همزة مقدمة على الميم لكنها أخرت على غير قياس، بدليل قولهم « طأمن الرجل ظهره » بالهمز على فأعل ، ويجوز تسهيل الهمزه فيقال « طامن » ، ومعناه : حناه وخفضه .

٥) شمر ثوبه : أي رفعه .

١) الضؤلة والضآلة فهو ضئيل كقريب : صغير الجسم قليل اللحم .

٢) سورة مريم : ٦٤ .

والمكعوم : الـذي حبس فوه عن الكلام ، يقال كعمت البعير اذا سددت فمه ، والكعام ما يشد في فم البعير .

والضامزة بالزاي : الساكتة .

والقرظ [1] : نبت يدبغ به الادم . والحثالة[2] : ما يسقط منه .

وسبب نسبة بعض الناس هـذه الخطبة وأمثالها من كلامه عليه السلام الى معاوية أنه كان يبعث بعض أصحابه الشاميين الى الكوفة ليحفظ خطبه يخطبها علي عليه السلام يوم الجمعة ويكتبها ، فاذا كان في الجمعة الثانية أوفيما بعدها خطب بها معاوية ، فالالتباس من ها هنا .

وقد روى الرواة ذلك على هذا الوجه ، وقد أخذ ذلك الرجل الدسيس ، فأقر بذلك في مسجد الكوفة .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

(عند مسيره لقتال اهل البصرة)

قال عبدالله بن العباس: دخلت على أميرالمؤمنين عليهالسلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل؟ فقلت : لا قيمة لها. قال: لهي والله أحب الي من امرتكم الأن أقيم حداً [3] أو أدفع باطلا. ثم خرج فخطب الناس

---

١) في اللسان : شجر يدبغ به . وقيل : هو ورق السلم يدبغ بـه الادم ، ومنه : أديم مقروظ .

٢) الحثالة والحثال : الرديء من كل شيء ، وحثالة الطعام : مايخرج منه من زوان ونحوه ممالا خير فيه فيرمى به .

٣) في نا ، يد ، الف ، ب : حقاً .

فقال :

ان الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم .

أما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ، ماعجزت ولا جبنت، وان مسيري هذا لمثلها ، فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه .

مالي ولقريش. والله لقدقاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين، واني لصاحبهم بالامس كما أنا صاحبهم اليوم [1] .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(في الاستنفار [2] الى أهل الشام)

أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة عوضاً ، وبالذل من العز خلفاً ، اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة .

---

١) في « يد » زيادة بعد قوله عليه السلام « كما انا صاحبهم اليوم » وهي هذه :

والله ما تنقم منا قريش الا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الاول :

أدمت لعمري شربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة البجرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا

٢) في نا ، الف ، يد : في استنفار الناس .

يرتج عليكم حواري فتعمهون ، فكأن قلوبكم مالوسة ، فأنتم لا تعقلون .
ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي ، وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر عز يفتقر اليكم . ماأنتم الا كابل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر .

لبئس لعمر الله سعر نارالحرب أنتم، تكادون ولاتكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون ، لاينام عنكم وانتم في غفلة ساهون . غلب والله المتخاذلون .

وأيم الله اني لاظن بكم أن لو حمس الوغا واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابى طالب انفراج الرأس .

والله ان امرءاً يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره . أنت فكن ذاك ان شئت، فأما أنا فوالله دون ان أعطى ذلك ضرب بالمشرفية، تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والاقدام ، ويفعل الله بعد ذلك مايشاء .

أيها الناس، ان لي عليكم حقاً، ولكم علي حق: فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والاجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(بعد التحكيم)

الحمدلله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ليس معه اله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله . أما بعد :

فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندمة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ، ونخلت لكم مخزون رأيي ، لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم علي اباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه، فكنت [أنا][1] واياكم كما قال اخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح[2] الاضحى الغد

(بيانه) :

« ذوقار »[3] موضع معروف كان لبني شيبان ، ولهم يوم مشهور به يقال له: « يوم ذي قار » ، كان ابرويز[4] أغراهم جيشاً فظفرت بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم[5] .

---

١) الزيادة من « يد » فقط .

٢) في ص : الرشد ـ مكان ـ النصح .

٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وحنوذى قار على ليلة منه، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس . وقيل: بلد بين واسط والكوفة وهو قريب من البصرة . راجع معجم البلدان ٤/١٠ ، شرح النهج للشيخ عبدة ١/٥١، شرح النهج لابن ابى الحديد ٢/١٨٦، شرح النهج لابن ميثم ٢/٧٣ ، مروج الذهب ١/٣٠٦. قال في الاخير ما هذا لفظه : وكانت وقعة ذي قار لتمام اربعين سنة من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة بعد أن بعث . وقيل : بعد أن هاجر . وفي رواية اخرى :انها كانت بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة . الخ .

٤) هو ابرويز بن هرمز بن انوشيروان ملك ايران .

٥) ذكر المسعودى في مروج الذهب يوم ذى قار وقال :وهو اليوم الذى

وخصفت النعل : خرزتها ، قال تعالى « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة »[1] أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما . والنعل مؤنثة .

والصفاة[2] : حجارة ملساء .

وقوله « أما والله ان كنت لفي ساقتها » ان مخففة من المثقلة ، أي ان الامر والشأن كنت لفي ساقة الحرب ، وهي جمع سائق أي كنت في تدبير اهلاك أهل الحرب الذين يقيمون الحرب من الاعداء. وساقة الحرب جمع سائق ، يجوز أن يكون ضمير النبوة والبعثة التى يدل عليها قوله « ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله » أو ضمير الدعوة النبوية ، وان لم يجر لها ذكر .

وساقة الجيش: مؤخره، أقسم أنه كان في كل غزاة خلف الاعداء وفي مؤخر جيشهم حتى هزمهم .

وولت بحذافيرها: أي أدبرت، يقال ولى هارباً. وروى «تولت» أي أعرضت.

وحذافير الشيء : أعاليه ونواحيه ، ويقال « أعطاه الدنيا بحذافيرها » أي بأسره .

وقوله « وان مسيري هذا لمثلها» أي كما كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في تمشية أمور الدين، وكذلك الان . وروي « لمثلها »[3] والرواية لا يقين.

قال فيه النبى صلى الله علبه وآله : « هذا اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بى » .

١) سورة الأعراف : ٢٢ .

٢) الصفا مقصور : الحجارة . ويقال : الحجارة الملس، الواحدة صفاة كحصى وحصاة ، ومنه الصفا موضع بمكة .

٣) كذا في ص ، د . ولعله : « لمتلها » بالتاء كما في هامش نسختنا . ففي اللسان : متل الشيء متلا : أي زعزعه او حركه .

وروي بالياء [1] أيضاً ، والمعنى واحد .

وقوله عليه السلام في خطبة الاستنفار « يرتج عليكم حواري فتعمهون » يرتج : أي يغلق . والحوار : المحاورة والمناظرة . والعمه : التحير والتردد ، أي لا يفهمون كلامي ولا يستمعون اليه .

وقوله « وكأن قلوبكم مألوسة » أي مجنونة ، والالس اختلاط العقل .

وسجيس الليالي : أي أبداً ، يقال « لا آتيك سجيس الليالي » أي أبداً .

وقوله «ما أنتم بركن يمال بكم» لهمعنيان: أحدهما أي ماأنتم بركن يمالون الى الجهاد ، لانكم تستعصون على من يريد أن يميلكم اليه . والثاني أن يكون المعنى يمال بمكانكم الى الجهاد. ويجوز أن يكون المعنى ماأنتم يمال بكم ركن عدو. ولابد من تقدير حذف مضاف على جميع الوجوه، أي ماأنتم بأصحاب ركن وثيق ورأي قوي وعزم سوي ، اذ لو كان ظاهره لقال « ما أنتم بأركان » .

وقيل: أي ماأنتم بركن للدين يمال بسبب سقوطه الدين، ولقوله [بركن] سر عجيب ، أي لستم متفقين كاليد الواحدة . وهذا حسن .

و«لازوافر» بالنصب عطف على موضع بركن، وبالجر على لفظه. وزافرة الرجل أنصاره وعشيرته .

والسعر : بمعنى سعرت النار والحرب هيجتهما وألهبتهما . ورمى سعر وصف بالمصدر ، وكذا قوله « بئس سعر النار أنتم » . وروي سعر نار الحرب. ويجوز أن يكون جمع سعير، ويجوز أن يكون من قوله تعالى «في ضلال وسعر» [2].

قال الفراء : هو العناء والعذاب .

و« لا يمتعضون » أي لا يغضبون .

---

١) كذا في د . وفي ص هكذا « بالثا » .

٢) سورة القمر : ٤٧ .

وحمش ألوغاً : أي اشتد الحرب .

وقوله «ان لو استحر الحرب [1] قد انفرجتم عني انفراج الرأس» معناه اني أظن أنكم تذهبون عني وتتفرقون من حولي اذا اشتد الحرب ولا يكون قط رجو عكم الي، وتنفرجون عني انفراج عظام الرأس، وانها اذا انفرجت وانشقت لا تلتئم ، وكيف للعظم اذا كسر أن ينجبر .

وقيل فيه ثلاثة أوجه أخر : احدها أن يريد بذلك انفرجتم عني رأساً ، أي قطعاً ، فلما أعاد الكلام عنه صار معرفاً. والثاني أن يكون المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه الى غيره ثم انفرج رأسه عنه . والثالث أن يريد بانفراج الرأس انفراج من يريد أن ينجو برأسه [2] .

---

١) في أصل الخطبة : ان لو استحر الموت .

٢) وقيل اقوال أخرى ذكرها ابن ميثم في الشرح ١/ ٨٠ .

منها : قول المفضل : الرأس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الرأس وفيها يباع الخمر .

الى أن قال : وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه، فضرب به المثل في المباينة والمفارقة .

ومنها : قيل معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع ، فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج . انتهى .

وقال ابن ابى الحديد في الشرح ٢/ ١٩١ ما لفظه : وقال الراوندي في تفسير قوله « انفراج الرأس » أراد بـه انفرجتم عني رأساً أي قطعاً ، وعرفه بالالف واللام . وهذا غير صحيح ، لان « رأساً » لا يعرف .

قال : وله تفسير آخر : أن يكون المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه الى غيره ثم حرف رأسه عنه .

وهذا أيضاً غير صحيح، لانه لا خصوصية للرأس في ذلك، فان اليد والرجل

والوجه الاول عربى .

وقدروي « يمكن عدوه » يقال منكه الله من الشيء وأمكنه منه : أي أقدره [عليه] [1] .

والعرق [2] : كل ما على العظم من اللحم. وهشم العظم : كسره . والفري : القطع على وجه الصلاح ، والافراء القطع على وجه الافساد. روي بهما يفري جلده على اللغتين .

ثم خاطب الذى يمكن من نفسه عدوه كائناً من كان بقوله : أنت فكن ذاك [3] ان شئت فأما أنافدون تمكين العدو من نفسي محاربة شديدة وضرب بالسيوف، أي لا يكون ذلك مني الا بعد العجز .

و« المشرفية » سيوف منسوبة الى مشارف ، وهي قرى باليمن . قال ابو

اذا أدنيتهما من شخص ثم حرفتهما عنه فقد انفرج ما بين ذلك العضو وبينه ، فأي معنى لتخصيص الرأس بالذكر . انتهى .

١) الزيادة من د .

٢) عرقت العظم عرقاً من باب قتل : اكلت ماعليه من اللحم. وفي بعض النسخ : اخذ ما على العظم .

٣) روي أن الاشعث بن قيس قال وهويخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب : هلا فعلت فعل ابن عفان . فقال عليه‌السلام له : ان فعل بن عفان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه ، وان امرءاً أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه مأفوق عقله، أنت فكن ذاك ان شئت - وفي شرح ابن ابى الحديد « ان أحببت » بدل «ان شئت» - فأما أنا فدون ان أعطي ذاك ضرب بالمشرفية . . . الخ . شرح ابن ميثم ٨٢/٢ ، شرح ابـن ابى الحديد ١٩١/٢ .

عبيدة : قرى من أرض العرب تدنو من الريف [1] .

وفراش الرأس : عظام دقاق على القحف .

والفيء : الغنيمة .

والنصيحة : المناصحة والشفقة .

والخطب الفادح : الامر العظيم المثقل ، يقال «فدحني الامر» أي أثقلني .

وتعقب الندامة : أي تورثها .

ونخلت لك مخزون رأيي : أي أخلصت ، يعني أعطيتكم رأيي الخالص، مستعار من نخلت الدقيق بالمنخل .

وقوله «لو كان يطاع لقصير رأي [2] هذا» قصير هو ابن عم جذيمة الابرش الذي كان قتل أبا الزباء الملكة، ثم بعث الابرش راغبة اليه بأن يتزوج بها ونحى الى ولايتها فيبتني هناك بها ، فأشار اليه قصير أن لاتجعل الموتورة من لباسه، فأبى الا التزوج بها، فقال قصير: اذا استحضر هؤلاء تخرج الى بلدها. قال : أخرج البتة . فقال قصير : اذا دخلت بلدتها فان رأيت عسكرها واقفين في سماطين [3] فلاتدخل فيما بينهما . فأبى قبول نصيحته فخرج اليها فأهلكته . أي لو أطيع رأي من حمله آراء قصير لنفع ، وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة [4] .

فضرب علي عليه السلام هذا المثل لاصحابه الذين كلفوه ترك حرب معاوية بصفين واستدعاء الاشتر حال مقابلته مع الشاميين ، وقد أحس معاوية بالظفر

---

١) الريف : الخصب والسعة في المآكل ، والريف : ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها .

٢) في أصل الخطبة « أمر » مكان رأي .

٣) اي في جانبين .

٤) في شرح ابن ميثم : مولى جذيمة .

لعلي عليه السلام وأمر برفع المصاحف على الاسنة، فقال أمير المؤمنين لاصحابه: اصطبروا ساعة . فقالوا : ان لم تدع مالكاً نقاتلك . ثم كلفوه الحكمين فأبى على ذلك ، فقالوا : لابد . قال : ابعث عبدالله بن العباس . فقالوا : لا لانه ابن عمك تبعث أبا موسى الاشعري ويبعث معاوية عمرو بن العاص الى الكوفة لابد من هذا . فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لاأجعله حكماً انما أجعل القرآن حكماً بيني وبينه ، فأبوا عليه اباء المخالفين وعصوه ونبذوا العهد فما استقام الامر [1] .

---

١) في شرح ابن ابي الحديد ٢/٢١٦ : فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لابامرة المؤمنين : ياعلي أجب القوم الى كتاب الله اذ دعيت اليه والاقتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها ان لم تجبهم . فقال لهم ويحكم أنا أول من دعا الى كتاب الله وأول من أجاب اليه وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى الى كتاب الله فلا أقبله .

الى أن قال : قالوا : فابعث الى الاشتر ليأتينك ، وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله . فأرسل اليه علي عليه السلام يزيد ابن هاني ان ائتني ، فأتاه فأبلغه ، فقال الاشتر : ائته فقل له : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي ، اني قد رجوت الفتح فلا تعجلني . فرجع يزيد بن هاني الى علي عليه السلام فأخبره .

الى أن قال : فقال القوم لعلي عليه السلام : والله مانراك أمرته الا بالقتال ، قال : أرأيتموني ساررت رسولي اليه ، أليس انما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟ قالوا : فابعث اليه فليأتك والا فوالله اعتزلناك . فقال : ويحك

قوله «حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه» أي لماخالفتموني ضن زند أي بقدحه . وهذا استعارة يفسره قوله « لا رأي لمن لايطاع » ومـا استصوبت ان أنصحهم بعد ذلك فانهم كانوا يتهمونني .

وهذا معنى قوله « حتى ارتاب الناصح بنصحه » وأراد بهنفسه لانه حملهم على اتهامه بذلك النصح [١] .

ثم قال :وكنت واياكم ـ أيمعكم ـ كما قال دريد بن الصمة لقبيلته هوازن لما غزوا أعاديهم وانصرفوا ونزلوا بمنعرج اللوى ليقسموا الغنائم . فقال لهم دريد: من حقنا أن نخرج من هذه البقعة وننزل الى سفح جبل، فان القوم المغار

يا يزيد قل له :اقبل الي فان الفتنة قد وقعت ، فأتاه فأخبره فقال الاشتر : أبرفع هذه المصاحف ؟ قال : نعم . قال الاشتر : ويحك ألاترى الى الفتح ، ألاترى الى مايلقون، ألاترى الى الذى يصنع الله لنا؟ أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه فقال له يزيد : أتحب انك ظفرت هاهنا وان أمير المؤمنين بمكانه الذي هـو فيه يفرج عنه ويسلم الى عدوه . قال :سبحان الله لاوالله لاأحب ذلك . قال : فانهم قد قالوا له وحلفوا عليه لترسلن الى الاشتر فليأتينك أولنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أولنسلمنك الى عدوك . الى آخره .

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٠٥/٢ : وقـوله عليه السلام « حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه » يشير الى نفسه ، يقول : خالفتموني حتى ظننت أن النصح الذي نصحتكم بـه غيرنصح لاطباقكم واجماعكم على خلافي . وهذا حق ، لان ذا الرأي الصواب اذا كثرمخالفوه يشك علىنفسه .

وأما ضن الزند بقدحه فمعناه أنه لم يقدح لي بعـد ذلك رأي صالح لشدة ما لقيت منكم من الاباء والخلاف والعصيان . وهـذا أيضاً حـق ، لان المشير الناصح اذا اتهم واستغش عمى قلبه وفسد رأيه . انتهى .

عليهم خرجوا الى أحياء العرب مستنفرين والان يجتمع علينا هيهنا عالم من الناس لانطيقهم ، فأبوا وكان كما قال وقتل من هوازن ساداتها ، فقال دريد : ماتبينتم نصيحتي الاضحى الغد بعد الهلاك لقوم منكم .

فضرب علي عليه السلام ذلك أيضاً مثلا لاصحابه .

فإن قيل : كيف قال « الحمدلله وان أتى الدهر بالخطب الفادح » وشرط بعد التحميد بمالا يليق بمثله ؟ .

الجواب : انه عليه السلام أشار بذلك بعد أن حمدالله أنه كاره لتلك الحالة التي يخطب لها فيها، وان كان حمدالله في كل حال واجباً على نعمه المتواترة ، فكأنه قال : أشكر الله وأشكوكم .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

(في تخويف أهل النهر)

فأنانذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر ، وباهضام هذا الغائط ، على غير بينة من ربكم ولاسلطان مبين معكم ، قدطوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار ، وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم علي اباء المخالفين المنابذين ، حتى صرفت رأيي الى هواكم . وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الاحلام ، ولم آت ـ لا أبا لكم ـ بجراً ولاأردت بكم ضراً .

(ومن كلام له عليه السلام)

(يجري مجرى الخطبة)

فقمت بالامر حين فشلوا ، وتطلعت حين تقبعوا ، ونطقت حين تعتعوا ، ومضيت بنور الله حين وقفوا ، وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم فوتاً ، فطرت

بعنانها واستبددت برهانها .

كالجبل لاتحركه القواصف، ولاتزيله العواصف، لم يكن لاحدفي مهمز، ولالقائل في مغمز . الذليـل عندي عزيز حتى آخذ الحق لـه ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه .

رضينا عن‌الله قضاءه، وسلمنا لله أمره . أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، والله لانا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه . فنظرت في أمري فاذا طاعتي قدسبقت بيعتى ، واذا الميثاق في عنقي لغيري .

(ومن خطبة له عليه السلام)

وانما سميت الشبهة شبهة لانهـا تشبه الحق ، فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين، ودليلهم سمت الهدى ، وأما أعداؤه[1] فدعاؤهم الضلال، ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه .

(ومن خطبة له عليه السلام)

منيت بمن لايطيع اذا أمرت ، ولايجيب اذا دعوت، لا أبالكم ماتنتظرون بنصركم ربكم ، أما دين يجمعكم ولاحمية تحمشكم . أقـوم فيكم مستصرخاً وأنـاديكم منغوثاً ، فلا تسمعون لي قولا ولاتطيعون لـي أمراً ، حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة ، فما يدرك بكم ثار ولايبلغ بكم مرام .

دعوتكم الى نصر اخوانكم ، فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر ، وتثاقلتم تثاقل‌النضو الادبر، ثم خرج الي منكم جنيد متذائب [ضعيف كأنمايساقون الى

---

١) في نا ، ب ، الف ، يد : وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال .

الموت وهم ينظرون .

قال الرضي رحمه الله : قوله عليه السلام][1] « متذائب » أي مضطرب ، من قولهم « تذاءبت الريح » أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته .

(ومن كلام له عليه السلام)

(للخوارج لما سمع قولهم « لاحكم الا لله »)

قال : كلمة حق يراد بها باطل، نعم انه لاحكم الالله، ولكن هؤلاء يقولون « لاامرة » ، وانه لابد للناس من أمير بر أو فاجر ، يعمل من امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ، ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوي ، حتى يستريح بر ويستراح من فاجر .

وفي رواية [اخرى أنه عليه السلام][2] لما سمع تحكيمهم قال : حكم الله انتظر فيكم .

وقال : أماالامرة البرة فيعمل فيها التقي ، وأما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ، الى أن تنقطع مدته وتدركه منيته .

(بيانه) :

خوف عليه السلام بالهلاك على الضلال أهل النهروان الذين صاروا

---

١) مابين المعقوفين سقط من ص .

٢) مابين المعقوفين ليس في ص .

خوارج[1] من المروق، فقال «أنا نذير لكم» أي منذركم ومخوفكم أن تصيروا قتلى بمنعطف[2] هذا الوادي وبأرضها المطمئنة وفي اوديتها، وأنتم على الباطل لاحجة معكم ، فانكم استحققتم الهلاك والقتل لما خرجتم علي ، وان الله سبب برميكم الى هذه البقعة لتهلكوا بها، وهذا مجاز طرحت بكم الدار، واحتبلكم المقدار .

---

١) الخوارج هم الذين خرجوا عن طاعة سلطان من أئمة المسلمين وقالوا: الامامة تصلح في أمناء الناس كلهم من كان منهم قائماً بالكتاب والسنة عالماً بهما ، وان الامامة تثبت بعقد رجلين ، وانما علينا وعلى الناس أن نقيم كتاب الله عزوجل فيما بيننا .

وقالوا : لاحكم الا لله، وبهذا العنوان خرجوا على علي امير المؤمنين لانه رضي بالتحكيم ، وقالوا كفرنا برضانا للتحكيم فنحن نستغفر الله ، فعلي أيضاً فليستغفر ويتوب الى الله .

وقالوا أباطيل أخرى، من شاء الاطلاع عليها فليراجع كتب الملل والنحل والمقالات والفرق . وبهذه العلة المذكورة يقال لهم : الخوارج، ويقال لهم «الحرورية» لاجتماعهم في مكان يسمى «حروراء»، ويقال لهم « أهل النهروان » أيضاً للوقعة التي وقعت في « النهروان » بينهم وبين علي عليه السلام المشهورة. ويقال لهم « الشراة » لانهم زعموا أنهم شروا أنفسهم بالجنة لانهم فارقوا أئمة الجور .

راجع المقالات والفرق للاشعري القمي ٥ ، ٨ ، ١٢ ، شرح ابن ابى الحديد ١٩٣/٢ ، ٢٠٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، مروج الذهب ٣٥٢/٢ ، ٣٩١ .

٢) في د : بمنعطفات . ومنعطف الوادي : منعرجه ومنحناه .

والتقدير أنا نذير لكم بأن تصبحوا صرعى ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرني بأنكم تقتلون هاهنا منهزمين . فأشار الى أنهم يهربون خوفاً في الاودية . وأثناء الوادي ، واحدها « ثني » ، وهو منعطفه ، وكانوا عند الحرب يدخلونها .

أما الهزيمة أو الكمين[1] فيقتلون فيها فكان كما قال[2] .

---

١) الكمين في الحرب هو أن يستخفوا في مكمن - بفتح الميمين - بحيث لايفطن بهم ثم ينهضون على العدو على غفلة منهم ، والجمع المكامن .

٢) قال ابن أبي الحديد في الشرح ٢٧١/٢ :أقبل رجل الى علي عليه السلام وبشره بعبور الخوارج عن النهر وحلف ثلاثاً أنه رأى عبورهم. فقال « ع » : ماعبروه ولن يعبروه وان مصارعهم لدون النطفة .

الى ان قال :ثم أقبل فارس آخر يركض ، فقال كقول الاول، فلم يكترث علي عليه السلام بقوله ، وجاءت الفرسان كلها تقول مثل ذلك ، فقام علي عليه السلام فجال في متن فرسه ، قال :فيقول شاب من الناس والله لاكونن قريباً منه، فان كانوا عبروا النهر لاجعلن سنان هذا الرمح في عينه ، أيدعي علم الغيب .

فلما انتهى عليه السلام الى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيلهم وجثوا على ركبهم وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل ، فنزل الشاب فقال : يا أمير المؤمنين اني كنت شككت فيك آنفاً واني تائب الى الله واليك فاغفرلي . فقال علي عليه السلام : ان الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره .

الى أن قال :فقال علي عليه السلام :احملوا عليهم فوالله لايقتل منكم عشرة ولايسلم منهم عشرة . فحمل عليهم فطحنهم طحناً، قتل من أصحابه عليه السلام تسعة وأفلت من الخوارج ثمانية . راجع الكامل للمبرد ٥٤٣ - ٥٤٤ ط اروبا.

و « الاهضام » جمع الهضم ، وهو المطمئن من الارض . والغائط [1] :

وقال ابن أبي الحديد أيضاً في الشرح ٢/٢٧٥ :وروى جميع أهل السير كافة أن علياً عليه السلام لما طحن القوم طلب ذا الثدية طلباً شديداً ، وقلب القتلى ظهراً لبطن ، فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول : والله ما كذبت ولا كذبت أطلبوا الرجل وانه لفي القوم . فلم يزل يتطلبه حتى وجده، وهو رجل مخدج اليد كأنها ثدي في صدره .

وقال بعيد هذا : انه « ع » أمر بطلب الثدية فوجدوه في وهدة من الارض تحت ناس من القتلى، فأتي به واذا رجل على ثديه مثل سبلات السنور، فكبر علي عليه السلام وكبر الناس معه سروراً بذلك . وذكر أيضاً فيه أن علياً عليه السلام قال : نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذوالثدية .

أقول : وهوحرقوص بن زهيرالسعدي ، ذكره الطبرى وقال : ان الهرمزان صاحب خوزستان كفر ومنع ماقبله . الى أن قال : وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمره على القتال . الى أن قال : وبقي حرقوص الى أيام علي وشهد معه صفين ، ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي بن ابي طالب عليه السلام، فقتل معهم يوم النهر سنة سبع وثلاثين . عن عائشة انها قالت لما عرفت أن علياً عليه السلام قتل ذا الثدية :لعن الله عمروبن العاص فانه كتب الي يخبرني أنه قتله بالاسكندرية وقالت :سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول :انهم شرالخلق والخليقة يقتلهم خيرالخلق والخليقة وأقربهم عندالله وسيلة . وقالت أيضاً :سمعته صلى الله عليه وآله يقول : يقتله ـ أي ذا الثدية ـ خيرأمتي من بعدي .

راجع أسد الغابة ١/٣٩٦ ، شرح ابن ابي الحديد ٢/٢٦٩ .

١) الغور : المطمئن من الارض . أقول : وفي الحديث قال رجل لرسول

الغور منها .

والبينة والسلطان : الحجة . والمبين : الظاهر .

وطرحت بكم : أي رمت بكم .

واحتبلكم : صادكم بالحبالة وأنتم منعتم . و « المنابذ » التى ينبذ العهد .

وقوله « ولم آت بجراً » أي لم أفعل عجباً . وروي « هجراً » أي كلاماً قبيحاً . وروي « عراً » أي لم آت عبثاً . والعر : قرحة تخرج من مشافر الابل فتكوى له لئلا تعدي .

وروي « تطلقت حين تعتعوا » أي كنت طلبق اللسان ، أي كنتم في تعتعة من الكلام ، أي وعي . ولسان طلق ذلق : أي له حدة . و« التعتعة » في الكلام التردد فيه من حصر وعي ، يقال « تعتعت الرجل » أي أقلعته . وروي « حين يتعتعوا » وهو مطاوع تعتع . وروي « تطلعت » أي اطلعت على ما ظن الامر .

وقوله «وكنت أخفضهم صوتاً واعلاهم فوتاً» وخفض الصوت:غضه، والفوت السبق، أي فت القوم فوتاً غالباً مع انخفاض صوتي وهدوء أحوالي وصغرسني.

وقوله «فطرت بعنانها» أي بعنان الحرب . واستبددت: أي انفردت برهانها أي المراهنة عنها. ولما جعل الحرب عناناً استعارة جعلها مركوبة براهن عليها. وروي «لعنانها» أي سارعت الى الحرب لاخذ عنانها . وروى «فطفرت بعنانها».

وقيل : الضمير لفرسه التى كان يحارب عليها ، وكنت في الثبات في الحرب أوعلى ظهر الارض كالجبل في رسوخه، لاتحركني رياح شديدة تكون في البحر ، ولا تزيلني عن مقامي الرياح الشديدة التى تهب في البر .

والمهمز : العيب . والمغمز : المطعن ، والمغامز المعائب ، يقال وجدته مغمزاً أي طعنت عليه .

الله « ص » :يارسول الله قل لاهل الغائط يحسنوا مخالطتي، أراد أهل الوادي .

لعل هنا ايضاً بمعنى الوادي .

وقوله « اتراني »[1] بضم التاء ، أي أتظنني .

وقوله « فاذا طاعتي [قد سبقت بيعتي » يقول طاعتي][2] كانت واجبة عليهم قبل أن بايعوني بعد الثلاثة ، وطاعته كانت واجبة عليهم وعلى جميع المسلمين مذيوم الغدير ، وصارت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أوجب ، وبيعته لهم كان بعد قتل عثمان ، فسبق طاعته على بيعته واضح .

وعلى ذلك فبيعة غيري في عنقي ، وهواشارة الى ما أكره عليه من البيعة.

والميثاق : العهد والعقد . والسمت : الطريقة الحسنة .

ثم ذكر أن المؤمنين اذا رأواشبهة يتبينوا ، والكفار والضلال ازدادوا بها اثمـاً .

قوله « فما ينجومن الموت من خافه » وجه وقوع هذه الكلمة هاهنا ان لم يكن الكلام مبتراً أنه عليه السلام وعظ في أوله ثم أعقبه به ، كأنه يقول : بادروا الموت فانه لاينجو منه من خافه .

وقوله « منيت » أي ابتليت .

وتحمشكم : تغضبكم ، يقال أحمشت الرجل أي أغضبته .

والمتغوث : الذي يقول « واغوثاه » ، يقال غوث الرجل وتغوث .

والجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته .

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٩٦/٢ : استنكار لما صدر منهم في حقه من التكذيب وايرادحجة لبطلان اوهامهم في حقه بصورة قياس الضمير مع نتيجته، وتقديره : والله لانا اول من صدقه و كل من كان أول مصدق لـه فلن يكون اول مكذب له ، ينتج : اني لاأكون اول مكذب له .

٢) ما بين المعقوفين ليس في ص .

وجمل أسر : اذا كانت كركرته دبرة[1] .

والنضو: البعير المهزول . والادبر : الذي به دبرة .

والامرة : حكم من قبل الله يقوم بها في كل قرن حجة من حجج الله معصوم وفي زمان الغيبة يؤيد الله هذا الدين بالرجل الفاجر .

وقوله « ويبلغ الله فيها الاجل » بيانه في الرواية الاخرى، وهي « الى أن تنقطع مدته وتدركه منيته » .

وليس تحكيم الخوارج هـو الذي جرى بعد صفين على يد ابي موسى وابن العاص في شأن الحكمين ، وانما تحكيمهم هو قولهم « لاحكم الالله »[2]. وأول من لفظ هذه الكلمة البرك بن عبدالله ، وبرك لقب له واسمه الحجاج[3] ،

---

١) السرر : وجع يأخذ البعير في كركرته من دبرة . والبعير : اسر . أقول : والكركر: وعاء قضيب البعيروالتيس والثور. والدبرة بالتحريك: قرحة الدابة والبعير .

٢) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢/ ٢٧١ : وذكر ابوهلال العسكري في كتاب « الاوائل » ان أول من قال « لاحكم الالله » عروة بن حدير، قالهابصفين. وقيل : زيد بن عاصم المحاربى .

وذكر فيه ص ٢٧٧ عن الكامل للمبرد ما لفظه : قال أول من لفظ بالحكومة ولم يشدبها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقال له :الحجاج بن عبدالله ويعرف بالبرك، وهو الذي ضرب آخراً معاوية على اليته.

وقال أيضاً بعيد هذا : وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكربن بكربن وائل ، كان من أصحاب علي عليه السلام . . .

٣) هوأحد الثلاثة الذين اجتمعوا بمكة مع جماعة من الخوارج وتعاهدوا على قتل علي عليه السلام ومعاوية وعمروبن العاص، وهم عبدالرحمن بن ملجم

وكان سيداً من الخوارج .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

[أيها الناس][1] ان الوفاء توأم الصدق ، ولاأعلم جنة أوقى منه ، ومايغدر من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر أهله الغدر كيساً»، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة .

مالهم قاتلهم الله، قديرى الحول القلب وجه الحيلة، ودونها [2] مانع من امر الله ونهيه ، فيدعها رأي العين[3] بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لاحريجة له في الدين .

أشقى الاولين والاخرين تعهد على قتل أميرالمؤمنين عليه السلام . وحجاج بن عبدالله الملقب بالبرك ، قال : أنا أقتل معاوية بن ابى سفيان . وزادويه مولى بني العنبر واسمه عمرو بن بكر، وهوتعهد على قتل عمرو بن العاص. واتعدوا أن يكون ذلك في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وقيل ليلة احدى وعشرين.

أقول : بل ليلة تسع عشرة منه ، وقال ابن قتيبة : صبيحة نهار الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين .

راجع الامامة والسياسة ١٤٧/١ ، مروج الذهب ٤١١/٢ ، ٤١٧ ، أسد الغابة ٢٣/٤ .

١) الزيادة من يد فقط .

٢) في ب ، الف : ودونه .

٣) في الف ، يد : عين .

(ومن خطبةله عليه السلام)

أيها الناس ان أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : اتباع الهوى ، وطول الامل . فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الامل فينسي الاخرة .

ألاوان الدنيا قدولت حذاء ، فلم يبق منها الاصبابة كصبابة الاناء ، اصطبها صابها ، ألاوان الاخرة قد أقبلت ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الاخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فان كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة ، وان اليوم عمل ولاحساب وغداً حساب ولاعمل .

(ومن كلام له عليه السلام)

(وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام)

(بعد ارساله جرير بن عبدالله الى معاوية)

ان استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه، ولكن قدوقت لجرير وقتاً لايقيم بعده الامخدوعاً أوعاصياً، والرأي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد .

ولقد ضربت أنف هذا الامر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أرفيه الاالقتال أوالكفر [بما جاء محمد صلى الله عليه وآله][1] ، انه قدكان على الامة وال أحدث أحداثاً وأوجد الناس مقالا ، فقالوا ، ثم نقموا فغيروا .

---

١) ليس مابين المعقوفين في ص . وفي الف ، ب ، نا : «بما انزل» مكان « بما جاء » .

(ومن كلام له علية السلام)

(لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معاوية)

وكان قدابتاع سبى بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام ، فقال : قبح الله مصقلة، فعل فعل السادة وفر فرار العبيد ، فما أنطق مادحه حتى أسكته ، ولا صدق واصفه حتى بكته ، ولو أقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره .

(ومن خطبة له عليه السلام)

الحمدلله غير مقنوط من رحمته، ولامخلو من نعمته، ولامأيوس من مغفرته، ولا مستنكف عن عبادته ، الذي لا تبرح منه رحمة ، ولا تفقد له نعمة .

والدنيا دار مني لها الفناء ، ولاهلها منها الجلاء ، وهى حلوة خضرة[١]، قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد ، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ، ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ .

(ومن كلام له عليه السلام)

(عند عزمه على المسير الى الشام)

اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في النفس والأهل والمال والولد .

اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الاهل، ولايجمعهما غيرك،

---

١) في يد : خضراء .

لان المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً .

قال السيد [رحمه الله] : وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قفاه عليه السلام بأبلغ كلام ، وتممه بأحسن تمام، من قوله « ولا يجمعهما غيرك » الى آخره .

(بيـانه) :

الوفاء توأم الصدق ومن أحسن العبارات أي هما اخوان وزوجان. والغدر والكذب من واد واحد ، ولا أعلم جنة ـ وهي الترس ـ أوقى أي احفظ، من الوفاء . ومن كان له ايمان بالقيامة لا يغدر .

ثم فصل ذلك ، وهو واضح .

والحول القلب[1]: الكيس الذي يمكنه تحويل الامور وتقليبها. والحريجة: اسم للتحرج ، وهو المأثم [2] .

وقوله « الدنيا قد ولت حذاء » بخط الرضي على حاشية أصله : الحذاء السريعة ، ومن الناس من يروي جذاء بالجيم والحاء معاً .

وجرير هو البجلي[3] الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله «خلوا بين جرير

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ١/ ١٠٤ : والقلب الحول : الذي يكثر تحوله وتقلبه في اختيار الامور وتعرف وجوهها .

٢) الحريجة : التحرج ، وهو التحرز ، من الحرج والاثم .

٣) هو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن على بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر ابن انمار بن اراش ، ابوعمر أو ابوعبدالله البجلى . ذكره ابن الأثير الجزرى في أسد الغابة ١/٢٧٩ وقال بعد سرد نسبه ما لفظه : أسلم جرير قبل وفاة النبي

والجرير » حين اراد جماعة أن يحدوا بناقة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقوله « وان استعدادي لحرب الشام اغلاق المشام» ، وقوله «ولاأكره لكم الاعداد » لا تناقض بينهما ، لان استعدادي واعدادهم غيران ، والاعداد كسب شيء ووضعه عدة فقط ، والاستعداد تهيؤ شيء لامر على الظاهر . على أن الاستعداد منسوب الى علي عليه السلام والاعداد الى أصحابه، فلا يكون اثبات

صلى الله عليه وآله بأربعبن يوماً، وكان حسن الصورة. قال عمر بن الخطاب: جرير يوسف هذه الامة وهو سيد قومه . واكرمه النبى صلى الله عليه وآله لما دخل عليه وقال : اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . الى آخر ما قال .

وذكره أيضاً العسقلاني في كتابه « الاصابة » ٢٤٢/١ وقال ما ملخصه : ان الطبراني أخرج أن جريراً قال :قال‌لنا رسول الله صلى‌الله عليه وآله «ان اخاكم النجاشي قدمات » الحديث ، فهذا يدل على أن اسلام جرير كان قبل سنة عشر، لان النجاشي مات قبل ذلك .

وذكره ابن ابى‌الحديد في الشرح١١٧/٣نقلاعن ابن‌قتيبة في « المعارف» ان جريراً قدم على رسول الله صلى‌الله عليه وآله سنة عشر من الهجرة في‌شهر رمضان فبايعه وأسلم ، وكان جرير صبيح الوجه جميلا ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «كأن على وجهه مستحة ملك » ، وكان طوالا يتفل في‌ذروة البعير من‌طوله وكانت نعله ذراعاً، وكان يخضب لحيته فالزعفران من‌الليل ويغسلها اذا أصبح . واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية، وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى‌توفي بالشراة سنة أربع وخمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة .

ثم سردنسبه عن« جمهرة الانساب » وقال :ويذكر أن علياً عليه السلام هدم دار جريرودور قوم ممن خرج معه حيث فارق علياً عليه السلام منهم ابواراكة ابن مالك بن عامر القسري كان ختنه على ابنته .

هذا ونفي ذاك متنافياً مع قرب معناهما .

وقوله « فأرودوا »[1] أي ارفقوا ، ويقال ارود في السير ارواداً : اذا رفق .

ولقدضربتأنف هذا الامر وعينه[2] ،أي تحققت فيهالمعرفة به، وذكر العين والانف مثل ، وذلك لان المتعرف من عادته أن يمعن في النظر الى الانف والعين ، وهما من محاسن الوجه .

وهذا الوالي الذى أحدث أحداثاً هو عثمان .

وأوجد : أي أغضب الناس .

ويقال «نقمت عليه أنقم» اذا عتبت عليه، وكذا نقمت أنقم لغة فيه. ونقمت الامر ونقمته : اذا كرهته .

وخاس في ذكر مصقلة أي غدر، يقال خاس فلان بالعهد اذا نكث، وخاس به يخيس ويخوس اذا غدر به .

وكان أمير المؤمنين عليهالسلام وجه معقل بنقيس[3] الرياحي الىالمرتدين

---

١) في اللسان : الرود : المهلة في الشيء ، والارواد : الامهال . أمهلهم رويداً : أي أمهلهم امهالا .

٢) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٣٢٣/٢ ما لفظه : وأما قوله عليهالسلام « ضربت أنف هذا الامر وعينه » فمثل تقوله العرب اذا أرادت الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر، وانما خص الانف والعينلانهما صورة الوجه، والذي يتأمل من الانسان انما هو وجهه .

٣) معقل بنقيس الرياحى التميمى من بنى رياح بن يربوع حنظلة بنمالك ابن زيد مناة بن تميم . ذكره العسقلاني في « الاصابة» ١٧٩/٦ وقال بعد ذكر اسمه ما نصه : له ادراك، قال ابن عساكر أوفده عماربن ياسر على عمر بفتح تستر الى أن قال : في امراء علي عليه السلام يوم الجمل، وقال الهيثم بن عدي كان

بسيف البحر[1]، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأقبل فنزل اردشير خرة[2] وبهامصقلة ابن هبيرة[3] ، فصاح السبى أمنن علينا، فاشتراهم مصقلة بثلاثمائة ألف فأعتقهم

صاحب شرطة علي عليه السلام . الى آخره .

وقال ابن ابى الحديد في حقه : كان معقل من رجال الكوفة وأبطالها وله رئاسة وقدم. الى أن قال :وكان من شيعة علي عليه السلام ووجهه الى بني ناجية فقتل منهم وسبى وحارب المستورد بن علقمة الخارجي من تيم الرباب ، فقتل كل منهما صاحبه بدجلة . انتهى .

أقول : وكانت هذه المبارزة على ما ذكرها في « الاصابة » سنة اثنتين وأربعين في خلافة معاوية كما عن الطبري، وقال ابوعبيدة سنة تسع وثلاثين في خلافة علي عليه السلام .

راجع شرح ابن ابى الحديد ١٣٤/٤ ، ٩٧/٥ ، ٩٢/١٥ ، ٣٩/١٦ ، الغارات للثقفي ٣٤٨/١ ، الاصابة ١٧٩/٦ .

١) سيف البحر : ساحل البحر .

٢) أرد شيرخرة بالفتح ثم السكون وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وياء ساكنة وراء وخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة مشددة وهاء ، وهواسم مركب ، ومعناه بهاء أردشير ، وهي من أجل كور فارس ، قيل رسمها نمرود بن كنعان . راجع معجم البلدان ١٩٩/١ .

٣) هومصقلة بن هبيرة بن شبل بن تيري من امرىء القيس بن ربيعة بن مالك، وكان عاملا لعلي عليه السلام على«أردشير خرة» ، فلمابعث عليه السلام معقل بن قيس السابق الذكر الى بني ناجية حين ارتدوا وفارقوا عنه عليه السلام فأدركهم في كور أهواز وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحملهم الى علي عليه السلام ومر على مصقلة بن هبيرة الشيباني عامله عليه السلام بأردشير خرة ، فلما رآه

وادى مائتى ألف ثم هرب الى معاوية . فذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام وأنفذ العتق ، فقال مصقلة :

تركت نساء الحي بكر بن وائل وأعتقت سبياً من لؤي بن غالب[1]
وفارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب

الاسراء بكى اليه النساء والصبيان وتصايح الرجال : ياابالفضل أمنن علينا فاشترنا وأعتقنا، فباعه اياهم بخمسمائة الف درهم ودفعهم اليه ، وخلى مصقلة الاسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء . ثم أدى اليه عليه السلام مائتى الف درهم وعجز عن الباقي وهرب الى الشام حتى لحق بمعاوية .

راجع : شرح ابن ابى الحديد ١٢٧/٣ الى ١٥٠ .

١) يعني بني ناجية، لانهم ينسبون أنفسهم الى سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. وقريش تدفعهم عن هذا النسب ويسمونهم بني ناجية ـ وهي أمهم وهي امرأة سامة بن لؤي ، ويقولون ان سامة خرج الى ناحية البحرين مغاضباً لاخيه كعب بن لؤي في مماظة كانت بينهما ، فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب ، فعلق بمشفرها أفعى، ثم عطفت على قبتها فحكته به فدب الافعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله .

قالوا : وكانت معه امرأته ناجية، فلما مات تزوجت رجلا في البحرين فولدت منه الحارث ومات ابوه وهو صغير ، فلما ترعرع طمعت أمه أن تلحقه بقريش فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي بن غالب، فرحل من البحرين الى مكة ومعه أمه، فأخبر كعب بن لؤي أنه ابن أخيه سامة ، فعرف كعب أمه ناجية فظن أنه صادق في دعواه فقبله ومكث عنده مدة حتى قدم مكة ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه، فسألهم كعب بن لؤى من أين يعرفونه ؟ فقالوا : هذا ابن

وقتل معقلا هذا بعد ذلك المستورد الخارجي بعد أن ضربه معقل فمات منه[1].

وقبح الله مصقلة : أي أبعده من كل خير .

والتبكيت[2] كالتقريع والتعنيف ، حتى بكته أي الواصف .

ووفر الشيء وفوراً : أي تم ، وفرته يتعدى ولا يتعدى . وروي موفورة ، والموفور : التام .

وفي بعض الروايات أنه عليه السلام قال :لو أقام أحدنا ماقدرنا على أخذه منه ، فان اعسر أنظرناه وان عجز لم نأخذه بشيء .

والقنوط والخيبة واليأس بمعنى .

ولاتبرح: أي لا تزول. وقوله «مني لها الغناء» أي قدر. والجلاء: الخروج من الوطن .

والبلاغ[3]: البلغة، مايتبلغ به من العيش، أي يكتفى به. والكفاف من الرزق

رجل من بلدنا يعرف بفلان وشرحواله خبره ، فنفاه كعب عن مكة ونفى أمه ، فرجعا الى البحرين فكانا هناك، وتزوج الحارث فأعقب هذا العقب. وقال هؤلاء: أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال « عمي سامة لم يعقب » .

أقول : وقد فصل ابن ابى الحديد في الشرح في نسبهم فمن أراد الاطلاع فعليه ج ١٢٠/٣ من الكتاب .

١) راجع التعاليق السالفة قبيل هذا .

٢) التبكيت :التقريع والتوبيخ . يقال : يا فاسق أما استحييت ؟ أمااتقيت الله ؟ وفي المصباح : بكت زيد عمراً تبكيتاً : عيره وقبح فعله .

٣) في اللسان : البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب ، يقال : له في هذا بلاغ وبلغة وتبلغ أي كفاية .

والقوت : هو ماكف عن الناس ، أي أغنى .

ووعثاء [1] السفر : شدته ، والوعث الرمل اللين في الاصل ، ويكنى به عن الصعوبة ، لان المشي في الرمل اللين متعذر .

والكآبة : الحزن .

وسوء المنظر من النظارة ، وهم القوم ينظرون الى شيء ، وفلان حسن المنظر [2] .

---

١) في اللسان : روي عن النبي « ص » قوله :اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، أي شدته ومشقته .

٢) أول هذا الدعاء كما ذكره السيد رحمه الله مروي عن النبي صلى الله عليه وآله .

وقال ابن ابى الحديد في الشرح ١٦٦/٣ ماهذا لفظه :وصدر الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في المسانيد الصحيحة، وختمه امير المؤمنين عليه السلام وتممه بقوله « ولا يجمعهما غيرك » وهو الصحيح لان من يستصحب لا يكون مستخلفاً، فانه مستحيل أن يكون الشيء الواحد في المكانين مقيماً وسائراً، وانما تصح هذه القضية في الأجسام، لان الجسم الواحد لا يكون في جهتين في وقت واحد ، فأما ماليس بجسم وهو الباري سبحانه فانه في كل مكان .

الى أن قال :وهذا الدعاء دعى به امير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الركاب من منزله بالكوفة متوجهاً الى الشام لحرب معاوية وأصحابه، ذكره نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » وذكره غيره أيضاً من رواة السيرة . انتهى .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(في ذكر الكوفة)

كأني بكم[1] يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي، تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لاعلم أنهما أرادبك جبار سوءاً الا ابتلاه الله بشاغل ورماه[2] بقاتل.

(ومن خطبة له عليه السلام)

(عند المسير الى الشام)

الحمدلله كلما وقب ليل وغسق، والحمدلله كلما لاح نجم وخفق، والحمدلله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال .

أمابعد ، فقد بعثت مقدمتي وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري، وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة، فأنهضهم معكم الى عدوكم وأجعلهم من أمداد القوة لكم .

قال السيد [رحمه الله] : يعني [عليه السلام] بالملطاط [هاهنا][3] السمت الذي أمرهم بلزومه ، وهو شاطىء الفرات ، ويقال ذلك أيضاً لشاطىء البحر ، وأصله مااستوى من الارض. ويعني بالنطفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها .

---

١) في نا ، الف ، ب ، يد : كأني بك .

٢) في يد : اورماه .

٣) الزيادة من ب ، يد .

(ومن خطبة له عليه السلام)

الحمدلله الذي بطن خفيات الامور ، ودلت عليه أعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير ، فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من أثبته يبصره .

سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب من الدنو [1] فلا شيء أقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قربه ساواهم في المكان به .

لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته ، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود ، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً .

(ومن خطبة له عليه السلام)

انما بدؤ وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال رجالا على غيردين الله. فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

ومن كلام له عليه السلام

(لما غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفين)

(ومنعوهم عن الماء)

قد استطعموكم القتال ، فأقروا على مذلة وتأخير محلة ، أورووا السيوف [2]

---

١) سقط « فلا شيء اعلى منه وقرب من الدنو » في الف .

٢) في الف : السيف .

من الدماء ترووا من الماء ، فالموت في حياتكم مقهورين ، والحياة في موتكم قاهرين . ألاوان معاوية قاد لمة من الغواة ، وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية .

(بيانه) :

ذكر أولا ما يجري بعده على أهل الكوفة[1] ، وليس ذلك بعلم الغيب ،

---

١) الكوفة بلدة معروفة بالعراق، وكانت مجمع الشيعة وعلمائها وفقهائها ، ووردت أخبار كثيرة عن أهل العصمة والطهارة في فضائلها ، قد ذكر ابن ابى الحديد في الشرح نبذة قليلة منها، وقال ما هذا نصه : وقد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام شيء كثير ، نحو قول أمير المؤمنين عليه السلام « نعمت المدرة » ، وقوله عليه السلام « انه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر » ، وقوله عايه السلام « هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا » وقول جعفر بن محمد عليهما السلام « اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها » وقوله عليه السلام « تربة تحبنا ونحبها » . انتهى .

وأما حال الذين أرادوا سوءاً في حق أهل الكوفة ففي هامش نسختنا : روي أن زياداً لما حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدي ثمانين وهم أن يخرب دورهم ، فجمع الناس ليأمرهم بسب علي عليه السلام وعلم أنهم سيمتنعون عن ذلك فيحتج بذلك على استيصالهم واخراب دورهم ، فبيناهم مجتمعون اذ خرج حاجبه من القصر وأمرهم بالانصراف ، وكانت في تلك الساعة قدرمي بالفالج، وكان يقول :اني لاجد حر النار في نصف من جسدي حتى مات .

وابنه عبيدالله بن زياد أصابه الجذام، والحجاج تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك، وعمروبن هبيرة وابنه يوسف أصابهما البرص ،وخالد

وانما كان النبي صلى الله عليه وآله أخبره بذلك عن الله تعالى فيما أخبره من الكائنات قبل كونها [بوحي من الله][1] .

يقول : ان المحن تنزل كثيراً بالكوفة ، ويعرك أهلها عرك الاديم المنسوب الى عكاظ ، وهواسم سوق العرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة يقيمون شهراً ويتبايعون ويتناشدون شعراً ، فلما جاء الاسلام هدم ذلك . وكل متاع فاخر يباع في ذلك الشهرهناك وينقل الى أطراف الارض ينسب اليه .

ووقب الليل: دخل. وغسق الليل: اظلم. وخفق النجم : اضطرب وتحرك. ومقدمة العسكر : المتقدمون منهم ، ويكون قدم بمعنى تقدم .

وقوله « وقد رأيت أن أقطع هـذه النطفة » يعني ان رأيي يقتضي أن أعبر الفرات .

والشرذمة : جماعة فيهم قلة .

وقوله « موطنين اكناف دجلة » أي متخذين حوالي هذا النهروطناً ، يقال أوطنت البقعة ووطنتها واستوطنتها أي اتخذتها وطناً .

وأما الخطبة الاخرى فمعناها أن جميع الحمد ثابت لله الذي يعلم كل أمر مستور . ويدل على كونه أفعاله الظاهرة التى هي الدالة عليه وليس هو بمشاهد، ولذلك لاتدركه عين البصير، الا أنه مع ذلك لايمكن من لم يره أن ينكره في كل حال ، لان أفعاله دالة عليه ، ولذلك لايمكن من أثبته بالدلائل أن يحيط[2] بـه علماً .

القسري [البشري ن] ضرب وحبس حتى مات جوعاً. وأما الذين رماهم بقاتل فعبيدالله بن زياد ومصعب بن الزبير ويزيد بن المهلب قدقتلوا على أسوء حال .

١) الزيادة من م .

٢) في د : أن يبسط به .

ومن زعم أن هذا التركيب غير مستقيم بل ينبغي أن تكون الرواية فيه « فلاقلب من لم يره ينكره ولاعين من اثبته يبصره » فقد غفل عن المعنى الذي ذكرناه .

وقوله « فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه »[2] أي لاعلوه أبعده عن

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ١٢٧/٢ في شرح هذه الخطبة الشريفة ماهذا نصه : كونه تعالى بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان :

أحدهما : كونه داخلا في جملة الامور الخفية ، ولما كان بواطن الامور الخفية أخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونها بطنها أخفى منها عند العقول .

الثاني : أن يكون المعنى أنه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور .

أما المعنى الاول فبرهانه أنك علمت أن الادراك اما حسي أو عقلي ، ولما كان الباري تعالى مقدساً عن الجسمية منزهاً عن الوضع والجهة استحال أن يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة، ولما كانت ذاته بريئة عن أنحاء التركيب استحال أن يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه، فخفاؤه اذن على جميع الادراكات ظاهر ، وكونه أخفى الامور الخفية واضح .

وأما الثاني فقد سبق منا بيان أنه عالم الخفيات والسرائر . الخ .

٢) وقال أيضاً ابن ميثم في الشرح ١٣١/٢ في شرح هذه الجملة الشريفة ما هذا لفظه : تأكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية ، فان الوهم يحكم بأن ما استعلى على الأشياء كان بعده عنها بقدر علوه عليها وماقرب منها فقد ساواها في أمكنتها ، وذلك لكونه مقصور الحكم على المحسوسات، ونحن لما بينا أن علوه على خلقه وقربه منهم ليس علواً وقرباً مكانيين بل بمعان أخرى لاجرم لم يكن استعلاؤه بذلك المعنى على مخلوقاته مباعداً له عن شيء منها ، ولم يكن منافياً لقربه بالمعنى الذي ذكرناه، بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له، ولم

الخلق ولاقربه منهم جعله متساوياً لهم في الاحتياج الى المكان من صله[1] ساواهم. والهاء لله تعالى . والمعنى : ولاقربه تعالى جعله مساوياً لهم في المكان .

قال: ان العقول لاتطلع على معرفة الله الواجبة، فان وصفه وعظمته لايحدان يعني لايوصف تعالى بعظمة الاوكان أعظم منها ولا منتهى لمقدوراته .

فان تمسك أصحاب المعارف كالجاحظ ونحوه ممن ذهب الى أن معرفة الله ضرورية بقوله : فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود، فان الدلائل العقلية التي لا تحتمل التأويل تدل على أن الله تعالى لا يجوز أن يعرف مع بقاء التكليف اضطراراً .

وأما كلام الله ورسوله وحججه عليهم السلام اذا لم يوافق ظاهره الدليل العقلي لابد من أن يؤل على ما يوافق دليل العقل .

على أن معنى هذه الكلمة واضح ، فانه عليه السلام قال : هو الذي يشهد هذا العالم وجميع ما فيه من حيث يعلم بالدلائل العقلية أن هذه الموجودات كلها محدثة .

على أن كل من جحد الصانع يقر بأن كل محدث لابدله من محدث ، ومن أنكر أن يكون للعالم صانع فانه أبى من حيث أنه اعتقد أن العالم قديم ، والا فالعلم بحاجة كل محدث الى محدث ماضروري على سبيل الجملة .

وبدء كل شيء : أوله .

ويتولى عليها رجال رجالا :أي يتبع قوم قوماً على تربية البدع التي أبدعها ضال قبلهم في الشريعة على خلاف الكتاب والسنة، وتوالى بعض الرجال بعضاً

يكن قربه منها أيضاً موجباً لمساواته لها في المكان عناداً للوهم ورداً لاحكامه الفاسدة في صفات الجلال ونعوت الكمال .

١) كذا في ص . وفي د : وقوله به من صلة ساواهم .

على اثبات تلك الفتن .

ومن حمل المسكوت على المنطوق شرعاً يمزج الحق بالباطل ، وكذلك يخفى ويستترعلى المرتادين والطالبين بطلان ذلك .

و « الضغث » في الاصل قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس ، وضغث الحديث : خلطه .

وشريعة الفرات : هي مورد الشارب ومشرعة الماء .

واستطعمه: سأله أن يطعمه. وفي الحديث «ان استطعمكم الامام فأطعموه». يقول : اذا استغلق[1] فافتحوا عليه .

وقولـه عليه السلام « قـد استطعموكم القتال » مجاز واستعارة ، أي ان أصحاب معاوية طلبوا منكم أن تطعموهم القتال وتجعلوا المقاتلة طعمة لهم .

وقيل: معناه استفتح أهل الشام مقاتلتكم، أي انهم ابتدأوابقتالكم فقاتلوهم.

واللمة : مابين الثلاثة الى العشرة من الرجال . وقوله « ان معاوية قاد لمة » أي جماعة اذلاء ضعفاء [2] .

وعمس عليهم الخبر ـ وروي الخير[3] ـ أي لبسه عليهم وجعل الامرعليهم مظلماً، يقال أمرعموس أي مظلم لايدرى من أين يؤتى، وجاءنا بأمور معمسات ملوية عن جهتها[4] ، ولولايلتبس معاوية أصحابه لما قتلوا أنفسهم دونه .

---

١) في م : اذا استفتح .

٢) كذا في ص ، د . في اللسان : وفي حديث علي عليه السلام « ألا وان معاوية قاد لمة من الغواة » أي جماعة .

٣) كذا في ص ، د .

٤) في اللسان : أتانا بأمور معمسات ، بنصب الميم وجرها : أي ملويات عن جهتها . وقال العمس : أن ترى انك لاتعرف الامر وأنت عارف به . وفي

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

(وقد تقدم مختارها برواية)[1]

(نذكرها هنا برواية اخرى لتغاير الروايتين)

ألاوان الدنيا قدتصرمت وآذنت بانقضاء[2]، وتنكر معروفها وأدبرت حذاء، فهي تحفز بالفناء سكانها ، وتحدو بالموت جيرانها، وقد أمر فيها ماكان حلواً، وكدر منها ماكان صفواً ، فلم يبق منها الاسملة كسملة الاداوة أوجرعة كجرعة المقلة ، لو تمززها الصديان لم ينقع .

فأزمعوا عبادالله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلهـا الزوال ، ولا يغلبنكم فيها الامل ، ولايطولن عليكم فيها الامـد . فوالله لوحننتم حنين الوله العجال، ودعوتم بهديل الحمام ، وجأرتم جؤار متبتلى الرهبان ، وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد ، التماس القربة اليـه في ارتفاع درجـة عنده أوغفران سيئة أحصتها كتبه وحفظتها رسله ، لكان قليلا فيما أرجولكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه .

وتالله لوانماثت قلوبكم انمياثاً ، وسالت عيونكم من رغبة اليه ، أورهبـة منه دماً ، ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ، ماجزت أعمالكم ولولم تبقواشيئاً

حديث علي عليه السلام «ألا وان معاوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر» من ذلك . ويروى بالغين المعجمة .

١) في نا ، الف : برواية أخرى ونذكرها هيهنا .

٢) في الف ، نا : بوداع .

من جهدكم أنعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان .

(ومنها) في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية :

ومن تمام الأضحية استشراف أذنها ، وسلامة عينها ، فاذا سلمت الأذن والعين سلمت الاضحية وتمت، ولو كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك.

[قال الرضي رحمه الله : والمنسك هاهنا : المذبح] .

(ومن كلام له عليه السلام)

[في ذكر البيعة]

فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم وردها ، وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها ، حتى ظننت [1] أنهم قاتلي ، أوبعضهم قاتل بعض لدي . وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم ، فما وجدتني يسعني الا قتالهم أو الجحود بماجاء به محمد صلى الله عليه وآله ، فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب ، وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة .

(ومن كلام له عليه السلام)

(وقد استبطأ أصحابه اذنه لهم في القتال بصفين)

أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت ، فوالله ما أبالي دخلت الى الموت أوخرج الموت الي، وأما قولكم شكاً في أهل الشام فوالله مادفعت الحرب يوماً الا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي، وذلك أحب الي من أن أقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها .

---

١) في هامش نا : حتى ظننتهم . وفي هامش الف : حتى ظننت .

(ومن خطبة له عليه السلام)

ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا ، مايزيدنا ذلك الا ايمانـاً وتسليماً ، ومضياً على اللقم ، وصبراً على مضض الالم ، وجداً [1] في جهاد العدو .

ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا أنزل [2] بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر ، حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه .

ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ماقام للدين عمود ، ولا أخضر للايمان عود. وأيم الله لتحتلبنها دماً ولتتبعنها ندماً .

(ومن كلام له عليه السلام)

أما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم ، مندحق البطن ، يأكـل مايجد ويطلب مالايجد ، فاقتلوه ولن تقتلوه . ألا وانه سيأمركم بسبي والبراءة مني ، فأما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة ، وأما البراءة فلاتبرأوا مني، فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة .

(بيـانه):

أذنت الدنيا بانقضاء : أي أعلمت بأنها تفنى . وتصرمت : انقطعت. وتنكر

---

١) في ص : وجهداً .

٢) في ص : لعدونا .

معروفها : أي تغيرخيرها، يعني ان الله قدعرفكم أن هذه الدنيا دار الفناء وكل خيرها يتنكر ، وأعاد الايذان اليها تأكيداً لصحة ذلك ، ولانها لم تبق على من كان قبلنا وكذلك حالها معنا .

و « أدبرت جذاء »[1] من رواه بالجيم أراد منقطعة الدر ، ومن رواه بالحاء والذال المعجمة اراد سريعة الذهاب . ورحم حذاء غير موصولة .

وقوله :« فهي تحفز بالفناء سكانها » أي تدفعهم وتعجلهم وتسوقهم، يقال : حفز أي ساق .

وقد أمر : أي صار مراً . وكدر بالضم والكسر لغتان .

فلم يبق الاسملة : أي بقية مثل سملة الاداوة . والسملة : بقيـة الماء يبقى في الاناء . والاداوة :المطهرة . وقوله « وجرعة » أي ولم يبق الاجرعة المقلة[2]. والمقلة : حجر يطرح في الاناء ويقسم به الماء .

لوتمززها الصديان :أي لوشربها العطشان. والتمزز :تمصص الشراب قليلا

---

١) كذا في ص . وفي د : وأدبرت حذاء بالحاء والذال المعجمة اراد ...
أقول :في اللسان :قال الفراء :رحم جذاء بالجيم والحاء ممدودان ، وذلك اذا لم توصل. وقال الزمخشري في الفائق :الحذاء ـ بالحاء ـ الخفيفةالسريعة.

٢) المقلة في اللسان :وفي حديث علي عليه‌السلام « لم يبق منهاالاجرعة كجرعة المقلة » هي بالفتح حصاة القسم . وهي بالضم واحـدة المقـل الثمر المعروف ، وهي لصغرها لاتسع الاالشيء اليسير من الماء .

وقال في الفائق :المقلة ـ بفتح الميم ـ حصاة القسم لانها تمقل في الماء.

أقول : وهي الحصاة التى تلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقى كل واحـد منهم ، وذلك عند قلة الماء في المفاوز .

قليلا ، وهو مثل التمزز .

وصدى : اذا عطش . ولم ينقع : أي لم ينقع الصديان بها عطشه ، أي لم يروها ولم يسكنها ، يقال نقع الماء العطش أي سكنه .

ثم حلف أن لو حن المكلفون حنين النوق التي تفقد ولدها لكان في جنب ثواب الله قليلا ، ولو سالت عيونهم لما جزت أعمالهم نعم الله عليهم .

و « الوله » جمع واله ووالهة ، وهو الذاهب عقله والهامه لفقد محبوب .

« العجال » جمع عجول ، وهي الناقة التي فقدت ولدها .

والجؤار : صوت يتضرع . والمتبتل : المنقطع عن الدنيا الى الله تعالى .

وقوله « انماثت قلوبكم » أي ذابت كانمياث الملح في الماء .

«وعمرتم في الدنيا وما الدنيا باقية » أي لو بقيتم مابقيت الدنيا وماللدوام .

وقوله « ماجرت أعمالكم » مفعوله قوله : أنعمه عليكم .

وقوله « ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم » اعتراض في الكلام للتأكيد .

والاضحية : مايضحى به يوم النحر من النعم .

والاستشراف : الانتصاب ، واذن شرفاء أي طويلة عالية ، ومنه يقال « استشرف الشيء » اذ ارفعت بصرك تنظر اليه وبسطت كفك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس .

والعضباء : الشاة المكسورة القرن الداخل ، ويقال هي التي انكسر أحد قرنيها .

والمنسك : المذبح والمنحر هاهنا .

وقوله « تجر رجلها الى المنسك » أي تكون عرجاء ، وقيل منكسرة الرجل [والعموم يتناولهما] [1] .

وقوله « فتداكوا علي » أي وردوا ودخلوا علي يدق بعضهم بعضاً ، مثل تداك الابل العطاش يوم ورودها ودخولها الماء مرسلة مخلوعة حبالها . والتداؤك

---

١) الزيادة من م .

التفاعل من الدك ، وهو الدق ، وكأن الكاف مبدلة من القاف تخصيصاً .

و « المثاني » جمع مثناة ، وهي الحبل المثنى يجعل في طرف الزمام .

وقوله «قلبت هذا الامر بطنه وظهره» أي فكرت فيه سراً وجهراً وليلاونهاراً حتى أرقت بسبب ذلك وذهب مني النوم .

وكان عليه السلام لايأذن لاصحابه في قتال أهل الشام لعلهم يهتدون ويندمون فظن منافقو أصحابه أن دفعه اياهم عن مسارعة المقاتلة كراهية للموت أوشكاً فى أهل الشام ، يعني انهم يقولون اني شاك في أهل الشام هل يستوجبون القتل والقتال أم لا ، وليس الامر على مازعموا .

ثم حلف أنه ما دفعهم عن ذلك الاللطمع في لحاق جماعة منهم بنا نهاراً أوقصدهم الينا ليلا . والى هذا أشار بقوله « تعشو الى ضوئي » ، يقال عشوته أي قصدته ليلا . هذا هو الاصل ثم صار كل قاصد عاشياً . وعشوت الى النار أعشواليها : اذا استدللت عليها ببصر ضعيف ، قال الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد[1]

وباء باثمه : أي رجع .

---

١) البيت للحطيئة، وهو جرول بن اوس، والبيت في ضمن قصيدة يمدح بها بغيض بن شماس ، وهو من بنى سعد بن زبد .

قوله تأته : فصل مضارع من الاتيان، وتعشو من عشى يعشو، يقال :عشى النار عشواً اذا رآها ليلا من بعيد فقصدها مستضيئاً . والضمير في « ناره » لبغيض ابن شماس ، وكذا في « تأته » وفي « عندها » للنار. والموقد اسم فاعل ، من أو قدت النار أي اشعلتها بالوقود .

وقال في اللسان في معنى البيت هكذا : أي متى تأته لاتتبين ناره من ضعف بصرك .

ثم قال: انهم كانوا يقاتلون أقرباءهم الكفار على وفق ماأمر الله، ولا يزيد ذلك الاتسليماً وانقياداً ومضياً على اللقم، أي على جادة الحق.

والمضض: وجع المصيبة.

والتصاول: أن يحمل هذا على ذاك.

والتخالس: السلب. والكبت[1]: الضرب والاذلال.

وقوله «حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه». أي حتى أقام الاسلام في مكانه. وجران البعير: مقدم عنقه من مذبحه الى منخره، فاستعار للاسلام ذلك وجعل له ناقة مناخة مستقرة قد تبوأت وطنها وتمكنت فيه، يقال: تبوأت منزلا أي نزلته.

ثم قال «أما انه سيظهر عليكم» أي سيغلب عليكم «رجل رحب البلعوم»[2] وهو معاوية[3]. وهذا كناية عن كثرة الاكل، وكان يأكل ثم يكثر ثم يقول:

---

١) كبته: اي اهانه واذله. وكبته لوجهه: صرعه.

٢) الرحب والرحيب: الشيء الواسع. والبلعوم: مجرى الطعام في الحلق وهو المريء.

٣) وهو أشهر من كفر ابليس، وشهرته تغني عن ذكر اسمه ونسبه. وذكره في أسد الغابة ٣٨٥/٤ وقال بعد سرد نسبه واسمه ما ملخصه: وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم.

وروى بسنده عن ابن عباس أنه قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطاني حطاة وقال: اذهب فادع لي معاوية. قال: فجئت فقلت: هو يأكل. ثم قال: اذهب فادع لي معاوية. قال: فجئت فقلت هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه. اخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية.

ارفعوا فوالله ماشبعت ولكن مللت وتعبت ، وكان ذلك من دعاء النبي صلى الله عليه وآله ، اذبعث اليه يستدعيه فوجده يأكل ، ثم بعث اليه آخر فوجده على حالته الاولى يأكل ، فقال عليه السلام : اللهم لاتشبع بطنه . وقال الشاعر :

وصاحب لي بطنه كالهاوية كـأن في أمعائه معاويـة

ومندحق البطن: أي خارج البطن ، يقال اندحقت رحم الناقة أي اندلقت، ويقال لتلك الناقـة التي تخرج رحمها بعد الولادة « دحوق » . وهذه صفـة معاوية ، وانما لم يصرح عليـه السلام باسم معاوية لوجوه : منهـا أن أصحابه لوسمعوا منه ذلك صريحاً انكسر قلوبهم وقد حدثه النبي صلى الله عليه وآله بذلـك .

وقوله « فأما السب فسبوني فانه لي زكاة » له وجهان :

أحدهما: ماورد في الاحاديث أن ذكر المؤمن بسوء هوزكاة [له وان ذمه بمافيه زيادة في جاهه وشرفه .

والثاني : انمعنى قوله « فانه ليزكاة »] [1] أي فانالسب لينماء وعلوقدر، فان ذكري يعلو على السب ولاينقص سب ولا شتم من جاهي شيئاً بل أزيد به شرفاً الىشرف . والذي يدل على صحته أن بنى أمية كانوا يلعنونه ألف شهر على منابرهم ، فما زاده الأسناء ورفعة وما زادهم في الناس الا تخضعاً . وهذا مقتبس منقوله تعالى « الامنأكره وقلبهمطمئن بالايمان ولكن منشرح بالكفر صدراً » [2] الاية .

وانما جعل عليه السلام الولادة على الفطرة علة لامتناعهم من التبري منه ، لان المؤمن المعصوم الذي لم يرتكب ذنباً قط لايجوز أن يتبرأ منه بل يجب

---

١) ما بين المعقوفين ليس في د .

٢) سورة النحل : ١٠٦ .

أن يتولى، فأشار به الى أنه لم يكن كافراً بالله طرفة عين أبداً، وانه كان على الفطرة ما تلطخ بقبيح .

وأكد ذلك بقوله « وسبقت الى الايمان » كقوله :

سبقتكم الى الاسـلام طـراً صغيراً [1] ما بلغت أوان حلمي

والفطرة : الخلقة .

(الاصـل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

(كلم به الخوارج)

أصابكم حاصب، ولا بقي منكم آبر، أبعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين. فأوبوا شر مآب، وارجعوا على أثر الاعقاب ، أما انكم ستلقون بعدي ذلاً شاملا وسيفاً قاطعاً ، واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة .

قال السيد رحمه الله [2] : فقوله « ولا بقي منكم آبر » يروى [على ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون كما ذكرنا « آبر »[3] بالراء ، من قولهم [رجل][3] آبر للذي يأبر النخل أي يصلحه، ويروى «آثر» [بالثاء بثلاث نقط يراد به][4] الذي يأثر الحديث، أي يحكيه ويرويه، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام

---

١) في ص : غلاماً .

٢) ليس « قال السيد رحمه الله » في الف ، ب .

٣) الزيادة موجودة في « يد » ، فقط . وكذا « آبر » .

٤) الزيادة في « يد » .

قال: لا بقي منكم فجر . ويروى «آبز» بالزاي معجمة ، وهو الواثب، والهالك أيضاً يقال له « آبز » .

(وقال عليه السلام)

(لما عزم على حرب الخوارج)

(وقيل انهم عبروا جسر النهروان)

مصارعهم دون النطفة ، والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة . [قال الشريف رحمه الله] [1] :يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء وان كان كثيراً جماً. [وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه][2].

(وقال عليه السلام)

(لما قتلهم [3] فقيل له هلك القوم بأجمعهم)

كلا والله انهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين .

(وقال عليه السلام فيهم)

لاتقتلوا الخوارج بعدي ، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه « يعنى معاوية وأصحابه » .

---

١) الزيادة ليست في نا ، ص ، ب ، الف .

٢) الزياده من « نا » بعنوان « نسخة » و « ب » و « يد » .

٣) في الف ، ب ، يد : لما قتل الخوارج .

(ومن كلام له عليه السلام)

(لما خوف من الغيلة)

وان علي من الله جنة حصينة ، فاذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني ، فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم .

(ومن خطبة له عليه السلام)

ألاوان الدنيا دار لايسلم منها الافيها ، ولاينجى بشيء كان لها ، ابتلي الناس بها فتنة ، فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه ، وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه . وانها عند ذوي العقول كفيء الظل ، بينا تراه سابغاً حتى قلص وزائداً حتى نقص .

(ومن خطبة له عليه السلام)

اتقوا [١] الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جدبكم، واستعدوا للموت فقد أظلكم ، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا .

فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ، ولايترككم سدى ، ومابين أحدكم وبين الجنة أو النار الاالموت ان ينزل به ، وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة ، وان غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة ، وان قادماً يقدم بالفوز أوالشقوة لمستحق لافضل العدة .

---

١) في نا ، الف ، ب : واتقوا . وفي يد : فاتقوا .

[فتزودوا في الدنيا من الدنيا ماتحرزون بـه أنفسكم[1] غداً][2] فاتقى عبد ربه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته . فان أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به ، يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليـه أغفل ما يكون عنها ، فيالها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة أن تؤديه أيامه الى شقوة .

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا واياكم ممن لاتبطره نعمة ، ولا تقصر بـه عن طاعة ربه غاية ، ولاتحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة .

(بيـانه) :

الخارجي [3] هـو الذي يسود بنفسه من غير أن يكون لـه قديم . هذا عند العـرب .

والخوارج شرعاً هم الذين يخرجون بغاة على امام الحق .

دعا عليه السلام عليهم بقوله «أصابهم حاصب» والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء ، وكانوا يكلفونه المصير الى قولهم وأن يشهد على نفسـه بأنه ماأحسن في الاشياء التي أنكروها. فقال عليه السلام رداً عليهم :أبعد ايماني بالله أشهد على نفسي بالكفر .

ثم قال : فأذنوا ، أي ارجعوا شر مرجع .

---

١) في نا ، يد ، ص : نفوسكم .

٢) ما بين المعقوفين ليس في الف .

٣) في اللسان :والخارجي :الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، قال كثير :

أبـا مروان لست بخارجي   وليس قديم مجـدك بانتحال

والعقب : مؤخر القدم ، والجمع أعقاب .

وانكم ستلقون أثرة ، وهي ما يستأثر به المرء نفسه فيقتطعه .

وقوله «والله لايفلت منهم عشرة» أي لاينجو عشرة رجال منهم ، وهذا انما قاله عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله [1] ، يقال : أفلت الشيء وانفلت

---

١) ذكره ابن ابى الحديد في الشرح ٣/٥ وقال فيه مالفظه : هذا الخبرمن الاخبار التى تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له ، وهومن معجزاته واخباره المفصلة عن الغيوب .

ثم قسم الاخبار على قسمين وقال : احدهما :الاخبار المجملة ولااعجاز فيها ، نحو أن يقول الرجل لاصحابه : انكم ستنصرون على هذه الفئة التى تلقونها غداً، فان نصرجعل ذلك حجةله عند أصحابه وسماها معجزة وان لم ينصر قال لهم : تغيرت نياتكم وشككتم في قولي فمنعكم الله نصره .

الى أن قال : والقسم الثاني : في الاخبار المفصلة عن الغيوب ، مثل هذا الخبر فانه لايحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج ووقوع الحرب بموجبه من غيرزيادة ولانقصان . وذلك أمر الهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفه رسول الله من جهة الله سبحانه، والقوة البشرية تقصرعن ادراك مثل هذا . ولقدكان له من هذا الباب مالم يكن لغيره .

ثم ذكرعلة غلو الذين غلوا في حقه عليه السلام وقالوا :ان الجوهر الالهي حل في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام ، وذكر قول النبي صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام « يهلك فيك رجلان محب غال ومبغض قال » وقال فيه أيضاً «والذي نفسي بيده لولا اني أشفق أن يقول طوائف من أمتي فيك ماقالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لاتمر بملأ من الناس الا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة » ثم ذكرظهور الغلوفيه عليه السلام. الى

بمعنى ، وأفلته غيره .

وقيل هلك القوم القوم بأجمعهم بضم الميم جمع الجمع ، وليس هـو الجمع الذي يكون للتأكيد .

و «كلا» للردع والزجر يكون بمعنى حقاً .

وقوله «كلما نجم قرن» أي نبت وطلع أهل زمان منهم قتلوا .

آخره .

أقول : قوله عليه السلام «والله لايفلت منهم عشرة ولايهلك منكم عشرة» قيل قاله لابي أيوب الانصاري صاحب ميمنته لما بدأت الخوارج بالقتال ، قال عليه السلام لابي أيوب : احملوا عليهم فوالله لايفلت منهم عشرة ولايهلك منكم عشرة، فلما قتلهم وجد المفلت منهم تسعة والمقتول من أصحابه ثمانية . وهذا من كرامته عليه السلام .

والتسعة الذين أفلتوا منهم يوم النهر تفرقوا في البلاد، فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى جزيرة وواحد الى تل موزون ، وقد كان منهم جماعة لم يظفر عليه السلام بهم ، فظهرت بدعتهم في أطراف البلاد بعده «ع» ، فكانوا نحواً من عشرين فرقة وكبارها ست :

احداها : الأزارقة ، اصحاب نافع بن الازرق، وكان اكبر الفرق . الثانية: النجدات ، ورئيسهم نجدة بن عامر الحنفي . الثالثة : البيهسية أصحاب ابـي بيهس الهيصم بن جابر، وكان بالحجاز. الرابعة :العجاردة ، أصحاب عبدالكريم ابن عجرد. الخامسة : الاباضية، أصحاب عبدالله بن أباض. السادسة: الثعالبة، أصحاب ثعلبة بن عامر. ومن أراد التفصيل فعليه بكتب التواريخ. راجع شرح ابن ميثم ٢/١٥١ الى ١٥٥ ، شرح ابن ابى الحديد ٥/ ٣ الى ١٢٠ ، المقالات والفرق ٥ ، ٨ ، ١٢ .

واللصوص :السراق والسلابون الذين يسلبون أموال الناس بقطع الطريق.

ثم نهى عن قتلهم بعده وعرض بأن قتل من هو شر من الخوارج أولى ، وهو معاوية وأصحابه ، فانهم طلبوا الباطـل فأدركوه والخوارج طلبوا الحق فأخطأوه ، فمعاوية وأصحابه على العلات [1] أسوء حالا منهم ، وان كان الكل يستحق النـار .

وقال بعض أهـل العلم : ان معنى هذا الكلام مـأخوذ من الخبر المروي « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر » [2] .

والغيلة :الاخذ والقتل من حيث لم يدر، يقال غاله واغناله . والغيلة بالكسر الاغتيال ، يقال قتله غيلة ، وهـو أن يخدعه فيذهب به الى موضع فأذا صار اليه قتله وأهلكه على غفلة .

ولا يطيش السهم : أي لا يعدل ، يقـال طاش السهم عن الهدف أي عـدل عنه ، والطيش الخفة .

واضافة « كفيء الظل» [3] نحو كرى النوم، والفيء أخص من الظل [4] فلذلك

---

١) كذا في د ، ص ، م .

٢) سنن ابـى داود ٢٩٩/٣ ، صحيح مسلم ١٣٤٢/٣ ، سنن ابـن ماجة ٧٧٦/٢ .

٣) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١٤٣/٥ : وانمـا قال : « كفيء الظل » لان العرب تضيف الشيء الى نفسه ، قال تأبط شراً :

اذا حاص عينيه كرى النوم لم يـزل   له كالىء مـن قلب شيحـان فاتك

« حاص » أي خاط. ويروى « اذا خاط عينيه » . والكرى :النوم الخفيف. والشيحان :الحازم، مثل الشائح والشيح. والفاتك :الذي يفاجىء غيره بمكروه أو قتل .كذا ذكره في الحاشية عن شرح التبريزي ٩٤/١ على حماسة ابى تمام.

٤) وذكر ايضاً ابن ابى الحديد في الشرح ١٤٤/٥ ان الظل أعم من الفيء،

حسن اضافته اليه . وكان الظل سابغاً : أي تاماً . فقلص : أي نقص ، يقال ظل قالص أي ناقص .

وقوله « ترحلوا فقد جدبكم » أي ارتحلوا وهيؤواللرحيل فقد اجتهدبكم . والجد : الاجتهاد في الامر .

و « استعدوا » استفعل بمعنى أفعل ، أي أعدوا ، كمايقال : استجاب بمعنى أجاب .

و « يكون المطلب » أي أطلبوا العدة للموت ، فقد أظلكم : أي قرب منكم وعلاعليكم ظله .

والعبث : اللعب . ولم يترككم سدى : أي مهملين .

و « ان ينزل به » بدل من قوله « الاالموت » .

وقوله « وان غائباً يحدوه الجديدان » هذا الغائب هو الموت ، وكذلك القادم الذي يقدم بالفوت : أي بالشقوة [1] . وقيل الغائب صاحب الدنيا لمكان أنه خلق لغيرها، فهو سريع الاوبة [مجازلانه لم يكن قط في الاخرة][2] والرجوع اليها ، ونحوها[3] تسمية القيامة بالمعاد والمرجع .

ويجوز أن يكون عليه السلام شبه العدم الاول بالعدم الثاني . ويجوز أن يكون المراد أنهم لم يكن لهم اختيار في حال الابتداء ولم يملكوا لانفسهم نفعاً ولاضراً حينئذ ، ففي ثاني الحال يعودون الى مثل ماكانوا عليه أول مرة .

وقال : لان الفيء لايكون الا بعد الزوال ، وكل فيء ظل وليس كل ظل فيئاً ، فلما كان فيهما تغاير معنوي بهذا الاعتبار صحت الاضافة . انتهى .

١) كذا في ص ، د . وفي اصل الخطبة : بالفوز أو الشقوة .

٢) الزيادة من م .

٣) في د ، م : ونحوه .

ويقال : لا أفعله ما اختلف الجديدان يعني الليل والنهار .

ويمنيه التوبة : أي يجعل في أمنيته أنه يتوب بعد ذلك .

والتسويف : ان يقول « سوف أفعل » .

وحتى تهجم منيته : أي حتى يأتيه غفلة وفاته .

وقوله «فيالها حسرة» تقديره ياقوم أدعوكم لتقضوا العجب من هذه الحسرة في حال كونها حسرة ، أودعا الحسرة لانه وقتها[1] .

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

الذي [2] لم يسبق له حال حالا ، فيكون أولاقبل أن يكون آخراً ، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً ، كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، وكل عزيز غيره ذليل ، وكل قوي غيره ضعيف ، وكل مالك غيره مملوك ، وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز ، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه مابعد منها ، وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام ، وكل ظاهر غيره غير باطن ، وكل باطن غيره غير ظاهر .

---

١) في شرح ابن أبي الحديد ١٤٧/٥ : يجوز أن يكون نادى الحسرة وفتحة اللام على أصل نداء المدعو كقولك « ياللرجال » ، ويكون المعنى : هذا وقتك أيتها الحسرة فاحضري .

ويجوز أن يكون المدعو غير الحسرة ، كأنه قال : يا للرجال للحسرة ، فتكون لامها مكسورة نحو الاصل لانها المدعو اليه الا أنها لما كانت للضمير فتحت ، أي أدعوكم أيها الرجال لتقضوا العجب من هذه الحسرة . انتهى .

٢) في نا ، الف ، يد ، م : الحمدلله الذي .

لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، ولا تخوف من عواقب زمان ، ولا استعانة على ند مثاور ، ولا شريك مكاثر ، ولا ضد منافر . ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون .

لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن .

لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ماذرأ ، ولا وقف به عجز عما خلق ، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر ، بل قضاء متقن ، وعلم محكم ، وأمر مبرم ، المأمول مع النقم المرهوب مع النعم .

(ومن كلام له عليه السلام)

(يقوله لاصحابه في بعض أيام صفين)

معاشر المسلمين استشعروا الخشية ، وتجلببوا السكينة ، وعضوا على النواجذ [1] ، فانه أنبى للسيوف عن الهام ، واكملوا اللامة ، وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها ، والحظو الخزر [2] ، واطعنوا الشزر ، ونافحوا بالظبا ، وصلوا السيوف بالخطا .

واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله ، فعاودوا الكر ، واستحيوا من الفر ، فانه عار في الاعقاب ، ونار يوم الحساب . وطيبوا عن أنفسكم نفساً ، وامشوا الى الموت مشياً سجحاً .

[و] عليكم بهذا السواد الاعظم ، والرواق المطنب ، فاضربوا ثبجه ، فان الشيطان كامن في كسره ، قد قدم للوثبة يداً ، وأخر للنكوص رجلا . فصمداً صمداً ،

---

١) في ب ، الف : النواجد .

٢) في ب : الجزر .

حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الاعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

(ومن كلام له عليه السلام)

(في معنى الانصار)

قالوا : لما انتهت الى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام : ماقالت الانصار؟ قالوا : قالت: منا أميرومنكم أمير . قال عليه السلام :

فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بأن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ؟ قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام : لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم . ثم قال عليه السلام :

فماذا قالت قريش ؟ قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله . فقال عليه السلام : احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة .

(ومن كلام له عليه السلام)

(لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل)

وقد أردت تولية مصرهاشم بن عتبة ، ولووليته اياها لماخلى لهم العرصة ولاانهزهم الفرصة ، بلاذم لمحمد [بن أبي بكر]، فلقدكان الي حبيباً وكان لي ربيباً .

(ومن كلام له عليه السلام)

(في ذم أصحابه)

كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية، كلما حيصت من

جانب تهتكت من آخر ، وكلما أظل[1] عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل [رجل] منكم بابه، وانحجر انحجار الضبة في جحرها والضبع في وجارها.

الذليل والله من نصرتموه ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل ، [و] انكم والله لكثير في الباحات ، قليل تحت الرايات ، واني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ، ولكني [والله] لاأرى اصلاحكم بافساد نفسي .

أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم، لاتعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق .

(بيـانه) :

أما الخطبة الاولى فانه عليه السلام ذكر عظمة الله وأنه الاول ، وهو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء ، والظاهر بالأدلة الدالة عليه ، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس .

قـد اجتمعت له الاولية والاخرية والظهور والخفاء ، لاينفصل الاوليـان والاخريان ، فلذا قال : لم تسبق له حال حالا .

والحال والسبق كلاهما مجاز هنا . ويمكن أن يقال : معناه انه تعالى قديم لـم يـسبق وجوده عدم ، اذ لو صار موجوداً بعد أن كان معدومـاً لكان لوجوده أول ولعدمه آخر ، وكل ماله أول في الوجود لابد له من محدث .

وقوله « فيكون » نصب جواب النفي ، أي هو سابق لجميع الموجودات بما لايتناهى من تقدير الاوقات ، لانه قديم وما عداه محدث .

وقيل : « الظاهر » العالي على كل شيء والغالب له ، والباطن الذي بطن كل شيء ، أي علم باطنه .

---

١) « اطل » روي بالمهملة والمعجمة والمعنى واحد .

يقول : هـو تعالى المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية ، وهو في جميعها ظاهر باطن .

ثم قال : مسمى بالوحدة غيره قليل ، المراد بالقلة هنا النفي كقوله : قليل غرام النوم ، يقول : كل من يسمى بأنه واحد لانظير له معدوم منتف غير الله فهو تعالى يوصف بالوحدانية ونفي الشركاء حقيقة .

ثم ميز بينه وبين عباده بتسعة أشياء بين بها توحيده .

ثم قال : « لم يخلق ما خاق » أي هو غني لم يخلقهم للحاجة اليهم بـل للانعام عليهم .

ثم ذكر أنه ليس بصفة الاجسام والاعراض بقوله « لم يحلل في الاشياء »، وفك الادغام لغة الحجاز . والداحر : الدليل[1] .

قوله « استشعروا » أي اجعلوا خشية الله شعاركم ، والشعار من الثياب دون الدثـار .

وتجلببوا : أي اجعلوا الجلباب لكم الوقار والحلم ، يعني كونوا حلماء واجعلوا الحلم كالجلباب ، وهو الثوب المشتمل على بدنكم .

وقولـه « عضوا على التواجد » كناية عن تسكين القلب وترك اضطرابـه واستيلاء الرعدة عليه .

وقوله « فانـه أنبى للسيوف » أي فان العض على الناجد منك أشد ابعاداً لسيف العدو عن مقامك . والضمير في « انه » المصدر الذي يدل عليه عضواً وما قبله من الافعال الدالة على مصادرها . واللأمة : الدرع .

والخزر : نظر المغضب. وطعن يطعن بالضم بالسنان ويطعن بالفتح باللسان، والخزر والشزر صفتان لضميرين يـدل عليهما الحظوا ، واطعنوا الطعن الشزر

---

١) من أول البيان الى هنا ليس في ص ، د . وفي م موجود .

وما كان عن اليمين والشمال .

ونافحوا : أي اضربوا ، والمنافحة مثل المكافحة ، من نفحه بالسيف أي ضربه به .

وظبة [1] السيف : حده .

ومثل قوله « وصلوا السيوف بالخطى » ماروي أنه قيل لعلي عليه السلام وكان معه يوماً سيف قصير ما أقصر حسامك ؟ قال : أطوله بخطوة .

وقوله « واعلموا أنكم بعين الله » أي يراكم الله على ما أنتم عليه ويعلم أفعالكم .

والاعقاب : الاولاد ، يقال : خلف فلان عقباً أي ولداً .

ومشياً سجحاً : أي سهلا ، وكذا اذا روي « سمحاً » .

وقوله «عليكم بهذا السواد الاعظم» أي يجب عليكم أن تأخذوا بهذا العدد الكثير وتقاتلوهم وتقتلوهم ، وسواد الناس عوامهم وكل عدد كثير ، والسواد الشخص أيضاً، يجوز أن يعني به معاوية خاصة، ويجوز أن يكون الالف واللام في السواد للجنس، كقولهم «الدينار خير من الدرهم»، ويكون المراد به معاوية وأصحابه .

و«الرواق المطنب» يقال خباء مطنب، أي مشدود بالاطناب ، وكان ضرب لمعاوية مضرب عظيم وأحاط به أربعمائة الف عاقدون على أنفسهم ان لا ينفرجوا عنه حتى يقتلوا .

وقوله «فاضربوا ثبجه» وثبج كل شيء وسطه، والثبج ما بين الكاهل الى الظهر.

وقوله « فان الشيطان كامن في كسره » الكسر جانب الخيمة التحتاني ، أي

---

١) الظبة بالتخفيف : حد السيف والجمع ظبات وظبون جبراً لما نقص ولامها محذوفة يقال : انها واو لانه يقال « ظبوت » ومعناه دعوت .

كمن وستر [1] ابليس هناك عليكم . ويجوز أن يكون عنى بالشيطان خصمه وهو معاوية قد قدم هذا الشيطان أو معاوية يدأ للوثبة عليكم ان خفتم ، وأخر رجلا للنكوص والتأخر والهزيمة ان تقدمتم او اقدمتم .

وقوله « فصمداً صمداً » واقصدوا قصداً بعد قصد . والصمد : قصد محقق «حتى ينجلي » أي ينكشف ويتبين لكم عمود الحق ، وهذا مستعار من قولهم « سطع عمود الصبح » مجاز من عمود البيت ، والجمع عمد وعمد معاً ، قال الله تعالى « في عمد ممددة » [2] وقرىء بهما .

و« أنتم الاعلون » الواو للحال « وان يتركم » أي لن ينقصكم أعمالكم أي جزاء أعمالكم .

ولما انتهت: أي اتصلت الى علي عليه السلام « أنباء السقيفة » [3] أي أخبار

---

١) ليس « ستر » في م .

٢) سورة الهمزة : ٩ .

٣) السقيفة : هي صفة لها سقف ، فعيلة بمعنى مفعولة .

والسقيفة التى اجتمع فيها المهاجـرون والانصار هي سقيفة بنى ساعدة ، اجتمعوا فيها بعـد النبى « ص » لانتخاب الخليفة ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان ١٠٤/٣ طبع ليدن ونقل عن ابىمنصور أنه قال : السقيفة كل بناء سقف به صفة مما يكون بارزاً ، ألزم هذا الاسم للنفرقة بين الاشياء .

وأما بنو ساعدة الذين أضيفت اليهم السقيفة فهم حي من الانصار ، وهم بنوساعدة بن كعب بن الخزرج بن الحارثة بن ثعلبة بن عمرو ، منهم سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ابىخزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة وهوالقائل بين السقيفة : منا أميرومنكم أمير ، ولم يبايع ابابكرولاأحداً، وقتلته الجن فيما قيل بحوران .

سقيفة بني النجار من بيعة الناس [بها] لابى بكر . والكلام الى آخره واضح .

وروي أنه عليه السلام استرجع في آخر ذلك الكلام فقال « انالله وانا اليه راجعون » .

وقوله « فلما خلي لهم العرصة » أي لم يخل لمعاوية وأصحابه عرصة مصر ولامكنهم من أن ينتهزوا الفرصة .

ثم ذكر أن هذا ليس بذم لمحمد بن ابى بكر [ولكنه مدح لهاشم [1] بن عتبة ، وكأنه كان يريد أن يبعثه الى مصردون محمد بن ابى بكر][2] ورأيه عليه السلام كان قوياً الا أن محمداً [3] يصيبه موجدة لذلك .

---

١) هو هاشم بن عتبة بن ابى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري، ذكره في أسد الغابة وقال بعد سرد اسمه ونسبه ما هذا ملخصه : يعرف بالمرقال اسلم يوم الفتح ، وكان من الشجعان الابطال والفضلاء الأخيار ، وشهد صفين مع علي عليه السلام، وكانت معه الراية وهو على الرجالة ، وقتل يومئذ . الى آخره . وذكره ابن ابى الحديد في الشرح ٥٥/٦ .

٢) ما بين المعقوفين ليس في د .

٣) هو ابو القاسم محمد بن ابى بكر عبدالله بن ابى قحافة عثمان. ذكره في أسد الغابة وقال بعد سرد اسمه ونسبه ما ملخصه : ولد في حجة الوداع بذي الحليفة لخمس بقين من ذي القعدة ، وكان ربيب علي عليه السلام في حجره ، وشهد معه الجمل وصفين، ثم ولاه مصرفقتل بها، وكان ممن حصر عثمان ، وهو أخو عبدالله بن جعفر لامه وأخو يحيى بن علي عليه السلام لامه. وذكره العسقلاني في الاصابة .

راجع أسد الغابة ٣٢٤/٤، الاصابة ١٥٢/٦، شرح ابن ابى الحديد ٥٣/٦.

ووالدة محمد بن ابى بكر أسماء بنت عميس [1] كانت زوجة جعفر بن [2]

---

١) هي اسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك ابن قحافة بن عامر بن ربيعة .

ذكرها ابن الاثير الجزري في كتابه « أسد الغابة » وقال بعد سرد اسمها ونسبها ما ملخصه : وهاجرت الى الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب، فولدت له بالحبشة عبدالله وعوناً ومحمداً ، ثم هاجرت الى المدينة ، فلما قتل عنها جعفر تزوجها ابوبكر فولدت له محمداً ، ثم مات عنها فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له يحيى لاخلاف في ذلك . وزعم ابن الكلبى أن عون بن علي عليه السلام أمه أسماء ولم يقل ذلك غيره فيما علمنا. الى آخره . وذكرها ابن ابى الحديد في الشرح .

راجع : اسد الغابة ٣٩٥/٥ ، شرح ابن ابى الحديد ٥٣/٦ .

٢) هو جعفر بن ابى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي القرشي الهاشمي .

ذكره العسقلاني في «اسد الغابة» وقال بعد سرد اسمه ونسبه ماهذا ملخصه: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخو علي بن ابى طالب لابويه، وهو جعفر الطيار ، وكان أشبه الناس برسول الله خلقاً وخلقاً . أسلم بعد اسلام أخيه علي عليه السلام بقليل. وروى ان اباطالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يصليان وعلي عن يمينه، فقال لجعفر صل جناح ابن عمك وصل عن يساره، وله هجرتان الى الحبشة والى المدينة . قال صلى الله عليه وآله : رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة. وقال « ص » في حقه عند مجيئه من الحبشة ما أدري بأيهما انا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر .

راجع اسد الغابة ٢٨٦/١ ، الاصابة ٢٤٧/١ .

ابى طالب عليه السلام، فلما قتل تزوج بها ابوبكر ، فلما توفي ابوبكر تزوج بهـا أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان محمد بن ابى بكر ربيب علي عليه السلام وكان اليه محبوباً .

وقوله «كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة» المداراة بالهمز المدافعة ، وبغير الهمز الملاينة. والبكار جمع البكر، وهو الفتى من الابل، مثل فرخ وأفراخ. والعمدة [1] : التى انفضخ داخل سنامها وظاهره صحيح .

والثياب المتداعية: الخلق كأن بعضها يدعو بعضاً ويناديه بالانخراق اذا مس باليد ، وهذا استعارة حسنة .

كلما حيصت من جانب : أي خيطت .

وتهتكت : انخرقت . كلما أظل عليكم ، يقال اظله واظل عليه . وروي بالطاء غير المعجمة أيضاً .

والمنسر قطعة من الجيش يمضي قدام الجيش الكثير .

انجحر : دخل الجحر .

والوجار : موضع الضبع .

وقوله « ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل » [2] أي من رمى بكم الى الاعداء فكأنما رمى بسهم منكسر الفوق لانصل له .

و« الباحات » جمع باحة ، وهو العرصة .

وبهذا الكلام ينظر الى كلام النبى صلى الله عليه وآله للانصار «انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع» ولكنه على العكس .

---

١) في اللسان : عمد البعير عمداً فهو عمد وللانثى بالهاء : ورم سنامه من عض القتب والحلس وانشدخ .

٢) ولهذا المثل شرح ذكرناه قبل هذا فراجع .

والاود : العوج .

أضرع الله : أي ذلك ، وفي المثل « الحمى أضرعتني لك » .

وأتعس جدودكم : التعس الهلاك ، وأصله الكب ، وهو ضد الانتعاش . وأتعسه الله : الزمه هلاكاً . والجد : الحظ والبخت ، أي صير بدل غناكم الفقر[1] .

(الاصل) :

(وقال عليه السلام)

(في سحرة اليوم الذي ضرب فيه)

ملكتني عيني وأناجالس فسنح لي رسول‌الله صلى الله عليه وآله ، فقلت :

---

١) قال ابن ابى‌الحديد في‌الشرح ١٠٣/٦ في‌بيان هذا الكلام ما هذالفظه: يقول [عليه السلام] : كم أداريكم كما يداري راكب البعير بعيره المنفضح السنام ، وكما يداري لابس الثوب السمل ثوبه المتداعي الذي كلما خيط منه جانب تمزق جانب .

ثم ذكر خبثهم وذلهم وقلة انتصار من ينتصربهم وانهم كثير في الصورة قليل في المعنى، ثم قال عليه‌السلام : اني‌عالم بما يصلحكم . يقول عليه‌السلام: انما يصلحكم في السياسة السيف ، وصدق فان‌كثيراً لايصلح الاعليه كما فعل الحجاج بالجيش الذي تقاعد بالمهلب ، فانه نادى مناديه : من‌وجدناه بعدثالثة لم‌يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه، ثم قتل عميربن ضابى وغيره فخرج الناس يهرعون الى المهلب .

وأميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن ليستحل من دماء أصابه ما يستحله من

يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد . فقال : ادع عليهم . فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً لهم مني .

[قال الشريف رحمه الله] [1] بعني بالأود : الاعوجاج ، وباللدد الخصام ، وهذا من أفصح الكلام .

(ومن كلام له عليه السلام)

(في ذم أهل العراق)

أما بعد، ياأهل العراق،فانما أنتم كالمرأة الحامل حملت، فلماأتمت أملصت، ومات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها .

أما والله ما أتيتكم اختياراً ، ولكن جئت اليكم سوقاً ، ولقد بلغني أنكم تقولون [علي] يكذب ، قاتلكم الله فعلى من اكذب، أعلى الله فأنا أول من آمن به، أم على نبيه فأنا أول من صدقه. كلا والله، ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها . ويل أمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(علم فيها الناس الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله)

اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك

يريد الدنيا وسياسة الملك وانتظام الدولة ، قال عليه السلام « لكني لاأرى اصلاحكم بافساد نفسي » أي بافساد ديني عندالله تعالى . الى آخره .

١) الزيادة من « يد » وفيه : قال الرضي رحمه الله .

ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الاباطيل، والدامغ صولات الاضاليل ،كما حمل فاضطلع. قائماً بأمرك مستوفزاً في مرضاتك ، غير ناكل عن قدم ، ولاواه في عزم ، واعياً لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك. حتى أورى قبس القابس ، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن، وأقام موضحات الاعلام ونيرات الاحكام . فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون ، وشهيد [1] ليوم الدين، وبعيثك بالحق ، ورسولك الى الخلق .

اللهم افسح له مفسحاً في ظلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك .

اللهم أعل على بناء البانين بناءه ، وأكرم لديك منزله ، وأتمم له نوره ، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة، ذا منطق عدل وخطة فصل.

اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش ، وقرار النعمة ، ومنى الشهوات ، وأهواء اللذات ، ورخاء الدعة ، ومنتهى الطمأنينة ، وتحف الكرامة .

(ومن كلام له عليه السلام)

(قاله لمروان بن الحكم بالبصرة)

قالوا :أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل واستشفع الحسن والحسين عليهما السلام الى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلماه فيه فخلى سبيله، فقالا له : يبايعك ياأمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

أولـم يبايعني [2] بعد قتل عثمان ، لاحاجة لي في بيعته . انهـا كف يهودية

---

١) في نا ، يد ، الف ، ب : وشهيدك يوم الدين .

٢) في ب : أفلم يبـايعني . وفي الف : ألم يبايعني . وفي ص : أولـم يبايعني يوم قتل عثمان .

لو بايعني بيده لغدر بسبته .

أما ان له امرة كلعقة الكلب أنفه ، وهو أبو الاكبش الاربعة ، وستلقى الامة منه ومن ولده يوماً أحمر .

(ومن كلام له عليه السلام)

(في بيعة عثمان)

لقد علمتم اني أحق بها من غيري ، والله لاسلمن ماسلمت أمور المسلمين ولـم يكن فيها جور الاعلى خاصة ، التماساً لاجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه .

(ومن كلام له عليه السلام)

(لما بلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة في دم عثمان)

أولم ينه امية علمها بى عن قرفى ؟ أوما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ، ولما وعظهم الله به أبلـغ من لساني . أناحجيج المارقين ، وخصيم المرتابين ، على كتاب الله تعرض الامثال ، وبما في الصدور تجازى العباد .

(ومن خطبة له عليه السلام)

رحم الله عبداً[1] سمع حكماً فوعى ، ودعي الى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا ، راقب ربه وخاف ذنبه ، قدم خالصاً وعمل صالحاً ، اكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً ، رمى غرضاً وأحرز عوضاً ، كابرهواه وكذب مناه ، جعل

---

١) في يد ، نا : « امرأ » .

الصبر مطية نجاته والتقوى عـدة وفاته ، ركب الطريقة الغراء ولـزم المحجة البيضاء ، اغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل .

(بيـانه) :

قوله « ملكتني عيني وأنا جالس » كناية عن رنق [1] النعاس في عيني ، أي نعست جالساً فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم .

وقدسنح لي : أي عرض ، يقال سنح لي كذا أي اعترض ، وسنح لي الظبي : اذا مر من مياسرك الى ميامنك ، والعرب تتيمن به .

وروي « ماذالقيت من الاود » والاد [2] : الشيء العجيب ، والادة الداهية ، يريد أي شيء لقيت ، على معنى التعجب ، كقوله : ياجارتا ما أنت جاره .

وقوله « أبدلني الله بهم خيراً لي منهم » اما أن يسأل الله أصحاباً يعاونونه في الدنيا ، أوسرعة الانقلاب الى صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله .

واذا كان الامير على النـاس مثل الحجاج يقتـل رجالهم ويأخذ أموالهم فلاخلاف انه شرلهم ، ولم يكن لعلي عليه السلام شرارة على الخلق ، فقوله « وابدلهم بي شراًلهم مني » فاني على مذاق اعتقاداتهم فانهم رأوا حثه اياهم على الجهـاد شراًلهم ، ومنعهم عن الفحشاء والمنكر شراً ، وحبسهم على طاعة الله ودعوتهم الى منع الشهوات عند كل حرام منه شراً . فأورد الكلام على ماعندهم من

---

١) يقال : رنق النوم في عينه : خالطها .

٢) في اللسان : الاد بكسر الهمزة : الشدة . وفي حديث علي عليه السلام قال « رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام فقلت : ما لقيت بعدك من الادد والاود » . الادد بكسر الهمزة : الدواهي العظام ، واحدتها ادة بالكسر والتشديد والاود : العوج .

المعتقد الفاسد .

ثم ذم أهل الكوفة وضرب لهم مثلا بأن مثلهم مثل المرأة الحبلى ، فلما تم أيامها وقرب زمان وضعها أسقطت ومات زوجها وتأيمت وطال عليها الايمومة وتزوج بها جاف سيء الخلق . أو كانت أمة فورثها أبعدها . والابعد: الخائن ، ومنه قولهم «كب الله الابعد لفيه » . أي ألقاه لوجهه [1] .

يقول: صحبتكم أحسن صحبة وقابلتموني بالخيانة في آخر الامر ، ومضرة ذلك تعود اليكم [2] .

ثم ذكر أنه ما أتاهم اختياراً ، فقال : ولكن جئت اليكم سوقاً ، أي ساقني الله اليكم . وروي : ولاجئتكم شوقاً ، وسمعت انكم تقولون اني اكذب فيما أقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم قال : كلا، أي ليس كما تزعمون، ولكن ماذكرته وحدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا عيباً عنه [3] فيه ولم يسمعوه منه والناس أعداء ماجهلوا. وقيل يعنى بقوله «ولكنها لهجة نفسه» [4] وكلامه الذي ينصحهم به ولاينتفعون

---

١) راجع اللسان : مادة ب ع د .

٢) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١٢٧/٦ عند ذكر شرح هذا الكلام الشريف ما هذا نصه : ثم لم يكتف لهم بذلك حتى قال « ومات بعلها وطال تأيمها وورثها أبعدها » أي لم يكن لها ولد وهو أقرب المخلفين الى الميت ، ولم يكن لها بعل فورثها الاباعد عنها ، كالسافلين من بنى عم، وكالمولاة تموت من غير ولد ولامن يجري مجراه فيرثها مولاها ولانسب بينها وبينه . انتهى .

٣) كذا في ص . وفي د : كانوا عينا عنه فيه .

٤) قال ابن ابى الحديد في الشرح ١٣٣/٦ ماهذا لفظه : قال « ولكنها لهجة غبتم عنها » اللهجة بفتح الجيم وهي آلة النطق ، يقال له : هو فصيح اللهجة

بمكانـه .

وأتمت المرأة : تم زمان حملها . وأملصت الحامل بولدها : أي أسقطته .

واللهجة : اللسان ، يقال « فلان حسن اللهجة » .

وقوله « ويل أمه »[1] كلمة تعجيب ، والضمير في أمه للعلم أو الكلام. وكيلا يعني علمه وكلامه ، فأشار بقوله « كيلا بغير ثمن »[2] الى كثرة مايعظهم ولايريد منهم جزاء ولا شكوراً .

ثم قال « اللهم[3] ياداحي المدحوات » أي باسط الارضين المبسوطات . والدحو : البسط . وداعم المسموكات : أي حافظ هذه السماوات المرفوعات، يقال « دعمت الشيء دعماً » اذاجعلت له دعامة. وسمك الله السماء : أي رفعها،

وصادق اللهجة . ويمكن أن يعني بها لهجة رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول « شهدت وغبتم » ويمكن أن يعني بها لهجته هو ، فيقول : انها لهجة غبتم عن منافعها و أعدمتم أنفسكم ثمن مناصحتها .

١) وقال أيضاً ابن ابى الحديد في الشرح : ثم قال « ويلمه » الضمير راجع الى مادل عليه معنى الكلام من العلم .

الى أن قال :« ويلمه » وهذه الكلمة تقال للتعجب والاستعظام، يقال «ويلمه فارساً » وتكتب موصولة كما هي بهذه الصورة ، وأصله « ويل أمـه » مرادهم التعظيم والمدح ، وان كان اللفظ موضوعاً لضد ذلك .

٢) قال ابن ابى الحديد في الشرح :انتصب « كيلا » لانه مصدر في موضع الحال ، ويمكن أن ينتصب على التمييز، كقولهم « لله دره فارساً » . يقول :أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلا ولاأطلب لذلك ثمناً. لووجدت وعاء أي حاملا للعلم . وهذا مثل قوله عليه السلام :ها ان بين جنبى علماً جماً لو أجد له حملة.

٣) ليس « يا » في أصل الخطبة .

وهذا ايماء بقوله تعالى « بغير عمد ترونها »[1] وخلق الله الارض ربوة ثم بسطها.

والمسموكات : السماوات ، وكل شيء رفعته فقد سمكته .

وروي « وجبر القلوب على فطراتها » من الجبر الذي هو ضد الكسر، أي أثبتها وأقامها على مافطرها عليه من معرفته . ويجوز أن يكون من « جبره على الامر » بمعنى أجبره عليه ، أي ألزمها .

وختم عليه الفطرة على وحدانيته والاعتراف بربوبيته . والفطرات بكسر الطاء وفتحها تكسير فطره على بناء أدنى الجمع كالسدرات .

وقوله « شقيها وسعيدها » بدل من القلوب .

وجابل القلوب: أي خالقها على فطرتها، الفطرة الحالة التى يفطر الله الادمي عليها خالياً عن الاراء والديانات، فاذا بلغ اختار السعادة بحسن نظره أو الشقاوة بسوء نظره ،كما قال النبي صلى الله عليه وآله «كل مولود يولد على الفطرة » الخبر بتمامه .

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام أن السعيد والشقي كليهما مجبولان على الفطرة ، أي الحالة التى مكنه معها اختيار فعل الخير والشر .

وقوله « الدامغ صولات الاضاليل » أي المهلك لحملات الضلال ، يقال « دمغه دمغاً » أي شجه بحيث يبلغ الدماغ فيهلكه .

و « الجيشات » جمع جيشة ، من جاش اذا ارتفع .

و « الاباطيل » جمع باطل على غير قياس ، والمراد أنه قامع مانجم منها.

و« اضطلع به » قوي بحمله ، افتعل من الضلاعة . وقوله « فاضطلع » أي قوي بحمل ماحمله الله من الرسالة ، والاضطلاع من الضلاعة وهي القوة .

---

١) سورة الرعد : ٢ .

و« مستوفزاً » أي على عجلة، والوفز : العجلة، واستوفز في قعدته :اذا قعد غير مطمئن قعوداً منتصباً .

وقوله « غيرناكل عن قدم » غيرجبان ضعيف عن التقدم ، يقال نكل فلان عن العدو : اذا جبرعنه. و « عن قدم » أي عن تقدم ، من قولهم قدم يقدم قدماً أي تقدم . وروي « قدم » بضم الدال ، يقال مضى فلان قدماً : أي ساردلم يعرج .

وروي « لغيرنكل في قدم » ونكل نكلا لغة ونكل نكولا، والقدم التقدم. ويجوزأن يراد قدم الرجل ويقع نكولها عبارة عن التأخر .

وأراد بالقبس نورالحق، والضميران في قوله «بأهله وأسبابه» راجعان الى القبس، أي حتى استخرج العلوم لطالبيها منأنعم الله عليه وتكاملت عنده آلاؤه ووصل أسباب ذلك القبس به وجعله من أهله والمستضيئين بشعاعه. وهذاعلى الرواية التي نذكرها من بعد .

ويقال وري الزنديري [١] ورياً : اذا خرجت ناره ، وأوريته أنا . والقبس : شعلة من نار ، وقبست منه ناراً طلبته ، فأقبسني أي أعطاني .

والخابط : الذي يمشي ضارباً برجله الارض لايتوقى شيئاً لسرعة مشيه .

وروي :وهديتبه القلوب بعدخوضات الفتن والاثم الىموضحات الاعلام.

[وروي :حتىأورى قبساً لقابس الا الله يصلبأهله أسبابه به هدنتالقلوب به بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام] [٢] .

والمصدر في « خوضات الفتن » مضاف الى المفعول ، أي بعد ماخاضت

---

١) ورى يريوريأ من باب وعد وفيلغة ورى يريبكسرهما وأورىبالالف وذلك اذا اخرج ناره .

٢) الزيادة من م .

القلوب الفتن أطواراً وكرات . و «موضحات» تتعلق بهديت ، والاصل هديت الى موضحات ، فحذف الجار وأوصل الفعل .

والشهيد : لشاهد على أمته .

والبعيث : المبعوث .

وروى «مفتسحاً» وهو موضع الافتساح، أي الاتساع ، أي مصدر، وأفسح له مفسحاً أي وسع له المقام في ظلك . وروي وأتمم له نوره واجزه .

وقوله « مقبول الشهادة » نصب على الحال .

وقوله في مروان بن الحكم[1] « لو بايعني بيده لغدر بسبته » يعني انه منافق

---

١) هو ابو عبدالملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبدشمس ابن عبد مناف القرشي الاموي .

ذكره في « اسد الغابة » وقال بعد ذكر اسمه وسرد نسبه ما هـذا ملخصه : وهو ابن عم عثمان بن عفان ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، قيل ولد سنة اثنتين من الهجرة، قال مالك ولد يوم أحد، وقيل ولد يوم الخندق كان مع أبيه الحكم بالطائف لما نفاه النبي صلى الله عليه وآله، حتى استخلف عثمان فردهما ، واستكتب عثمان مروان وضمه اليه . ونظر اليه علي عليه السلام يوماً فقال : ويلك وويل امة محمد منك ومن بنيك .

الى أن قال : وقتلته زوجته ام خالد بن يزيد لسبه خالد ، وكانت مدة ولايته تسعة اشهر أو عشرة أشهر ، وهو معدود فيمن قتله النساء . انتهى .

وذكره العسقلاني في « الاصابة » في القسم الثاني من جرف الميم ، وقال في حقه ما هذا ملخصه : وكان مع أبيه في الطائف الى أن أذن عثمان للحكم في الرجوع الى المدينة فرجع مع أبيه، ثم كان من أسباب قتل عثمان، ثم شهد الجمل مع عائشة ثم صفين مع معاوية، ثم ولي أمرة المدينة لمعاوية. الى أن قال:

وذكر السبة تفظيعاً له وشنعة عليه ، والسبة الاست ، يقال سبه [1] أي طعنه في الاست .

وقوله « وان له امرة كلعقة الكلب أنفه » اشارة الى قلة مدة خلافته . وروي أن امرته كانت ستة أشهر .

ولعقت الشيء : أي لحسته ، واللعقة بالفتح المرة الواحدة .

و « هو أبو الاكبش الاربعة » ، هم ولده : عبد الملك [2] والوليد [3]

فكانت مدته في الخلافة قدر نصف سنة . الخ .

راجع أسد الغابة ٣٤٨/٤ ، الاصابة ١٥٦/٦ ، شرح ابن ابى الحديد ١٤٨/٦ .

١) قال في اللسان ٤٥٧/١ :السبة : الاست. وسأل النعمان بن المنذر رجلا طعن رجلا : كيف صنعت ؟ فقال :طعنته في الكبة طعنة في السبة فأنفذتها من اللبة. فقلت لابى حاتم : كيف طعنه في السبة وهو فارس ؟ فضحك وقال : انهزم فاتبعه، فلما رهقه أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعنه في سبته .

٢) هو عبدالملك بن مروان بن الحكم أحد الاكبش الاربعة ، وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح ، وكان الغالب عليه البخل، وكان له اقدام على الدماء . بويع ليلة الاحد غرة شهر رمضان سنة خمس وستين ، وتوفي بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين .

راجع مروج الذهب ٩١/٣ ، الامامة والسياسة ١٦/٢ .

٣) هو أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان، وهو الجبار العنيد والظلوم الغشوم ، وبويع له بدمشق في يوم توفي فيه عبدالملك ، وتوفي الوليد بدمشق للنصف من جمادى الاخرة من سنة ست وتسعين ، فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين ، وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

وسليمان [1] وهشام [2] .

و«ستلقى الامةمنهم يوماً أحمر» أي شديداً، يقال سنة حمراء أي شديدة . وروي مـوتاً أحمر يوصف بالشدة ، ومنه الحديث «كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله » .

[ومن نظر في سيرهم وأفعالهم القبيحة في الامة علم تفصيل ما أشار اليه علي عليه السلام جملة] [3] .

وتنافس الناس فيه : أي رغبوا ، ونافست في الشيء : اذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم ، ونفست على خير قليل أي حسدت .

والزبرج: الزينة من وشي أوجوهر ونحو ذلك . والزخرف: من الذهب. والقرف : العيب ، يقال : قرفت بالرجل عبته ، وهو يقرف كذا أي يرمى

مروج الذهب ١٥٦/٣ ، الامامة والسياسة ٥٠/٢ .

١) هو سليمان بن عبدالملك بن مروان أحد الاكبش الاربعة ، بويع له بدمشق في اليوم الذي كانت فيه وفاة أخيه عبدالملك ، وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الاخرة سنة ست وتسعين من الهجرة، وتوفي بمرج دابق من أعمال جند قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهروخمس ليال، وهلك وهوابن تسع وثلاثين سنة. وقيل :وفاته كانت يوم الجمعة لعشرخلون من صفر . . .

راجع مروج الذهب ١٧٣/٣ ، الامامة والسياسة ٧٨/٢ .

٢) هشام بن عبدالملك بن مروان ، وكان أحـول وخشناً فظاً غليظاً يجمع الاموال ، بويع لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة، وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين يوم الاربعاء لست خلون من ربيع الاخرسنة خمس وعشرين ومائة.

راجع مروج الذهب ٢٠٥/٣ ، الامامة والسياسة ١١٣/٢ .

٣) الزيادة من م .

به وبنهم .

«أوما وزع» الهمزة للاستفهام دخل على واو العطف، ووزع أي دفع وكف منه ، ولابد للناس من وزعة . والتهمة بالتحريك أفصح .

وقوله « أنا حجيج المارقين » أي محاج الخوارج ، وسماهم بذلك لانهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

ثم بين أنهم وان أقروا بالاسلام بألسنتهم فلا ايمان في قلوبهم وبما في الصدور تجازى العباد .

وذكر أنه التبس عليهم شيء من كلامي واشتبه عليهم شيء من أفعالهم ، فكان يجب عليهم أن يعرضوه على كتاب الله، فاذا وافقه فلايلوموني ولاتخرجوا[1] علي ، فقال « على كتاب الله تعرض الأمثال » أي المشتبهات .

وقوله « سمع حكماً فوعى » أي سمع حكمة فحفظها وعمل عليها .

وحجزة الازار: معقده، وحجزة السراويل التى فيها التكة، وهى هيهنا كناية عن التمسك بحبل رجل هاد .

وقوله « اكتسب مدحوراً » يقال كسبت المال لنفسي ولغيري واكتسبته لنفسي ، وقال بعض أهل العلم الصواب كسب مذخوراً ، لقوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »[2] .

وقوله « لزم المحجة البيضاء » أي الجادة الواضحة .

---

١) في م : لايخرجون علي .

٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(الاصـل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

ان بني أمية ليفوقونني تراث محمد تفويقاً ، والله لان بقيت لهم لانفضنهم نفض اللحام الوذام التربة .

[قال الرضي رحمه الله][1] ويروى « التراب الوذمة » وهو على القلب [2] .
وقوله عليه السلام « ليفوقونني » أي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها. و« الوذام التربة » جمع وذمة ، وهي الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض .

(ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها)

اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني ، فان عدت فعد لي [3] بالمغفرة .

اللهم اغفرلي ما وأيت من نفسي ولم تجدله وفاء عندي .

اللهم اغفرلي ما تقربت به اليك [بلساني] [4] ثم خالفه قلبي .

اللهم اغفرلي رمزات الألحاظ ، وسقطات الألفاظ ، وسهوات الجنان ، وهفوات اللسان .

---

١) ليس ما بين المعقوفين في نا ، ب ، الف ، ص .

٢) ليس « على » في الف .

٣) في يد « علي » .

٤) الزيادة من يد فقط .

(ومن كلام له عليه السلام)

(قاله لبعض أصحابه لماعزم على المسير الى الخوارج)

فقال له: يا أمير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت أن لاتظفر بمرادك من طريق علم النجوم .

فقال عليه السلام : أتزعم أنك تهدى الي الساعة التى من سارفيها صرف عنه السوء، وتخوف من الساعة التى من سارفيها حاق به الضر، فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه. وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه ، لانك ـ بزعمك ـ أنت هديته الى الساعة التى نال فيها النفع وأمن الضر .

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الامايهتدى به في برأوبحر، فانها تدعو الى الكهانة ، والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار ، سيروا على اسم الله .

(ومن كلامه عليه السلام)

(بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء)

معاشر الناس، ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول: فأمانقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن ، وأمانقصان عقولهن فشهادة المرأتين[1] منهن كشهادة الرجل الواحد ، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال . فاتقوا شرار النساء ، وكونوا

---

١) في نا ، الف ، يد : امرأتين . وفى الف : الامرأتين .

من خيارهن على حذر ، ولاتطيعوهن في المعروف حتى لايطمعن في المنكر .

(ومن كلام له عليه السلام)

أيها الناس ، الزهادة قصر الامل، والشكر عندالنعم ، والورع عندالمحارم فان عزب ذلك عنكم فلايغلب الحرام صبركم، ولاتنسوا عند النعم شكركم ، فقدأعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة ، وكتب بارزة العذر واضحة .

(ومن كلام له عليه السلام)
(في صفة الدنيا)

ماأصف [لكم][1] من دار أولها عناء وآخرها فناء، [في][2] حلالهاحساب و[في][2] حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقرفيها حزن [3] ، ومن ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها واتته ، ومن أبصربها بصرته ، ومن أبصر اليها أعمته .

قال السيد [أقول :] واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام « ومن أبصربها بصرته » وجدتحته من المعنى العجيب والغرض البعيد مالايبلغ غايته ولايدرك غوره ، لاسيما اذا قرن اليه قوله عليه السلام « ومن أبصر اليها أعمته » ، فانه يجد الفرق بين أبصربها وأبصراليها واضحاً نيراً وعجيباً[4] باهراً[5] . [وعن بعض

---

١) الزيادة من ص فقط .

٢) الزيادة في الموضعين من يد فقط .

٣) في ب بعد « حزن » : ومن حج فيها هرم ومن مرض فيها ندم .

٤) في ب : وعجيباً بيناً باهراً .

٥) ذكر ابن أبي الحديد في الشرح كلامه عليه السلام هذا ثم قال ما هذا

الائمة عليهم السلام : قوله « ومن قعدعنها اتته » قال : والدليل عليه قوله تعالى «ليكلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بماآتيكم » وقرأ بعض القراء «بما أتيكم» غير ممدود ، وقدحمل عليه أمير المؤمنين عليه السلام ومن قعد عنها اتته] [1] .

(الشرح) [2] :

يقال « فوقت الفصيل » أي سقيته اللبن فواقاً ، والفواق [3] مابين الحلبتين

لفظه : اعلم أن أصل هذا الخبر قد رواه أبوالفرج علي بن الحسين الاصفهاني في كتاب « الاغاني » باسناد رفعه الى الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص ـ وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان ـ بهدايا الى المدينة، وبعث معي هدية الى علي عليه السلام وكتب اليه : اني لم ابعث الى أحد اكثر مما بعثت به اليك الا الى أمير المؤمنين. فلما أتيت علياً عليه السلام وقرأ كتابه قال « لشد مايحظر علي بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أما والله لئن وليتها لانفضنها نفض القصاب التراب الوذمة » .

قال أبوالفرج : وهذا خطأ انما هو « الوذام التربة » .

قال : وقد حدثني بذلك أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن أبي زيد عمر ابن شبة باسناد ذكره في الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي عائشة مولاه الى علي بن أبي طالب عليه السلام بصلة ، فقال علي والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث الينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة ، والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة ـ انتهى .

١) هذه الزيادة كانت في م .

٢) ليس في ص « الشرح » أو « بيانه » بين المتن والشرح كما هودأبه .

٣) في اللسان :وقولهم في الحديث المرفوع « أنه قسم الغنائم يوم بدرعن

من الوقت ، لانها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب .

والتراث : الميراث ، والتاء بدل من الواو .

ونفضت الثوب أنفضه : اذا حركته لينفض .

واللحام : الذي يبيع اللحم .

والتربة[1] : الانملة ، وجمعها تربات وتراب على القياس .

والوذام: الكرش والامعاء . ذكر الجوهرى فيصحاح اللغة هذا الحديث على الرواية الاخيرة ، ثم ذكر أن الاصمعي سأل شعبة عن هذا الحديث فقال هو « الوذام التربة » لا « التراب الوذمة » .

والحزة : قطعة .

وفي رواية « لان وليت بنيأمية لانفضنهم نفض [القصاب التراب الوذمة »

فواق » أي قسمها في قدر فواق ناقة ، وهو قدر ما بين الحلبتين من الراحة ، تضم فاؤه وتفتح .

١) في اللسان : التربات : الانامل ، الواحدة تربة . والترائب : موضع القلادة من الصدر .

الى أن قال : والتراب : أصل ذراع الشاة انثى ، وبه فسر شمر قول علي عليه السلام « لئن وليت بنيأمية لانفضنهم نفضالقصاب التراب الوذمة »قال: وعنى بالقصاب هنا السبع ، والتراب : أصل ذراع الشاة ، والسبع اذا أخذ شاة قبض على ذلك المكان فنفض الشاة .

الازهري :طعام ترب اذا تلوث بالتراب، قال ومنه حديث علي عليهالسلام « نفض القصاب الوذام التربة » .الازهري : التراب : التى سقطت في التراب فتتربت فالقصاب ينفضها . ابن الاثير : التراب جمع ترب تخفيفترب، يريد اللحوم التى تعفرت بسقوطها في التراب .

فالترائب جمع تربة تخفيف ترب، والوذمة المنقطعة][1] الاوذام، وهى المعاليق من قولهم : وذمت الدلوفهي وذمة اذا انقطعت أوذامها ، وهي سيور العرى[2] .

والمعنى كما تنفض اللحوم أو البطون التي تعفرت بسقوطها على الارض لانقطاع معاليقها .

وقيل : هذا من غلط النقلة ، وانـه مقلوب ، والصواب « الوذام التربة » ، وفسرت الوذام بأنها جمع وذمـة وهي الكرش نفسها أوالحزة منها . والوجه ماذكرته .

وقوله « اللهم اغفر لي ما وأيت »[3] أي وعدت ، وهومن الوأي أي الوعد،

---

١) ما بين المعقوفين ساقط في د .

٢) في د ، م : العراقي ، بدل العرى . وهوسهو . وفي اللسان : والوذمة: المنقطعة الاوذم ، وهى السيور التى يشد بها عرى الدلو .

٣) هذا من كلامه عليه السلام في الدعاء . قال ابن ابى الحديد في الشرح ١٧٦/٦ يقال : ما فائدة هذا الدعاء والقديم تعالى عندكم انما يغفر الصغائر لانها تقع مكفرة فلاحاجة الى الدعاء بغفرانها، ولايؤثر الدعاء أيضاً في أفعال الباري سبحانه لانـه انما يفعل بحسب المصالح، ويرزق المال والولد وغيرذلك ويصرف المرض والجدب وغيرهما بحسب مـا يعلمه من المصلحة فلا تأثير للدعاء في شيء من ذلك ؟

والجواب : انه لايمتنع ان يحسن الدعاء بما يعلم أن القديم يفعله لامحالة ويكون وجه حسنه صدوره عن المكلف على سبيل الانقطاع الى الخالق سبحانه.

ويجوز أيضاً أن يكون في الدعاء نفسه مصلحة ولطف للمكلف، لقدحسن منا الاستغفار للمؤمنين والصلاة على الانبياء والملائكة . وأيضاً فليس كل أفعال الباري واجبة عليه ، بل معظمها ما يصدرعلى وجه الاحسان والتفضل ، فيجوز أن يفعله ويجوز الا يفعله . الى آخره .

وتقديره : اللهم اغفرلي خلاف ماوأيت ، أي ذنب مخالفتي ماوعدته ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه .

والرمز : الاشارة والايماء بالشفتين والحاجب .

ولحظه لحظاً ولحظ اليـه : أي نظر اليه باللحاظ ، وهو مؤخر العين ، وجمع المصدر اواللحظ لاختلافه .

وسقطة اللفظ : هي اللغو .

وسهوات الخيال وغفلات القلب ، والسهو الغفلة ، وقدسهى عن الشيء .

والهفوة : الزلة ، وقد هفا يهفو .

وهذا المنجم الذي أشار اليه عليه السلام بترك الرحيل وقتئذ هو عفيف بن قيس أخوالاشعث بن قيس[1] ، ذكره المبرد .

وقال ابن ميثم في الشرح ٢١٤/٢ في ذيل شرح هذا الكلام الشريف ما هذا نصه :واعلم أن الشيعة لماأوجبوا عصمته عن المعاصي حملوا طلبه لمغفرة هذه الامور على وجهين :

أحدهما ، وهو الادق : ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها منه ، فكأنه قال : اللهم ان صدرعني شيء من هذه الامور فاغفره لي ، وقد علمت أنه لايلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها ، فلايلزم من صدق كلامه صدورشيء منها حتى يحتاج الى المغفرة .

الثاني : انهم حملوا ذلك علىتأديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب ، أوعلى التواضـع والاعتراف بالعبودية وان البشر في مظنة التقصير والاساءة. وأما من لم يوجب عصمته فالامرمعه ظاهر. وبالله التوفيق . انتهى .

١) ذكر هذه القصة الشيخ بها الملة والدين محمد بنالحسين العاملي في خاتمةكتاب « الحديقة الهلالية » عن السيد الجليلالطاهرذي المناقب والمفاخر

وحاق به البصر: أحاط به ، قال تعالى « وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون »[1].

قال ابن عرفة[2] : حاق به الامر اذا لزمه، قال الازهري : الحيق مايشتمل عليه من مكروه فعله ، قال تعالى « ولايحيق المكر السيء الابأهله »[3] أي لاترجع عاقبة مكروههم[4] الاعليهم .

وقال : ولاه الامير على كذا وكذا، وولاه بيع كذا وفعل كذا، ووليته معروفاً. وروي « أن يوليك الحمد » .

ويقال : كهن كهانة بالفتح أي صار كاهناً، وكهن يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة : اذا تكهن .

والسحر: كلما لطف مأخذه ودق ، والساحر من تصرف الناس عن الحق بتخييل .

ولما فرغ من حرب الجمل ذكر في ذم النساء شيئاً هو تمهيد عذر للتي غرها

السيد رضي الدين علي بن طاوس في كتابه « فرج المهموم في معرفة الحلال والحرام من علم النجوم » الذي يتضمن على كون النجوم علامات ودلالات على ما يحدث في هذا العالم وان الاحاديث عن الانبياء من لدن ادريس الى عهد أئمتنا عليهم السلام ناطقة بذلك .

أقول : سيطبع كتاب « الحديقة الهلالية » بتحقيقنا انشاء الله تعالى .

١) سورة النحل : ٣٤ .

٢) هو ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان الواسطي البغدادي الملقب بنفطويه ، ولد سنة ٢٤٤ وتوفي ٣١٩ .

٣) سورة فاطر : ٤٣ .

٤) في د : مكروهه .

طلحة والزبير ، وكأنه من كلام النبى صلى الله عليه وآله « ناقصات عقل »[1] .

---

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢١٤/٦ في بيان كلامه عليه السلام ما هذا ملخصه : وهذا الفصل كله رمز الى عائشة ، ولا يختلف أصحابنا في أنها اخطأت فيما فعلت ثم تابت .

الى أن قال :قال كل من صنف في السير والاخبار :ان عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى انها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين اليها :هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وعثمان قد أبلى سنته . قالوا : أول من سمى عثمان نعثلا عائشة. والنعثل :الكثير شعر اللحية والجسد، وكانت تقول : اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا .

ثم ذكر سماعها قتل عثمان وسرورها بذلك وزعمها أن طلحة صاحب هذا الامر ، وقولها في حق طلحة :ايه ذا الاصبع ، أيه أبا شبل، ايه يابن عم: لكأني انظر الى اصبعه وهو يبايع له ، حثوا الابل ودعدعوها .

ثم ذكر كلام عائشة مع أم سلمة ودعوتها الى الخروج معها بطلب دم عثمان واصلاح أمور المسلمين . وقول ام سلمة لها :انك كنت بالامس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وماكان اسمه عندك الا نعثلا ، وانك لتعرفين منزلة علي بن ابى طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله افأذكرك ؟ قالت: نعم. ثم ذكرت أم سلمة نجوى النبى مع علي عليه السلام وتهجم عائشة عليهما وقول النبى صلى الله عليه وآله لها :ارجعي وراءك، والله لايبغضه أحد من أهل بيتى ولا من غيرهم من الناس الا وهو خارج من الايمان. ثم ذكرتها قول النبى صلى الله عليه وآله : ياليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الاذنب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط. ثم ضرب على ظهرك وقال :اياك أن تكونيها

. . . .

ثم قال :يابنت ابي أمية اياك أن يكونيها يا حميراء اما أنا فأنذرتك. ثم ذكرتها حديث « خاصف النعل » .

وقال ابن ابي الحديد بعد ذكر هذا الحديث :

فان قلت : فهذا نص في امامة علي فما تصنع أنت وأصحابك المعتزلة به؟

قلت : كلا انه ليس بنص كما ظننت ، لانه صلى الله عليه وآله لم يقل « قد استخلفته » وانما قال « لو استخلفت أحداً لاستخلفته »، وذلك لايقتضي حصول الاستخلاف . الخ .

أقول :قوله صلى الله عليه وآله في جواب عائشة بعد خروج أبيها ابي بكر وعمر ــ حين سألت :من كنت يارسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال صلى الله عليه وآله : خاصف النعل . صريح ونص في المطلوب. وابن ابي الحديد ذهل عن هذا أو تجاهل فيه .

ثم ذكر ابن ابي الحديد كتاب أم سلمة من مكة الى علي عليه السلام و كتابها الاخر الى عائشة. الى أن قال :لما عزمت على الخروج الى البصرة طلبوا لها بعيراً ايداً يحمل هودجها ، فجاء هم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكراً و كان عظيم الخلق شديداً، فلما رأته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ويقول في اثناء كلامه « عسكر » فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت :ردوه لاحاجة لي فيه ، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر لها هـذا الاسم ونهاها عن ركوبه .

الى أن قال : كتب الاشتر من المدينة الى عائشة وهي بمكة :أما بعد، فانك ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أمرك أن تقري في بيتك. الى آخره.

الى أن قال : لما انتهت عائشة في مسيرها الى الحوأب وهو ماء لبني عامر

ثم ذكر عليه السلام أن الزهد ثلاثة أشياء ، وأشار من بعد أن درجة قصر الامل منهـا أدون والشكر والورع أعظم . قال أبوعبيدة : عذرته فيمـا صنع وأعذرته بمعنى ، أي جعلته ذاعذر .

والحجة : البرهان .

والمسفرة : المضيئة ، يقال اسفر الصبح اذا أضاء ، وأسفروجهه : أشرق. والعناء : التعب . ومـن ساعاها : أى مـن جاراها . فاتته : أي سبقته وصارت فاتته منه .

ومن قعد عنها : أي عن طلبها ، واتته أي طاوعته .

ومن أبصر بها : أي اعتبر بها ، فاذا قلت أبصر بها والمفعول محذوف أي نظر اليها الدليل ، وأبصر اليها متعجباً منها وادآ محبآ [لها] [1] .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

(عجيبة تسمى الغراء)

الحمدلله الذي علا بحوله ودنا بطوله ، مانح كل غنيمة وفضل ، وكاشف كل عظيمة وأزل . أحمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه ، وأؤمن بـه أولا

ابن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب أبلها ، فقال قائل من أصحابها: ألاترون ماأكثر كلاب الحوأب وما أشد نباحها . فأمسكت زمام بعيرها وقالت: وانها لكلاب الحوأب ردوني ردوني. فذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لها قائل :مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب. الى آخر ماقال .

١) الزيادة من م .

بادياً ، واستهديه قريباً هادياً ، واستعينه قاهراً قادراً ، وأتوكل عليه كافياً ناصراً .

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ، أرسله لانفاذ أمره ، وانهاء عذره ، وتقديم نذره .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب [لكم][1] الامثال، ووقت لكم الاجال، وألبسكم الرياش ، وأرفع لكم المعاش ، وأحاط بكم الاحصاء، وأرصد لكم الجزاء ، وآثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافع، وأنذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عدداً، ووظف لكم مدداً، في قرار خبرة ودار عبرة، وأنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها .

فان الدنيا رنق مشربها، ردغ مشرعها، يونق منظرها، ويوبق مخبرها. غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل، وسناد مائل. حتى اذا أنس نافرها واطمأن ناكرها، قمصت بأرجلها وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرء أوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل .

وكذلك الخلف بعقب السلف، لا تقلع المنية اختراماً، ولا يرعوى الباقون اجتراماً ، ، يحتذون مثالا ، ويمضون ارسالا ، الى غاية الانتهاء وصيور الفناء.

حتى اذا تصرمت الامور ، وتقضت الدهور ، وأزف النشور ، أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك، سراعاً الى أمره مهطعين الى معاده، رعيلا صموتاً قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة، قدضلت الحيل فانقطع الامل، وهوت الافئدة كاظمة، وخشعت الاصوات مهينمة، وألجم العرق، وعظم الشفق، وأرعدت الاسماع لزبرة، الداعي الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ، ونكال العقاب ونوال الثواب .

---

١) في يد .

عبادمخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومقبوضون احتضاراً، ومضمنون أجداثاً ، وكائنون رفاتاً ، ومبعوثون أفراداً ، ومدينون جزاء ، ومميزون حساباً. قد أمهلو في طلب المخرج ، وهدوا سبيل المنهج ، وعمروا مهل المستعتب ، وكشفت عنهم سدف الريب ، وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد ، وأناة المقتبس المرتاد ، في مدة الاجل ومضطرب المهل .

فيالها أمثالا صائبة، ومواعظ شافية ، لوصادفت قلوباً زاكية، واسماعاً واعية، وآراء عازمة وألباباً حازمة .

فاتقوا الله تقية من سمع فخشع ، واقترف فاعترف، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر ، وأيقن فأحسن ، وعبر فاعتبر ، فحذر فحذر ، وزجر فازدجر ، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى ، وأري فرأى. فأسرع طالباً ونجا هارباً، فأفاد ذخيرة وأطاب سريرة، وعمرمعاداً واستظهر زاداً، ليوم رحيله ووجه سبيله، وحال حاجته وموطن فاقته ، وقدم أمامه لدار مقامه .

فاتقوا الله [عباد الله][1] جهة ما خلقكم له ، واحذروا منه كنه ماحذركم من نفسه، واستحقوا منه ماأعدلكم بالتنجز لصدق ميعاده ، والحذر من هول معاده.

(بيـانه) :

ذكر عظمةالله أولا بأنه علابحوله وقوته، واستغنى عن غيره فلم يحتج الى قدرة ، وبصنعه علم علوه ، وبأظهار [2] مقدوراته عرفت عظمته .

ودنا بطوله: أي بفضله قرب ممن يدعوه، وقيل دنا بالافضال من عباده وان

---

١) ليس « فاتقوا الله عبادالله » في الف . وليس « عبادالله » في ص .

٢) في د : وباظهاره .

كان عالياً، عظيم الشأن لايوصف كوصفهم [1] ولا يذكر كذكرهم [2] .

والازل : الضيق والحبس .

وسوابغ نعمه:الصفة مضافة الى الموصوف، وهذا كثير في كلامهم، التقدير نعمه السوابغ . وهذا التصرف والاتساع منهم للكشف والبيان .

وقوله «لانهاء عذره وتقديم نذره» مقتبس من قوله تعالى « فالملقيات ذكراً عذراً أونذراً » [3] أي اعذراً من الله وانذاراً الى خلقه، يعني يعتذر الله به الى عباده في العقاب أنه لم يكن الاعلى وجه الحكمة والصواب .

الانهاء : الابلاغ ، يقال : أنهيت اليه الخبر [4] .

---

١) في د : بوصفهم .

٢) في د : لذكرهم .

٣) سورة المرسلات : ٦ .

٤) قال ابن ابي الحديد في الشرح ٢٤٢/٦ : والانهاء : الابلاغ ، أنهيت اليه الخبر فانتهى أي بلغ .

والمعنى أن الله تعالى أعذر الى خلقه وأنذرهم ، فاعذاره اليهم أن عرفهم بالحجج العقلية والسمعية أنهم ان عصوه استحقوا العقاب ، فأوضح عذره لهم في عقوبته اياهم على عصيانه . وانذاره لهم : تخويفه اياهم من عقابه .

الى أن قال : وفي هذا الفصل ضروب من البديع ، فمنها أن « دنا » في مقابلة « علا » لفظاً ومعنى . وكذلك « حوله » و « طوله » .

الى أن قال : ومنها أن « مانحاً » في وزن «كاشف » ، و « غنيمة » بأزاء « عظيمة » في اللفظ وضدها في المعنى ، وكذلك « فضل » و « ازل » . ومنها أن « عواطف » بأزاء « سوابغ » و « نعمه » بأزاء «كرمه » . ومنها وهو ألطف ما تستعمله أرباب هذه الصناعة: أنه جعل « قريباً هادياً » مع قوله « أستهديه »،

وتقديم نذره : أي أرسله لتقديم اعلام موضع المخافة .

والريش والرياش : اللباس الفاخر [1] .

وأرفع : أي وسع ، والرفع السعة ، يقال رفع عيشه رفاعة .

و«احاط بكم الاحصاء» أي جعل الاحصاء يحوطكم، وفسره بقول «ووظف لكم مدداً » أي بين لكل واحد منكم مدة .

وقوله «فان الدنيا ردغ مشرعها» الفاء تتعلق بأوصيكم بتقوى الله ، والردعة الطين والماء المختلط . وبخط الرضي « الردغة » والرداغ الطين الرقيق .

و«سناد مائل» المعنى هاهنا مايستند اليه، والسناد[2] : الناقة الشديدة الخلق.

و« قمصت بأرجلها» أي رفعتها، يقال قمص الفرس تقمص قماصاً أي استن، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه. ويقال: هذه دابة فيها قماص بكسر القاف . وروي « بأرجلها » بالجيم أيضاً [3] .

لان الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح ، ولم يجعله مع قوله « وأستعينه » ، وجعل مع الاستعانة « قاهراً قادراً » لان القادر القاهر يليق أن يستعان ويستنجد بـه ، ولم يجعله قادراً قاهراً مع التوكل عليه وجعل مع التوكل « كافياً ناصراً » لان الكافي الناصر أهل لان يتوكل عليه .

وهذه اللطائف والدقائق من معجزاته عليه السلام التي فاق بها البلغاء وأخرس الفصحاء . انتهى .

١) في م : اللباس الحسن .

٢) في اللسان : قال ابو عمرو : ناقة سناد : شديدة الخلق . وقال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٤٧/٦ : والسناد : دعامة يسندبها السقف .

٣) ماذكره في الشرح قبيل هـذا بالجيم. والصحيح : « وروى بأرحلها بالحاء » وهوجمع رحل الناقة كما ذكره ابن ابى الحديد أيضاً .

و « قنصت » [1] صادت أهلها بزينتها التى هي كالاحبل للصائد .

و« اقصدت بأسهمها » أي أصابت القتل بسهامها فقتلت المرمى اليه ، يقال « أقصد السهم » أي أصاب فقتل مكانه .

و« أعلقت المرء أوهاق المنية » أي جعلت، وهو الموت في رقبة كل أحد. والوهق : الحبل الذى يسمى «كمند» فارسي .

وروى « يعقب السلف » أي الاتي يتبع المتقدم .

و« لا تقلع المنية اختراماً » أي لا يرجع الموت عن القطع .

ونحن لا نرعوي : أي لا نتوب من ارتكاب الذنوب .

ويحتذون مثالا :أي يصيرون بحذاء المثال المتقدم، واحتذى به: أي اقتدى به . وارسالا : أي متتابعة .

« وصيور الفناء » مايصير الخلق اليه ، وصيور الأمر آخره ومايؤول اليه.

و « أزف النشور » أي قرب أن يجيئوا للقيامة .

والضريح : الشق في وسط القبر واللحد وفي الجانب .

والوكر : موضع الطير . والاوجرة : جمع وجار السبع .

مهطعين[2] :مسرعين ، يقال : أهطع اذا مدعنقه وصوب رأسه. والاهطاع :

« فائدة ادبية » :قال ابن ابى الحديد :وجمع فقال « بأرجلها » وانماللدابة رجلان اما لان المثنىقد يطلق عليه صيغة الجمع كمافيقولهم امرأة ذاتأورك ومآكم، وهما وركان . واما لانه أجرى اليدين والرجلين مجرى واحد فسماها كلها أرجلا .

١) قال في اللسان : وفي حديث عليه السلام « قمصت بأرجلها وقنصت بأحبلها » أي اصطادت بحبائلها .

٢) فياللسان : في حديث علي عليه السلام « سراعاً الى أمره مهطعينالى معاده » الاهطاع : الاسراع فيالعدو. وقال أيضاً: وهطع وأهطع : أقبلمسرعاً

الاسراع أيضاً .

رعيلا : أي جماعة من الناس ، والرعيل قائم أووصف بمصدر .

والاستكانة : التواضع . والضراعة : الخضوع . والاستسلام : الانقياد .

وهوت الافئدة : أي سقطت .

وكاظمة : أي مخترعة الغيظ .

ومهيمنة : أي يتكلمون بكلام في أنفسهم يتحسرون بما فاتهم ، والهينمة : الصوت الخفي .

وألجم العرق : أي سال العرق من كل أحد كثيراً حتى يعرق فيه الى فيه، فالالجام كناية عن وصول العرق الى الافواه ، يعني انهم يعرقون في عرقهم فيصل ذلك العرق الى موضع اللجام ، وهو الفم[1] . يقال : ألجمه العرق .

خائفاً لايكون الامع خوف .

١) قال ابن ابى الحديد في الشرح ٢٥١/٦ ما هذا لفظه : وفي الحديث « ان العرق ليجري منهم حتى أن منهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ عنقه ومنهم من يلجمه وهم أعظم مشقة ». وقال لي قائل : ماأرى لقوله عليه السلام « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » كثير فائدة، لان طول العنق جداً ليس مما يرغب في مثله ، فذكرت له الخبر الوارد في العرق وقلت : اذا كان الانسان شديد طول العنق كان عن الجام العرق أبعد فظهرت فائدة الخبر . انتهى .

أقول : قال ابن ميثم في الشرح ٢٤٣/٢ في تفسير هذه الجملة ما لفظه : استعار لفظ « العرق » وكنى به عن غاية ما تجده النفس من كرب ألم الفراق وهيبة الله وعدم الانس بعد الموت ، اذ غاية الخائف التاعب أن يعرق ويشفق من نزول العقاب به ، ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية . انتهى .

وروي و « اثجم الفرق » [١] أي كثر الخوف ، من قولهم « أثجم الباطل » أي دام و كثر .

وعظم الشفق : أي الاشفاق والخشية .

وارعدت الاسماع : أي أخذ مواضع السمع الرعدة ومايتصل بها ، وانما خص الاسماع بالرعدة وان كانت عامة في البدن لانها تكون بسبب سماع دعوة الملك الذي يدعو الناس الى الحساب .

والزبرة : الصيحة التي فيها الزبر ، وهو الزجر والمنع .

و « فصل الخطاب » المخاطبة هوجواب خطاب الله لم فعلتم هذا وتركتم ذا ، والفصل القطع ، والخطاب المخاطبة ، فكأنهم دعوا ليقطعوا خطاب من يسألهم .

ومقايضة الجزاء : معاوضتها ، يقال قايضت الرجل أي عاوضته بمتاع [٢] .

---

١) أثجم المطر : اذا دام أياماً لايقلع وكثر . والفرق بالتحريك : الخوف. وقال ابن ابى الحديد : ويروى « وأشجم العرق » أي كثر ودام .

٢) قال ابن ميثم في الشرح ٢٤٣/٢ ما هذا لفظه : « ومقايضة الجزاء » معاوضتها بما أتت به ، اما من الملكات الرديئة فبنكال العقاب ، واما من الملكات الفاضلة فبنوال الثواب ، وهبة كل بقدر استعداده وقبوله .

واعلم أن العدول الى المجازات والاستعارات عن حقائق الالفاظ والى التأويل عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله رسوله وأوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام على ظاهره ، ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني تقليداً للشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكننا الجزم اذن بصحة هذه التأويلات وأمثالها . وبالله التوفيق والعصمة . انتهى .

أقول : قال ابن ابى الحديد في المقام ماهذا نصه : فان قلت : كيف يصح

وقوله « عباد مخلوقون » أي هم عباد خلقوا اقتداراً لااتفاقاً، والاقتدار على الشيء : القدر عليه [ومربوبون اقتساراً : أي رباهم الله من عند كونهم اجنة الى حال كبرهم من غير اختيار منهم][1] .

ما ذكره المسلمون من حشر الاجساد وكيف يمكن ما اشاراليه عليه السلام من جمع الاجزاء البدنية منأ وكار الطيور وأوجرة السباع ، ومعلوم أنه قد يأكل الانسان سبع ويأكل ذلك السبع انسان آخر ويأكل هذا الانسان طائر ويأكل الطائر انسان آخر ، والمأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل، فاذاحشرت الحيوانات كلها على ماتزعم المعتزلة فتلك الاجزاء المفروضة اماتحشر أجزاء من بنية الانسان أوبنية السبع أومنهما معاً، فان كان الاول وجب ألايحشر السبع وان كان الثاني وجب أن لا يحشر الانسان ، والثالث محال عقلا لان الجزء الواحد لا يكون في موضعين ؟

قلت : ان في بدن كل انسان وكل حيوان أجزاء اصلية وأجزاء زائدة ، فالاجزاء الزائدة يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان اذا اغتذى بها، والاجزاء الاصلية لايمكن ذلك فيها بل يحرسها الله تعالى من الاستحالة والتغيير، واذا كان كذلك أمكن الحشر ، بأن تعاد الاجزاء الاصلية الى موضعها الاول ، ولافساد في استحالة الاجزاء الزائدة لانه لايجب حشرها لانها ليست أصل بنية المكلف. فاندفع الاشكال .

وأما من يقول بالنفس الناطقة من أهل الملة فلا يلزمه الجواب عن السؤال، لانه يقول :ان الانفس اذا أزف يوم القيامة خلقت لها أبدان غير الابدان الاولى، لان المكلف المطيع والعاصي المستحق للثواب والعقاب عندهم هو النفس ، وأما البدن فآلة لها تستعمله استعمال الكاتب للقلم والنجار للفاس . انتهى .

١) الزيادة من م .

و « مقبوضون احتضاراً » بالحاء غير المعجمة أحسن ليعم الجميع ، يقال احتضر القوم: اذا ماتوا، لانه بالحاء غير المعجمة[1] للشبان خاصة، يقال احتضر فلان : اذامات شاباً .

وقوله « مضمنون أجداثاً » أي قدجعلوا في ضمن القبور. والجدث القبر.

والرفات [2] : العظم البالي . ومدينون : أي مجزيون .

وعمروا مهل المستعتب : أي جعل الله مدة أعمارهم حيث أمكنهم أن يطلبوا رضى الله ، يقال استعتب : أي استرضى .

وسدف الريب : ظلم الشكوك ، يقال كشفت السدفة أي الظلمة .

وخلوا لمضمار الخيار : أي خلوا ليجروا في مضمار[3] الخيار . وروي

---

١) وهو اختضاراً بالخاء المعجمة . قال في اللسان : واختضرت الكلاء : اذا جزرته وهو أخضر ، ومنه قيل للرجل اذا مات شاباً غضاً : قد اختضر، لانه يؤخذ من وقت الحسن والاشراق، وشاب مختضر:مات فتياً .وفي بعض الاخبار ان شاباً من العرب أولع بشيخ فكان كلما رآه قال أجززت يا أبافلان . فقال:له الشيخ : أي بني وتختضرون أي تتوفون شباباً . ومعنى أجززت : أنى لك أن تجز فتموت . واصل ذلك في النبات الغض يرعى ويختضر ويجز فيؤكل قبل تناهي طوله .

٢) في اللسان :الرفاة كل مادق فكسر. والرفاة :الحطام من كل شيء تكسر.

٣) المضمار : الموضع الذي تضمر فيه الخيل ، وتضميرها : أن تعلف قوتاً بعد سمنها ، ويقال المدة التى تضمرفيها « المضمار » وتكون مدة التضمير أربعين يوماً .

قال ابن ميثم في الشرح ٢٤٥/٢ في بيان هذا الكلام الشريف ما نصه : كونهم قدخلوا لمضمار الجياد . أي تركوا في الدنيا ليضمروا أنفسهم بأزواد

« لمضمار الجياد »[1] على الاستعارة .

و « روية الارتياد » أي التفكرو الاختبار في الطلب .

وأناة المقتبس : أي سكون طالب العلم وحكمه .

فيالها أمثالا : أي ياقوم تعالوا للتعجب من هذه الامثال التى وردت على طريق الصواب .

لوصادفت : أي لووجدت قلوباً ظاهرة لسعت .

والواعية : الحافظة. والعازمة : ذات عزم . والحزم : ضبط الرجل أمره .

واقترف : أي اكتسب ذنباً . واعترف : أي أقر .

وعبر : أي أري العبر مرات كثيرة ، لان فعل يفيد التكرار[2] والتكثير .

و « ازدجر » افتعل من الزجر ، وهو لازم .

وأناب : رجع . فأفاد ذخيرة : أي استفاد[3] . وقيل ما أفاد نفسه ذخيرة

والكنه : الغاية .

التقوى، ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد، اذ شرف المضمار أن تحل به جياد الخيل ، وفيه تنبيه لهم على أن يكونوا من جياد مضمارهم .

وقال ابن ابى الحديد في المقام :مكنهم الحكيم سبحانه وخلاهم وأعمالهم كما تمكن الخيل التى تستبق في المضمار ليعلم أيها أسبق .

١) وفي المتن أيضاً « الجياد » .

٢) في شرح ابن ابى الحديد : لان التشديد ـ أي تشديد « عبر » ـ هاهنا دليل التكثير .

٣) في شرح ابن ابى الحديد :وهومن الاضداد، أفدت المال زيداً اعطيته اياه وأفدت انا مالا أي استفدته واكتسبته .

واستحقوا منه ماأعدلكم: أي اجعلوا أنفسكم مسحقين للجنة، بأن تصدقوا بالبعث والنشور والجنة والنار ، يقال تنجز الرجل حاجته واستنجزها : أي استنجحها .

(الاصـل) :

(ومنها) جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها ، وأبصاراً لتجلو عن عشاها ، وأشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها، بأبدان قائمة بأرفاقها وقلوب رائدة لارزاقها ، في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز [1] عافيته .

وقدرلكم أعماراً سترها عنكم ، وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم، أرهقتهم المنايا دون الامال، وشذبهم عنها تخرم الاجال ، لم يمهدوا في سلامة الابدان ، ولم يعتبروا في أنف الاوان .

وهل [2] ينتظر أهل بضاضة الشباب الاحواني الهرم ، وأهل غضارة الصحة الانوازل القسم ، وأهل مدة البقاء ، الآونة الفناء ، مع قرب الزيال ، وأزوف الانتقال ، وعلز القلق ، وألم المضض ، وغصص الجرض ، وتلفت الاستعانة الحفدة والاقرباء بنصرة والاعزة والقرناء .

فهل دفعت الاقارب أونفعت النواحب ، وقدغودر في محلة الاموات رهيناً وفي ضيق المضجع وحيداً ، قدهتكت الهوام جلدته ، وأبلت النواهك جدته، وعفت العواصف آثاره ، ومحى الحدثان معالمه ، وصارت الاجساد شجبة

---

١) في ب : وجوائز عافيته وحواجز بليته . وفي نا : وحواجزبليته . وفي حاشيته : حوائز عافيته حواجز عافيته .

٢) في يد ، الف ، نا ، ب : فهل .

بعدبضتها، والعظام نخرة بعد فوتها ، والارواح مرتهنة بثقل أعبائها موقنة بغيب أنبائها ، لاتستزاد من صالح عملها ، ولاتستعتب من سيء زللها .

أولستم أبناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء ، تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدتهم ، وتطؤون جادتهم. فالقلوب قاسية عن حظها ، لاهية عن رشدها، سالكة في غير مضمارها ، كأن المعنى سواها ، وكأن الرشد في احراز دنياها [1] .

واعلموا أن مجازكم على الصراط ومزالق دحضه ، وأهاويل زلله وتارات أهواله، فاتقوا الله عباد الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه، وأنصب الخوف بدنه وأسهر التهجد غرار نومه ، وأظمأ الرجاء هواجر يومه ، وظلف الزهد شهواته، وأوجف الذكر بلسانه ، وقدم الخوف لامانه ، وتنكب المخالج عن وضح السبيل ، وسلك أقصد المسالك الى النهج المطلوب ، ولم تفتله فاتلات الغرور ولم تعم عليه مشتبهات الامور ، ظافراً بفرحة البشرى وراحة النعمى ، في أنعم نومه وآمن يومه .

وقد عبر معبر العاجلة حميداً ، وقدم زاد الاجلة سعيداً ، وبادر عن وجل ، واكمش في مهل ، ورغب في طلب، وذهب عن هرب، وراقب في يومه غده ، وربما نظر قدماً أمامه .

فكفى بالجنة ثواباً ونوالا ، وكفى بالنار عقاباً ووبالا ، وكفى بالله منتقماً ونصيراً ، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً .

أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر ، واحتج بمانهج ، وحذركم عدواً نفذ في الصدور خفياً، ونفث في الاذان نجياً، فأضل وأردى ووعد فمنى، وزين سيئات الجرائم ، وهون موبقات العظائم ، حتى اذا استدرج قرينته ،

---

١) في ص سقط من « واعلموا » الى « لايعتريهم شك » الواقع في اوائل شرح القسم الثالث من خطبة الاشباح .

واستغلق رهينته ، أنكر مازبن واستعظم ماهون وحذرما أمن .

(الشرح) :

ذكـر عليه السلام في هذا الفصل أحوال المكلفين وخلق الله لهم جميع مايحتاجون اليـه من أسباب التكليف ، وهدايتهم الى مـا يستنفعون به عاجلا وآجـلا .

ثم ذكر من أحوال الموت وشدائدها ، بعد ذكر تغير أحوال بنى آدم في الدنيا من الشباب والشيخوخة والغنى والفقر والصحة والسقم .

ثم ذكر أحوال القبر وأهوال القيامة ، ثم ذكر علة تأمل العقلاء في جميع ذلك واعتبارهم ، ثم ذكر وعظاً بليغاً ووصى وصية كاملة .

أمـا تفسيره فانه عليه السلام قال أولا « جعل لكـم أسماعاً » أي خلق لكم آذاناً لتعي ، أي لتحفظ تلك الاسماع مايعنيها ، أي مايهمها . ومنه قوله عليـه السلام « من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه » أي مالايهمه .

« وجعل أبصاراً » أي لتجلو تلك الابصار مايؤديها من الظلمة .

والعشا : مقصور مصدر الاعشى ، وهو الذي لايبصر بالليل وان كان يبصر بالنهار . والعشاهاهنا استعارة عجيبة ، لان الشبهة تدخل على أهل العلم ويمكنهم أن يجلوها ، واذا لم تكن شبهة في طريقهم يكونون في ضياء من العلوم[1] .

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٢٥١/٢ في بيان « جعل لكم اسماعاً لتعي ما عناها » الخ :تذكير بنعمة الله تعالى بخلق الابدان وماتشتمل عليه من المنافع ، ففائدة الاسماع أن تعي ما خلقت لاجله ، وفائدة الابصار أن يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعالى فيحصل له منها عبرة. ولفظ «العشا» يحتمل أن يكون مستعاراً لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها

ثم قال « وجعل لكم أشلاء »[1] وهي أعضاء اللحم ، واحدهاشلو ، والعضو دون ذلك .

وحينئذ فادراك البصرالمحصل عبرة يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا، فصح اذن اسناد الجلاء الى الابصار . ويحتمل أن يكون مستعاراً لعدم ادراكها ما تحصل منه العبرة اذكانت فائدتها ذلك، فاذا لم يحصل منها ذلك الادراكالمفيد عبرة عنها وهو استعارة أيضاً . و « عن » ليست بزائدة ، لان الجلاء يستدعي مجلواً ومجلواً عنه ، فذكر عليه السلام المجلو واقامه مقام المجلو عنه ، فكأنه قال : لتجلو عن قواها عشاها . الخ .

وقال ابن أبي‌الحديد في‌الشرح ٢٥٨/٦ :و«عن» هاهنا ـ أي عن‌عشاها ـ زائدة ، ويجوز أن تكون بمعنى « بعد »كما قال الشاعر :

* لقحت حرب وائل عن حيال *

أي بعد حيال، فيكون قد حذف المفعول، وحذفه جائز لانه فضلة ،ويكون التقدير : لتجلوالأذى بعد عشاها .

أقول :والشعر لحارث بن عباد على ما في‌هامش شرح ابن ابى الحديد . وأوله :

* قربا مربط النعامة مني *

١) في‌اللسان :ويجمع الشلو على أشل وأشلاء. ثم ذكرحديث النبى‌صلى الله عليه وآله وفيه «وأشل من لحم» وقال :اي قطع من اللحم .ووزنه من‌أفعل كأفرس، فحذفت الضمة والواو استثقالاً والحق بالمنقوص كما فعل‌بدلووأدل .

ثم قال : ومن أشلاء حديث علي عليه السلام « وأشلاء جامعة لاعضائها» ، والشلو والشلا :العضو من اعضاء اللحم، وفي الحديث « ائتنى بشلوها الايمن» أي بعضوها الايمن اما يدها أورجلها .

وقوله « ملايمة » أي موافقة . لاحنائها : أي جوانبها .

وقوله « بأبدان قائمة بأرفاقها »أي بمنافعها . وروي بأرماقها ، والرمق بقية الروح .

و « قلوب رائدة » أي طالبة ، من راد برود : اذا جاء وذهب .

و « مجللات نعمه » باضافة الصفة الى الموصوف ، وكذلك موجبات منته :أي النعم المجللة . وهذا مستعار من قولهم « السحاب المجلل » وهوالذي يجلل الارض بالمطر ، أي يعمها .

والمنن: النعم، والمعنى ان الله تعالى جعل تلك الاعضاء لكم ثابتة بأبدان يمكنها القيام بماينفعها ، وتلك الابدان تنقلب أبداً في نعم عامة توجب الشكر.

وفي عافية يحجز ويمنع المضار .

وقدر أعماراً لكم قد ستر مدتها [1] عنكم لتكونوا في كل وقت مستشعرين من الموت ، فلا تكونوا مصرين على الذنوب ، وجعل آثار من كان قبلكم عبراً لكم ، فانهم كانوا في خلاق ونصيب من الدنيا يتمتعون به وفي مهلة وسعة لاثقل ولا اصرعليهم من ضيق الخناق ، فأتاهم الموت ومامهدوا لانفسهم ولا اعتبروا ، فهل ينتظرون الامثل ماجرى عليهم . وفصل تفصيلا حسناً . وقيل : حواجز العافية وموانعها من الزوال وروابطها عن الانتقال .

وروي « جوائز عافيته » ، وروي أيضاً « وحوائز بليته » .

---

١) قال ابن ميثم في الشرح ٢/٢٥١ : وانما ذكر سر كمية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد ، اذكان اطلاع الانسان على كمية عمره مما يوجب اشتغال خاطره بخوفه من الموت من عمارة الارض ويبطل نظام هذا العالم . انتهى .

وأرهقتهم[1] المنايا : أي أعجلتهم .

وشذبهم: أي قطعهم انقطاع آجالهم عنها ، أي عن تلك الامال . والتشذيب ما يفرق من أغصان الشجر ، وكل شيء نحته عن شيء فقد شذبته[2] .

والتخرم[3] : الاستيصال والاقتطاع .

لم يمهدوا :أي لم يبسطوا فرشاً لمضجعهم في العبر عند قدرتهم على ذلك لما كانوا سالمين . وتقدير وتعتبروا في أنف الاوان ولم يعتبروا فانه معطوف على لم يمهدوا . وروي لم يعتبروا أيضاً . والاوان الحين .

و« أنف الاوان » مستعار من قولهم روضة أنف ، وهي التى لم يرعها أحد. وأنف كل شيء أوله ، وقال تعالى « ماذا قال آنفاً »[4] أي من وقت يقرب منا .

وبضاضة الشباب : طراوتها ورونقها . يقال « رجل بض » أي رقيق الجلد ممتلىء . وقال الاصمعي : البض الرخص الحسن .

وحنى الهرم ظهره : أي عطفه ، وحواني الهرم معاطف تنحنى وتنعطف وتعرج في حال الشيب .

والغضارة : طيب العيش ، يقال انه في غضارة من العيش أي في خصب وخير .

و « الاونة » جمع الاوان . والازوف : القرب .

---

١) المرهق : الذي أدرك ليقتل .

٢) في المصباح : وكل شيء هذبته بتنحية غيره عنه فقد شذبته . قال : والشذب بفتحتين : مايقطع من اغصان الشجرة المتفرقة .

٣) خرمته :قطعته فانخرم. ومنه قيل :اخترمهم الدهر اذا أهلكهم بحوائجه.

٤) سورة محمد : ١٦ .

و« علز » وعلز[1] القلق :خفة الاضطراب . «والغصص» بالفتح مصدر غص بالطعام وبضم العين جمع الغصة ، وهي الشجا .

و « الجرض » بالتحريك الريق يغص به ، يقال جرض بريقه يجرض، وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد .

والجريض : الغصة .

والحفدة : الاعوان والخدم ، وقيل ولدالولد .

والنواحب : النساء اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء . وروي « النوادب » ، وهن الباكيات على الميت . والنحيب : رفع الصوت بالبكاء .

وندب الميت : أي بكى عليه .

والهوام : الدواب المخوفة ، واحدتها هامة . وفي صحاح اللغة : لايقع هذا الاسم الاعلى المخوف من الاحناش[2] .

والنواهك : الامراض التى تذيب اللحم وتهزل ، من نهكته الحمى : اذا أضنته وجهدته ونقصت لحمه .

و « الجدة » بالتشديد مصدر الجديد .

وعفت : أي درست مخفف ومشدد ، ويقال :عفت الريح المنزل درسته ، وعفا المنزل اندرس ، يتعدى ولايتعدى . وعفتها الريح شدد للمبالغة .

---

١) في اللسان : وفي حديث علي عليه السلام « هل ينتظر أهـل بضاضة الشباب الاعلز القلق » العلزبالتحريك خفة وقلق وهلع يصيب الانسان . ويروى بالنون « علن » من الاعلان وهوالاظهار .

٢) الحنش :الحية، ويطلق على كل حشرة يشبه رأسهارأس الحية كالحرابى وسوام ابرص .

شحبة [1] : أي تغير اللون . بعد بضتها : أي بعد طراوتها .

والعظام نخرة : أي بالية ، يقال نخر الشيء أي بلى وتفتت .

والاعباء : الاثقال .

ولاتستعتب : أي لايطلب الرضى .

وتعنى بالقدة : الطريقة . وروى بعضهم « قدتهم » ، قال : والصواب هذا لقوله تعالى « طرائق قدداً » [2] .

و « الصراط » [3] أصله السين .

---

١) في اللسان :شحب لونه وجسمه :تغيرمن هزال أوعمل أوسفر أوجوع.

٢) سورة الجن : ١١ .

٣) ذكرابن ميثم في شرحه ٢/٢٥٥ ماهذا لفظه :واعلم أن الصراط الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة ، والذي عليه جمهور المسلمين ومن أثبت المعاد الجسماني يقتضي أنه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم ، وهو طريق الى الجنة يجوزه من أخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبتيه أحد أبواب جهنم . وأما الحكماء فقالوا بحقيته ، وما يقال في حقه : انه كالشعر في الدقة فهوظلم بل نسبة الشعرة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من أحدهما، فهو كذلك الخط الذي لا عرض له أصلا. وحقيقته هوالوسط الحقيقى بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن .

الى أن قال :فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الاخلاق المحمودة، ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان ، وكل واحد منهما هوغاية البعد بين طرفيه ، وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان .

واضافة المزالق الى الدحض وكلاهما زلل مخصوص للتأكيد .

وأنصب : أتعب .

وأسهر التهجد غرار نومه :التهجد من الاضداد يكون النوم والسهر جميعاً،

قالوا : وتحقيق ذلك أن كمال الانسان في التشبه بالملائكة، وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة ، وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية ، فغايته التباعد عنها الى الوسط تباعداً يشبه الانفكاك عنها ، فالسخي كأنه لابخيل ولامبذر. فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لاميل له الى أحد الجانبين ولاعرض له ، وهو أدق من الشعر ، ولذلك قال تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » سورة النساء : ١٢٨ .

وروي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » قال :يقول أرشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ دينك والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك .

وعن الحسن العسكري عليه السلام : الصراط صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الاخرة ، فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل، والصراط الاخر هو طريق المؤمنين الى الجنة لايعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة ، والناس في ذلك متفاوتون، فمن استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الاخرة مستوياً ودخل الجنة آمناً .

اذا عرفت ذلك فنقول : مزالق الصراط كناية عن المواضع التى هي مظان انحراف الانسان عن الوسط بين الاطراف المذمومة، وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية، وأهاويل زلله هي مايستلزمه العبور الى أحد طرفي الافراط والتفريط من العذاب العظيم في الاخرة . انتهى .

والمراد هاهنا السهر. والغرار: النوم القليل، واضافته الى النوم نحو «كرى النوم».

وظلف الزهد شهواته : أي منعها ، يقال ظلفت نفسي عن السوء أظلفها ظلفاً اذا منعتها ، يقال ظلف من أن يفعله .

وأوجف : أي أسرع ، من الوجيف وهو الاضطراب .

وتنكب المخالج عن وضح الطريق[1] : أي تنكب وعدل أن يختلج وضح السبيل. وخلج واختلج: أي جذب وانتزع، ويجوز أن يريد بالمخالج المظان.

وأقصد المسالك : أي أقومها . وطريق قاصد : أي مستقيم . وروي « قد عبر معبراً لعاجله وقدم زاداً لآجله »[2] .

والوجل : الخوف . واكمش : أي أسرع .

والقدم : التقدم .

وقوله في وصف الشيطان « نفذ في الصدور خفياً » لقوله عليه السلام : والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .

والموبقات : المهلكات . والقرينة[3] : النفس .

---

١) كذا في د . وفي أصل الخطبة ـ كما في النسخ كلها ـ « السبيل » .

٢) وفي شرح ابن ابي الحديد ٦/٢٦٦ : « ويروى : قد عبر معبر العاجلة حميداً وقدم زاد الآجلة سعيداً ». أقول :و كذا في أصل الخطبة كما نقله نفسه أيضاً ولا أدري وجه هذا « يروى » .

٣) ذكر ابن ميثم في الشرح ٢/٢٥٩ ماهذا لفظه :فقرينته هي النفس الناطقة باعتبار موافقته، وهي رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال. ولفظ الرهينة مستعار، واستدراجه لها تزيينه حالا بعد حال وتعويدها بطاعته . انتهى .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٦/٢٦٨ مـا هذا نصه : القرينة هاهنا

واستدرجها : أي ادناها الشيطان الى الجرائم العظام.

واستغلق رهينته: أي وجدرهنه في ناحية المرتهن غير مفكوك ، حذر الانسان ماكان يؤمنه . وهذا اشارة الى قوله تعالى «كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر فلماكفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين »[1] .

(الاصـل) :

(منها) في صفة خلق الانسان :

أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الارحام، وشغف الاستار نطفة دهاقاً[2]، وعلقة محاقاً ، وجنيناً وراضعاً ، ووليداً ويافعاً . ثم منحه قلباً حافظاً ، ولساناً لافظاً ، وبصراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، ويقصر مزدجراً . حتى اذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفرمستكبراً وخبط سادراً ، ماتحاً في غرب هواه ، كادحاً سعياً لدنياه في لذات طربه وبدوات أربه . ثم[3] لايحتسب رزية ، ولايخشع تقية ، فمات في فتنته غريراً ، وعاش في هفوته يسيراً[4] ، لم يفد عوضاً ولم يقض مفترضاً .

الانسان الذي قارنه الشيطان ، ولفظه لفظ التأنيث وهو مذكر أراد القرين، قال تعالى «فبئس القرين» (سورة الزخرف : ٣٨) . ويجوز أن يكون أراد بالقرينة النفس ، ويكون الضمير عائداً الى غير مذكور لفظاً لما دل المعنى عليه ، لان قوله « فـأضل وأردى ووعد فمنى » معناه أضل الانسان وأردى ووعده فمنى الـخ .

١) سورة الحشر : ١٦ .

٢) في نا : دفاقاً .

٣) في نا محى : ثم .

٤) في نا : أسيراً .

دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه، فظل سادراً وبات ساهراً في غمرات الالام وطوارق الاوجاع والاسقام، بين أخ شقيق ووالد شفيق، وداعية بالويل جزعاً، ولادمة للصدر قلقاً، والمرء في سكرة[1] ملهية، وغمرة كارثة، وأنة موجعة، وجذبة مكربة، وسوقة متعبة.

ثم أدرج في اكفانه مبلساً، وجذب منقاداً سلساً، ثم القي على الاعواد رجيع وصب، ونضو سقم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الاخوان، الى دار غربته ومنقطع زورته [ومفرد وحشته][2].

حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع، أقعد في حفرته نجياً لبهتة السؤال وعثرة الامتحان.

وأعظم ماهنالك بلية نزول[3] الحميم، وتصلية الجحيم، وفورات السعير [وسورات الزفير][4] لافترة مريحة، ولادعة مزيحة، ولاقوة حاجزة، ولاموتة ناجزة، ولاسنة مسلية بين أطوار الموتات وعذاب الساعات، انا بالله عائذون[5].

عباد الله أين الذين عمروا فنعموا، وعلموا ففهموا، وأنظروا فلهوا، وسلموا فنسوا، أمهلوا طويلا ومنحوا جميلا، وحذروا اليماً ووعدوا جسيماً.

احذروا الذنوب المورطة، والعيوب المسخطة. أولى الابصار والاسماع

---

١) في يد : ملهثة.

٢) الزيادة من يد.

٣) في نا، الف : نزل الحميم.

٤) الزيادة من يد.

٥) في هامش نا « وانا لله راجعون ». وبهامش ب « لائذون انا لله وانا اليه راجعون ».

والعافية والمتاع هل من مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو فرار أو محار ، املا[1] فأنى تؤفكون، أم اين تصرفون، أم بماذا تغترون . وانما حظ أحدكم[3] من الارض ذات الطول والعرض قيد قده متعفراً[2] على خده .

الان عباد الله والخناق مهمل، والروح مرسل ، في فينة الارشاد ، وراحة الاجساد ، [وباحة الاحتشاد][3] ومهل البقية ، وأنف المشية ، وانظار التوبة ، وانفساح الحوبة ، قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق، وقبل قدوم الغائب المنتظر وأخذة العزيز المقتدر .

قال[4] الرضي رحمه الله :

وفي الخبر انه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب [ومن الناس من يسمي هذه الخطبة الغراء].

(الشرح) :

نبه عليه السلام هاهنا على وصف خلق الانسان من حال كونه نطفة، واختلافه في ست أحوال الى أن يشغل بالعصيان يافوا[5] هوى نفسه الى وقت التحويل

---

١) ليس « أم لا » في يد .

٢) في نا ، الف : منعفراً .

٣) الزيادة من يد .

٤) ليس في نا « قال » الى آخره . وفي الف ليس « قال الرضي ». وفي ب ليس « قال الرضي » ، وفي الهامش : في الخبر انه عليه السلام . الخ .

٥) في فقه اللغة ٨١ : يقال للصبي اذا ولد : رضيع وطفل . ثم فطيم . ثم دارج. ثم حفر. ثم يافع . ثم شدخ. ثم مطبخ . ثم كوكب . ثم قال بعد ذلك : فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق .

الى رمسه ، واحيائه فيه لسؤال القبر ، وبعثه للجزاء بعد الحشر والنشر .

ثم حذر وأنذر وبالغ في الوعظ وزجر، وقد كان أمر في الفصل الاول بالنظر والتفكر في حال نفسه وأمر هاهنا أن يتأمل في الخلقة .

قال « أم هذا الذي انشأه » أي فلينظر في ذاك . ام في هذا الذى خلقه الله على سبيل الانشاء والابتداء في ظلمات ثلاث، وحاله أنه كان أول مرة ماء دافقاً، ثم علقة. ثم أشار بكونه جنيناً مضغة وعظماً ولحماً وصورة وحياً الى أن تلده أمه.

ثم يترعرع [1] ويصير عاقلا ، ثم اذا ماتم أمره لاسباب التكليف تغافل عما لاجله خلقه الله وسعى لعاجل دنياه ، فمات غافلا .

و«أم» هذه يجوز أن تكون متصلة، وتقدير الكلام فيه على ماتقدم. ويجوز أن تكون منقطعة ، والتقدير بل أتغفلون عن هذا الذي أنشأه الله[2] . وروى « أو هذا الذي أنشأه في ظلمات الارحام » فتكون الواو للعطف والهمزة للاستفهام على سبيل الجحد والتقريع .

والشغف : الغلف . والجنين : الولد مادام في بطن أمه .

والدهاق : الممتلىء ، من أدهقت الماء ادهاقاً أي أفرغته افراغاً شديداً ، وأدهقت الكأس ملأتها، وكأس دهاق :ممتلئة، ودهقت الشي: كسرته وقطعته .

و«النطفة» وان كانت مؤنثة فالمراد بها الماء المهين، فذكره من حيث المعنى ومراعاة المعاني يستحسن جداً .

---

١) رعرع بالرائين المهملتين يقال : ترعرع الصبي : نشأ وشب .

٢) قال ابن أبي الحديد في الشرح ٦/ ٢٧٠ : ام هنا أما استفهامية على حقيقتها كأنه قال : أعظكم وأذكركم بحال الشيطان وأغوائه أم بحال الانسان منذ ابتداء وجوده الى حين مماته ، واما أن تكون منقطعة بمعنى « بل » كأنه قال عادلا وتاركاً لما وعظهم به : بل أتلو عليكم نبأ هذا الانسان الذي حاله كذا .

وروي « دفاقاً » ودفقت الماء: صببته، وناقة دفاق المتدفقة في السير، وجاء القوم دفقة : اذا جاءوا مرة واحدة .

والعلقة : الدم الطري، ووصفها « بالمحاق » أي هو شيء ممحوق مبطل بالاضافة الى الحيوان. هذا اذاكان فعالا من المحق أو من محقت الشيء أمحقه أي أبطلته ومحوته ، والعلقة انما تكون ممحوة من حيث ليست ذات صورة .

وايفع الغلام : ارتفع ، فهو يافع ، ولا يقال موفع . وهو من النوادر ، من اليفاع وهو ما ارتفع من الارض .

و« لفظ بالكلام » أي تكلم به ، ولفظت الشيء من فمي : رميته ، واللفظ في الاصل مصدر .

ليفهم : أي ليعلم بالتدبر ومشقة النظر .

ويقصر : أي ليكف عما لا يعنيه ، يقال «أقصرت عنه » أي كففت ونزعت مع القدرة عليه .

والمستكبر : المتكبر .

والسادر : المتحير الذي لا يبالي ما صنع، « والسدر » تحير البصر ، يقال سدر البعير سدوراً .

الماتح [1] : المستقي ، يقال : متح الماء أي نزعه .

والغرب : الدلو العظيمة .

والكادح : الساعي بجهد وتعب ، ويقال بدا له بداء أي نشأ له رأي ، وهو ذو بدوات ، وبدا : ظهر .

والارب : الحاجة . والرزية : المصيبة .

وقوله « فمات غريراً » أي غافلا ، يقال رجل غر وغرير أي غير مجرب ،

---

١) في المصباح : المتح : الاستقاء ، وهو مصدر متحت الدلو من باب نفع اذا استخرجتها ، والفاعل ماتح ومتوح .

وعيش غرير [1] : اذاكان لا يفزع أهله . والغرة : الغفلة .

وفي فتنته : أي مفتتناً .

والهفوة : السقطة .

و عاش يسيراً : أي حقيراً ، وروى أسيراً .

« لم يفد » نفسه « عوضاً » أي جزاء من عمره الفائت [2] .

ودهمته : أتته غفلة . وفجعته المصيبة: أوجعته ، وفجعات الموت : رزاياه.

وغبر الشيء : بقاياه، وروي في غبر، يقال : مابالناقة غبر من اللبن أي بقية.

والجماح من الفرس: اذا اعتز فارسه وغلبه، والجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده .

والسنن :الطريق ، يقال :تنح عن سنن الطريق وسننه وسننه [3] أي عن وجهه.

وروي سنن مراحه ، والمراح : النشاط . والسنة : التى يثار بها الأرض ، وهاهنا استعارة . وقيل أصله « سنن » جمع سنة فكسرت السين ، ويقال في كل شيء اشتق [4] بنصفين لكل واحد منهما شقيق الاخر ، ويوصف به الاخ مجازاً .

ويوصف الوالد بالشفيق لكونه مشفقاً أبلغ الاشفاق ، والشفقة : الاسم من أشفقت ، وأصل الباب الحذر .

---

١) في اللسان : عيش غرير : أبله لايفزع أهله .

٢) قال ابن ميثم في الشرح ٢٦٣/٢ : أي لم يستفد في الدنيا عوضاً مما يفوته منها في الاخرة ، والعوض الذي ضيعه هو الكمالات التي خلق ليستفيدها وفرضت عليه من الطاعات ولم يقضها من العلوم والاخلاق .

٣) أي بفتح السين وكسره وضمه . وفي القاموس : سنن الطريق مثلثة وبضمتين : نهجه وجهته .

٤) في م : أنشق .

ولادمة للصدر: أي امرأة ضاربة صدرها لانزعاجها بموت قريب ، واللدم: الضرب .

والسكرة الملهية: التى تغفل وتلهى، وسكرات الموت تلهى عن كل شيء. وروي « ملهثة » من لهث الكلب ، وهو أن دلع لسانه من العطش ، وقال النبى صلى الله عليه وآله : كل أحد يموت عطشان الا ذاكر الله [1] .

والكارثة: المحزنة[2] ، وقوله «أدرج في اكفانه مبلساً» أي طوى ساكتاً نادماً متحسراً على ما فرط منه، قال تعالى «يبلس المجرمون »[3] أي ينقطعون انقطاع يائسين ، والابلاس : الحيرة [4] واليأس .

وسلساً : سهلا .

وقوله «ثم ألقى على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم» أي وضع كالجنازة وقداخلقته الاوصاب والاوجاع. والثوب الرجيع: الخلق، والنضو: المهزول.

والحفدة : ولد الولد والاعوان .

و« الحشدة » جمع حاشد، وهو المستعد المتأهب، يقال جاء فلان حاشداً أي حافلا ، وحشد يحشد أي اجتمع .

وقوله «حتى اذا رجع المتفجع أقعد في حفرته نجياً لبهتة السؤال» أي اذا انصرف المشيع الذي خرج مع جنازته الى طرف قبره مفجعاً [5] أتى الميت ملكان وأقعداه بعد أن احياه الله كما كان .

---

١) لم أجده .

٢) يقال : كرثه الغم يكرثه بالضم ، أى اشتد عليه وبلغ منه غاية المشقة .

٣) سورة الروم : ١٢ .

٤) في م : الخيبة .

٥) في م . متفجعاً .

« ونجياً » أي مناجاً ليسأل فيبهت ، والبهتة : الغفلة . وروي « ورجع » بالتشديد ، أي استرجع، قال « انالله وانا اليه راجعون ». ويقال لهذين الملكين « فتانا القبر » والى هـذا أشار بقوله « و عثرة الامتحان » ، والفتنة : الامتحان والاختبار .

و«النجي» مصدر كالصهيل، يقع على الواحد والجماعة، قال تعالى «خلصوا نجياً » [٢] أي متناجين ، وقال « وقربناه نجياً »[٣] أي مناجياً، وهاهنا في كلام علي عليه السلام أن يكون النجي بمعنى المفعول أحسن. ويتعلق اللام في قوله «لبهتة» بأقعد ، وان كان نجياً بمعنى الفاعل فاللام يتعلق به كأنه يناجيها .

والنزل : الغذاء في اللغة . والرزق :الطعام . وفي العرف هو مايصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء .

والحميم : الحار ، واكثر مايكون وصفاً للشراب، قال تعالى « وسقوا ماء حميماً » [٤] فنزل الحميم [٥] استعارة جامعة لطعام وشراب أهل الجحيم. نعوذ بالله منهما .

والجحيم: ما اشتد لهبه من النيران ، يقال: صليت اللحم أي شويته وصليت فلاناً بالنار : احرقته ، و« تصلية جحيم » [٥] أي مقاساة حرها .

وفورة الحر : شدته ، والجمع فورات . والسعير : النار .

والدعة : الراحة .

---

١) في م : فالفتنة .

١) سورة يوسف : ٨٠ .

٣) سورة مريم : ٢٥ .

٤) سورة محمد : ١٥ .

٥) سورة الواقعة : ٩٤ .

والمزيحة : المبعدة لبلائه ، يقال زاح الشيء أي بعد وأزاحه غيره .

والموتة الناجزة : السريعة . والقوة الحاجزة : المانعة .

والسنة : النوم القليل . وأطوار الموتات : حالاتها .

وأنظروا: أي أمهلوا وأخرت اعمارهم في الدنيا ليعملوا فلهوا، اذا كان الهاء مفتوحة فاللفظ من لها يلهو، أي لعب ، واذا كانت مضمومة فهي من لهى يلهي اذا أعرض وترك .

والذنوب توصف « بالمورطة » لانها تلقى في الورطة ، وهى الهلاك ، وأصلها أرض مطمئن لا طريق فيها .

والمناص : الملجأ والمفر، يقال : ناص عن قرنه مناصاً أي فر وراغ ، قال تعالى « ولات حين مناص »[1] أي ليس وقت تأخير[2] وفرار .

والمحار : المرجع ، من حار يحور أي رجع .

وقيد قده : مقدار قامته .

وقوله «الان عباد الله والخناق مهمل» أي الان اعملوا ياعباد الله والخناق: الحبل الذى يخنق به .

و« الروح » يذكر ويؤنث ، ولذلك وصفه هنا بقوله : مرسل .

والفينة: الوقت، وأضافها الى «الارشاد» لان اوقات العمر في الدنيا يوجد فيها الرشاد . وروي « الارتياد » وهو الطلب .

وانفساح الحوبة: سعة الحاجة ، والحوبة : الحزن أيضاً، والجوبة بالجيم ما امتنع من الارض. والرواية هنا بالحاء غير المعجمة ، وهي كل حرمة تضيع

---

١) سورة ص : ٣ .

٢) في م : تأخر .

من ذوي الرحم .

والزهوق : الهلاك .

و« قدوم المنتظر الغائب » هو الموت .

و« الانف » الوقت ، وأضاف الى المشية ، فالعمر للارادة مظنة .

(الاصـل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

(في ذكر عمرو بن العاص)

عجباً لابن النابغة، يزعم لاهل الشام أن في دعابة واني امرؤ تلعابة أعافس وأمارس ، لقد قال باطلا ونطق آثماً ، أما ـ وشر القول الكذب ـ انه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل [ويسأل [1] فيلحف] ويخون العهد ويقطع الال . فاذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو، مالم تأخذ السيوف مآخذها، فاذاكان ذلك كان [2] اكبر مكيدته أن يمنح القرم [3] سبته .

أما والله اني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الاخرة، وانه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتية، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة .

---

١) مابين المعقوفين ليس في نا . وفي الف : ويسئل فيحلف . وفي ب : ويسئل فيخلف .

٢) ليس « كان » في الف ، ب . وفي الف ، ب : أكثر . وفي نا هكذا: اكثر .

٣) في م : القوم .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، الاول لا شيء قبله ، والاخرلا غاية له ، لا تقع الاوهام له على صفة، ولاتعقد القلوب منه على كيفية ، ولاتناله التجزئة والتبعيض ، ولاتحيط به الابصار والقلوب .

(الاصـل) :

(ومنها) فاتعظوا عبادالله بالعبـر النوافع ، واعتبروا بـالاي السواطع ، وازدجروا بالنذر البوالغ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ. فكان قدعلقتكم مخالب المنية ، وانقطعت علائق الامنية ، ودهمتكم مفظعات الامور ، والسياقة الى الورد المورود . فكل[1] نفس معها سائق وشهيد ، سائق يسوقها الى محشرها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

(ومنها في صفة الجنة) : درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات[2] لاينقطع نعيمها ، ولا يظعن مقيمها ، ولايهرم خالدها ، ولا ييأس ساكنها .

(ومن خطبةله عليه السلام)

قدعلم السرائر وخبر الضمائر، له الاحاطة بكل شيء، والغلبة لكل شيء ، والقوة على كل شيء ، فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل ارهاق أجله ، وفي

---

١) في م : وجاءت كل نفس .

٢) في ب : متفاتلات .

فراغه قبل أوان شغله ، وفي متنفسه قبل أن يؤخذ بكظمه ، واليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته .

فالله الله ، أيها الناس فيما استحفظكم من كتابه ، واستودعكم من حقوقه ، فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ، ولم يدعكم في جهالة ولاعمى . قد سمى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ، وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شيء ، وعمر فيكم نبيه أزماناً ، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه [دينه][1] الذي رضي لنفسه ، وأنهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره ، وألقى اليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد ، وأنذركم بين يدي عذاب شديد .

فاستدركوا بقية أيامكم، واصبروا لها أنفسكم، فانها قليل في كثير الايام التى تكون منكم فيها الغفلة، والتشاغل عن الموعظة، ولاترخصوا لانفسكم، فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ، ولاتداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية .

عباد الله ، ان أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه ، وان أغشهم لنفسه أعصاهم لربه ، والمغبون من غبن نفسه ، والمغبوط من سلم له دينه ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من انخدع لهواه وغروره .

واعلموا أن يسير الرياء شرك، ومجالسة أهل الهوى منسأة للايمان ومحضرة للشيطان. جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة، والكاذب على شرف مهواة ومهانة . ولاتحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب ، ولاتباغضوا فانها الحالقة .

واعلموا أن الامل يسهي العقل وينسي الذكر ، فأكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور .

---

١) الزيادة من نا ، يد . وفي م : ولكم دينه فيما ..

(الشرح) :

العرب تنسب الانسان الى أمه عند ذكره لامرين :

امـا لشرفها ومنزلتها ، فينوهون باسمه لذلك ، كما يقول[1] يا ابن فاطمة ، وقيـل لمحمد بن علي بن ابي طالب ابن الحنيفة[2] اذ كان لها شأن عظيم وقصة عجيبة ، وأنها يوم ولدت حزنت أمها بولادتها نطقت نطقاً صحيحاً فصيحاً أنـه يكون لها علي عليه السلام ترباً بعد البتول عليها السلام .

وأما تذكر الام لخساستها ودناءتها، فيريدون الغض لولدها بذلك، كما يقال كيف لايكون معاوية لذلك وهـو ابن هند [وروي أن علياً عليـه السلام قال : لهفي على ابن الباغية][3] .

فقال عليه السلام [هـاهنا][3] عجبت عجباً لهذا الذي ولدته هذه الفاجرة المعروفة بكل عيب ، وتسمى والدة عمرو بن العاص النابغة ، وقيل هي النائغة بالهمز من ناغ الرجل امرأته وبالباء تصحيف وكأنه أصح[4] .

وكان ابن العاص[5] يحدث أهل الشام بأنا انما أخرنا علياً أول مرة لان فيـه هزلا لاجد معه ، كماكان العاص أبوه يقول : ان في رسول الله سحراً .

والدعابة : المزاح . وقد دعب أي لعب .

و «التلعابة» الهاء للمبالغة ، كما يقول هو راوية للشعر ، ورجل تلعابة كثير

---

١) في م : كما يقال : يا ابن فاطمة .

٢) في م : يقال له : ابن الحنفية ولها شأن عظيم .

٣) ليست الزيادتان في م .

٤) في م : وروى ان علياً عليه السلام قال : لهفي على ابن النابغة .

٥) في م : وكان ابن العاص هذا الملعون العاصي .

التلعب ، وتلعب أي لعب مرة بعد أخرى .

والمعافسة : المعالجة ، والعفس : الابتذال، وفي الحديث : عافسنا النساء[1].

واراد بقوله «أعافس وأمارس» أي أدعي كاذباً، أي ألاعب النساء وأصارعهن. و « العفس » هو أن يضرب برجله عجيزتها ، والممارسة : أشد المعالجة ، والمزاولة : المغالبة .

ثم ذكر عليه السلام عمرواً بمافيه يقال انه لكذاب على العموم و كاذب فيما نطق به في حقي على الخصوص .

ثم عد له ثماني خلال ذميمة[2] لاتقع واحدة منها على وجه من الوجوه حسنة بل تكون على كل حال قبيحة .

فأما المزاح اذا لم يكن في شيء من القبائح فانه يكون حسناً ، ومزاح المؤمن عبادة ، ألاترى أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعجوز كبيرة السن : ان العجائز لاتدخل الجنة . فبكت فتبسم وقال : ان الله يجعلهن شواب ثم يدخلهن الجنة فأهل الجنة جرد مرد[3] ، وان الحسن والحسين [عليهما السلام] سيدا شباب أهل الجنة [4] .

---

١) صحيح مسلم ٢١٠٦/٤ ، سنن الترمذي ٦٦٦/٤ وفيهما : عافسنا الازواج .

قال في هامش صحيح مسلم : قال الهروي وغيره : معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به ، أي عالجنا معايشنا وحظوظنا .

٢) في م : لاتكون احداها الا قبيحة ولا تقع .

٣) المناقب ١٤٨/١ ، البحار ٢٩٥/١٦ .

٤) البحار ٢٦٣/٤٣ .

وقوله « وانه ليقطع الال » أي العهد والقرابة ، قال حسان بن ثابت [1] :

لعمرك ان ألك من قريش — كأل السقب من رأل النعام[2]

ثم قال عليه السلام « فاذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو مالم تأخذ السيوف مآخذها » ومأخذها روي على الواحد والجمع ، وقيل انه تهكم منه عليه السلام بعمرو وان كان كلامه أفصح من كلام القرار السلمى وقوله :

وكتيبـة لبستهـا بكتيبة — حتى اذا التبست نفضت لهايدي

وقوله « فـاذا اشتد الحرب فسلاحه دبره » أي يظهر استه لقرنه ليتغافل عنه ويغض من ابصاره ليفر ، وهذه الحالة معروفة منه حتى نظمها الشعراء ، فقال ابو فـراس [3] :

---

١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري المدني، أبوالوليد الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وآله، واحد المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام ، عاش ستين عامـاً في الجاهلية ومثلها في الاسلام ، توفي بالمدينة سنة ٥٤ .

انظر : الاعلام للزركلي ١٨٨/٢، أسد الغابة ٤/٢، الاصابة ٨/٢، جمهرة أشعار العرب ١٢١ ، تـاريخ الادب العربي ١٥٢ ، جواهـر الادب ١٦١/٢ ، الجرح والتعديل ٢٣٣/٣ .

٢) السقب : ولد الناقة ، الرأل : ولد النعامة .

٣) هو أبوالحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني المكنى بأبي فراس ، كان من امراء آل حمدان وابن عـم سيف الدولة . كان شاعراً فارساً أميراً أديباً وكريماً مجيداً . وقال الصاحب ابن عباد : بدىء الشعر بملك وختم بملك ـ يعني امرأ القيس وأبافراس ـ وله أخبار كثيرة مدونة. ولد

ولاخير في دفع الردى[1] بمذلة   كماردها يوماً بسوءته عمرو

واسم كان «أن يمنح القرم سبته» أي أسته واكبر[2] خبره . هذا حسن لقوله تعالى « ليس البرأن تولوا »[3] وعلى عكس هذا أيضاً حسن ، وقرىء بها الاية .

وقوله «أن يؤتيه اتية» أي يعطيه عطية نزرة، ويرضح له رضيحة :أي يرشوله رشوة. ورضخته رميته بالحجارة، والرضح بالحاء والخاء : كسر الحصا والنوى والترامي بها . واذا أخذ الغنائم من دار الحرب فيعطى الامام سهام المقاتلة منها ويرضخ النسوان شيئاً منها .

وقوله « لاتقع الاوهام له على صفة » قدذكرنا تحقيق نفي الصفات عن الله في الخطبة الاولى ، والوهم : هو ان يظن ظناً مظنونه على خلاف ما ظننته . وقد يكون بمعنى التقدير ، وفي صحاح اللغة : الصفة كالعلم والسواد .

وأما النحويون فليس يريدون بالصفة هذا ، لان الصفة عندهم هي النعت والنعت نحوخارج أو المفعول نحو مدرك أوما يرجع اليهما من طريق المعنى نحو مثل وشبه ومايجري مجرى ذلك .

وبخط الرضي «ولاتعقد القلوب منه على كيفية »[4] فيكون المفعول محذوفاً

أبوفراس سنة ٣٢٠ وفي سنة ٣٥٧ .

أنظر :ريحانة الادب ٧/ ٢٣١،تاريخ الادب العربي ٣٠٣، الاعلام ٢/ ١٥٦.

١) في م : الاذى .

٢) قال ابن أبي الحديد في الشرح ٦/ ٢٨١ :ويجوز رفع « أكبر » ونصبه ، فان رفعت فهو الاسم وان نصبت فهو الخبر .

٣) سورة البقرة : ١٧٧ .

٤) قال ابن أبي الحديد في الشرح ٦/ ٣٤٦ بعدبيان هذه الكلمات الشريفة: واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية ما عرفت الا من كلام هذا

أي لاتعقد القلوب أنفسها [ورايها] من الله تعالى على كيفية بأنه جسم أوعرض مصور متصور أونحوذلك . والاعتقاد يكون جهلا ويكون تقليداً وتبخيتاً ، كما يكون علماً أيضاً. وعقد القلب على شيء لايكون الاعن علم. وروي «ولاتعقد» على مالم يسم فاعله .

و « الاي » جمع آية من القرآن ، ووصفها بالسواطع لعلوها وضيائها ووضوح معانيها ومحاسن ألفاظها ، يقال سطع الصبح سطوعاً : اذا ارتفع .

و « النذر » الانذارات ، ومنه ماكرر في سورة القمر من قوله « فكيف كان عذابي ونذر »[1] أي كيف رأيتم انتقامي منهم وانذاري اياهم مرة بعد أخرى، فالنذر جمع نذير وهو الانذار ، والمصدر يجمع لاختلاف اجناسه .

ووصف النذر بالبوالغ أي ازدجروا بانذارات الله لكم بالعذاب قبل نزوله وبانذارات الله في تعذيبهم لمن بعدهم ، ويكون النذير بمعنى المنذر .

وقوله « وانتفعوا بالذكر والمواعظ » أفرد أولا وثنى[2] ثانياً ، كقوله « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم »[3] فالذكر نقيض النسيان ، وهو مصدر ، ولذلك لم يجمع كالسمع .

وقوله «كان قدعلقتكم مخالب المنية» أي كان الامروالشأن علقتكم الموت.

وقوله « ولايبأس ساكنها » أي لايشد حاجته ، يقال يبس الرجل اذا أصاب بؤساً وشدة ، وبئس يبأس : أي اشتدت حاجته .

الرجل ، وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلا ولا كانوا يتصورونه ولوتصوروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام .

١) سورة القمر : ١٦ .

٢) في م : « وجمع » مكان « وثنى » .

٣) سورة البقرة : ٧ .

وقوله « وخبر الضمائر » بفتح الباء أي امتحن ، وروي « وخبر » بالكسر أي علـم .

و « الارهاق » مصدر أرهقه عسراً ، أي كلفه اياه ، وأرهقه : أغشاه .

و « الكظم » مجرى النفس .

و«الله الله» أي خف الله فيما كان وفيما يكون في اقامة « مااستحفظكم » الله أي ما سألكم حفظه والمحافظة عليه من أحكام كتاب الله الشرعية ، وفي مراعاة ما « استودعكم » من الواجبات العقلية في حقوق الله .

و « سدى » مهملا وعبثاً لعباً .

و « الاثار » جمع أثر ، وهو ما بقي من رسم الشيء . « وأنهى اليكم » اراكم وعرفكم .

« محابـه » أي الطاعات التي هي ذوات محابه ، فحذف المضاف وأقـام المضاف اليـه مقامه . والمحابة جمع محسبة ، والمحبة هي ذات المحبة ، والمحبة : المحبوب أيضاً كالخلق بمعنى المخلوق . والدرهم ضرب الامير أي مضروبه . ويجمع المحبوب على محاب ، وهو على قصر محابيب .

وقوله « فاستدركوا بقيـة أيامكم واصبروا لها أنفسكم » ظاهره واضح ، وبحقيقة ان ادرك واستدرك بمعنى كاستجاب وأجـاب . والادراك : اللحقوق ، ويقال : استدركت مافات بتلاقي[1] مثله ويقوم مقامه، فكلامه القصير يشتمل على هذا البيان كله .

و « اصبروا » أي احبسوا أنفسكم ، قال تعالى « واصبر نفسك مـع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » [2] أي اصبروا لاجل العمل في بقية العمر « فانها

---

١) في م : بتلافي مايكون مثله .

٢) سورة الكهف : ٢٨ .

قليل » أي هذه البقية التى تشغلون فيها بالطاعة يقل حقاً في جنب الايام الكثيرة التى كانت ويكون لكم منها الغفلة في الدنيا مدة انكاركم[١]. وقيل ان قوله «في كثير الايام» أي أيام الاخرة التى يصل المؤمن فيها الى الثواب، وذلك بعد الخروج من دار الدنيا . أي ان أيام العمل قليل في جنب أيام الثواب ، قال تعالى [«ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون»[٢] وقال: قليل ولم يؤنثه كقوله][٣] «وحسن أولئك رفيقاً »[٤] فالفعيل هذا ونحوه يكون مصدراً .

وهجم على الشيء : أتاه بغتة يهجم هجوماً .

قوله «فلا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية» فالمداهنة كالمصانعة، والادهان مثلـه . وقال قوم : داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت[٥] ، قال تعالى « ودوا لو تدهن فيدهنون » [٦] .

ويقال : غبن في البيع فهومغبون، وغبنته أنا بالفتح في البيع : أي خدعته وغبن رأيه بالكسر : أي[٧] نقصه ، فهو غبين : أي ضعيف الرأي . وهاهنا روى كلاهما وتحقيق غبن رأيه اي في رأيه ، كما يقال في سفه نفسه : أي في نفسه . فكل ماقيل هناك يجوز أن يقال هاهنا .

---

١) في م : مدة أعماركم .

٢) سورة يس : ٥٥ .

٣) الزيادة من م .

٤) سورة النساء : ٦٩ .

٥) ذكره في « لسان العرب » وفي « م » : اغشيت .

٦) سورة القلم : ٩ .

٧) في م : اذا نقصه .

والمغبوط : من يتمنى مثل حاله لحسنها والغبطة محمودة .

والحسد مذموم لانه تمني [زوال][1] حال الغير « والمنسأة للايمان » أي المدعاة الى نسيان توابع الايمان وفروعه والقيام بأوامره ونواهيه .

و « على شفا منجاة » أي الصادق قريب من النجاة والخلاف . وشفا كل شيء : حرفه ، قال تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »[2] .

وأشفى على الشيء وشرف عليه بمعنى، وأكثر ما يقال ذلك في المكروه ، يقال :أشفى المريض على الموت . فكأن الصادق وان كان على رجاء من اخلاص فانه مخوف .

والشرف : المكان العالي ، وأشرفت عليه أي اطلعت عليه من فوق .

والمهواة : المسقط. والمهانة : الحقارة . وهوى يهوى : سقط الى أسفل والهوة[3] : الحفرة العميقة ، والمهواة : ما بين الجبلين ونحو ذلك ، والهاوية نحوهما .

والبغضاء حالقة : أي مستأصلة ، من حلق رأسه ، فالقوم اذا تباغضوا هلك جميعهم .

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

عباد الله ان من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن

---

١) الزيادة من م .

٢) سورة آل عمران : ١٠٣ .

٣) في م : الوهدة العميقة .

وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه ، وأعد القرى ليومه النازل به ، فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد .

نظر فأبصر ، وذكر فاستكثر ، وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جدداً .

قدخلع سرابيل الشهوات ، وتخلى[1] عن الهموم الاهماً واحداً انفرد بـه ، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى ، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى .

قـد أبصر طريقه وسلك سبيله ، وعرف مناره وقطع غمـاره ، واستمسك من العرى بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها . فهو من اليقين علىمثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الامور من اصدار كل وارد عليه ، وتصيير كل فرع الى أصـله . مصباح ظلمات ، كشاف عشوات ، مفتاح مبهمات ، دفـاع معضلات ، دليل فلوات .

يقول فيفهم ، ويسكت فيسلم ، قد أخلص لله فاستخلصه ، فهو من معادن منه وأوتاد أرضه ، قد ألزم نفسه العدل ، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه.

يصف الحق ويعمل به ، لايدع للخير غاية الا أمها ، ولامظنة الاقصدها ، قد أمكن الكتاب من زمامه فهوقائده وأمامه ، يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله .

وآخر قـد تسمى عالماً وليس بـه ، فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور ، قد حمل الكتاب على آرائه ، وعطف الحق على أهوائه . يؤمن الناس من العظائم ، ويهون كبير الجرائم. يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع.

---

١) في م : من الهموم .

فالصورة صورة انسان ، والقلب قلب حيوان . لايعرف باب الهدى فيتبعه ولاباب العمى فيصد عنه ، وذلك ميت الاحياء .

فأين تذهبون، وأنى تؤفكون ، والاعلام قائمة ، والايات واضحة، والمنار منصوبة . فأين يتاه بكم وكيف تعمهون ، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق وأعلام الدين[1] وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش .

أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله ، أنه يموت من مات منا وليس بميت ، ويبلى من بلى مناوليس ببال ، فلاتقولوا بمالاتعرفون. فان اكثر الحق فيما تنكرون ، وأعذروا من لاحجة لكم عليه ، وهوأنا .

ألـم أعمل فيكم بالثقل الاكبر ، وأترك فيكم الثقل الاصغر ، قد ركزت فيكم راية الايمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافيـة من عدلي ، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الاخلاق من نفسي . فلاتستعملوا الرأي فيما لايدرك قعره البصر ، ولاتتغلغل اليه الفكر .

(ومنها): حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بني أمية ، تمنحهم درها وتوردهم صفوها ، ولايرفع عن هذه الامة سوطها ولاسيفها . وكذب الظان لذلك ، بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة .

(الشرح) :

وصف في هذه الخطبة أولا المؤمن على ماينبغي أن يكون عليه من العلم والعمل والزهادة والورع والسيرة الحميدة . ثم ذكر من يتلبس لباس العلماء

---

١) ليس في م : واعلام الدين .

ولايكون منهم[1] ويتزيابزي الزهاد وليس أيضاً منهم[2] .

ثم زجر الناس عن هذه الطريقة ودعا الى نفسه وأراهم من وجهين أنه يجب عليهم الاقتداء به .

ثم اشار الى ملك[3] بنى امية وفتنة الناس بدولتهم ، فقال في صدرها « ان من أحب عباد الله تعالى اليه عبداً » وكان بخط الرضي « عبـد » فرفعه ظناً منه أن مورد الكلام من أوله ان أحب العباد الى الله عبد .

وقوله « أعانه الله على نفســه » صفة « عبداً » ومعناه كسر الله شهواتـه في القبائح ، على معنى أنه تعالى فعل به لطفاً اختار عنده الطاعة واجتنب المعصية فبتوفيق الله يطيعه العبد وبعصمته تعالى بترك العبد معاصيه قامعاً لشهواته، واللطف الخاص عون للعبد المؤمن على نفسه . « واستشعر الحزن » اي اتخذه شعاراً . « وتجلببه » أي جعله جلباباً وثوباً لنفسه .

« فزهر مصباح الهدى » أي أضاء سراج العلم اليقين في قلبه .

والفرات : الماء العذب . والنهل : الشرب الاول ، وقدنهل وأنهلته ، لان الابل تسقى في أول الورد فترد الى العطن ثم تسقى الثانية وهي العلل فترد الى المرعى .

والجدد : الارض الصلبة ، وفي المثل « مـن سلك الجدد أمن العثار » . وروي « فخرج من صفة العمى » .

وقوله « وقطع غماره » أي شدائده، ويقال : بحر غمار[4]، وغمرات الموت

---

١) في م : ولا يكون بعالم .

٢) ليس في م : أيضاً .

٣) في م : الى قصر ملك .

٤) في م بحر غمر : كثير الماء وبحار غمار .

شدائده، والغمرة : الزحمة من الناس والماء ، والجمع غمار ، ودخلت في غمار الناس يضم ويكسر أي في زحمتهم و كثرتهم .

«وعروة» القيمص هي الاصل، وقوله تعالى «فقد استمسك بالعروة الوثقى»[1] [أي تمسك بالعهد الوثيق][2] قال الشاعر :

ولم أجد عروة الخلائق الا الدين لما اعتبرت والحسبا

والحبل المتين : المحكم .

و « نصب نفسه لله » أي أقامها وأتعبها ، يقال : نصبت الشيء : اذا أقمته ، ومنه نصبت فلاناً : اذا عاديته . ونصب بالكسر أي تعب وأنصبه غيره ، ويجوز أن يكون معنى [من][3] نصب أي أتعبها ، من قولهم « هم ناصب في أرفع الامور» كأنه اشارة الى الشرعيات، فان الفقيه المتقن للاحكام والنصوص يصدر كل مايرد عليه ولا يقيس في الشرع بل يجعل لكل فرع عموم أصله الذي هو بعضه، ومن جملته[4] وشياع لفظ النص الاصلي يتناوله، فأي حاجة الى القياس المنهي عنه شرعاً.

و « العشوات » جمع عشوة ، وهي سواد الليل والامر الملتبس أيضاً ، يقال : أوطأتني عشوة . والغشوات :الاغطية . وقرىء «وعلى ابصارهم غشوة»

---

١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

٢) الزيادة من م .

٣) ليس « من » في م .

٤) في م :ويجوز أن يكون الاصدار في العقليات فانه يحل الشبهات ويكون تصيير كل فرع الى أصله ، وشياع لفظ « النص » يتناوله، فما من حادثة وان هي غير متناهية الا ولها نص عام شائع ينسحب عليها ويدخل تلك الحادثة تحت لفظه العام، فان للعموم صيغة شرعاً عندنا وعند سائر الفقهاء وضعاً وعرفاً وشرعاً ، فأي حاجة الى القياس المنهي عنه شرعاً .

أي غطاء ، والغاشية : القيامة تغشي بأنواعها .

والمبهمات :المغلقات . والمعضلات : الشدائد . ومظنة الشيء : موضعه.

و «نصب أشراكاً » أي رفع ووضع ، والشركة : الحبالة . وروي « وفيها اضطجع » .

وقوله « فأنى تؤفكون » أي تصرفون . والعلم : العلامة والجبل والراية ، والجمع الاعلام .

ويقال « أرض تيهاء » والجمع تيه : اذا كان يتاه فيها ، أي لايهتدى فيها بعلم ، وقوله « فأين يتاه بكم » من تاه في الارض : أي ذهب فيها متحيراً .

وقوله « خذوها عن خاتم النبيين » أي خذوا النصيحة من النبي صلى الله عليه وآله الذى ختم به النبوة ، فانه قال « انه يموت من مات منا وليس بميت» الى آخر الكلام[1] .

وقوله « ألم أعمل فيكم بالثقل الاعظم » يعني القرآن « وأترك » تقديره : وألم أترك فيكم الثقل الاصغر يعنى العترة، وكلا الاستفهامين على سبيل التقرير أي عملت فيما بينكم وفي حقكم بالقرآن وتركت عترتي وسطكم ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض [2] .

---

١) في م : ونبه بقوله « خذوا عن خاتم النبيين » وروي بهذا اللفظ أيضاً على أنه لا نبي بعد محمد « ص » وانه وصيه الذي ركز آية الايمان في أمته . و « الثقل الاصغر » هم الحسن والحسين وأولاد الحسين الى صاحب الزمان ، وقد تركهم علي بين أمة محمد « ص » ليقف كل قرن منهم على حدود الحرام بهم .

٢) هذا الحديث الشريف رواه الفريقان بالاسناد عن النبي صلى الله عليه

وتغلغل الماء في الشجر : اذا تخللها وجرى بينها ، وأغل الرجل بصره : اذا شدد النظر .

ثـم حكى ماجرى على الامة من بنى أمية ، فانهم أخذوا أموال المسلمين لانفسهم حتى ظن الناس «أن الدنيا معقولة » أي محبوسة عليهم تعطيهم درهـا [ولبنهـا] [1] ، وليس الامر كذلك بل هي في قلة اللبث [2] مثل مايمج الانسـان من الشراب من فيه ، يرمي به. ويتطعمونها أي يذوقونها برهة أي قطعة من الزمان ثم يلفظونها جملة : أي يطرحونها ويرمونها بمرة جميعها .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

أما بعد، فان الله لم يقصم جباري دهر قط الابعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر

وآله وذكرنا بعض مآخذه في تعليقتنا على «وصول الاخيار الى أصول الاخبار» للفقيه المولى الشيخ حسين والـد الشيخ البهائي رحمهما الله تعالى ، وعليك بالكتاب ص ٤٧ .

ولابن أبي الحديد كلام رشيق في هذا الموضوع ذكره في شرحه ٢٧٥/٦ وقال : ان العترة أهله الادنون بـل هي علي أميرالمؤمنين وحده وولداه تابعان له . وقول أبي بكر يـوم السقيفة أو بعده « نحن عترة رسول الله وبيضته التي فقئت عنه » مجاز ، لانهم بالنسبة الى الانصار عترة له لا في الحقيقة . الى آخر قـوله .

١) الزيادة من م .

٢) في م : اللبس .

عظم أحد من الامم الا بعد أزل وبلاء ، وفي دون ما استقبلتم من عتب [1] وما استدبرتم من خطب [2] معتبر، وما كل ذي قليب [3] بلبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ذي ناظر ببصير .

فيـا عجيباً ومالي لا أعجب ، من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ، لا يقتصون أثر نبى ، ولا يقتدون بعمل وصي ، ولا يؤمنون بغيب ، ولا يعفون عن عيب ، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ماعرفوا ، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات الى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم. كأن كل امرىء منهم امام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات [4] وأسباب محكمات .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الامم، واعتزام من الفتن ، وانتشار من الامور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها ، واياس من ثمرها، واعوار من مائها . قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الردى، فهى متجهمة لاهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ، ودثارها السيف .

فاعتبروا عباد الله، واذكروا تيك التي آباؤكم واخوانكم بهامرتهنون وعليها

---

١) في م : من خطب .
٢) في م : من خصب .
٣) في م : ذي قلب .
٤) في م : وثيقات .

محاسبون. ولعمري ماتقادمت بكم ولابهم العهود، ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون ، وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد .

والله ماأسمعكم[1] الرسول شيئاً الاوهاأناذا اليوم مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم[2] بالامس، ولاشقت لهم الابصار ، ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الزمان [3] الاوقد أعطيتم مثلها في هذا الزمان . ووالله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولاأصفيتم به وحرموه، ولقدنزلت بكم البلية جائلا خطامها رخواً بطانها ، فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور ، فانما هو ظل ممدود الى أجل معدود [4] .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

الحمدلله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير روية ، الذي لم يزل قائماً دائماً ، اذلاسماء ذات أبراج ، ولا حجب ذات ارتاج ، ولا ليل داج، ولا بحر ساج ، ولا جبل ذو فجاج ، ولا فج ذو اعوجاج ، ولا أرض ذات مهاد ، ولاخلق ذواعتماد. وذلك مبتدع الخلق ووارثه، واله الخلق ورازقه ، والشمس والقمر دائبان في مرضاته ، يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد .

قسم أرزاقهم ، وأحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفسهم [5] وخائنة أعينهم

---

١) في م : ماأسمعهم .

٢) في م : اسماعهم .

٣) في م : الاوان .

٤) في هامش م : محدود .

٥) في م : وعدد أنفاسهم .

وما تخفي صدورهم من الضمير ، ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى أن تتناهى بهم الغايات .

هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته ، قاهر من عازه، ومدمر من شاقه ، ومذل من ناوأه ، وغالب من عاداه . من توكل عليه كفاه ، ومن سأله أعطاه ، ومن أقرضه قضاه ، ومن شكره جزاه .

عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق. واعلموا أنه من لم يغن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر[1] ولا واعظ .

(الشرح)[2] :

ذكر في الخطبة الاولى كيفية معاملة الله مع الاعداء والاولياء ، قال : انه تعالى بفضله لايهلك الجبارين الابعد اعذار وانذار ، ولم يهلك أمثالهم من قبل الا بعد امهال .

و« القصم » بالقاف : أن ينكسر الشيء فيبين .

و« الفصم » بالفاء : أن يتصدع الشيء فلا يبين .

وقط : أي أبداً .

ولم يصلح أحوال جماعة مستضعفين من المؤمنين ولم يجبر عظماً كسيراً منهم الابعد أن يحتملوا المشقة والشدة والبلاء، يقال جبر الله فلاناً فاجتبر وجبر

---

١) ليس في م : « لا » وفيه : زاجر ولا واعظ .

٢) في م : بيانه .

أي سد مفاقره [1] يتعدى ولايتعدى ، والاصل في جبر اصلاح عظم من كسر .

ثم خاطب أصحابه فقال : يمكن أن يعتبر بأقل ما رأيتم من ذهاب العمر والمال والشباب ونحوها ، ومجيىء الشيب والمرض والفقر والبلاء .

وروي «واستدبرتم من خطب» والخطب الامر العظيم سواء كان خيراً أوشراً.

ثم حث على استعمال العقل والتفكر والتأمل، فان السمع والبصر والفؤاد انما ينتفع من استعملها . وأشار بذلك الى أن من خالفه [2] من هؤلاء الفرق لا يستعملون العقول ولا يتبعون أثر نبي [3] .

واقتص اثره : أي اتبعه . و« يعملون في الشبهات » والمتدين يقف عند كل شبهة ولايتابعها [4]، واختلاف حججهم هو التناقض الظاهر في أقيستهم في الشرعيات واستبدادهم بآرائهم، قد أخذ كل امرىء منها بمايرى ـ بضم الياء ـ أي بمايظن.

وروي : بما يرى بفتح الياء من الرأي . وروي « بعرى وثيقات » .

(**وأما الخطبة الثانية**) : ففي ذكر [5] نعم الله التي عمها بمحمد صلى الله عليه وآله على العالمين ، وماخص الله به من الالطاف أهل زمانه « ص » دون أن قصر في حق آبائهم ، فانه تعالى قد فعل بكل مكلف مالا بدله من الاقدار

---

١) في اللسان : والمفاقر : وجوه الفقر لا واحد لها . وقال : أغنى الله مفاقره أي وجوه فقره، ويقال :سد الله مفاقره أي أغناه وسد وجوه فقره. وقال: المفاقر جمع فقر على غير قياس كالمشابه والملامح .

٢) في م : يخالفه .

٣) في م :من الانبياء كعيسى وموسى، وقيل :المراد به محمد صلى الله عليه وآله وان أتى بكلمة نكرة كقول الشاعر : قد علمت والدة ما ضمت .

٤) في م : ولا يتابع شبهة .

٥) في م : ففي تذكير .

والتمكين وأسباب التكليف .

ثم ذكر أهل زمانه والقرون الذين[1] جاؤا بعد القرن الذين كانوا في عهد النبى صلى الله عليه وآله ، انـه عليه السلام في باب المصالح لهـم بمنزلة الرسول «ص» لابائهم، فهذه ثلاثة أحوال فلا ينبغي لمن يطلب النجاة أن يغتر بذلك كاغترار الذين استأثروا .

والفترة : الزمـان الذى بين مضي رسول ومجيء رسول آخـر ، ولا يكون في ذلك الزمان رسول وان كان فيه وصي الرسول[2] حاضراً أو غائباً ، اذ لا يجوز ثبوت التكليف مع ارتفاع العصمة من المخلوقين من غير حجة[3] ناطق أو ساكت .

وطول هجعة : أي غفلة . والهجعة : النومة .

و«اعتزام من الفتن» أي في فتن لازمة ثابتة كان لتلك الفتن صريمة أمر وعزيمة رأي على كونها وثباتها ، ويكون على مذاق قوله تعالى « جداراً يريد أن ينقض فأقامه»[4]، واعتزمت على كذا وعزمت عليه: اذا أردت فعله وقطعت عليه. والاعتزام: لزوم القصد في الشيء .

وروي «واعتراض من الفتن» أي ظهور من الفتن ، يقال : اعترض الشيء أي صار عارضاً، أي ظاهراً. ويقال عرض له أمر كذا: أي ظهر، واعترض الشيء دون الشيء: أي حال دونه، واعترض الفرس في رسنه :لم يستقم لقائده، واعترض فلان لفلان: أي وقع فيه. فعلى هذا يكون المفعول محذوفاً من كلامه عليه السلام،

---

١) في م : الذي .

٢) في م : وصى له .

٣) في م : حجة الله ناطق أو ساكت فيهم .

٤) سورة الكهف : ٧٧ .

تقديره :واعتراض من الفتن للمرادات . ولا يبعد أن يكون اعتزام من العزام .

والتلظي : التوقد . وكاسفة النور : ناقصته ، كلاهما يتعدى ولا يتعدى .

وقوله «على حين اصفرار من ورقها» أي في آخر امرها، فان اليأس والقنوط من ثمر الشجر يحكم اذا اصفرت أوراقها .

وقوله « من أياس » مصدر أيس مقلوب يأس ، وهو فعال . واياس يكون أيضاً اسماً من الاوس ، أي العطاء ، يقال استه [1] .

وعار الماء : نقص عوراً واعور اعوراراً : انتقص جداً .

وأعلام الردى : علامات الهلاك وأماراته .

والمتجهم : الكالح الوجه، يقال جهمت الرجل وتجهمته : اذا كلحت في وجهه . والجهامة أبلغ من العبوس .

وقوله «متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها» يعنى ان الدنيا[2] منكرة لاربابها الذين صاروا عبداً لها ومتغيرة لمن يريدها ويطلبها متكرهة على الكل . وروى و« طعامها الخيفة » [3] .

وقوله « واذكروا تيك التى آباؤكم بها مرتهنون» أي تدبروا الخصلة التى بسببها آباؤكم محبوسون، والرهن في كلام العرب الشيء الثابت اللازم الملزوم الدائم المحبوس ، قال تعالى «كل نفس بما كسبت رهينة» [4] ، فكأن هذه الكلمة لا يقال في الخبر والكسب الصالح .

---

١) الاوس : العطية . أست القوم أؤوسهم أوساً : اذا أعطيتهم ، كذلك اذا عوضتهم من شيء .

٢) في م : متنكرة .

٣) الخيفة أي الخوف .

٤) سورة المدثر : ٣٨ .

ثم قال «لعمري» قسمي ماصارت عهودهم قديمة ولا مضت مدةطويلةبينكم وبينهم ، فما أحرى أن تعتبروا بهم . وقدم الشيء فهو قديم وتقادم مثله .

والاحقاب : المدد والسنون .

وقوله «من يوم كنتم » [على الاضافة وروى « من يوم كنتم »] [1] مبنياً على الفتح لانه مضاف الى مبني كيومئذ .

ثم قال : وكل ما أسمعكم الرسول فأنا أسمعكم مثله بلا زيادة ولا نقصان. وروي « والله ماأسمعهم » وكذا روي «ما أسماعكم» بدون أسماعهم، فالخطاب في الموضعين لهم ليكونوا مع علي عليه السلام كما كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، واذا كان بالهاء فالضمير لابائهم واخوانهم .

وقوله«ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها»أي وقعت المحنة عظيمة، لان الناقة اذا اضطرب زمامها يصعب أمر راكبها، واضطراب زمام الناقة يكون من جنوبها . وقيل « حائلا خطامها » أي مسترسلا ، ويسمى الزمام خطاماً لكونه في مقدم الانف .

« ورخوبطانها» أي واسعاً، وكلتا القرينتين عبارة عن قلة الاضطراب للبلية وعن الثبات ، والبطان القتب : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير .

ثم قال في الخطبة الاخيرة: كان الله تعالى في الاول ولم تكن من الموجودات ذات شيء ، ثم ذكر كثيراً من الموجودات مفصلا .

والقائم والقيوم في صفة الله هو الدائم الذي لايزول ، وهو القائم على كل نفس بعد ذلك أخذ لها به ومجاز .

« والابراج»بروج السماء، وبرج الحصن : ركنه ، وربما سمى الحصن به. وروي أن فوق سبع سماوات سبعة « حجب » دون العرش « ذات ارتاج»

---

١) الزيادة من م .

مغلقة أبوابها ، والارتاج جمع رتج ، وهو الباب العظيم .

والليل الداجي: المظلم. والبحر الساجي: الساكن. وروى « ذلك مبتدع الخلق » .

والدائبان :الليل والنهار ، ودأب فلان في عمله :أي جد وتعب، وأدأبته . وروى « الشمس والقمر دائبان » على المبتدأ والخبر ، ودائبين نصب على الحال أوالظرف، وهماليسا بمكلفين وانما هما مسخران [سريعان][1] بدأبهما ملائكة [مقربون][1] موكلون بهما لرضى الله .

ولما كان الوقت والزمان والليل والنهار كلها عبارة عن جريان الشمس والقمر ودوران الفلك كنى بهما عن الليل والنهار، يعني يبلى كل جديد بمجيء الليل والنهار ، ويصير المشيب بعد الشباب والبلى والجدة عبارة عنهما وعما بعدهما وقبلهما ويقرب الموت والقيامة والجزاء وان ظن كونها بعيداً .

ثم قال : قسم الله أرزاق المكلفين . وروي « وعدد أنفاسهم » « ومستقرهم » في الارحام الى الوقت الموقت لهم « ومستودعهم » في الاصلاب لم يخلقوا بعد. وقيل تقديره :ويعلم[2] مستقرهم، أي مأواهم على ظهر الارض، ومستودعهم أي مدفنهم بعد موتهم ، فعلى هذا يكون قوله « الى أن تتناهى بهم الغايات » اشارة الى مايكون في الاخرة من الثواب والعقاب والجنة والنار وماقبلها من [القبرو][3] الحشر والنشر ، وعلى الاول كناية عن كونهم أحياء في الدنيا وما بعد ذلك .

ثم وصف الله بأن عقوبته شديدة على أعدائه في الاخرة مع سعة رحمته

---

١) الزيادة من م .

٢) في د : وسلم . والظاهر انه اشتباه من سبق القلم .

٣) الزيادة من م .

تعالى عليهم في الدنيا، وأنه رحمته واسعة للاولياء في الدارين مع شدة معاملته اياهم في الدنيا بمشقات التكاليف[1] من المرض والفقر والموت وبعذاب من يجرى عليه العدل دون الفضل .

وتسمية التكاليف[2] التى ليست بعقوبات على الحقيقة بالعقوبات مجاز ، كقوله «لاعذبنه عذاباً شديداً»[3]. ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى انتقام الله من الظالم للمظلوم ، ويقال : انتقم الله منه [أي عاقبه والاسم منه][4] النقمة والجمع نقمات ونقم . وان شئت سكنت القاف ونقلت حركتها الى النون فقلت : نقمة والجمع نقم مثل نعمة ونعم .

و « عازه » أي غالبه . ومدمر : مهلك . ومن شاقه : أي من عاداه، وكذا معنى من ناواه .

(الاصل):

(ومن خطبة له عليه السلام)

(تعرف بخطبة « الاشباح »)

وهي من جلائل الخطب ، وكان سائل سأله عليه السلام أن يصف له الله سبحانه حتى يراه كأنه يراه عياناً ، فغضب لذلك وقال عليه السلام .

---

١) في م : التكليف .

٢) في م : التكليف .

٣) سورة النمل : ٢١ .

٤) الزيادة من م .

[روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة ، وذلك أن رجلا أتاه وقال له : يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حباً وبه معرفة . فغضب عليه السلام ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون ، فحمد الله سبحانه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال][1] :

الحمدلله الذي لايضره المنع [والجمود][2] ، ولايكديه الاعطاء والجود، اذ كل معط منتقص سواه ، وكل مانع مذموم ماخلاه . وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم ، عياله الخلائق ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم ، ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين مالديه ، وليس بما سئل بأجود منه بمالم يسأل .

الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والاخر الذي لم يكن له بعدفيكون شيء بعده، والرادع أناسي الابصار عن أن تناله أوتدركه مااختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال .

ولووهب ماتنفست عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار ، من فلز اللجين والعقيان ، ونثارة الدروحصيد المرجان ، ماأثر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الانعام مالاتنفده مطالب الانام، لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين .

---

١) هذه الزيادة كانت في يد ، الف ، ب ، م . وفي هامش نسختناكتب أنه بخط المصنف . وفي د ذكر ذلك بعد الخطبة في أول الشرح .

٢) الزيادة من يد .

فانظر أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضيء بنور هدايته ، وماكلفك الشيطان علمه مماليس في الكتاب عليك فرضه ، ولافي سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره ، فكل علمه الى الله سبحانه ، فان ذلك منتهى حق الله عليك .

واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب ، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً. فاقتصر على ذلك ولاتقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات[1] الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولهت القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمضت مداخل العقول في حيث لاتبلغه الصفات لتناول علم ذاته ، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه، فرجعت اذ جبهت معترفة بأنه لاينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولاتخطر ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته .

الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ، ولامقدار احتذى عليه ، من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته ، وعجائب مانطقت به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق الى أن يقيمها بمساك قوته ، مادلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، فظهرت[2] البدائع التى أحدثها آثار صنعته واعلام حكمته، فصار كل ماخلق حجة له ودليلا عليه ، وان كان خلقاً صامتاً ، فحجته بالتدبير

---

١) في م ، نا : من خطر الوساوس . وفي ب : من خطرات الوسواس .
٢) في م ، ب ، الف : وظهرت .

ناطقة ودلالته على المبدع قائمة .

فأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك ، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لاند لك ، وكأنه لم يسمع تبرء التابعين[1] من المتبوعين ، اذ يقولون « تالله ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العالمين ». كذب العادلون بك اذ شبهوك بأصنامهم ، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم ، وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم ، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم .

وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك ، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك ، وانك أنت الله الذي لم تتناه في العقول ، فتكون في مهب فكرها مكيفاً ، ولا في رويات خواطرها محدوداً مصرفاً .

(الشرح) :

[روى مسعدة بن صدقة[2] عن الصادق عليه السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة ، وذلك أن رجلا أتاه فقال : يا أمير المؤمنين صف

---

١) في يد : عن .

٢) مسعدة بن صدقة ذكره الشيخ في رجاله ٣١٤ من أصحاب الصادق عليه السلام وقال : العبسي البصري أبو محمد ، وذكره النجاشي ص ٢٩٥ وقال : العبدي يكنى أبا محمد ، قاله ابن فضال ، وقيل يكنى أبا بشر ، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ، له كتب منها كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام . الخ .

لنا ربنا لنزداد له حباً وبـه معرفة . فغضب عليه السلام ونـادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس عليه حتى غص المسجد بأهله ، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون ، فحمد الله وصلى على النبي وآله ثم قال][1] :

« الحمدلله الذى لايضره المنع ولايكديه الاعطـاء » أي كل الحمد واجب ثابت للمعبود الغني على الحقيقة[2] الوهاب الذي لايعجز عن اعطاء مايشاء، لاتنقص[3] خزائنه بالعطاء[4] ولاتبقى موفورة بمنع مافيها، فان ذلك يجوز على المخلوقين ان هم أعطوا غيرهم شيئاً من أموالهم ينقص لامحالة مالهم ، وهو القادر لذاته لايحتاج الى شيء يجود بالموجود ، وهو أن يقدر أن يخلق من كل جنس الى مالا يتناهى ، لايبلغ الكدية [5] معوله . وهذا كناية عن العجز .

وان منع عبداً شيئاً من حطام الدنيـا فلايكون مذموماً ، لان اعطاءه ومنعه بحسب ما تقتضيه المصالح الدينية للعبد، ويذم غيره اذا منع سائلا لانه لايعلم أن للمعطي في عطائه مفسدة وانما يمنع للبخل .

والله تعالى ليس ببخيل اذا سئل أعطى تحنناً ورحمة ، واذا لم يسأل أعطى تفضلا وكرماً .

ويقال « وفرته » اذا تركت ماله موفوراً عليه ولم ترزأه شيئاً ، والموفور: الشيء التام ، والوفر : المال الكثير ، ويقال[5] : توفر وتحمد من قولك وفرتـه

---

١) الزيادة من د .

٢) في م : عن الحقيقة .

٣) في م : لاتتناقص .

٤) في م : العطاء .

٥) الكدية بضم الكاف : الارض الصلبة الغليظة ، والارض المرتفعة .

عرضه وماله ، يضرب هذا المثل للرجل يعطيك الشيء فترده عليه من غير تسخط .

وأكدى الحافر : اذا بلغ الكدية ، وهي الارض الصلبة ، وأكديت الرجل عن الشيء : رددته عنه ، وأكدى الرجل : اذا قل خيره .

وقوله «وأعطى قليلا وأكدى» أي قطع القليل وانتقص، يتعدى ولايتعدى.

و « المنتقص » مفعول به . و « سواه » و « ماخلاه » كلاهما استثناء ، أي الا اياه الذي لم يكن له قبل ولابعد، أي هاتان الكلمتان لاتجريان على الله تعالى وذكر عليه السلام علة ذلك وقبل وبعد أو كونهما موقوفين أحسن من كونهما مبنيين على الضم .

والرادع : الكاف والدافع ، يقال ردعته عن الشيء فارتدع ، أي كففته .

و «الاناسي» جمع انسان العين ، أصله أناسين فأبدلت النون ياء ، كمايقال: تظنيت في تظننت .

فان قيل : هذا يدل على صحة قول الاشعري[1] بأنه تعالى ردع الابصار من أن تراه ، بأن لم يخلق لها الادراك ، وان لم يكن كذلك فما معنى هذه الكلمة؟.

قلنا : قد ثبت أن الادراك ليس بمعنى ، اذلو كان معنى ترى به لجاز أن لوخلق الله في عين الضرير ببغداد ادراك بق الصين فيراه، ولولم يخلق في عين البصير ادراك جبل بين يديه فلايراه ، وفي تجويز هذا خروج عن المعقول . ولا شبهة في أنا لانرى الله الان ، فليس يخلوا ما أن لانراه لانا لسنا على الصفة

---

١) هو أبوالحسن علي بن اسماعيل الاشعري مؤسس المذهب المعروف، المتولد بالبصرة سنة ٢٧٠ والمتوفى سنة ٣٢٤ .

أنظر :دائرة المعارف لوجدي ٥/ ٤٠٠ ، جواهر الادب ٢/٢٠٥، ريحانة الادب ١/١٣٣ .

التى معها يصلح أن نرى ، أو لان بعض الموانع يمنع من رؤيته ، أوليس هو بمرئي في نفسه ، واذابطل القسمان ثبت الثالث فهذا دليل العقل الذي لايأول .

والكلام يكون محكماً ومتشابهاً يحتاج الى أن يحمل تأويله على مايوافق دلالة [1] العقل ، فالله متعال عن أن تناله الحواس أوتدركه الابصار ، لكونه على صفة العظمة التى لها يدرك ولا يدرك ، ولكونه ذاته [2] مخصوصة قديمة بخلاف المحدثات .

وهذا الكلام من علي عليه السلام رد للسائل ، فاستدل عليه بدليل السمع فضلا على ماهو مركوز في العقل ، اذ ينبغي للمستدل أن يخاطب كل أحد على قدر علمه ، فقال : ان الله قال « ولايحيطون علماً » وقال « لاتدركه الابصار » ، فقد ردع من طريق السمع والعقل أن يطالب أحد ذلك .

ثم ذكر أن اختلاف الحال عليه تعالى محال ، لانه واجب الوجود بذاته والانتقال والحلول والصغر والكبر من صفات المحدثات . واذا لم يكن الله تعالى من جنسها لم يجز عليه شيء من ذلك [وماا ختلف ماالنفى وجوابه فتختلف بالنصب] [3] .

ثم قال : ولو وهب وأعطى سبحانه هذه الاشياء النفيسة التى خلقها في معادنها وادخرهافي مظانها لمصالح العبادعلى ماتقتضيه وجوه الحكمة لماتفدسعة ماعنده ولا انتهى مقدوراته . وهذه المعادن قالوا: انها تتكون كذلك من الابخرة الصاعدة من جرم الارض ، فلذلك عبر عليه السلام عنها بالنفس ، وكل ذلك بأمر الله تعالى .

---

١) في م : الادلة العقلية .

٢) في م : ذاتاً .

٣) الزيادة من م .

وانما يخلقه كذلك على مقتضى الحكمة كما خلق الانسان في أحسن تقويم من نطفة ثم علقة ثم مضغة الى أن ينشئه خلقاً سوياً . فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقيل «تنفست» هاهنا مستعار من تنفس الصبح :اذا تبلج، أومجاز من قولهم « تنفس الرجل » اذا صار ذانفس من الانفاس ، وكل ذي رئة متنفس. ودواب الماء لاريات لها ، فكيف تكون للجمادات أنفاس على الحقيقة .

« وضحكت عنه أصداف البحار » استعارة حسنة، وصدف الدرة غشاؤها، الواحدة صدفة .

و « الفلز » اسم الاجناس السبعة التى هي :العقيان وهوالذهب ، واللجين وهو الفضة، والحديد ، والنحاس، والرصاص ، والاسرب ، والزيبق . وقيل: لها ثامن وهو الخارصينى[1] ، وهو الذي تعمل منه أنواع من المرائي والمرجان البسذ [2] وصغار اللؤلؤ .

وغاض الماء: نقص ، وغضته يتعدى ولايتعدى . وصف الله بأنه «لايغيضه السؤال » و« لايبخله الالحاح» أي لاينسبه الى البخل . وألح السائل على فلان بالمسألة : أي أقام بهـا عليه دائماً ، من ألح السحاب : اذا دام مطره ، وألح الجمل حرن[3] .

وروي « ولايبخله » وأبخلته : وجدته بخيلا ، وبخلته أي نسبته الى البخل .

ورسخ في الشيء :اذا ثبت فيه ، و« الراسخون في العلم » هم المبالغون في علم كتبهم الثابتون الذين « لا يقتحمون السدد المضروبة دون الغيوب » .

---

١) لم أعثر عليه في كتب اللغة الموجودة عندي .

٢) المرجان البسذ بضم الباء وتشديد السين المفتوحة وفي آخرها الذال المعجمة : وهو جوهر أحمر ، وقيل : والذي عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ .

٣) حرنت الدابة : وهي التي اذا استدرجريها وقفت. وانما ذلك في ذوات الحوافر فقط .

واقتحام الفرس في الماء : الدخول فيه من غير ارسال .

و« السدد » جمع سدة، وهي باب الدار ، وفي الحديث « الشعث الرؤوس الذين لاتفتح لهم السدد »[1] أي الابواب . والسدد هاهنا كناية عن الخيام ،لانها موصوفة بالمضروبة .

ومعنى جميع مافصله في بيان أحوال الراسخين أنهم اذا ماتعبدهم الله باقامة خمس صلوات لا يتطلبون علة لم لم يأمر بأكثر من ذلك أو أقل ، ولم جعل الظهر على مرتبتين أربعاً في الحضر واثنتين في السفر ، ولم لم يجعلها ستاً ولاثلاثاً. فكذا الكلام في كل فريضة في كل وقت وفيما سواها من العبادات نحو الصيام[2] والزكاة والحج، وكذلك الكلام في الاحكام ونحوها . وانهم يعلمون على الجملة أنه أحكم الحاكمين ، فيقرون بأنه تعالى أمر بها لكونها الطافاً لنا ومصالح في ديننا ، لايتعمقون ولايتقعرون في البحث عمالم يجعله الله من تكاليفهم .

ثم قال :هوالله الواحدالقادر الذي اذا صارت الاوهام والظنون مرتمية لتقع عليه صارت « مردوعة » تعترف قلوبها بأنه يعرف بالدلائل وكنه عظمته لايخطر بالبال ومقدوراته غير متناهية .

« وارتمى » مطاوع رمى ، فقال رميت الشيء من يدي أي ألقيته فارتمى، ويقال ارتمينا أي ترامينا .

وروي « وخطرات الوساوس » والوسوسة : حديث النفس ، وقد خصت بالشر . وخطرها تحريكها ورفعها وأما مصدر خطر الشيء ببالي فهو الخطور لانه فعل لازم ، وأخطره الله ببالي . والخاطر مخصوص في العرف بالخير ،

---

١) أنظر سنن الترمذي ٤/٦٢٩ .

٢) في م : الصوم .

والخطرات جمع خطرة .

وتولهت: أي تحيرت ، و« الوله » ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد .

وكنه الشيء : غايته ونهايته .

والغامض من الكلام : خلاف الواضح ، وقد غمض غموضة ، من قولهم للمطمئن من الارض الغامض وقدغمض ، ومكان غمض أشد غوراً. وروي لتنال علم ذلك .

وردعها :أي كفها، «وهي تجوب» أي تقطع « مهاوي » أي مهالك ومساقط « سدف » أي ظلم « متخلصة » أي مقدرة التخلص اليه .

والاعتساف وهو الاخذ على غير الطريق . و«جبهت» ردت، والجبه الرد، وأصله من جبهته : صككت جبهته وجبهته بالمكروه : اذا استقبلته .

وقوله «واعتراف الحاجة» عطف على عجائب، يقول عليه السلام:انه تعالى أرانا من الحكم العجيبة من أفعاله ما هوناطق بالبرهان على عظمته ، وأرانا من اقرار واعتراف الخلائق وحاجاتهم الى أن يمسكها الله تعالى بقدرته مايدلنا الى معرفته على القطع ، ويكون عند ذلك بمنزلة المضطرين اليها .

والهاء في « يقيمها » للعجائب .

وقوله « بمساك قدرته » [1] من قولهم امسكت الشيء بمعنى اعتصمت به ، والمساك : المكان الذي تمسك الماء. وري «بمساك» بفتح الميم والكسر أفصح. وروي تمسك ، يقال فيه مسكة من الخير أي بقية ، ورجل مسكة وهو الذي لايعلق بشيء [2] يتخلص منه ، والجمع مسك .

ثم شهد أن من شبه الله بالاجسام والصور لايعرفه يقيناً ، وان من جعل له

---

١) كذا في ، د ، م . وفي أصل الخطبة : بمساك قوته .

٢) في م : بالشيء فيتخلص منه .

حلية الاصنام فهو عادل كافر .

و « حقاق المفاصل » تشتمل على حكمة الله ويحتجب تدبيرها .

ومفصل العضو من العضو اذا تأمله متأمل يرى أحدهما كالحقة يدور فيها الاخر مشدوداً هذا بصاحبه بالعصب متلاحماً متصلاً حتى احتذى البناؤن في بنائهم بالذكر والانثى .

وروي «لم يعقد غيب ضميره»[1] أي لم يعقد ذلك الشبه غيب ضميره . واذا رفع غيب ضميره يكون فاعلا .

وروي « ولم يباشر قلبه اليقين » والمعنى واحد .

« وكذب العادلون » أي يجعلون لله عديلا وشريكاً .

ونحلوك : أعطوك . « وجزؤك » : أصله الهمز، وروي جزوك على التخفيف والتليين .

والقريحة : أول مايستنبط من البئر ، ومنه قولهم « لفلان قريحة جيدة » ، والجمع قرايح ، يراد بها استنباط الجميع بجودة الطبع .

و « القوى » : جمع القوة ، وهي في الاصل الطاقة من الحبل ، ورجل شديد القوى : أي شديد أسر الخلق .

وقوله « وانك أنت الله الذي لم تتناه في العقول » وأشهد انك الله الذي لايكيف .

(الاصل) :

(ومنها): قدر ما خلق فأحكم تقديره ، ودبره فألطف تدبيره ، ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ، ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته ، ولم يستصعب

---

١) في م : مايعقد .

اذ أمر بالمضي على ارادته. وكيف، وانما صدرت الأمور عن مشيئته، المنشىء أصناف الاشياء بلاروية فكر آل اليها ، ولاقريحة غريزة أضمر عليها ، ولاتجربة أفادها من حوادث الدهور ، ولاشريك أعانه على ابتداع عجائب الامور .

فتم خلقه [بأمره][1] وأذعن لطاعته ، وأجاب الى دعوته ، لم يعترض دونه ريث المبطىء ولا أناة المتلكىء ، فأقام من الاشياء أودها ، ونهج حدودها [2]، ولاءم بقدرته بين متضادها ، ووصل أسباب قرائنها، وفرقها اجناساً [3] مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات ، بدايا خلائق أحكم صنعها ، وفطرها على ما أراد وابتدعها .

(**منها**) : في صفة السماء :

ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ، ووشج بينها وبين أزواجها، وذلل للهابطين بأمره، والصاعدين بأعمال خلقه ، حزونة معراجها وناداها بعداذهي دخان، فالتحمت عرى أشراجها، وفتق بعدارتتاق صوامت أبوابها وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها ، وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده[4]، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره ، وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها ، وأجراهما في مناقل مجراهما ، وقدرسيرهما في مدارج درجهما ، ليميز بين الليل والنهار بهما ، وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما .

---

١) الزيادة من يد .

٢) في هامش م : جددها .

٣) في م : أجناسها .

٤) النسخ مختلفة ففي م : يائده ورائدة ، في ب : رائدة وبايدة، في نا : رايدة وبايدة ، في ب رايدة وبائدة ، بايدة .

ثم علق في جوها فلكها[٢] ، وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها، ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها ، وأجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ، ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها .

(الشرح) :

وصف الله بأنه قدر ماخلقه من العالم ودبر جميع ذلك ، وسخر الشمس والقمر والنجوم، ووجه جميع ذلك للوجهة التي خلقه لها على مااقتضته الحكمة[٣]، فلم يتجاوز شيء منها حدودما أراد الله على الالجاء . ولم يقصر ـ أي لم يعجز ـ عن أن ينتهي الى غاية مادبره .

وهذه الجملة ان كان المراد بها الجمادات ونحوها كما[٤] ذكرناه فان ما أضاف اليها من ترك التعدي والقصور والتقصير والاستصعاب وكونها مأمورة وكل[٥] ذلك مجاز ، وان أراد بذلك العقلاء وغيرهم فيكون مخصوصاً بما يريده الله على سبيل الالجاء . وكيف يجري[٦] تلك الامور على خلاف ذلك وهو تعالى قادر لذاته، وحسبه اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . وروي : ولم يقصر[٧] .

---

١) في ب ، م ، نا : مسيرهما .

٢) في ب ، الف ، نا وهامش م : فلكا .

٣) في م : ولم .

٤) في م : مما .

٥) في م : فكل .

٦) في م : لايجري .

٧) في م : ولم يقصره .

ثم ذكر أنه تعالى الخالق للاشياء على سبيل الانشاء والابتداء بلا عزيمة ولا تجربة ولا معين ولا مشير « فتم خلق الله » لما أراد خلقه وانقاد لطاعته .

وهذا أيضاً على مذاق ماتقدم آنفاً من اجابة المخلوقات لدعوته ، على معنى أنه على طريق التسخير والالجاء، فأما اذا أراد ايجاد شيء من العدم الى الوجود فقد حصل بلا ريب ولا ابطاء .

والاناة : السكون . والمتلكىء : المتأخر ، وتلكأ في الشيء : تباطأ .

ثم ذكر أنه تعالى لما خلق الحيوانات واحتاجت الى أشياء هيأ الاسباب لها ، وأقام أودها واعوجاجها ، ونهج جددها ، أي في جددها ، يعني طرق لهم في الارض الصلبة ، وهي أوضح لها . وروي « ونهج حدودها » .

ثم وصف ماركب الله في الابدان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، مع أنها متضادة، فجمعها على وفق المصلحة، وكان تعالى قادراً على أن يجعله حياً من غير جمعها فيه ، الا أن اللطف يتعلق بكونها مجموعة له . وجعل أعضاءها موصولة كل قرينة الى مثلها ، ثم فرق تلك القرائن، وهي أجناس مختلفة على ما فصله .

ثم قال « بدايا خلائق » أي هذه بدايا خلائق ، واضاف بدايا الى خلائق، أويكون بدايا بدلا من قوله « أجناساً »و« خلائق » عطف البيان و« بدايا » وزنه فعايل ، وهي الخليقة المبدوء بها ، نحو الخطيئة والخطايا .

وروي : « بدأها خلائق » أي لما خلق الحيوانات فرقها أجناساً مختلفة في حدودها من الملائكة والجن والانس والوحوش والطيور وغير ذلك من الحيوانات ، وجعل هيئاتها وغرائزها وطبائعها [1] وأقدارها مختلفة، فأحكمها كما أراد وابتدأ خلقها أول مرة على ماشاء .

---

١) في م : طباعها .

ثم وصف السماء فقال «ونظم الله رهوات فرجها» أي جعل عوالي أمكنتها ومنخفضاتها متصلة من غير أن يترك فيها خللا .

والرهوة : المكان المرتفع والمنخفض الذي يسيل اليه الماء، وهو من الاضداد. والرهوة كالجوبة في محلة القوم: يسيل فيها ماء المطر وألصق شقوقها بعضها ببعض.

والفرجة للحائط وما اشبهه معروفة، يقال بينهما فرجة أي انفراج، والانفراج الانكشاف بالفرج منها مايجعل عمداً ، والانفراج مايصير كذلك بالاتفاق .

ولاحمت الشيء بالشيء : اذا ألصقته به .

ووشج بينها وبين أشباهها، أي وصل بين تلك الصدوع و« بين ازواجها» أي أشباهها من الصدوع، وشجت العروق والاغصان: أي اشتبكت، والواشجة: الرحم المشتبكة، وقد وشجت بك قرابة فلان، والاسم الوشيج . ووشجه[1] الله توشيجاً . والصحيح أن جميع ذلك اشارة الى كون سبع سماوات طباقاً بعضها فوق بعض منظومة رهوات شقوقها بين كل سماء وسماء شيء متساو بلا تعليق بعضها الى بعض يتشابه صدوع جميعها ، قد سخر الله حزونة درجها وسهلها للملائكة النازلين لتدبير أرضه ولغيرها . وكانت السماوات سماء مرتتقة ففتقها تعالى سبع سماوات، وجعل نجومها رجوماً للشياطين، وجعل الشمس والقمر علامتين لاوقات العبادات وليعلم بهما عدد السنين .

ثم ذكر تفصيل بعض ما أجمله من ذكر النجوم وفلكها، وقوله «عرى اشراجها» أي منفسحها ، وشرج العيبة : عروتها [وعراها] [2] ومجرة السماء تسمى شرجاً، وشرج الوادي منفسحه ، والجمع أشراج .

وقوله « وناداها بعد اذهي دخان » على اضافة « بعد » الى « اذهي دخان »

---

١) في م : وشجها الله .

٢) من م .

بدلا عنه ، و« ناداها » مجاز واستعارة .

وقد ذكرنا في الخطبة الاولى كيفية ابتداء خلق السماء، وهذا الفتق والرتق هاهنا مقتبس ذكرهما من القرآن .

و« الشهب » جمع شهاب ، وهو النجم ، وأصله النار .

و« الثواقب » جمع الثاقبة ، وهي المضيئة ، ويكون جمع ثاقب .

و« على نقابها » أي طرقها ، جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل .

ومار يمور : اضطرب وتحرك وجاء وذهب .

و« بأيده » أي بقوته ، ويتعلق الباء «بأمسكها» . وروي « بايدة » أي هالكة وروي « رائدة » من راد يرود : اذا جاء وذهب .

وقوله « وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها » أي علامة واضحة مضيئة ، قال تعالى « وجعلنا آية النهار مبصرة» [1] وقال « والنهار مبصراً» [2] أي يبصر فيه ، كما يقال : ليل نائم أي ينام فيه .

وقوله «وقمرها آية ممحوة من ليلها» أي وجعل قمرها آية محي بعض نورها.

وقوله « من ليلها » أي من آيات ليلها ، وهذه الايات هي النجوم، وروي ثم علق في جوها فلكاً .

« وناط بها » أي علق ، قال الكلبي : الفلك استدارة السماء ، قال الليث: جاء في الحديث « ان الفلك دوران [3] السماء » وهو اسم للدوران خاصة . وأما المنجمون فانهم يقولون سبعة أطواق دور السماء ، وقد ركبت فيها النجوم

---

١) سورة الاسراء : ١٢ .

٢) سورة يونس : ٦٧ ، سورة النمل : ٨٦ ، سورة غافر : ٦١ .

٣) في م : دون .

السبعة في كل طوق منها نجم [و] [1] بعضها ارفع من بعض يدور فيها باذن الله تعالى .

و« الدراري » جمع دري من النجوم .

و« رمى مسترقي السمع » كان الشياطين قبل مبعث محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يصعدون السماء ويسمعون كلام الملائكة على السرقة ويوحون الى أوليائهم من الكفار ، ويقال أمور الله « جارية على اذلالها » أي مجاريها وطرقها . واطو الثوب على ذلة : أي على عزة [2] .

(الاصل) :

(ومنها) في صفة الملائكة :

ثم خلق سبحانه لاسكان سماواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، وملأ بهم فروج فجاجها، وحشى بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ، ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها .

وأنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات، أولي أجنحة تسبح جلال عزته ، لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . جعلهم الله فيما هنالك أهل الامانة على وحيه، وحملهم الى المرسلين ودائع أمره ونهيه،

---

١) الزيادة من د .

٢) كذا في م ، د . وفي هامش الف :ويقال :طويت الثوب على ذلة وعلي عـزة .

وعصمهم من ريب الشبهات ، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته .

وأمدهم بفوائد المعونة ، واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة ، وفتح لهم أبواباً ذللا الى تماجيده ، ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده ، لم تثقلهم موصرات الاثآم، ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام، ولم‌ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم، ولم تعترك الظنون على‌معاقد يقينهم، ولاقدحت قادحة الاحن فيما بينهم ، ولا سلبتهم الحيرة مالاق من‌معرفته بضمائرهم ، وما سكن من عظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم ، ولم تطمع فيهم الوساوس فتفترع برينها على فكرهم .

منهم من هو في خلق الغمام الدلح ، وفي عظم الجبال الشمخ ، وفي قترة الظلام الايهم .

ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الارض السفلى ، فهي كرايات بيض‌قد نفذت في‌مخارق الهواء وتحتها ريح‌هفافة تحبسها على حيث انتهت من‌الحدود المتناهية، قداستفزعتهم اشغال‌عبادته، ووصلت حقائق‌الايمان بينهم وبين‌معرفته، وقطعهم الايقان به الى‌الوله اليه، ولم تجاوز رغباتهم ماعنده الى ماعند غيره .

قد ذاقوا حلاوة معرفته ، وشربوا بالكأس الروية من محبته ، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته ، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ، ولم‌ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ، ولم‌يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤبهم، ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم، ولم تجف لطول المناجاة اسلات ألسنتهم، ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار [1] اليه أصواتهم، ولم تختلف في

---

١) النسخ الموجودة مختلفة متناً وحاشية هكذا :الخبر ، الجار ، الجور، الجار ، الحنين .

مقاوم [1] الطاعة مناكبهم ، ولـم يثنوا الى راحة التقصير في أمره رقابهم ، ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات، ولاتنتضل في هممهم خدائع الشهوات. قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمموه عندانقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم ، لا يقطعون أمد غاية عبادته ، ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ، ومخافته لم تنقطع أسباب الشفقة منهم ، فينوا في جدهم ولم تأسرهم الا طماع ، فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم. لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم ، ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ، ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم .

ولم يفرقهم سوء التقاطع، ولاتولاهم غل التحاسد، ولاتشعبتهم [2] مصارف الريب ، ولا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء ايمان [3] لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور ، وليس في اطباق السماء موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد أوساع حافد، يزدادون على طول الطاعة بربهم علماً، وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظماً .

(الشرح) :

ذكر عليه السلام أن الله خاق السماوات [4] وأسكنها ملائكة قد أبدع خلقتهم، وعمرت بهم كما تكون عمارة مساجد الارض بالمصلين، وامتلأت بهم مواضعها

---

١) في الف ، هامش م : في مقادم .

٢) في نا ، الف ، ب : ولا شعبتهم .

٣) في م : الايمان .

٤) في م : ثم أسكنها .

وأمكنتها ، وتقديرات الامكنة مابينها لكثرتهم، لايسمع فيها الاتسابيحهم ورائها حجب النور التى ذكرها قبل‌هذا ينعكس‌شعاع‌البصر عنها لشدة ضياعها، وهو على‌صور مختلفة يتبرئون ممايدعي أهل‌الارض [من‌الكفار][1] لهم، معصومون مؤتمنون للرسالة متواضعون، لايعتريهم[2] شك في ايمانهم ، لا يتحاقدون[3] عظام الابدان والايقان ، ينحني ظهورهم لخوف عقاب الله ، لا يستكثرون طاعاتهم [ولا يفترون عنهـا][4] ولا يستريحون . انقطعوا الى الله ، ولا يستحوذ عليهم الشيطان، ولا يوجد في‌بسيط السماوات أقل‌موضع الاوفيه ملك مشتغل بطاعة .

وفي حديث المعراج أن النبى صلى الله عليه وآله قال : رأيت في سماء[5] الدنيا ملكاً على‌صورة ديك‌أبيض وشعرعنقه أخضر، قدماه‌تحت الارض السابعة ورأسه تحت‌العرش وجناحاه الى‌المشرق والمغرب ، يسبح الله ويقول «سبحان الملك القدوس الكبير المتعال، لااله الا الله الحي القيوم» . فخرجت من هناك فرأيت‌ملكاً نصفه من‌الثلج ونصفه من‌النار، لاالنار تذيب‌الثلج‌ولا‌الثلج يطفىء النار،يسبح الله ويقول بأعلى‌صوته « اللهم أنت المؤلف بين الثلج والنارألف بين قلوب عبادك المؤمنين » . فسألت جبرئيل من هو؟ فقال : هو ملك اسمه حبيب، موكل‌بأكناف السماء وأطراف الارض، ينصح أهل‌الارض[6]. فخرجت

---

١) الزيادة من م .

٢) في ص سقط من «واعلموا» الواقع في‌القسم الثاني من الخطبة المسماة بالغراء الى هنا . فراجعه فيما مضى .

٣) في م : لايتحاورون .

٤) الزيادة من م .

٥) في م : في السماء .

٦) راجع البحار ٣٢٣/١٨ ، ٣٢٧ .

من هناك فرأيت ملكاً حزيناً على سرير ، فدخل قلبى منه خيفة ، فسألت جبريل عنه فقال : هو ملك الموت . فقلت : كفى بالموت طامة . فقال مابعد الموت أعظم وأطم، وفي يده لوح، فحياني فسألته عن ذلك اللوح ، فقال : فيه آجال الخلائق الذين أريد أقبض أرواحهم. فقلت له: كيف تقبض أرواح أهل الارض وأنت قاعد هاهنا؟ فقال: ان الدنيا كلها عندي بمنزلة مائدة موضوعة عند أحدكم يأخذ منها كما يشاء بيده ، فاذا دنا أجل عبد أنظر اليه وأنظر الى أعواني من الملائكة فيعلمون بذلك مرادي ، فيعالجون نشط عروقه وأعضائه ، ثم أقبض أنا روحه [1] .

فخرجت من عنده فرأيت ملكاً عابس الوجه شديد البطش ظاهر الغضب فقال جبرئيل : هو خازن النار . فحياني فأراني النار وأهوالها [2]. ثم رأيت ملكاً له ألف ألف رأس، على كل رأس ألف ألف وجه، على كل وجه ألف ألف فم، في كل فم ألف ألف لسان يسبح الله بكل لسان بألف ألف لغة، وهو قد [3] سأل الله يوماً: هل في عبادك من له مثل عبادتي؟ فقال الله سبحانه :ان لي في الارض عبداً أعظم منك ثواباً وأكثر منك تسبيحاً . فاستأذن الله في زيارته ، فأتاه وكان عنده ثلاثة أيام فما وجده [يزيد] على فرائضه شيئاً، وكان يعقب بعد كل فرض يقول «سبحان الله كلما سبح الله شيء وكما يحب الله أن يسبح وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، والحمد لله كما حمد الله شيء وكما يحب الله أن يحمد وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، ولا اله الا الله كلما هلل الله شيء

---

١) أنظر البحار ٣٢٢/١٨ ، تفسير القمي ١٦٨/٢، تفسير البرهان ٨٢٤/٢ في سورة السجدة .

٢) أنظر البحار ٣٣٥/١٨ ، ٣٤١ .

٣) في م : وهو يسأل الله .

وكما يحب الله أن يهلل وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، والله اكبر كلما كبر الله شيء وكمايحب الله أن يكبر وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله » .

وخرجت الى السماء الثانية ثم الثالثة الى السابعة ، وكان ملائكة كل سماء يحيونني ، فرأيت في السماء [1] السابعة ابراهيم الخليل قاعداً [على كرسي] [2] على باب الجنة مستنداً الى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون اليه الى يوم القيامة ، فخرجت من هنالك حتى بلغت سدرة المنتهى، فرأيت شجرة كل ورقة لها يظل على الدنيا واهلها [3] وعليها ثمار كالنبق. وهذه الشجرة الى حد السماء السابعة من جانب الجنة وأغصانها تحت الكرسي، وعلى هذه الشجرة الملائكة لا يحصي عددها الا الله تعالى على صورة الجراد من الذهب ، وحواليها [4] كثير من الملائكة . وكان مقام جبرئيل تحت هذه الشجرة، فقال جبرئل: يا محمد ارتفع أنت فليس لي الاذن الى اكثر من هاهنا، وذلك قوله تعالى « ومامنا الا له مقام معلوم » [5] .

فخرجت حتى وصلت الى حجاب من حجب العزة، ثم الى حجاب آخر،

---

١) ليس : « السماء » في م .

٢) الزيادة من م .

٣) في م : أهليها .

٤) حواليها بفتح اللام وسكون الياء على وزان التثنية ، وحوليه وحواليه أي جوانبه. وللسيد الميرداماد كلام مفيد قاله في « الرواشح السماوية » فراجع هناك .

٥) سورة الصافات : ١٦٤ .

فقطعت[1] سبعين حجاباً وأنا على البراق، وبين كل حجاب وحجاب مسير خمسمائة سنة ، ثم أرسل رفرف منور أخضر يغلب على نور الشمس نوره ، ووضعوني عليه وأوصلوني الى العرش، فلما رأيت العرش صغر في عيني كل مارأيته لعظم العرش .

ورأيت في عليين بحاراً وأنواراً وحجباً وغيرها ، لولاتلك لاحترق كل من تحت العرش من نورالعرش . ورأيت في تلك البحار ملائكة صفوفاً صفوفاً ، وهم الروحانيون . ورأيت صفاً فوق جميع الصفوف في البحر الاعلى المحيط بالعرش ، فهم الكروبيون من أشراف الملائكة وعظمائهم ، لاينظر اليهم ملك لهيبتهم وجلالهم .

ثم دخلت الجنة فرأيت مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر ببال، فرأيت خازنها رضوان وسدنتها .

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله دعا فقال « اسألك بجاه محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من ملائكته بعد أن لم يقدروا على تحريكه » .

ثم قال علي عليه السلام : ان السماوات والارض ومابينهما من المخلوقين في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه، ملك منهم على صورة الادميين وهي اكرم الصور على الله ، وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لبنى آدم . والملك الثاني في صورة الثور ، وهو سيد البهائم ، وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الرزق[2] للبهائم. والملك الثالث في صورة النسر

---

١) في م : حتى قطعت .

٢) في تفسير القمي : لجميع البهائم .

وهوسيدالطيور[1] ، وهويدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الرزق للطيور[2]. والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع [3] ، وهـو يدعو الله ويتضرع اليـه ويطلب الرزق لجميع السباع[4] .

وقيل : ان الكرسي هو العرش ، وقال تعالى في سورة السجدة « في يـوم كان مقداره ألف سنة » [5] هو لما بين السماء الدنيا والارض والصعود خمسمائة سنة وفي النزول [خمسمائة سنة][6] مثلها .

والمرادأن الادميين[7] لواحتاجواالى قطع هذا المقدارالذي يقطعه الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة .

وأما قوله « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »[8] فمعناه أن أول نزول الملائكة الى الدنيابأمره ونهيه وقضائه بين الخلائق الى آخر عروجهم الى السماء ـ وهوالقيامة ـ هذه المدة ، فيكون مقدارالدنيا خمسين الف سنة لايدرى كم مضى وكم بقي . هذا مما يعلمه الله .

وقيل : تعرج الملائكة الى عرشه في يـوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة ، وذلك من أسفل الارضين الى فوق السماوات السبع .

---

١) في تفسير القمي : سيد الطير .

٢) في تفسير القمي : لجميع الطير .

٣) في تفسير القمي : وهو يرغب الى الله ويطلب الشفاعة والرزق .

٤) تفسير القمي ١/٨٥ .

٥) سورة السجدة : ٥ .

٦) ما بين المعقوفين ليس في م .

٧) في هامش م : لااحتاجوا .

٨) سورة المعارج : ٤ .

وأما الفاظه :

فان « الصفيح الاعلى » كناية عن السماء وما فوقها ، ويقال لوجه كل شيء عريض صفيح وصفيحة .

و « الاجواء » جمع جو . وروي « أجوابها » أي غيطانها .

والفجوات : المتسعات ، والفجوة : الفرجة والمتسع بين الشيئين .

والرجيج : الصوت العالي ، مستعار من رجه يرجه : اذاحركه وزلزله .

« والسبجات » بالجيم : القمصان[1] . والسباحة : العوم . والسبحة المجيء[2] والذهاب، وسبح الفرس جريه، وقولهم «سبحات وجه ربنا» بضم الباء والسين أي جلالته .

وتستك : أي تصم ، يقال « استكت مسامعه » أي ضاقت وصمت .

وخاسئة : أي صاغرة قمئة[3] حال من الابصار ، قال الله تعالى « ينقلب اليك البصر خاسئاً »[4] أي مبعداً . وخاسئة من خسأبصره خسأ وخسوأ : اذا سدر .

وروي « تسبح جلال عزته » وتقديره تسبح جلال بحار عزته، وروي على هذا الوجه أيضاً ، وقد ذكرنا تفسير تسبح . وروي « تسبح خلال عزته ».

والزائغ : المائل .

والاخبات : التواضع ، ووصفت الابواب بالذلل تشبيهاً بالدابة الذلول .

---

١) القمصان جمع القميص . وفي اللسان : السبجة بضم السين وسكون الباء والسبيجة : درع عرض بدنه عظمة الدراع وله كم صغير نحو الشبر تلبسه ربات البيوت . وقيل : هي بردة من صوف فيها سواد وبياض .

٢) في م : الجيئة والذهاب .

٣) رجل قميىء فعيل : صاغر ذليل .

٤) سورة الملك : ٤ .

والموصرات : المثقلات .

وارتحلت البعير : ركبته . والعقبة : النوبة . ومعنى « ولم ترتحلهم عقب الليالي» أي لم يؤثرفيهم نومات الليالي، أي لم يؤثرفيهم نومات الليالي والايام وكرورها .

« ولم ترم الشكوك بنوازعها » أي بشهواتها ، وبنوازغها بالغين المعجمة بأفساداتها .

و « عزيمة ايمانهم » مفعول لم ترم الذي يتعدى اليه بنفسه ، والباء تدخل بالمفعول الذي يكون مرمياً لافي المرمي اليه، أي لايدخل شك ايمانهم المعزوم عليه ولا ترمى الشكوك ايمانهم الذي معه اليقين بفساد ولاأثر شهوة بوجه قبيح.

و « لم تعترك » أي لم يزدحم الظنون على يقينهم الذي عقدوه وأحكموه. والعرك : الدلك ، ومنه المعترك لموضع الحرب .

و « المعـاقد » جمع معقد ، وهو الموضع الذي عقد فيـه على اليقين و« لاقدحت فادحة الاحن فيما بينهم » استعارة ، أي ولم تخرج نار العداوة زند الحقد بين هؤلاء الملائكة . والمقدحة : ما تقدح به النار ، ويجوز أن يكون « لاقدحت » أي لاطعنت فيما بينهم ، وكلاهما يرجع الى معنى الاحن جمع احنة وهي الحقد .

و «مالاق بضمائرهم» أي مالصق بقلوبهم وسكن جلالته في أثناء صدورهم أي في أوساطها .

و «لم تطمع فيهم الوساوس» أي أولوالوساوس، وهم الشياطين ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ، أوسموا الشياطين بالوساوس مبالغة .

«فتقترع برينها » أي تتقارع بسهامها ، بأن تتناوب كل واحدمنهم للاغواء على وجه آخر كما يفعل بأكثربني آدم .

وبالرين : أي الطبع والدنس والغلبة ، وكل ماغلب على الانسان فقدران عليه . ورين الرجل : اذا وقع فيما لايستطيع الخروج منه . وران النعاس : غلب . ورانت الحمى عليه ورانت نفسه : خبثت وغثت .

وروى « فتفترع برينها » أي تعلوهم بشكها الذي توسوس به ، تقول فرعت رأسه وافترعته أي علوته ، وبالقاف أيضاً . وافترعت فرسي باللجام : أي فرعته [وكففته][1] وافترعت البكر اقتضتها . ومفعول تفترع محذوف ، أي تفترعهم . وعلى فكرهم يتعلق برينها والنون سماع .

والغمام الذلح : الثقال ، يقال « جاء يدلح بحمله » أي غلبه ثقله .

وعظم الجبال : اكبرها ومعظمها ، والمعظم الاسم والعظم المصدر ، وهو الكبر . ووصفها « بالشمخ » والجبال الشوامخ هي الشواهق العالية ، وقدشمخ الجبل فهو شامخ ، وشمخ بأنفه : أي تكبر ، والانوف الشمخ منه .

وقوله «وفي قترة الظلام الايهم» ومن الملائكة من يكون في عظم شخصه من لايشبه بشيء من هذه الموجودات ولايهتدى فيه الى حقيقة أعضائه وأجنحته لكثرتها وكبرها، من قولهم « فلاة يهماء لايهتدى بطرقها »، وبلدأيهم : اذا لم يكن له علم .

والقتر: الجانب الناحية ، لغة في القطر ، وكان القطرة معه كالتمر والتمرة. والقترة : ناموس الصائد أيضاً . وروي « في قترة الظلام » والقترة : الغبار ، قال تعالى « ترهقهاقترة »[2] ، وانما شبه جسم هذا النوع من الملائكة بغبار تحت ظلام أيهم لكونهم روحانيين لطافاً مهولين .

والايهمان عند أهل البادية : السيل والجمل الهائج الصؤل، يتعوذ منهما .

---

١) الزيادة من م .

٢) سورة العبس : ٤١ .

وعند أهل الامصار : السيل والحريق ، قال أبو عبيد : وانما سمي « أيهم » لانه مما لايستطاع دفعه ولا ينطق فيكلم أو يستغيث .

و « تخوم الارض » بالفتح : حد الارض ، وهي مؤنثة ، وكذلك التخم ، وجمعه تخوم بضم التاء .

وقوله « وتحتها ريح هفافة » أي ساكنة المر ، والواو للحال .

و « استفرغتهم » أي طلبت اليهم أن يفرغوا في العبادة .

« ووسلت » من الوسيلة : أي قربت .

و «الوله» اصله ذهاب العقل والتحيرفي الوجد ، ووله اليه تحير في الفزع اليـه .

وسواد القلب : حبته ، وكذلك سوداؤه وسويداؤه .

والوشيجة : عرق الشجرة في الاصل ، وهاهنا استعارة لمبالغة الخوف .

و « حنوا » أي عوجكوا. والربق : الحبل ، وهاهنا كناية .

و « الدؤوب » و « الدأب » : الجد والتعب .

وروي « ولم تغض رغباتهم فيخالفوا » [1] .

وأسلة اللسان : طرفه ومستدقه .

والهمس : الصوت الخفي .

وقوله « ولاملكتهم الاشغال فتقطع بهمس الخبر [2] اليه أصواتهم » أي مالهم اشغال فيقطعهم عن نقل الاخبار والاحوال الى ماعندحجب العزة . وروي « ولا ملكهم الاعجاب فينقطع بهمس الحنين اليه أصواتهم » .

والمقاوم جمع مقام ، وروي في مقادم « ولاتعدوعلى عزيمة جدهم » أي

---

١) في م : فجالفوا .

٢) ذكر اختلاف النسخ في أصل الخطبة فراجع .

لايغلب ، يقال عدا عليه واعتدى بمعنى .

وقوله « ولاتنتضل في هممهم خدائع الشهوات » أي لاتتنازع ولايتناضل ولايترامى[1]، من النضال وهو المراماة. وروي « قد تخذوا ذا العرش لهم ذخيرة».

والاستهتار: الحرص، يقال « فلان مستهتر بالشراب» أي مولع به ولايبالي ماقيل فيه .

وقوله « لم تنقطع أسباب الشفقة منهم » أي الخوف « فينوا » أي يضعفوا « في جدهم ولم تأسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم » أي يطيعون الله تطلباً لرضاه لاطلباً للاجر ، فيبالغوا في اكثار الطاعة ويسعوا سعياً وشيكاً ليكثر أجرهم بكثرة طاعتهم . ويجوز أن يكون المراد أنهم لم يأسرهم الاطماع الفاسدة الدنياوية فيشتغلوا بتحصيلها ويؤثروا وشيك[2] السعي على الاجتهاد طلباً للفراغ لتحصيل تلك الاطماع . وروي في اجتهادهم .

والاستحواذ : الغلبة ، وروي « ولاتولاهم على التحاسد » أي لاتولاهم الشيطان أو التقاطع .

وأما قوله « ولاتشعبتهم مصارف الريب» فالاظهر أن تقديره ولاتشعبت بهم فنزع الخافض ، وتؤكده الرواية الاخرى « ولاشعبتهم » أي فرقتهم .

والمصرف : الموضع الذي يتردد فيه ويتصرف عليه .

والريب : التهم .

« ولا اقتسمتهم أخياف الهمم » أي ليست الملائكة على ماوصف الله بنى آدم في قوله «وان سعيكم لشتى»[3] و« اخياف الهمم» اضافة الصفة الى الموصوف

---

١) في م : ولا تتواني .

٢) في م : وشك .

٣) سورة الليل : ٤ .

للتفخيم ، أي ما أخذتهم الهمم . والاخياف : أي المختلفة ، من قولهم « قوم أخياف » أي مختلفون . وهذا تأكيد للقرينة الاولى . وروي أخياف الهم .

والاهاب : قطعة جلد . والحافد : المسرع .

(الاصل) :

منها في صفة الارض ودحوها على الماء :

كبس الارض على مور أمواج مستفحلة، ولجج بحار زاخرة ، تلتطم أواذي أمواجها، وتصطفق متقاذفات أثباجها، وترغو زبداً كالفحول عند هياجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها، وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها، وذل مستخذياً اذ تمعكت عليه بكواهلها، فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً وفي حكمه الذل منقاداً أسيراً . وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره ، وردت من نخوة بأوه واعتلائه ، وشموخ أنفه وسمو غلوائه ، وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ، ولبد بعد زيفان وثباته .

فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها ، وحمل شواهق الجبال الشمخ البذخ على اكتافها ، فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها ، وفرقها في سهوب بيدها وأخاديدها، وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها ، وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها ، فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع[3] أديمها ، وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها ، وركوبها أعناق سهول الارضين

---

١) في يد : الصم بالصاد . وفي النسخ الباقية : بالشين .

٢) في يد : لرسوب .

٣) في م : في قواطع .

وجرائيمها ، وفسح بين الجو وبينها ، وأعدالهواء متنسماً لساكنها [1] ، وأخرج اليها أهلها على تمام مرافقها .

ثم لم يدع جرز الارض التى تقصرمياه العيون عن روابيها ، ولاتجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها ، حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيى مواتها وتستخرج نباتها . ألف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه ، حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه ، والتمع برقه في كففه ، ولم ينم وميضه فى كنهور ربابه ومتراكم سحابه . أرسله سحاً متداركاً ، قد أسف هيدبه ، تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه .

فلما ألقت السحاب برك بوانيها، وبعاع ماستقلت به من العبء المحمول عليها ، أخرج به من هوامد الارض النبات ، ومن زعر الجبال الاعشاب ، فهي تبهج بزينة رياضها ، وتزدهي بما ألبسته من ريط أزاهيرها ، وحلية ماسمطت به من ناضر [2] أنوارها . وجعل ذلك بلاغاً للانام، ورزقاً للانعام ، وخرق الفجاج في آفاقها ، وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها .

فلما مهد أرضه وأنفذ أمره اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه وجعله أول جبلته ، وأسكنه جنته وأرغدفيها أكله ، وأوعزاليه فيما نهاه عنه ، وأعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته ، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه ، فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله ، وليقيم الحجة به على عباده .

ولم يخلهم بعد أن قبضه ممايؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته ، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحملي ودائع

---

١) في م : لسكانها .

٢) في م : من نواضر .

رسالاته قرناً فقرناً ، حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآلـه حجته ، وبلغ المقطع عذره ونذره .

وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ، ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبر بذلك الشكروالصبر من غنيها وفقيرها . ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها ، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها غصص أتراحها .

وخلق الآجال فأطالها وقصرها وقدمها وأخرها ، ووصل بالموت أسبابها ، وجعله خالجاً لاشطانها وقاطعاً لمرائر أقرانها .

عالم السرمن ضمائرالمضمرين ونجوى المتخافتين، وخواطر رجم الظنون وعقـد عزيمات اليقين ، ومسارق أيماض الجفون ، وماضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب ، ومـا أصغت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصائف الـذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات ، وهمس الاقدام ومنفسح الثمرة مـن ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غير ان الجبـال وأوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار وألحيتهـا ، ومغرز الاوراق من الافنان ، ومحط الامشاج مـن مسارب الاصلاب ، وناشئة الغيـوم ومتلاحمها ، ودرور قطـر السحاب في متراكمها ، وما تسفي الاعاصير بذيولها ، وتعفو الامطـار بسيولهـا . وعوم بنات الارض في كثبان الرمـال ، ومستقر ذوات الاجنحة بذرا شناخيب الجبال ، وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار ، وما أوعته[1] الاصداف وحضنت عليه أمواج البحار ، وماغشيته سدفة ليل أوذر عليه شارق نهار ، ومـا اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور ، وأثر كل خطوة ، وحس كل حركـة ، ورجع كل كلمة ، وتحريك كل شفة ، ومستقر كل نسمـة ،

١) في يد : أوعبته .

ومثال كل ذرة ، وهماهم كل نفس هامة ، وماعليها من ثمر شجرة أوساقط ورقة أوقرارة نطفة، أونقاعة دم ومضغة ، أوناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ، ولااعتورته في تنفيذ الامور ، وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة، بل نفذهم علمه، وأحصاهم عدده ، ووسعهم عدله ، وغمرهم فضله ، مع تقصيرهم عن كنه ماهو أهله .

اللهم انت الوصف الجميل والتعداد الكثير ، ان تؤمل فخيرمأمول ، وان ترج فخير مرجو [١] .

اللهم وقدبسطت لي فيما لاأمدح به غيرك ، ولاأثني به على أحد سواك ، ولا أوجهه الى معادن الخيبة ومـواضع الريبة ، وعدلت بلساني عن مدائـح الادميين والثناء على المربوبين المخلوقين .

اللهم ولكل مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء ، أوعارفة من عطاء ، وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة .

اللهم وهـذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هـولك ، ولم يرمستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك، وبي فاقة اليك لايجبر مسكنتها الانضلك ، ولا ينعش من خلتها الامنك وجودك. فهب لنا فيهذا المقام رضاك ، وأغننا عن مدالايدي الى سواك ، انك على ماتشاء قدير .

(بيـانه) :

قد ذكرنا في الخطبة الاولى فيصدر الكتاب بدأ خلق الله الارض وكيفية حوالها,أوذكر آدم عليه السلام ، وهنا ذكر أمير المؤمنين عليه السـلام وصف تدبيره للارض ومن عليها ، فقال :

---

١) في م ، نا : فأكرم .

كبس الله الارض على الماء وأوقعها عليه، وكان ذلك الماء شديد الموج فسكن بثقل الارض، وكانت تضطرب فأذهب الحركات من الارض بهذه الجبال، وفجر العيون من تحتها ليسيح ماؤها على سهل الارض، وأنشأ السحاب وأرسل منها الامطار لروابى الارض، فنبت بالماء بين الاشجار والنبات وعاش الحيوانات بذلك ، وجعل على الجبال الطرق ليسهل على الخلائق التصرف في الارض الواسعة ، جعل الهواء فوقها تنفساً لسكانها .

وجعل آدم عليه السلام خليفة فيها بعد أن كان في الجنة في تكليف غير شاق، فلما ترك الاولى بتناول الشجرة تغير المصلحة واشتد عليه التكليف، وأهبطه الله الى بسيط هذه الارض ، فعاش ماعاش صلوات الله عليه، ثم نقله الى جواره وعمر الارض بنسله ، وكان بين المكلفين من بنى آدم أبداً حجة بعد حجة الى عهد محمد صلى الله عليه وآله .

وقد ذكر في الخطبة الاولى أنه عليه السلام خلف أيضاً الاوصياء في أمته ، وذكرها هنا بعد ذلك حسن تقدير الله من الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر على ما تقتضيه الحكمة الالهية ، وانه تعالى عالم السر وغيره . وفصل من ذكر دقائق معلوماته مالا مزيد عليه في كونه لطفاً وتنبيهاً ، وانه تعالى فعل جميع ذلك من غير كلفة فضلا وكرماً ورحمة على خلقه ، ثم ختم الكلام بدعاء لم يسمع مثله . هذا خلاصة المعنى .

وأما الفاظه ومشكلاتها :

فان قوله « كبس الارض » أي أوقع، مشتق من الكابوس ، وهو مايقع على الانسان بالليل ، وهو مقدمة الصرع . وكبست النهر كبساً : طممتها بالتراب ، واسم ذلك الماء[1] « كبس » بالكسر .

---

١) في م : التراب .

والمور : الذهاب والمجيء .

والامواج المستفحلة : الشديدة ، واستفحل الامر تفاقم واشتد .

و« الاواذي » جمع أذى ، وهو الموج ، والمراد « بالاثباج » هاهنا أعالي الامواج .

و« الشج » في اللغة : ما بين الكاهل الى الظهر ، فاستعيرت منه .

و« ترغو زبداً » أي ترغو رغاء زبد ، من رغاء البعير اذا صاح ، وقيل هو من الرغوة ، يقال رغى اللبن يرغى ترغية اذا أزبد .

و«جماح الماء» استعارة وكناية عن ارتفاعه [وروى جمام الماء بالميم][1] .

و« كلكلها » أي صدرها. ومستخذياً: أي خاضعاً، «اذ تمعكت» يعني الارض، أي تمرغت ، مستعار من تمعكت الدابة .

و« بكواهلها » الضمير للارض، وهو جمع كاهل ، وهو بين الكتفين، قال النبي صلى الله عليه وآله: تميم كاهل مضر وعليها المحمل[2]. وهاهنا مجاز أيضاً.

و« الاصطخاب » افتعال من الصخب ، وهو الصيحة . وساجياً : ساكناً .

وقوله « وفي حكمه الذل منقاداً » مبالغة من وصف الارض بالسكون .

والمدحوة : المبسوطة . ولجة الماء : معظمة . والتيار : الموج والنخوة بأوه[3] التكبر، واضافة بعضه الى البعض للتخصيص ، كقوله « أواذي أمواجها » وقد تقدم ذكره .

والعلواء : العلو وتجاوز الحد .

---

١) الزيادة من م .

٢) أنظر لسان العرب ٦٠٢/١١ .

٣) كذا في م . وفي د : والباء والتكبر ، أقول : النخوة : الكبر والترفع. والبأو : الفخر . استعارة للماء في هيجانه واضطرابه ملاحظة لشبهه بالانسان المتجبر التياه في حركاته المؤذنة بتكبره وزهوه .

وكعمته : أي شددت فمه في هياجه ، من الكعام ، وهو شيء يجعل على فم البعير .

والكظة : الامتلاء .

و« همد » أي سكن ، يقال همدت النار : أي خمدت بمرة . والهمود أبلغ من الخمود ، والمراد به هاهنا السكون .

ونزقاته: أي حركاته، والنزقة: الخفة والطيش ، ونزق الفرس نزقاً. وروي « نزفاته » بالفاء، أي حركاته ، من نزفت عبرته: أي خرجت كثيرة. ويقال «نزفة الدم » اذا خرج منه دم كثير حتى يضعف . والزيفان: شدة هبوب الريح، يقال: زافته [الريح] [1] : أي طردته ، وناقة زفيان : أي سريعة . وقيل : « الزيفان » التبختر . واكثرها استعارة .

« ولبد » أي لصق ، يقال لبد الشيء بالارض أي لصق بها ، وتلبد الطائر بالارض أي جثم عليها .

والشواهق المرتفعة : أي العالية .

و« البذخ » جمع باذخ ، وهو العالي جداً .

والعرنين : [اول] الانف ، الجمع العرانين ، واضافتها الى الانوف مثل « كرى النوم » .

وكذا « سهوب بيدها » وكلاهما الفلوات ، والسهب : الفلاة .

و« الاخاديد » جمع الاخدود ، وهو الشق المستطيل في الارض .

الراسيات : الجبال الثابتة . والجلاميد :الصخور ، والجلمود : الصخر [الكبير] .

---

١) الزيادة من م .

والشناخيب: رؤوس الجبال، الواحد شنخوب. وواحد الصناخيد صنخود، وهي الصخرة الشديدة الصلبة .

والميدان : التحرك .

والرسوب : الثبوت .

وأديم الارض: وجهها. «وتغلغلها» أي دخولها، من تغلغل الماء بين الاشجار أي تخللها .

ومتسربة : أي داخلة ، من انسرب الثعلب في جحره وتسرب أي دخل .

و« الجوبات في الخياشم » هي ثقب الانوف، والجوبة في الاصل: الفرجة في السحاب والجبال ، و« جراثمها » أصولها .

و« فسح بين الجو وبينها » أي وسع بين الهواء والارض والجو [هذا الشق] بين السماء والارض .

والمتنسم : مهب التسنيم [1] . وأرض جرز : لانبات بها كأنها انقطع عنها المطر .

و الجداول : الانهار ، اضيف اليها تخصيصاً. وروى « جداول الارض ».

و لمع الغمام: قطع السحاب، [والجمع] اللمعة قطعة من النبت اذا أخذت في اليبس .

والقزع : قطع من السحاب رقيقة .

وتمخضت : تحركت ، يقال تمخض اللبن : اذا تحرك في الممخضة .

والتمع البرق : أضاء .

و« في كففه » أي في قطع السحاب التى هي كالشبك، وهى في الاصل جمع

---

١) في م : النسيم .

كفة ، وهي كل ما استدار ، مثل كفة الميزان و كفة الصائد وهي حبالته ، فمثله مراد هنا .

والوميض: الضياء. والكنهور: العظيم من السحاب. والرباب :الأبيض منه والمتراكم : المتراكب ، والميم بدل من الباء .

وأسف هيدبه : أي دنا من الارض سحابه المتدلى كالخيوط .

و«تمريه» أي تحلبه و« درر أهاضيبه »أي صبات أمطاره العظيمة، والهضبة: المطرة العظيمة القطر، وقد هضبتهم السماء. والاهاضيب [1] جمع هضيب، وهى جلبات القطر بعد القطر. والدرة: كثرة اللبن وسيلانه، وللسحاب درة أي صب، والجمع درر .

« ودفع شآبيبه » عطف على درر .

« ومرى » يتعدى الى مفعولين ، يقال : مريت الناقة لبنها .

والشؤبوب : الدفعة من المطر وغيره ، والدفعة كالدفقة من المطر وغيره .

وقوله: « فلما ألقت السحاب برك بوانيها » البرك: الصدر، والبواني مايلي الزور من الاضلاع. وقيل : البوانى القواعد . وقيل: البواني القوائم : اليدان والرجلان. وقيل: بوانيها يجوز أن يكون من بنى، كأنها اذا نشأت بنت الامطار. ويجوز [2] أن يكون معناه لواصقها، من قولك « قوس بانية » اذا الصقت بالوتر،

---

١) في اللسان :الهضب :المطر يجمع على أهضاب كقول وأقوال وأقاويل، ومنه حديث علي عليه السلام « تمريه الجنوب درر أهاضيبه » وعن الجوهري: الاهاضيب واحدها هضاب وواحد الهضاب هضب وهي : جلبات القطر بعد القطر .

٢) أنظر لسان العرب ٩٦/١٤ .

ومنه قول امرىء القيس :

*غير باناة على وتره [1] *

وقوله « وبعاع » معطوف على « برك » ، أي وألقت السحاب ثقلها الذي «استقلت به» أي نهضت «من العبء» أي الثقل، يعنى المطر الذي حمله الله عليها.

روى: ان الله يأمر الملائكة الموكلين بالسحاب أن يأخذوا الماء من البحار على قطع السحاب فيرفعوا بها الى الهواء، ثم ينزل المطر على كل أرض بقدر الحاجة على وفق الصلاح .

والبعاع : الجهاز والمتاع ، وبعاع السحاب : ثقله بالمطر [2] .

وجواب « لما ألقت » « أخرج من هوامد الارض » أي من الاراضي [3] الخالية، وهذا [من] [4] اضافة الصفة الى الموصوف، فأرض هامدة[5] : لانبات بها.

واخرج من كل جبل أملس عشباً : أي نباتاً .

و«الزعر» جمع أزعر، وأصله من قلة الشعر، والمراد به هاهنا قلة العشب.

وقوله « فهى تبهج » مفعوله محذوف ، أي تبهج الناس . هذا اذا كان من « بهج » اذا سر ، أي تسر الناظرين اليها، واذا كان من « البهجة » وهي الحسن

---

١) أوله :

عارض زوراء من نشم غير بـاناة على وتـره

يقال :رجل باناة أي منحن على وتره عند الرمي. والنشم بالتحريك :شجر جبلي تتخذ منه القسي .

٢) في م : بالماء .

٣) في م : الارض .

٤) الزيادة من م .

٥) في م : والهامدة من الارض ما .

فلا يحتاج الى مفعول ، يقال بهج : أي استحسن ، وبهج : كان وصار حسناً بهيجاً ، قال تعالى « من كل زوج بهيج »[1] أي حسن .

«وتزد هي » بفتح التاء، أي تستخف الناظر اليها لحسنها. وروي «تزدهى» على مالم يسم فاعله، يكون تفعيل من زهيت علينا يارجل أي تكبرت بزهوك، وهو المنظر الحسن .

والريط : الملاءة اذا كانت قطعة واحدة .

والازاهير : الانوار الملونة .

وسمطت : أي علقت كل ربوة وشجرة بسمط من النور في عنقها ، من سمطت الشيء : أي علقته بالسمط . وروي « شمطت » بالشين المعجمة ، وشمطت الشيء : خلطته ، وبالتشديد للتكثير ، أي خلطته تخليطاً .

والناضر :الحسن. والبلاغ :الكفاية. والافاق: النواحي. والجبلة :الخلق. وأرغد : طيب . وأوسع اكله : أي طعمه .

و« أوعز اليه » أي أمره ، يقال : أوعزت اليه في كذا أي تقدمت اليه .

و« موافاة بسابق علمه » أي اثباتاً[2] بسابق علم الله .

وقوله « فأقدم على مانهاه » أي تقدم على مكروه دون محظور، وأقدم على كذا انما يقال في الامر المخوف .

والمعصية : خلاف[3] الامر ، ولاخلاف أن الامر يكون بالواجب والندب، واذا دل الدليل العقلي أن الانبياء يجب أن يكونوا معصومين على كل حال لا يفعلون قبيحاً علمنا أنه ما أقدم على قبيح محظور .

---

١) سورة الحج : ٥ ، سورة ق : ٧ .

٢) في م : اثباتا بما في سابق .

٣) في م : مخالفة الامر .

وروي « لسابق علمه » ، وقيل اللام أو الباء في سابق علمه كلاهما يتعلق بقوله « اختار آدم » ، أي اختار الله آدم لهذا أو بهذا .

وأهبطه : أنزله .

وتوبة آدم هو رجوعه الى الله وانقطاعه اليه تعالى .

والتعاهد للشيء : تجديد العهد به ، يقال : تعاهدت فلاناً بكذا أي تحفظته بـه .

وقوله «وبلغ القطع عذره ونذره» أي حجته وتخويفه، ومقطع الامر حيث ينقطع ولايكون خلفه شيء منه .

وقوله « فعدل فيها » بالتخفيف ، من العدل نقيض الظلم ، وبالتشديد من التعديل وهو التقويم .

و« الميسور والمعسور » ضدان ، وهما مصدران . قال سيبويه هما صفتان، وعنده لايجيء المصدر على مفعول البتة ، ويتأول قولهم « دعوه الى ميسوره ومعسوره » ويقول[1] : معناه دعه الى أمر يؤسر فيه والى أمر يعسر فيه ، وهو كقول النبي صلى الله عليه وآله « ان اعطاء هذا المال فتنة وان امساكه فتنة »[2] .

واختبار الله العباد امتحانهم، وهو تعالى عالم بأحوالهم فلايحتاج أن يختبرهم ليعرفهم ، ويتحقق[3] هذا المجاز أي تكليف الله العباد .

وعقابيل الفاقة : شدائد الفقر .

وطوارق الافات : هي التى تأتى غفلة أو بالليل .

والاقراح : الغموم . وخلق الآجال : أي قدرها ، والاجل مدة الشيء .

---

١) في م : والى معسوره . ويقال .

٢) سنن أحمد بن حنبل ٥٨/٥ .

٣) في م : وتحقيق .

وجعله خالجاً : أي جاذباً «لاشطانها» أي لحبالها ، وهي جمع شطن وهو الحبل.

و « المرير » من الحبال مالطف وطال واشتد فتله ، « والمرائر » « والقرن» حبل يقرن به البعيران ، والجمع أقران .

« ونجوى المتخافتين » أي أسرار الذين يتكلمون في خفية .

والرجم : أن يتكلم الرجل بالظن .

وقوله «ومسارق ايماض الجفون» عطفٌ على قوله «من ضمائر» في قوله «عالم السر من ضمائر المضمرين » كذا مابعدها من المجرورات من قوله « ومصائف الذر » .

وومض وأومض بمعنى ، يقال : أومضت المرأة اذا سارقت النظر ، وهذا كقوله تعالى « يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور » [1] .

وعالم ما ضمنته « غيابات الغيوب » والغيابة : القعر، وغيابة الجب :قعره والكن : السترة ، والجمع أكنان ، قال تعالى « وجعل لكم من الجبال اكناناً » [2] وأصغيت الى فلان : ملت اليه بسمع . وأصغت : أمالت .

والمصائخ :المسامع [وهي « من » خروق الاذان] [3] و« مصايف الذر » من الصيف لاتهمز [4] .

و« مصائب » من ص وب الا أنهم أجمعوا على همز مصائب تشبيهاً بالمزيد وقالوا مصاوت [أيضاً] [5] في جمع مصيبة . وأصاخ له : أي استمع اليه .

---

١) سورة غافر : ١٩ .

٢) سورة النحل : ٨١ .

٣) الزياده من ص ، د . وليس « من » في د .

٤) في م : لاتهمز لانه من الصيف .

٥) الزيادة من م .

« ورجع الجنين من المولهات » [أي عالم رجع اى مرجوع الحنين ومردود من المولهات][1] اي من الامهات التى يفرق بينها وبين ولدها، وفي الحديث « لاتوله والدة بولدها »أي لاتجعل والهاً .

والهمس : الصوت الخفي .

و « الولائج » جمع وليجة وهي الدخيلة .

« والغلف » جمع غلاف .

و « منقمع الوحش » [أي][2] الموضع الذي يسترفيه ، يقال : انقمع في بيته؛ أي اندس فيه واستتر ، وروي : ومتقمع الوحوش ، من تقمع الحمار أي حرك رأسه ليطرد القمع ، وهي الذبان .

« والغيران » جمع غار الجبل . وروي « ومختبى البعوض » على تليين الهمزة وحذفه، يعني ان الله عالم مختبى البعوض ومستتره بين قشر الشجر وساقه؛ .

وعالم « مغرز الورق »[3] من الاغصان و« محط الامشاج » أي منزل ماء الرجل والمرأة ، وهي جمع مشيج كيتيم وأيتام، وهى الماءان للرجال والنساء المختلطان .

من « مسارب » أي من مسايل ظهور الرجال ، من سربت المزادة تسرب سرباً ومسرباً : اذا سالت .

وعالم « ما تسفى الاعاصير » أي ما تذريه هذه الريح [وعالم ما تعفوه الامطار : أي تدرسه ، يقال : عفت الريح المنزل][4] أي درسته ، وعفا المنزل

---

١) الزيادة من م .

٢) الزيادة من م .

٣) في م : الاوراق .

٤) الزيادة ليست في ص .

يتعدى ولايتعدى .

وهو تعالى عالم «عوم بنات الارض في الرمال» أي دخول الهوام والحشرات التى تكون في الرمال فيها بمنزلة السباحة . و«العوم » يكون لبنات الماء حقيقة وهذا مجاز . وروي و«عموم » و« نبات الارض » و[هي] كل شيء كثير واجتمع فهو عميم بالعين غير معجمة . و«غموم» بالغين المعجمة له وجه وليس عليه الرواية.

والشنخوب : رأس الجبل ، والجمع شناخيب .

وهو عالم « تغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار » والتغريد :الصوت بالغناء والمنطق، يقع على حروف مؤلفة وغير مؤلفة ، ولم يقل ذوات الكلام لان المعيد منه وماله نظم مخصوص منه لايقع من الطيور .

والدياجير :الظلم . والوكر :موضع الطير [1] على الشجر ، وبالنون على الجبل ونحوه .

وعالم « ماأوعته » أي جمعته وماحضنته البحار من السمك والدروغيرهما، وحضن الطائر بيضه : ضمه الى نفسه ، وكذا حضنت المرأة ولدها .

وعالم « ما غشيته سدفة ليل » أي ظلمته .

وعالم ما « ذرعليه شارق نهار » أي ما طلعت عليه الشمس « وما أعتقبت » أي تعاقبت . يقال : اعتقب البايع السلعة أي حبسها عن المشتري حتى يأخذ الثمن .

و« سبحات الانوار » وسبحات وجهه : جلاله ونوره ، ولم يرو في هذه الخطبة بالجيم لا في هذا الموضع ولافيما تقدم .

وعالم « أثر كل خطوه » وروي أثر ، والاول أصح ، لان المراد به التأثير.

وعالم « مستقر كل نسمة » أي نفس .

---

١) في م : ما على الشجر من أعشاش الطيور .

وعالم « هما هم كل نفس هامة » أي ذات همة ، والهمهمة :الصوت الخفي وعالم « ما عليها » أي ما على الارض « من نقاعة دم » أي قليل من الدم، كالنخامة والبراءة ، يقال : نقع الدم في الموضع [1] : أي استنقع ، كما يقال للواقف [2] .

فنبه [3] عليه السلام بتعداد هذه الاشياء على خفيات الامور من عجائب مقدورات الامور ومن عجائب مقدورات الله تعالى .

[قوله] [4] « ولا اعتورته ملالة » أي ما تداولته ضجارة، وروي «وأحصاهم عدده » .

[قوله] [5] ولا ينعش من خلتها :أي لا ترفع من فقرها . والمسكنة : الفقر أيضاً .

(الاصل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

(لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان)

دعوني والتمسوا غيري ، فأنا مستقبلون أمراً له وجوه لاتقوم لهم القلوب ولاتثبت عليه العقول، وان الافاق قد أغامت والمحجة قدتنكرت . واعلموا أني

---

١) في م : في المواضع .

٢) في م : للماء الواقف .

٣) في م : أشار عليه السلام .

٤) الزيادة من م .

٥) الزيادة من م .

ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب ،وان تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه امركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً .

(ومن خطبة له عليه السلام)

أما بعد [1] ، أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ، ولم يكن ليجتري عليها احد غيري ، بعد أن [2] ماج غيهبها واشتد كلبها .

فاسألوني [3] قبل أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده لاتسألوني [4] عن شيء فيمابينكم وبين الساعة ولاعن فئة تهدى مائة وتضل مائة الانبأتكم [5] بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا أو يموت منهم موتاً. ولوقد فقدتموني ونزلت كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين، وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وضاقت [6] الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم .

ان الفتن اذا أقبلت شبهت ، واذا أدبرت نبهت ، ينكرن مقبلات ويعرفن

---

١) في م ، يد : اما بعد حمد الله والثناء عليه .

٢) في م : بعد ان قدماج .

٣) في م : فسلوني .

٤) في بعض النسخ : لاتسألونني .

٥) في بعض النسخ : انباتكم .

٦) في الف ، ب : وكانت ضاقت . وفي يد ، م : وكانت الدنيا عليكم ضيقاً . وفي هامش نا : ضيقة .

مدبرات ، يحمن حوم الرياح يصبن بلداً ، ويخطئن بلداً .

ألاوان أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بنى أمية ، فانها فتنة عمياء مظلمة ، عمت خطتها وخصت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصرفيها فأخطأ من عمي عنها.

وأيم الله لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء بعدي ،كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها ، لايزالون بكم حتى لايتركوا منكم الا نافعاً لهم أوغيرضائر [بهم] [1] ولا يزال بلاؤهم حتى لايكون انتصار أحدكم منهم الامثل انتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعاً جاهلية، ليس فيها منارهدى ولاعلم يرى. نحن أهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة .

ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفاً ، ويسوقهم عنفاً ، ويسقيهم بكأس مصبرة ، لايعطيهم الا السيف ، ولا يحلسهم الاالخوف . فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لويرونني مقاماً واحداً ، ولوقدر جزرجزور ، لاقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه ولايعطونني .

(ومن خطبة له عليه السلام)

فتبارك الله الذي لايبلغه بعد الهمم ، ولايناله حدس الفطن ، الاول الذي لاغاية له فينتهي ولاآخر فينقضي .

(**منها**) :فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام، كلمامضى سلف قام منهم بدين الله خلف.

حتى أفضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الارومات مغرساً ، من الشجرة التى صدع منها

---

١) الزيادة من م ، يد وهامش نا .

أنبياءه ، وانتجب منها أمناءه . عترته خير العتر ، وأسرته خير الاسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم وبسقت في كرم ، لها فروع طوال وثمر لا ينال، فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزبد برق لمعه ، سيرته القصد وسنته الرشد ، وكلامه الفصل وحكمه العدل. أرسله على حين فترة من الرسل ، وهفوة عن العمل ، وغباوة من الامم .

اعملوا رحكم الله على أعلام بينة ، فالطريق نهج يدعو الى دار السلام ، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ، والصحف منشورة، والاقلام جارية ، والابدان صحيحة ، والالسن مطلقة ، والتوبة مسموعة ، والاعمال مقبولة .

(ومن خطبة له عليه السلام)

[يذكر فيها رسول‌الله صلى الله عليه وآله] [1]

بعثه والناس في ضلال في حيرة، وخابطون في فتنة، قداستهوتهم الاهواء، واستزلهم الكبراء [3] واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الامر، وبلاء [4] من الجهل، فبالغ صلى‌الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا الى الحكمة والموعظة الحسنة .

(ومن خطبة [أخرى] له علية السلام)

الحمدلله الاول فلاشيء قبله ، والاخر فلاشيء بعده ، والظاهر فلاشيء

---

١) الزيادة من م ، الف .

٢) في ب ، يد ، الف ، نا : حاطبون .

٣) في بعض النسخ الموجودة : واستزلتهم الكبرياء .

٤) في م وهامش نا : وبلبال .

٥) ليس « أخرى » في بعض النسخ الموجودة .

فوقه ، والباطن فلاشيء دونه .

(منها) في ذكر النبى صلى الله عليه وآله :

مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد السلامة. قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه أزمة الابصار، دفن به الضغائن، وأطفأ به النوائر، ألف به اخواناً وفرق به اقراناً، أعز به الذلة وأذل[1] به العزة، كلامه بيان وصمته لسان .

(بيـانه) :

يسأل عن كلامه [2] الاول فيقال : كيف يقولون ان علياً عليه السلام كان اماماً من قبل الله بعد رسول الله بلا فصل الى أن عاش ، وقال لما أريـد على البيعة بعد أن قتل عثمان وقد انقضى ملك الثلاثة « ادعوني والتمسوا غيري » .

الجواب :لاخلاف أن هؤلاء الذين أرادوه على البيعة هم الذين عقدوا بيعة ابى بكر وعمر وعثمان من وجوه المهاجرين والانصار، لما لم تصل اليهم أرزاقهم من بيت المال في ايام عثمان، فان بنى امية كانوا يأخذون جميع الاموال لانفسهم، وماكان يصل الى مهاجري ولا أنصاري كما كان في أيام ابى بكر وعمر، وعلموا زهد علي عليه السلام، فقالوا[3] له عليه السلام :نبايعك على أن تسير فينا سيرة[4] العمرين. فأجابهم على مذاق كلامهم وعلى مقتضى اعتقادهم في ذلك ـ الى آخر الكلام .

---

١) في ص : ذل به .

٢) في م : على كلامه .

٣) في م : فكانوا يقولون .

٤) في م : بسيرة .

ثم قال : « دعوني » [أي] اتركوني من [أن] اتقلد مثل مـا تريدون ، « والتمسوا » أي أطلبوا غيري ليسير بسيرتهما .

ثم أظهر علتين لهذا الامتناع، وبين لهم أنه ان اجابهم الى ذلك يعمل فيهم بما يعلم ، وفصل لكل واحد من هذين القسمين تفصيلا .

أما الاول : فانه قال « فانا مستقبلون » أي ان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن الله أنه اذا بايعتموني نستقبل أمراً عظيماً هائلاله وجوه مختلفة وأنواع متفاوتة، تتحير لذلك الامر القلوب ولاتستقر وتزل العقلاء فيه ولاتثبت أقدامهم. وهو مثل ظهور الناكثين والقاسطين والمارقين مـن طلحة والزبيـر ومعاوية والخوارج [1] ، وان نواحي [اهل] [2] الاسلام قد أظلمت بغيوم [ظلم] [3] بنى أمية ومحجة الشريعة قد غيرت وبدلت لاحوال اقتضتها . [من القياس المنهي عنه فيها والاجتهاد ونحوهما] [4] .

ثم قال [ثانياً] [5] :لاتخلو حالي معكم اما اجابتكم بثلاثة شروط [6]: أن اعمل بكتاب الله فيكم على ما علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وان لايكون لكم قول ولااشارة فيما يحدث من الاحكام بل يكون جميع ذلك موكولا الي، واذاقضيت بقضية لاتقترحون [7] فيها ولاتطعنون علي بها . واما أن تتركوني على ما كنت بعد

---

١) في م : وخوارج عليهم اللعنة .

٢) الزيادة من م .

٣) ليس « ظلم » في ص .

٤) الزيادة من م .

٥) الزيادة من م .

٦) في م : شرائط .

٧) في م ، د : لاتقدحون .

رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا لكم بأن اكون وزيراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان هارون من موسى ، أحمل أوزار الدين وأسير بأحكامه [1] الشرعية اذا اشتبهت خير من أن أصير اميراً يجري على اقتراحكم، يقال له بالعرب أدبر وأقبل . وهذا اولى من أن يقال [له] [2] [انه] [3] يشير اليهم بأن يختاروا غيره للامامة وهو يكون وزيراً له ، لانه عليه السلام لم يكن من قبله من الثلاثة وزيراً أيضاً .

وقيل : هذا كلام مستزيد شاك لقومه [4] ، يعني انهم عاملوه هذه المعاملة قبل ذلك ، فيقول لهم « دعوني والتمسوا غيري » على طريق التهكم والشكاية ، يعني انهم [5] يعتقدون ذلك فيما قبل .

وقوله « وأنا لهم وزيراً » [6] يعنى على ما كانوا يعتقدونه فيه عليه السلام من أنه بأن يكون وزيراً خير منه أميراً. وهذا من باب قوله تعالى «ذق انك أنت العزيز الكريم » [7] يعني على ماتعتقده .

وأما الخطبة التى بعده ، فانه عليه السلام يقول : انا اطفأت النائرة التى أوقدها طلحة والزبير ومروان بن الحكم في حرب الجمل، وسكنت الفتنة التى أثارها معاوية بصفين، وقد كان الناس ينظرون الي من جانب والى المخدرة التى

---

١) في د وهامش م : بأحكام الشريعة .

٢) الزيادة من ص .

٣) الزيادة من م ، د .

٤) في م : للقوم .

٥) في د ، م : يعني انكم كنتم تعتقدون .

٦) في د ، م : وانا لكم .

٧) سورة الدخان : ٤٩ .

أخرجوها من الجانب الاخر ما اجترأ أحد منهم أن يدخل في أحد الجانبين ، مثل الاحنف بن قيس[1] وجماعة معه خرجوا من البصرة وقالوا : نحن لانحارب علياً ولازوج رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقوله « وفقأت عين الفتنة » استعارة ، أي أعميتها . والفقؤ : الشق .

« وغيهبها » أي ظلمتها . « وكلبها » أي شدتها .

ثم قال لهم فسألوني عما يلتبس عليكم أبين لكم، فأنا عالم بكل هادوضال، فقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله بمايكون الى يوم القيامة عن جبرئيل عن الله تعالى .

واذا خرجت من بين أظهركم « وحزب خطب » [2] أي أصاب أمرعظيم « ضاقت الدنيا عليكم » .

---

١) هو ضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة أبوبحر التميمي السعدي والاحنف لقبه ، ادرك النبي « ص » ولم يجتمع به ، وكان يضرب بحلمه المثل، مات بالبصرة سنة سبع وستين في زمن مصعب بن الزبير، ومشى مصعب في جنازته وقال : ذهب اليوم الحزم والرأي .

قيل له : من آين اقتبست هذه الحكم وتعلمت هذا الحلم؟ قال : من حكيم عصره وحليم دهره قيس بن عاصم المنقري ، وسئل عنه عن هذا فقال : من الحكيم الذي لم ينفد قط حكمته أكثم بن صيفي التميمي ، وسئل أكثم عن هذا فقال : تعلمت من حليف العلم والادب سيد العجم والعرب أبي طالب بن عبدالمطلب .

راجع الاصابة ١٠٣/١، أسد الغابة ٥٥/١، سفينة البحار ٣٤٩/١، الكنى والالقاب ٩/٢ .

٢) في م : وحوازب الخطوب .

ثم ذكر علة ذلك ، وهو أن الفتن في أولها لايعرف الحق فيها من الباطل وفتنة بنى أمية أعظم من هذه كلها ، ووصفها بشدة شديدة . ثم قال :

ان أهل بيتي ينجون منها ولايصيرون من دعاتها ، ويكشف الله تلك الفتنة بسيف أبي مسلم صاحب الدولة الخراساني وأصحابه . فهذا خلاصته .

والحوازب : المصيبات ، من حزبه أمر : أي أصابه .

قوله « لا طرق كثير رؤوسهم »[1] أي نكسها . وفشل : أي جبن .

« وقلصت حربكم » أي شمرت وصارت جداً ، من قولهم « فرس مقلص» مشمر طويـل القوائم ، يقال قلص الشيء وتقلص أي انضم وانـزوى ، وقلص الظل : ارتفع .

« وشمر عن سوقه »[2] أي رفع الازار عنها ، وشمر في أمره : خف .

« وشبهت » أي لبست . وروي على مالم يسم فاعله .

و « يحمن » أي يدرن ، من قولهم : حام الطائر حول الماء .

وقوله « لتجدن بنى أمية أرباب سوء كالناب » أي كل واحد منهم مثل الناب وهي المسنة من النوق .

والضروس : الناقة السيئة الخلق . « وتعذم » أي تعض ، من العذم ، وهو العض والاكل بخفاء .

«وتزبن برجلها» أي ترفع بها، يقال «زبنت الناقة» اذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب ، فالزبن بالثفنات والخبط باليـد والركض بالرجل . وروي « ترد عليكم فتنتهم شوهاء قطعاء» أي متنكرة متعولة مقطوعة اليه. ويقال «شاهت الوجوه» أي قبحت ، وتشوه أي تنكر وتعول ، وفرش شوهاء يراد بها سعة أشداقها .

---

١) في م : من السائلين .

٢) في م : عن ساقه .

وقوله « من يسومهم خسفاً » أي [بمن][1] يذلهم ويهينهم ، والباء يتعلق بقوله « يفرجها الله عنكم » .

« وسامه خسفاً » أي أولاه ذلا ، وانما شبه كشف تلك الفتنة لكونه بمرة ولاتعود بانكشاف الجلد مما عليه اذا فرج عنه أديمه .

« ويسقيهم بكأس مصبرة » أي مملوءة من الخسف والعنف ، ويجوز أن يكون من الصبر .

قوله « ولايحلسهم » أي لايلبسهم « الاالخوف » يقال « أحلست البعير » أي ألبسته الحلس، وأحلست فلاناً يميناً[2]، أي اقررتها عليه . وروى « لويرنني ». وأصل الرواية الاخرى أيضاً هذا ، فحذف للتخفيف نون . وكذا روي: « لاتسألوننى » [على الاصل][3] .

ويقال لما يقل لبثه : كان ذلك « [ولو][4] قدر جزر جزور » والجزر في الابل كالذبح في الغنم [الا أن ذاك في الصدر وهذا في الحلق][5] .

والجزور يقع على الذكر والانثى من الابل ، وهي تؤنث .

« وتبارك الله » أي تعالى وتعاظم واتسعت رحمته وكثرت نعمته، تفاعل من البركة ، ولايجيء من هذا خاصة الفعل المضارع . وقيل « تبارك الله » أي بارك ، مثل قاتل وتقاتل ، الا أن فاعل يتعدى وتفاعل لايتعدى .

والحدس : الظن والتخمين .

---

١) الزيادة من م .

٢) في م : اذا .

٣) الزيادة من م .

٤) الزيادة من م .

٥) الزيادة من م .

وتناسختهم : أي تناقلتهم ، وروي « تناسلتهم » .

والارومة : الاصل . والعترة [1] والاسرة : جماعة العشيرة .

وبسقت : طالت .

وقوله « اعملوا على أعلام بينة » لا تبتدعوا . وروي « والطريق نهج » أي واضح ، يعني والحال هذه .

و «أنتم في دار مستعتب» أي استعتاب واعتاب، يقال :اعتبته واستعتبته أي أرضيته واسترضيته ، والمستعتب طلب الرضى ، وهو مصدر هاهنا .

وقوله « والناس حاطبون في فتنة »أي جامعون القليل والكبيرفيها، وروي: حابطون .

« واستهوتهم » أي أسقطتهم ، وروى « واستزلتهم الكبرياء » أي أزلهم التكبر .

والله تعالى « الظاهر فلاشيء فوقه » في الظاهر، وهو«الباطن فلاشيء دونه» في الباطن .

« ومماهد السلامة فرشها » مفاعل ، من مهدت الفراش أي بسطته ووطأته، وتمهيد الامور : اصلاحها .

(الاصـل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

ولان أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع شجا من مساغ ريقه .

---

١) في م : والعترة : الاولاد .

أمـا والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم [1] ، ليس لانهـم أولى بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطل صا حبهم وابطائكم عن حقي ، ولـقد أصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي .

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ، ونصحت لكـم فلم تقبلوا . شهود كغياب وعبيد كـأرباب[2] ، أتلو عليكم الحكمة[3] فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون[4] عنها ، وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتى على آخر قولي حتى أراكـم متفرقين أيادي سبا، ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم ، اقومكم غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحنية عجز المقوم وأعضل المقوم .

أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم ، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدنيار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم .

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين : صم ذوو اسماع ، وبكم ذوو كلام، وعمي ذووابصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا اخوان ثقة عند البلاء ، تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها ، كلما جمعت من جـانب تفرقت من آخر .

والله لكأني بكم فيما أخـالكم[5] لوحمس الوغى وحمى الضراب ، وقـد

---

١) في م فليس ، في ب وليس .

٢) في بعض النسخ : كأحرار .

٣) في بعض النسخ : الحكم .

٤) في م : فتنفرقون عنها .

٥) كذا في يد . وفي البواقي : اخال .

انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها ، واني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي ، واني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً .

انظروا أهل بيت نبيكم ، فالزموا سمتهم ، واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى ، فان لبدوا فالبدوا ، وان نهضوا فانهضوا ، ولاتسبقوهم فتضلوا ولاتتأخروا عنهم فتهلكوا .

لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم منكم، فقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقدباتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ،كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، اذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم[1] ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء للثواب.

(الاصل) :

(ومن كلام له عليه السلام)

والله لايزالون حتى لايدعوا محرماً الااستحلوه ، ولاعقداً الاحلوه، وحتى لايبقى بيت مدر ولاوبر[2] الادخله ظلمهم ونبابه سوء رعتهم[3]، وحتى يقوم الباكيان يبكيان ، باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه ، وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده ، اذا شهد أطاعه واذا غاب اغتابه ، وحتى يكون أعظمكم فيها غناء أحسنكم بالله ظناً ، فان أتاكم الله بعافية فاقبلوا ، وان ابتليتم

---

١) في ص ، في هامش الف ، ب : جباههم .

٢) ليس « الا » في ص .

٣) في م ، ص ، الف : رعيهم .

فاصبروا ، فان العاقبة للمتقين .

(بيـانه) :

طيب عليه السلام أولاقلوب المؤمنين وأوعد معاوية وأصحابه فقال : والله لان أخر الله لمعاوية مهلـة في ظلمه فلن يسبق معاوية أخـذه الله . وان رفعت « اخذه » فالمفعول محذوف ، أي فلن يفوته يعني الظالم أخذه .

والمجاز : المسلك ، يقال : جزت الموضع أي مررت فيه .

والشجا : الغصة .

« والمساغ » مصدر ساغ الشراب يسوغ ، أي سهـل مدخله في الحلق ، وسغته يتعدى ولايتعدى . والريق : ماء الفم .

ثـم أقسم ان أهـل الشام ليظهرن أي ليغلبن عليكم ، لانهم يسرعون الى باطل معاوية وانتم تبطئون اذا دعوتكم الى جهادهم .

« وتخاف » على مـالم يسم فاعله ، أي صارت الامـم يخافون ان يظلموا راعيها . واذا روي « تخـاف » بفتح التاء أي كانت الامم خائفة من أن يظلمهم راعيهم وصرت خائفاً من ظلم رعيتي .

وهؤلاء الـذين يظهر علي عليه السلام شكايتهم ليسوا الا الذيـن اجتمعوا عليه لصلاح دنياهم دون العارفين بالحق من أصحابه، ولذلك يتمنى أن يصارفه معاوية بهم أصحابه « صرف الدينار بالدرهم » ، لان أهـل الشام مع ضلالهم كانوا مجدين [وأهل الكوفة وان أظهروا التشيع فانه لم يكن من أكثرهم عن يقين . ألاترى معاملتهم مع الحسين عليه السلام] [1] .

« وايادي سبا » تأكيد لقوله « متفرقين » يصرف ولايصرف ، فاذا صرف

---

١) الزيادة من م .

فهو فعل من السبى ، واذا لم يصرف فالمعنى به « سبا بن يعرب » .

« والايادي » و«الايدى » أولاده ، لانه كما يستعان بالاولاد يستعان بالايدي فكنى عنهم بالايادي . والتقدير في ذلك هو المصدر ، أي حتى اراكم متفرقين تفرق أيادي سبا .

ووصفهم بالتلون فقال : أقومهم [1] بالغداة وعند العشاء يكونون معوجين كظهر الحنية ، وهي القوس . وروي « كظهر الحية ».

« منيت منكم بثلاث واثنتين » أي بليت من جانبكم بخمس خصال سيئة وانما فصلها لان ثلاثاً منهم صفات مثبتة وخصلتين منها صفتان منتفيتان، وذكر بعدها تفصيلها .

«تربت أيديكم» دعاء، أي لا أصبتم خيراً، وتحقيقه لصقت بالتراب أيديكم.

ثم حلف أنهم اذا « حمس الوغا » أي اشتد الحرب انكشفوا عن حوالي علي بن أبي طالب عليه السلام وتركوه .

ثـم شبه انكشافهم بانكشاف المرأة عن فرجها ، وهذا الكلام منـه عليه السلام على طريق العرب ، فانهم يوردون هذه الكلمة للتقريع ، فأوردها على سبيل اللوم والتقريع لهم والافحاش بهم لكونه منضجراً منهم متبرماً بهم. وقيل كما تسلم المرأة نفسها .

« واني على الطريق الواضح ألقطه لقطاً » أي اسلكه على السداد والصلاح يقال : لقط قدمه اذا مشى مشياً سهلا لاشدة فيه ، وروي « ألفظه لفظاً » أي أرمي من هذا الطريق ، يقال : كل مايرد عليه من المضار .

« والزموا سمت آل محمد صلى الله عليه وآله » أي طريقتهم .

« فان لبدوا » أي وقفوا فقفوا ، وان قعدوا فاقعدوا ، لازدواج ان نهضوا ،

---

١) في ص من هنا « بالغداة » سقط الى «والنومة» الواقع بعد هذا في شرح الخطبة ١٠٢ .

أي ان أقاموا . ولبد بالارض يلبد : أي لصق . والاشعث : المغبر الرأس .

وقـوله « قدباتوا سجداً وقيامـاً يراوحون بين جباههم وخدودهم » أي يضعون الجباه على التراب مرة والخدود أخرى تواضعاً وتذللا بعد الصلاة .

والمراوحة في العملين : أن يعمل هذامرة وهذا مرة ، ورواح بين رجليه : اذا قام على احداهما مرة وعلى الاخرى مرة .

« وركبة المعزى » « وثفنة البعير » يضرب بهما المثل في الشدة ، والمعزى ملحق [1] بالرباعي ، يقال : معزى عراقية وهي المعز .

« وهملت أعينهم » أي سالت دموع أعينهم .

« حتى تبل جباههم » أي يتبلون مواضع سجودهم من كثرة البكاء بالدموع من خشية الله ، فـاذا عادت جباههم الى السجود ابتلت الجباه أيضـاً . وروي « جيوبهم » [2] ، وهذا سهل لانها تبتل اذاسالت الدموع اليها .

ومادوا : تحركوا واضطربوا .

وقوله « والله لايزالون» أي لايزال هذه [3] الظلمة على ظلمهم حتى لايتركوا محرماً الا جعلوه بمنزلة الحلال وحتى لاتبقى بيت مدر من القرى ولابيت وبر من الخيام في مفازة الادخله ظلم بنى امية .

ونبا بفلان منزله : اذا لم يوافقه . ورعيت الامر : أي حفظته أرعاه رعياً .

وقوله «ونبابه سوء رعتهم» أي جعل سوء ولايتهم كل موضع نابياً متجافياً لايستقر فيه أهله. ونبا الشيء :تجافي. وروى «سوء ورعهم» أي قلة تقاهم، يقال

---

١) أي ان المعزى ملحق بدرهم على فعلل بكسر الفاء وفتح اللام. والالف الملحقة تجري مجرى ماهو من نفس الكلم . راجع اللسان ٤١٠/٥ .

٢) قد أشرنا الى الاختلاف في أصل الخطبة الشريفة .

٣) في م : هؤلاء .

فلان سيء الرعة أي قليل الورع ، وقد ورع يرع رعة أي صار متقياً .

وقوله « وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدكم كنصرة العبد من سيده » قيل في معناه وجوه :

أحدها : أن تكون نصرة أحدكم المصدر مضافاًالى المفعول، ومن أحدهم أي من جانب أحدهم، يعنى أحد ملوك بنى امية ، مثل نصرة العبدتكون النصرة مضافاً الى المفعول أيضاً ، ومن سيده أي من جانب سيده .

وقوله « اذا شهد أطاعه واذاغاب اعنابه » يكون حالا من العبد ، والمعني حتى تكون نصرة كل واحد من ملوك بنى أميـة لكم كنصرة سيد لعبده السيء الطريقـة .

والوجه الثاني: أن يكون «من» في الكلام متعلقاً بمحذوف، أي يكونذلك لكم كنصرة العبد محتملا الكد من سيده .

والوجه الثالث ـ هو الاظهر والاوضح ـ وهو :أن تكون النصرة بمعنى الانتصار الذي هو الانتقام بحذف الزوائد ، ونحوه كثير في كلامهم .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

نحمده على ماكان ، ونستعينه من أمرنا على مايكون ، ونسأله المعافاة في الاديان ،كما نسأله المعافاة في الابدان .

أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها ، والمبلية لاجسامكم[1] وان كنتم تحبون تجديدها ، فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا،

---

١) في نا ، م : لاجسادكم .

فكأنهم قد قطعوه وأموا علماً فكأنهم قد بلغوه. وكم عسى المجرى الى الغاية أن يجري اليها حتى يبلغها ، وماعسى أن يكون بقاء من له يوم لايعدوه وطالب حثيث [من الموت][1] يحدوه [ومزعج][1] في الدنيا [عن الدنيا][1] حتى يفارقها [رغماً] .

فلاتنافسوا في عزالدنيا وفخرها ، ولاتعجبوا بزينتها ونعيمها ، ولاتجزعوا من ضرائها وبؤسها، فان عزها وفخرها الى انقطاع، وزينتها ونعيمها الى زوال وضراؤها وبؤسها الى نفاد، وكل مدة فيها الى انتهاء ، وكل حي فيها الى فناء .

أوليس لكم في آثار الاولين [مزد جر][2] وفي آبائكم الاولين[3] تبصرة ومعتبر ، ان كنتم تعقلون .

أولم تروا الى الماضين منكم لايرجعون ، والى الخلف الباقين[4] لايبقون.

أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى ، فميت يبكى ، وآخر يعزى، وصريع مبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود ، وطالب للدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وعلى أثر الماضي مايمضي الباقي .

ألافاذكروا هادم اللذات ، ومنغص الشهوات ، وقاطع الامنيات ، عند المساورة للاعمال القبيحة . واستعينوا الله على أداء واجب حقه، ومالايحصى من اعداد نعمه واحسانه .

---

١) ليس « من الموت » في ب ، نا ، الف. وأيضاً ليس « ومزعج » و« عن الدنيا » و « رغماً » في هذه النسخ و م .

٢) الزيادة من يد .

٣) في م ، الف ، ب : « الماضين » بدل « الاولين » .

٤) في م ، الف ، ب : الباقي .

(ومن خطبة له عليه السلام)

الحمدلله الناشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجوديده. نحمده في جميع أموره ، ونستعينه على رعاية حقوقه . ونشهد أن لااله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بأمره صادعاً وبذكره ناطقاً، فأدى أميناً ومضى رشيداً، وخلف فينا راية الحق ، من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ، ومن لزمها لحق ، دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع اذا قام .

فاذا أنتم ألنتم له رقابكم، وأشرتم اليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به ، فلبثتم بعده ماشاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم، فلاتطمعوا في غير مقبل ولاتيأسوا من مدبر ، فان المدبر عسى أن تزل به احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعاً .

ألا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء ، اذاخوى نجم طلع نجم ، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع ، وأراكم ماكنتم تأملون.

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

[وهي من خطبه التى تشتمل على ذكر الملاحم][1]

الحمد لله الاول قبل كل أول، والاخر بعد كل آخر، وبأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته وجب أن لاآخر له .

وأشهد أن لا اله الا الله شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان .

---

١) الزيادة من م ، ب ، الف . وليس في الاخيرين : وهي من خطبه التي.

أيها الناس لايجرمنكم شقاقي، ولايستهوينكم عصياني، ولاتترامو ا بالابصار عند ماتسمعونه مني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذي أنبئكم به عن النبى الامي صلى الله عليه وآله ، والله ماكذب المبلغ ولاجهل السامع .

لكأني أنظر الى ضليل قدنعق بالشام ، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فاذافغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطأته عضت الفتنة أبناءها بانيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها، فاذا أينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة ، وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم . هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ، ويمر عليها من عاصف ، وعن قليل تلتف القرون بالقرون ، ويحصد القائم ويحطم المحصود .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(تجري هذا المجرى)

وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والاخرين، لنقاش الحساب وجزاء الاعمال خضوعاً قياماً، قد ألجمهم العرق ورجفت بهم الارض، فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متسعاً .

(**ومنها**) : فتن كقطع الليل المظلم ، لاتقوم لها قائمة ، ولاترد لها راية ، تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها ويجهدها راكبها. أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم، يجاهدهم في الله قوم أذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون ، وفي السماء معروفون . فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لارهج له ولاحس ، وسيبتلى أهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر .

(الشرح)[1] :

الخطبة الاولى من جملة ما خطب عليه السلام بها يوم جمعة في اول خطبه[2] فقال : نحمدالله على جميع ما فعل بنا ومعنا ولنا في الماضي ، ونطلب[3] العون منه تعالى على مانحن متعبدون له ومكلفون به عقلاوشرعاً في الحال والاستقبال ونسأله تعالى خير الدارين عاقبة الدين من الشفاء وعافية البدن من البلاء . ثم وصى بوصاية حسنة واضحة .

وأما ألفاظها فانا نتكلم على شيء منها وان كانت سهلة ، فنقول :

الوصية : الامر الى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ ، وأصلها من الوصل .

والرفض :أخص من الترك . والسفر :المسافرون . وأموا علماً :أي قصدوا جبلا .

و« كم عسى المجرى » مفعوله محذوف، أي [كم عسى المجرى][4] فرسه ولايعدوه ولايتجاوزه .

والحثيث : السريع . ويحدوه : أي يسوقه ويدعوه .

«فلاتنافسوا» أي لاتحاسدوا. وبؤسها :أي شدتها « الى نفاد » أي انقطاع.

قوله « وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي » ما مصدرية ، أي مضى الباقي.

وقاطع الامنية : هو الموت ، وكذا القرينتان قبله كناية عن الموت .

و« المساورة » أي المواثبة، من السور وهو الوثب . وروي « المساررة »

---

١) في م : بيانه .

٢) في م : خطبتيه .

٣) في م : ويطلب .

٤) الزيادة ليست في م .

أي المسارة . وروي « المشاورة » أي اذكروا الموت عند عزمكم على العمل القبيح متفقين على ذلك .

وقوله « وخلف فينا راية الحق » قيل : المراد براية الحق القرآن والشريعة والحجج من أهل بيته « المتقدم لهم مارق » أي خارجي «والمتأخر عنهم زاهق[١]» أي هالك « واللازم لهم لاحق » بالسابقين الى الجنة « دليل » تلك الراية [و][٢] أولهم الهادي الى الكتاب والسنة .

رجل « مكيث الكلام » أي رزينه ، قال صخر :

فاني عن تفقدكم[٣] مكيث[٤]

ويعني بهذا الدليل نفسه لايتسارع الى كل أمر وانما يتأنى بالقيام اليه ، ولكن اذا قام الى أمر بالغ وجد وسارع. و« بطيء القيام »[٥] ليس بنقص، ومعناه ما ذكرنا ، والبطؤ نقيض السرعة ، يقال بطؤ مجيئك فأنت بطيء . وهذا يقال في الامر الممدوح والمذموم ، وتباطأ وأبطأ اكثر مايستعمل فيما يذم .

---

١) في م : « ناهق » وهو اشتباه لعله من سبق القلم .

٢) الزيادة ليست في م .

٣) كذا في د ، م . وفي لسان العرب : تفقركم .

٤) أولـه :

أنسل بني شعارة من لصخر فاني . . . .

قال في اللسان: والبيت لابى المثلم يعاتب صخراً. قوله : عن تفقركم أي عن ان اقتفي آثاركم ، ويروى عن تفقركم أي ان أعمل بكم فاقرة .

والمكيث : الرزين الذي لايعجل في أمره .

٥) في م : بطيء الكلام .

ثم أشار بعد هذا الكلام الى أنه اذا استقام له [1] الاسلام توفي عليه السلام ، وأومأ أيضاً الى انتشار الامر بعد وفاته مدة مديدة .

وقوله « حتى يطلع الله » يدل على امام غائب وبدر غارب الى أن يطلع . وروي « فلاتطعنوا في عين مقبل » .

وخوى نجم : أي سقط في المغرب ، وهذا أيضاً انباء الى كون امام معصوم من أولاده بعد امام الى أن يتكامل صنائع الله بخروج من يملأ الارض عدلا ، وأراكم الله تعالى في دولته ماكنتم تأملونه فضلا [2] .

وخطب الملاحم هي التي فيها ذكر الوقائع، والملحمة : الوقعة [3] العظيمة في الفتنة .

وقوله « وبأوليته وجب أن لاأول له وبآخريته وجب ان لا آخر له » يعني ان أوليته وآخريته لذاته لا لغيره ، أي علمنا أن هذه الموجودات المحدثة لابدلها من محدث ، وذلك المحدث لابد أن يكون سابقاً ومتقدماً وأولا ، ثم علمنا بأولية هذا المحدث ان لاأول له ، فهو قديم واذاكان الوجود لايجوزعليه العدم .

وقوله « وبآخريته » أي بوجوب وجوده أخيراً علمنا أن لاآخر له . وهذا المعنى انما يتصور اذا كانت الضمائر الاربعة كلها لله تعالى .

والاظهر أن الضمير في أوليته ليس له تعالى ، وكذا في آخريته لايكون لله تعالى ، فانه عليه السلام قال قبله الاول يعني الله تعالى هو الاول قبل كل أول

---

١) في م : « أمر » مكان « له » .

٢) قال ابن أبي الحديد في الشرح ٩٣/٧ مالفظه : واعلم ان هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته . الخ .

٣) في م : الوقيعة .

والله تعالى الآخر بعد كل آخر .

ثم قال « بأوليته » أي بأولية كل أول وجب أن لا أول له، وبآخرية كل آخر وجب أن لا آخر له تعالى . وهذا هو الذي يقوله المتكلمون ، ومثله كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أخرى، وهو «الحمد لله الدال بحدث خلقه على أزليته » .

وقوله « ولا يجرمنكم شقاقي » أي لا يكسبنكم خلافي الاثم . وقيل في معنى فلق الحبة أي وشق الحبة اليابسة فأخضر[1] منها ورقاً أخضر ثم زهراً ثم ثمراً . وقيل « فلق » بمعنى خلق. و« برأ النسمة » أي خلق النفس ، وهذا قسم علي عليه السلام خاصة .

والنبي الامي منسوب الى أم القرى ، وهي مكة .

قوله « كأني أنظر الى ضليل » أي الى رجل قد بالغ في الضلال والاضلال، قد صاح بأهل الشام، فحذف المضاف، أي دعاهم الى نفسه فأجابوه كما ينعق الناعق بغنمه . وقيل « نعق بالشام » معناه كان له بهذه البقعة نعيق وصوت .

[قوله] « وفحص في ضواحي كوفان » أي قلب البلاد والعباد في نواحي الكوفة ، يقال : فحص المطر التراب أي قلبه ، فيكون مفعول فحص محذوفاً ، أو يكون معناه بحث عن أحوال الناس في آفاق الكوفة. والفحص :البحث عن الشيء .

و« « الضواحي » في اللغة السماوات والنواحي ، وقد ذكره جرير في شعره بمعنى النواحي، و«براياته» أي بسبب راياته الكثيرة. وقيل ذلك اشارة الى خروج السفياني . وقيل : المراد به معاوية ومن بعده .

---

١) كذا في د . وفي م : فأخرج منه .

٢) في م : « الراعي » بدل « الناعق » .

وقوله « فاذا فغرت فاغرته » أي فتحت فاها فتنته الشديدة يأكل كل شيء، ونبه بقوله « فاغرته » على أن تلك الفتنة لاتبقي ولاتذر ، ولاتزال مدة صاحبها فاغرة .

والشكيمة : النفس ، وفلان شديد الشكيمة اذا كان أنفاً أبياً ، وهو من شكم: اذا عض .

فقوله « واشتدت شكميته » اذا صعبت عضته وصارت نفسه مجرسة معضضة صلبة .

والكلوح : : العبوس . والكدوح : الاثار من الجراحات . والكدح : الخدش .

و « هدرت شقاشقه » أي صاح هيجانه كشقاشق [1] البعير الهائج .

والقاصف : الريح التى تكسر كل شيء .

والعاصف : الشديدة .

و « عن قليل تلتف القرون بالقرون » أي تموتون كما مات قبلها قرون . وقيل معناه تجتمع للمحاربة بالكوفة الشبان والكهول والمشايخ ويتعاركون .

وقوله « قد ألجمهم العرق » أي سال من الناس يوم القيامة العرق الى أن يصل الى قرب أفواههم فكأنها ألجمهم « ورجفت بهم » حركتهم .

ثم ذكر فتناً أخرى شديـدة ، وقال « لاتقوم لها قائمة » أي لاتقوم لتلك الفتنة [2] قائمة فرس ، أي لاتقاتل منها أهلها ولايطيق خيل أصحـاب تلك الفتن . [قيل] [3] أي لايبقى لها قلعة قائمة ، يعني ينهدم كل بنية لها .

---

١) في م : كصياح شقشقة البعير الهائج .

٢) في م : الفتن .

٣) الزيادة من د .

وقوله « ولاترد لها راية » أي تظفر راياتها ولايردها أحد .

وقوله « تأتيكم مزمومة مرحولة » أي تكون تامة الاسباب كاملة الالات .

وقوله « يحفزها قائدها ويجهدها راكبها» أي يبالغ في انقيادنايرتها فرسانها ورجالتها . و« حفزه » أي دفعه من خلفه . والكلب : الشدة .

وقوله «شديدكلبهم قليل سلبهم» اي يقتلون ولايسلبون. و« نقم الله » أي عقوباته . والرهج : الغبار، وروى « ولارهج ولا دخن » والدخن : الدخان ، ومنه هدنته على دخن أي سكون لعلة لاللصلح . و « الدخن » أيضاً : الكدورة الى السواد .

والموت الاحمر : القتل . « والجوع الاغبر » أي القحط والجدب وقلة الشيء. وهذا القتل اشارة الى صاحب الزبج الذي ظهر بالبصرة من قبل، وانما وصف الجوع بالاغبر لان الجائع يرى الافاق مظلمة فكأن عليها غباراً ، وموت أحمر يوصف بالشدة، ومنه الحديث «كنااذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله » .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

أنظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها، فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الامن، لايرجع ماتولى منهافأدبر، ولايدرى ما هو آت منها فينتظر .

سرورها مشوب بالحزن ، وجلد الرجال فيها الى الضعف والوهن ، فـلا تغرنكم كثرة مايعجبكم فيها لقلة مايصحبكم منها .

رحم الله امرءاً تفكر فاعتبر ، واعتبر فأبصر، فكأن ماهو كائن من الدنيا عن

قليل لم يكن، وكأن ماهو كائن من الاخرة عما قليل لم يزل، وكل معدود منقض، وكل متوقع آت ، وكل آت قريب دان .

(منها) : العالم من عرف قدره ، وكفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره ، وان من أبغض الرجال الى الله تعالى لعبداً وكله الله الى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل ، ان دعي الى حرث الدنيا عمل و [ان دعي][1] الى حرث الاخرة كسل ، وكأن ماعمل له واجب عليه ، وكأن ماوني فيه ساقط عنه .

(منها) : وذلك زمان لاينجو فيه الا كل مؤمن نومة، ان شهد لم يعرف، وان غاب لم يفتقد ، أولئك مصابيح الهدى ، وأعلام السرى، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر، أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته[2] ويكشف عنهم ضراء نقمته.

أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه .

أيها الناس ان الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ، ولم يعذكم من أن يبتليكم ، وقد قال جل من قائل « ذلك لايات وان كنا لمبتلين » .

قال السيد الرضي رحمه الله تعالى :

أما قوله عليه السلام « كل مؤمن نومة » فانما أراد به الخامل الذكر القليل الشر. «والمساييح» جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين بالناس الفساد والنمائم. و « المذاييع » جمع مذياع ، وهـو الذي اذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها . و « البذر » جمع بذور ، وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه .

---

١) الزيادة من يد . وفي الف ، ب : أو الى حرث الاخرة .

٢) في م : الرحمة ويكشف لهم ضراء النقمة .

(الاصــل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

[وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية][1]

أما بعد، فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ،يسوقهم الى منجاتهم ، ويبادربهم الساعة أن تنزل بهم . يحسر الحسير ويقف الكسير ، فيقيم عليه حتى يلحقه غايته الاهالكاً لاخير فيه ، حتى أراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم ، فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم .

وأيم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها ماضعفت ولاجبنت ولاخنت ولاوهنت ، وأيم الله لابقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته .

قال الرضي رحمه الله تعالى :

وقد تقدم مختار هذه الخطبة ، الا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ماسبق من زيادة ونقصان ، فأوجبت الحال اثباتها ثانية [2] .

(الاصــل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

حتى بعث الله محمداً صلى الله عليـه شهيداً وبشيراً ونذيراً ، خير البريـة

---

١) ليست هذه الزيادة في يد . وقد وقعت هذه الزيادة في «الف» آخرقول السيد الرضي وقبل الخطبة .

٢) ليس قول الرضي رضى الله عنه هذا في ب .

طفلا وأنجبها كهلا ، وأطهر المطهرين شيمة ، وأجود المستمطرين ديمة . فما أحلولت لكم الدنيا في لذتهـا ، ولاتكنتم من رضـاع أخلافها الا من بعده ، صادفتموها جائلا خطامها قلقاً وضينها ، قدصار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود ، وحلالها بعيداً غير موجـود ، وصاد فتموها والله ظـلا ممدوداً الى أجل معدود . فالارض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة ، وأيدي القادة عنكم مكفوفة ، وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة .

ألاوان لكل دم ثائراً، ولكل حق طالباً، وان الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه، وهو الله الذي لايعجزه من طلب ولايفوته من هرب . فأقسم بالله يابنى أمية عماقليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم .

ألا وان أبصر الابصار مانفذ في الخير طرفه ، ألا ان أسمع الاسماع ماوعى التذكر وقبله .

أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفي[1] عين قد رؤفت من الكدر .

عباد الله لاتركنوا الى جهالتكم ، ولاتنقادوا الى[2] اهوائكم ، فان النـازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هـار ، ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع، لرأي يحدثه بعد رأي يريد أن يلصق مالا يلتصق ويقرب مالا يتقارب .

فالله الله أن تشكوا الى من لايشكى شجوكم، وينقض برأيه ماقد أبرم لكم. انه ليس على الامام الاماحمل من أمر ربه الابلاغ في الموعظة ، والاجتهاد في النصيحة ، والاحياء للسنـة ، واقامة الحدود على مستحقيها ، واصدار السهمان

---

١) في ب ، م ، نا : صفو .

٢) في م ، ب ، الف ، نا : لاهوائكم .

على أهلها .

فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله ، وانهوا [غيركم][1] عن المنكر ، وتناهوا عنه ، فانما أمرتم بالنهي بعد التناهي .

(الشرح) :

اكثرها واضح ، ونتكلم عليها مع ذلك ، فنقول :

قوله « الصادفين عنها » أي المعرضين عنها والمائلين[2] مع قدرتهم عليها، فهم الزاهدون حقاً .

والثاوي : المقيم . والمترف : الذي أترفته النعمة ، أي أطغته .

ثم قال : ولايعود الى الناس الذي تولى من أحوال الدنيا ، كالشباب وقوته وولى الدبر ، ولايعلم أي شيء سيأتي مثل الصحة والمرض والغنى والفقر ، فينتظر رجوع ذلك[3] أواتيان هذا . وما استفهامية ، ويجوز أن تكون موصولة.

مشوب : مخلوط . والجلد : الصلابة والجلادة .

وقال في ذكر زينة الدنيا وبلائها كأن ذلك عن قليل لم يكن ، وقال فيما يكون من الثواب والعقاب كأنه عماقليل لم يزل . ومافي «عما قليل» صله زائدة أكد الكلام الاخير به ، أي لم يزل كان ولم يكن قبل ذلك .

وقوله « كأن ماعمل له » أي لحرث الدنيا « وكأن ماونى فيه » أي ضعف في حرث الآخرة .

---

١) الزيادة من م .

٢) ليس « والمائلين » في م .

٣) في م : ذاك .

والحرث : الزرع وكسب المـال ، وفي الحديث « أحرث لدنياك كأنك تعيش أبداً » .

« والنومة »[1] بسكون الواو : الرجل الضعيف، والنومة بفتح الواو :الكثير النـوم .

و « يكفأ فيـه الاسلام » أي يقلب كمـا يقلب الاناء ، وذلك كقوله تعالى « ياأيها النبى اذاطلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » الى قوله « وأشهدوا ذوي عدل منكم »[2] فاعتبر تعالى في الطلاق حضور شاهدي عدل ولم يعتبرهما في النكاح، فقال « فأنكحوا ماطاب لكم من النساء »[3] الاية. ونحوها فعكس العامة المسألة .

وجوزالله القياس عقلا ولم يجوزه شرعاً لفقد الدليل، فأجازوا في الشرعيات وابى الاكثرون ذلك في العقليات .

وقولـه « ان الله أعاذكم من أن يجور عليكم » أي انه تعالى لايظلم ولكن ربما يظلم بعضكم بعضاً فلا يدفعه الجاه ، ثم ينتصف حتى للشاة الجماء من القرناء ، وهذا ابتلاء .

وقوله « وان كنا لمبتلين » أي ان الامروالشأن كنا مكلفين العباد فيما مضى فكذلك فيما يستقبل .

و « نوه باسمه » أي رفع ذكره . وناه : ارتفع .

وقوله «ويبادربهم الساعة» أي ينزل بهم ، أي يسابق محمد صلى الله عليه وآله بوعظ [4] أمته القيامة . «وأن تنزل» بدل «من الساعة» بمعنى نزول الساعة

---

١) في ص سقط من « بالغداة » الواقع في شرح الخطبة (٩٥) الى هنا .

٢) سورة الطلاق : ١ ، ٢ .

٣) سورة النساء : ٣ . في هذه الجمل تقديم وتأخير بين النسخ .

٤) في م ، ص : يوعظه أمته .

بهـم .

ثم قال : انه صلى الله عليه وآله نبي الرحمة ، يقيم في هذا السفر على كل واحد من أمتـه سواء كان معيى البدن أو مكسور الدابة حتى يلحقه مقامـه من الجنة الاهالكاً خارجاً عن الملة ، ولانه عليه السلام أرى جميعهم سبيل نجاتهم وبلغ الرسالة الى الكل فاستقام أمر الاسلام [1] .

وحلف أنه كان من ساقة الحرب حتى أعرضت بحملتها . والساق : الشدة، وساقتها مؤخرها وحومتها ، واستوسقت: أي اجتمعت ، والاتساق :الانتظام .

و « لابقرن » أي لاشقن و« ما احلولت » أي صارت حلوة جداً هذه الدنيا لكم يابنى آدم .

و « الخلف » بالكسر : حلمة ضرع الناقة القادمان والاخران .

وقوله «ولاتمكنتم من رضاع أخلافها الامن بعده صادفتموها جائلاخطامها » أي مارضعتم لبن ناقتها الا وجدتم حالها يتغير عليها لاتمكنكم من زمامها .

والوضين : سيور منسوجة بعضها على بعض مضاعفة ، وهو كالنسع [2] الا أنه تتخذ كالهودج . « وقلقاً وضينها » أي مضطرباً حزامها .

والسدر: شجر معروف . والمخضود : الذي خضد شوكه ، أي قطع .

« فالارض لكم شاغرة » أي خالية ، من شغر البلد : أي خلا .

والثـائر : الذي لايبقى على شيء حتى يدرك ثاره ، يقال ثارت [3] بالقتيل أي قتلت قاتله . وقوله « الثائر في دمائنا » هو الله « كالحاكم في حق نفسه » .

---

١) في م : ثم حلف .

٢) النسع بكسر النون :سير يضفر على هيئة أعنة النعال عريضاً للتصدير.

٣) في م : القتيل .

ويقول :الذي يطلب دماءنا منكم هو الله تعالى الغلاب القهار، يحكم بمر القضاء كمن يحكم لنفسه والحاكم في حق نفسه لايقصر ، أي اناقتلنا عداوة لله تعالى ، فاذا طلب دماءنا فهو يحكم لنفسه .

ثم خاطب بنى أمية وحلف انكم[1] لتعرفن الدنيا دار عدوكم بنى العباس، وفي أيدي غيرهم[2] عن قليل . ويعلم من فحوى[3] الكلام أنه يقول : ان الامر بعدي لبني[4] أمية لايرجع الى آل محمد الذين هم ولاة الامر .

وامتاحوا : أي استقوا . وقوله « فان النازل بهذا المنزل » الذى هو الجهالة والهوى. و« شفاجرف » ظرف موضع تجرفه السيول[5] ، أي أكلت ماتحته فهو يسقط اذا قام عليه انسان .

و « هار » مقلوب من هائر ، كقولهم شاك السلاح وشايك السلاح . وفسر « هار »بساقط .

« فالله الله » أي خافوا الله ان ترفعوا شكايتكم من حالكم المحزنة الى من لايرق قلبه لكم فيبكي أو لايداويكم .

وقوله « شجوكم » مفعول تشكوا، وروى « الى من لايشكى » أي الى من لايزيل الشكاية .

ثـم ذكر أن ما على الامام من أمرالله خمسة اشياء وفصلها . وان علياً قد وعظ ونصح وأحيى الشريعة وأقام حدود الله وأعطى كل ذي سهم سهمه . وهذا

---

١) في هامش م : انهم .

٢) في م : غيركم .

٣) في م : هذا الكلام .

٤) في م : ان الامر بعد بني أمية لايرجع .

٥) جرف السيل الوادي يجرفه جرفاً : جوخه . وجرف الشيء يجرفه : أخذه أخذاً كثيراً .

خطاب لجميع الناس .

ثم قال : « بادروا العلم » واطلبوه قبل ذهابه . و « تصويح النبت » للعلم استعارة ، يقال : صوحت الريح النبت أي ايبسته .

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده ، وأعز أركانه على من غالبه ، فجعله أمناً لمن علقه ، وسلماً لمن دخله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، ونوراً لمن استضاء به ، وفهماً لمن عقل ، ولباً لمن تدبر ، وآية لمن توسم ، وتبصرة لمن عزم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوض ، وجنة لمن صبر .

فهو أبلج المناهج وأوضح الولائج، مشرف المنار مشرق الجواد ، مضيء المصابيح كريم المضمار، رفيع الغاية ، جامع الحلبة ، متنافس السبقة ، شريف الفرسان . التصديق منهاجه ، والصالحات مناره ، والموت غايته ، والدنيا مضماره ، والقيامة حلبته ، والجنة سبقته .

ومنها) في ذكر النبي صلى الله عليه وآله :

حتى أورى قبساً لقابس، وأنارعلماً لحابس، فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة .

اللهم اقسم له مقسماً من عدلك ، واجزه مضعفات الخيرمن فضلك .

اللهم وأعل على بناءالبانين بناءه، وأكرم لديك نزله، وشرف عندك منزله، و الوآته سيلة واعطه السناء والفضيلة ، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولانادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مفتونين .

[وقال الرضي رحمه الله تعالى] :

وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم، الا أننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف[1] .

(ومنها) في خطاب أصحابه :

وقد بلغتم في كرامة الله لكم منزلة تكرم بها اماؤكم ، وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لافضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ، ويهابكم من لايخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة .

وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون ، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع ، فمكنتم الظلمة من منزلتكم ، وألقيتم اليهم أزمتكم ، وأسلمتم أمور الله في أيديهم ، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات ، وأيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(في بعض أيام صفين)

وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، تحوزكم الجفاة الطغام واعراب أهل الشام، وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف، والانف المقدم والسنام الاعظم .

ولقد شفا وحاوح صدري أن رأيتكم بأخرة ، تحوزونهم كما حازوكم ، وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم ، حساً بالنصال وشجراً بالرماح ، تركب أولاهم أخراهم ، كالابل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها.

---

١) ليس قول السيد الرضي رضي الله عنه في ب، الف، وفي «نا» في الهامش.

(ومن خطبة له عليه السلام)

(وهي من خطب الملاحم)

الحمدلله المتجلي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجته، خلق الخلق من غير روية، اذكانت الرويات لا تليق الا بذوي الضمائر، وليس بذي ضمير فى نفسه، خرق علمه باطن غيب السترات، وأحاط بغموض عقائد السريرات.

(منها) في ذكر النبى صلى الله عليه وآله:

اختاره من شجرة الانبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة.

(منها): طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي وآذان صم، وألسنة بكم. متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة.

لم يستضيؤا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم في ذلك كالانعام السائمة، والصخور القاسية، قدانجابت السرائرلاهل البصائر، ووضحت محجة الحق لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسمها.

مالي أراكم اشباحاً بلاأرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونساكاً بلاصلاح، وتجاراً بلا أرباح، وايقاظاً نوماً، وشهوداً غيباً، وناظرة عمياً، وسامعة صماً[1]، وناطقة بكماً[1].

راية ضلالة[2] قدقامت على قطبها، وتفرقت بشعبها، تكيلكم بصاعها،

---

١) في يد: عمياء وصماء وبكماء.

٢) في يد: راية ضلال.

وتخبطكم بباعها ، قائدها خارج من الملة قائم على الضلة ، فلا يبقى يومئذ منكم الاثفالة كثفالة القدر ، أونفاضة كنفاضة العكم ، تعرككم عرك الاديم ، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب .

أين تذهب بكم المذاهب ، وتتيه بكم الغياهب ، وتخدعكم الكواذب ، ومن أين تؤتون ، وأنى تؤفكون . فلكل أجل كتاب ، ولكل غيبة اياب .

فاستمعوا من ربانيكم ، وأحضروه قلوبكم ، واستيقظوا أن هتف بكم ، وليصدق رائد أهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه ، فلقد فلق لكم الامرفلق الخرزة ، وقرفه قرف الصمغة .

فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه ، وركب الجهل مراكبه[1]، وعظمت الطاغية وقلت الداعية ، وصال الدهر صيال السبع العقور ، وهدرفنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدين ، وتحابوا على الكذب ، وتباغضوا على الصدق .

فاذا كان ذلك كان الولد غيظاً ، والمطرقيظاً، وتفيض اللئام فيضاً ، وتغيض الكرام غيضاً ، وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً ، وسلاطينه سباعاً ، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه أمواتاً ، وغار الصدق وفاض الكذب ، واستعملت المودة باللسان ، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً ، والعفاف عجباً ، ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً .

(بيانه) :

ذكر في صدر الخطبة الاولى ان الاسلام سهل مشرعه. للواردين، وعزيز

---

١) في نا ، م : قيضاً .

شديد ركنه على المغالبين .

ثم قال : انه تعالى جعل الاسلام سبباً لاربعة [1] اشياء من الرغائب .

ثم قال « فهو أبلج المناهج » والضمير للاسلام ، ووصفه بعشرة اشياء [من الممادح . ثم عد من خصائص الاسلام ستة اشياء][2] وليس من الغريب فيها الا كلمات .

وقوله «لمن توسم» أي علامة لمن تفرس، يقال: توسمت فيه الخير أي تبينت.

والجنة : الترس . و « ابلج المناهج » أي معروف الطرق .

و « الحلبة » بالتسكين : خيل تجمع للسباق من كل أوب [لا تخرج من اصطبل واحد كما يقال للقوم اذا جاؤا من كل اوب] [3] للنصرة قد احلبوا .

والمضمار : الموضع الذي تضمر فيه الخيل ، وتضميرها هو أن [4] يعلفها حتى تسمن ثم يردها الى القوت ، وذلك في أربعين يوماً ، وهذه المدة أيضاً تسمى المضمار .

ثم وصف رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه « أورى قبساً لقابس » أورى أي استخرج النار من الزند . والقبس : شعلة من نار ، والقابس : طالب النار من الغبر أن يأخذها .

ثم قال « وأنار علماً لحابس » أي أضاء العلم للذي يحبس [نفسه على ذات الله ، وأشار أولا الى العلم فكأنه اومأ الى الجهاد] [5] بالقرينة الثانية .

---

١) في م : لاربعة عشر شيئاً .

٢) الزيادة من م .

٣) الزيادة من م .

٤) في م : وتضميرها تعليفها حتى تسمن ثم ردها .

٥) الزيادة من م .

والحابس : من يحبس فرسه في سبيل الله ، ويجوز على العموم دعاء الله بأن محمداً صلى الله عليه وآله يارب امينك وشهيدك ومبعوثك فأكرم نزله ، أي مايتغذى به غذاء .

« وآته الوسيلة » وهي درجة رفيعة[1] في الجنة .

« واحشرنا في زمرته » أي جماعته « غير خزايا » فعالى يجمع علىفعلان مكسوراًكذلك، نحوسكران وسكارى وحيران حيارى وغيران غيارى ، فجعلوا المذكر الذي هو خزيان ونحوه تشبيهاً[2] بصحراء وصحارى، والصحراء مؤنثة. وكل فعلاء ليس مؤنث أفعل فانه يجمع على فعالى .

ثم قال : ولاتجعلنا « ناكبين » عن الطريق « ولاناكثين » للعهود .

ثم خاطب أصحابه فقال: ان الله أعطاكم منزلة من الاكرام يعظم جاركم ومملوككم لاجلكم ، لالفضل فيكم أوتفضل منكم أوهيبة . وهذه عهود الله قد نقضها طلحة والزبير ومعاوية وأتباعهم وانتم لاتغضبون ، وان نقض أحد ذمة آبائكم أخذتكم الانفة والحمية ، وها أنا فيما بينكم أعرض[3] امر الله عليكم ليلا ونهاراً فلاينفع شيء وصرتم منقادين لمعاوية .

ثم حلف أن بني أمية « ان فرقوكم تحت كل كوكب » في الافاق ، فان الله ينتقم لكم منهم. وجعلهم تحت كل كوكب عبارة عن تفريقهم أمواتاً وأحياء تفريقاً شديداً .

واشار بقوله «لشريوم لهم» الى يوم القيامة أوالى ماجرى عليهم من هلاكهم

---

١) في م : الدرجة الرفيعة .

٢) في م : مشبهاً .

٣) في م : أمور الله .

في الدنيا بخروج ابى مسلم وغيره[1] .

وخاطب أصحابه أيضاً بصفين وقال : كيف لاتغضبون وأنتم سادة العرب وقدجمعتكم اراذل أهل الشام ، الا أن قلبى طاب مرة حين ضيقتم الامرعليهم.

وقوله : رأيت انحيازكم من الصفوف « تحوزكم الجفاة الطغام » وانحاز عنه : انعدل [وانساق وذهب يقال][2] انحاز القوم : تركوا مراكزهم[3] الى آخر . ويقال كلمة « انحازوا » للاولياء بمنزلة « انهزموا » للاعداء ، وقد حاز الابل يحوزها ويحيزها أي ساقها . والحوز والحيز : السوق اللين .

والطغام: أوغاد[4] الناس، ويستوي فيه الواحد والجمع، وروي « الطغاة » .

---

١) هوعبدالرحمن بن مسلم بن‌سنفيرون بن اسفنديار الخراساني المروزي المكنى بأبي مسلم ، صاحب الدولة العباسية ومؤسسها وأحد كبار القادة .

قال في البدء والتاريخ : كان أقل الناس طمعاً ، مات وليس له دار ولاعقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار . انتهى .

وكان فاتكاً شجاعاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ، وقتله أبوجعفر المنصور بالمدائن في سنة أربعين ومائة ، وعاش أبومسلم سبعاً وثلاثين سنة .

راجع تاريخ بغداد ٢٠٧/١٠ ، تاريخ البدء والتاريخ ٦١/٦ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، الاعلام ١١٢/٤ .

٢) مابين المعقوفين ليس في م . وكذا ليس « وذهب » في ص .

٣) في م : مركزهم .

٤) الوغد : الخفيف الاحمق الضعيف العقل الرذل الدنيء . فلان من أوغاد القوم أي من أذلائهم وضعفائهم .

« واللهاميم » جمع اللهموم[1] ، وهـو الجواد الشريف . ويقـال للسحاب « اللهاميم » تشبيهاً بالاسخياء .

ويكنى « باليافوخ » عن الشريف .

وانمـا قال « والانف المقدم » على لفظ الواحد ولـم يجمع لان المراد وأنتم ذوو الانف المقدم ، فحذف المضاف . وكذا أنتم ذوو « السنام الاعظم» فحذف منه المضاف .

قوله « وشفا وحاوح صدري » أي حزازته ، من وحوح الرجل : اذانفخ في يده من شدة البرد . والوحوحة : صوت معه بحح .

وقوله « حساً بالنصال»أي قتلابها ، والنصل : يقال للسهم والسيف والرمح والسكين ، والجمع نصال ونصول .

« والحس » من قولهم حسسناهم أي استأصلناهم قتلا . وروي « حشاً » بالنصال ، والحشأ اصابة السهم الجوف « والنصال » المناصلة والرمي .

والشجر : الطعن . والابل الهيم : العطاش . وتذاد : تطرد .

ثم قال « الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه » أي الظاهر بقدرته لعباده[2] بكل آية يجددها الله ، فكأنه تعالى يتجلى ويظهر للعبادبها ، قال تعالى « فلما تجلى ربـه للجبل »[3] أي ظهر أمر ربـه لاهل الجبل . وقيل : تجلى بمعنى جلى ، نحوحدث وتحدث ، وتقديره فلما جلى ربـه أمره للجبل ، ومعنى قولـه عليه السلام « الحمد لله المظهر عظمته لخلقه بهم » فحذف المفعول. واذاكان تجلى غير متعد [فالمعنى] « الحمد لله الظاهر أمره للعقلاء بهم وبغيرهم » .

والروية : الفكر ، وهذا غير لائق الابمن كان له قلب، وهوتعالى ليس بذي

---

١) في م : اللهوم .

٢) في م : فكل .

٣) سورة الاعراف : ١٤٣ .

قلب والله تعالى مالك الضمائر والمضمرين وكلهاله الا أنه ليس بذي ضمير في ذاته ، فاحترز بقوله « في نفسه » من هذا .

والمشكاة : الكوة التى ليست بنافذة .

وسرة البطحاء : خيارها . و « المرهم » هو الذي يوضع على الجراحة [1] معرب .

و« المواسم » جمع ميسم ، وهو المكواة .

وانجابت : انكشفت . والصخر القاسي : الصلب .

و« أسفرت الساعة » أي ظهر أمر الساعة [2] ، من قولهم « أسفر الصبح » اذا أضاء . ومن فسره بأن معناه أي كشفت القيامة غطاءها ، فقد سها لانه يقال « سفرت المرأة عن وجهها » اذا ألقت قناعها. ولوروي « سفرت » لكان حسناً . وقيل انهما يتداخلان .

وقوله «مالي أراكم اشباحاً بلاارواح» أي أي شيء اعترض لي حتى أراكم أشخاصاً بلا أرواح وعقول وأراكم أرواحاً خفيفة سفهاء بلا اشخاص رزان حلماء .

وقيل : انما قال « أرواحاً بلا أشباح » لانه أراد انكم [3] ناقصون وان كلامنها لايتم دون صاحبه .

والنساك : العباد . وروي « وتجاراً » وهذا أيضاً حسن ، فانه جمع تاجر والتاجر ذوالارباح ، وهو من يشتري الدار الاخرة بالدار الفانية .

وقوله « راية ضلالة قامت على قطبها » تقديره هذه راية ضلالة ، وأشار بها

---

١) في م : على الجراحات .

٢) في م : « أثرها » مكان « أمر الساعة » .

٣) في م : ان جميعكم .

الى رايات معاوية وبنى أمية .

والثفالة : الثفل. والنفاضة : [ما سقط عن شيء[1] ونفضته أي حركته ليفتض و « العكم » العدل .

وتتيه بكم : أي تحيركم . والغياهب : أي الظلمات .

قوله « فاستمعوا من ربانيكم » أي مني، أراد به نفسه . و« الرباني » المتأله العارف بالله . وروي « واحضروه قلوبكم » أي أحضروا كلامه في قلوبكم .

وهتف بكم : صاح بكم . والرائد :الذي يتقدم المنتجعين يطلب لهم الماء وهو لا يكذب أهله .

قوله : فلقد فلق لكم الامر : أي بين هذا الرباني الذي هو علي عليه السلام امر الدين لاجلكم وشق ما كان ملتبساً كما يفلق الخرزة فيعرف باطنها . وفسر علم الدين وأخرجه من بين الجهل كما يقشر[2] الصمغ من شجرة .

وقرف : أي قلع .

قوله « وعظمت بالطاغية »أي الطغاة .

قوله « وقلت الراعية » أي الرعاة ، وروي الداعية أي الدعاة .

وصيال السبع : أي حملة الاسد الذي يعقر .

وهدر : صوت .

والفنيق : العجل المكرم .

وبعد كظوم : أي سكوت ، يقال :كظم البعير يكظم كظوماً اذا أمسك عن الجرة .

---

١) الزيادة من م .

٢) في م : كما يفرق .

« وتواخي» هو تآخي من الاخوة . و« تحاببوا » هو « تحابوا » على فك الادغام .

قوله « وكان الولد غيظاً » أي يفعل الولد ما يغيظ الوالد .

وغار الماء : سفل في الارض . وفاض ، أي سال ، واستعارهما للصدق والكذب لنقصان ذلك وكثرة هذا .

وتشاجر : اي تخاصم ، وروي « تشاحن » أي تعادى .

وقوله « ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً » له معنيان : أحدهما الاسلام يعكس أمره ويغير. والثاني أن أهل الاسلام يطلبون به الدنيا لاالاخرة ويجعلون التدين [٢] زينة ووقاية لانفسهم في الدنيا فقط .

(الاصل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

كل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، غنى كل فقير ، وعز كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف . من تكلم سمع نطقه ، ومن سكت علم سره ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فاليه منقلبه . لم تـرك [١] العيون فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك، لم تخلق الخلق لوحشة، ولااستعملتهم لمنفعة ، ولايسبقك من طلبت ، ولايفلتك من أخذت ، ولا ينقص سلطانك من عصاك ، ولايزيد في ملكك من أطاعك، ولايرد أمرك من سخط قضاءك ، ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك . كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة، أنت الابد فلا أمد لك ، وأنت المنتهى فلا محيص عنك ، وأنت الموعد فلا

---

١) في م : الدين .

٢) في م : لم تدركك .

منجى منك الا اليك . بيدك ناصية كل دابة ، واليك مصير كل نسمة .

[سبحانك ما أعظم شانك] [1] سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك ، وما أصغر عظيمة في جنب قدرتك، وما أهول ما نرى من ملكوتك ، وما أحقرذلك فيما غاب عنا من سلطانك، وما أسبغ نعمك في الدنيا وماأصغرها في نعم الاخرة.

(**منها**) : من ملائكة أسكنتهم سماواتك ، ورفعتهم عن أرضك ، هم أعلم خلقك بك وأخوفهم لك ، وأقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ، ولم يضمنوا الارحام ، ولم يخلقوا من ماء مهين ، ولم يتشعبهم ريب المنون ، وانهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك،وكثرةطاعتهم لك،وقلة غفلتهم عن أمرك لوعاينوا كنه ماخفي عليهم منك لحقروا أعمالهم، وازرواعلى أنفسهم ، ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ، ولم يطيعوك حق طاعتك .

سبحانك خالقاً ومعبوداً ، بحسن بلائك عند خلقك ، خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة مشرباً ومطعماً ، وازواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً ، ثم أرسلت داعياً يدعو اليها، فلاالداعي أجابوا، ولا فيما رغبت [فيه] [2] رغبوا، ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا . اقبلو على جيفة قد افتضحوا بأكلها ، واصطلحوا على حبها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه، فهوينظربعين غيرصحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه ، فهو عبدلها ولمن في يديه شيء منها ، حيثما زالت زال اليها ، و حيثما أقبلت أقبل عليها .

لاينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ . وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا اقالة [لهم] [3] ولارجعة، كيف نزل بهم ماكانوا يجهلون، وجاءهم

---

١) الزيادة من يد .

٢) الزيادة من ص . ومن هامش نا .

٣) الزيادة من يد .

من فراق الدنيا ماكانوا يأمنون ، وقـدموا من الآخرة على ماكانوا يوعدون ، فغير موصوف مانزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها أطرافهم وتغيرت لها ألوانهم .

ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً ، فحيل بين أحدهم وبين منطقه ، وانه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه ، يفكر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره، ويتذكر أموالا جمعها وأشرف على فراقها، تبقى لمن ورائه ينعمون فيها ويتمتعون بها ، فيكون المهنـأ لغيره والعبء على ظهره . والمرء قد غلقت رهونه بها ، فهو يعض يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره ، ويزهد فيماكان يرغب فيه أيام عمره ، ويتمنى أن الذيكان يغبطه بها ويحسده عليها قدحازها دونه .

فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط [لسانه] [1] سمعه ، فصار بين أهله لاينطق بلسانه ولايسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر فيوجوههم، يرىحركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم .

ثم ازداد الموت التياطاً [به][2] ، فقبض بصره كما قبض سمعه ، وخرجت الروح من جسده ، فصار جيفة بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه ، لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً .

ثـم حملوه الى محط في [3] الارض، فأسلموه فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته، حتىاذا بلغ الكتاب أجله ، والامر مقاديره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه ، أماد السماء وفطرها ، وأرج

---

١) الزيادة من يد .

٢) ليس « به » في يد . وفي نا : « به التياطاً » .

٣) في الف ، ب ، نا : الى مخط . وفي ص ، م : من الارض .

الارض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته ، وأخرج من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفريقهم .

ثم ميزهم لما يريده من[1] مساءلتهم عن[2] خفايا الاعمال وخبايا الافعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء، فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال ، ولا تتغير بهم الحال ، ولا تنوبهم الافزاع ، ولا تنالهم الاسقام ، ولا تعرض لهم الاخطار ، ولا تشخصهم الاسفار .

وأما اهل المعصية فأنزلهم شردار، وغل الايدي الى الاعناق، وقرن النواصي بالاقدام ، وألبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران ، في عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجب، ولهب ساطع ، وقصيف هائل، لا يظعن مقيمها ، ولا يفادى أسيرها ، ولا تفصم[3] كبولها ، ولا مدة للدار فتفنى ، ولا أجل للقوم فيقضى .

(الاصـل) :

(منها) في ذكر النبى صلى الله عليه وآله :

قد حقر الدنيا وصغرها ، وأهون بها وهونها ، وعلم أن الله سبحانه زواها عنه اختياراً وبسطها لغيره احتقاراً، فأعرض عن الدنيا بقلبه ، وأمات ذكرها عن[4] نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً أو يرجو فيها مقاماً، بلغ عن ربه معذراً، ونصح لامته منذراً ، ودعا الى الجنة مبشراً [وخوف من

---

١) في الف ، ب ، نا ، ص : لايريد من مساءلتهم .

٢) ليس « خفايا » في م ، ب ، الف ، نا .

٣) في الف ، ب ، م : لاتقصم .

٤) في م ، ص ، وهامش نا : من نفسه .

النار محذراً] [1] .

نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة. [ويروى : اللعنة] [2] .

(بيانه) :

ذكر الله في أول الخطبة ووصفه بأصاف العظمة . وتفنن في الكلام ، خاطب بعد الغيبة كقوله تعالى « الحمد لله » ثم قال « اياك نعبد » [3] .

وقال علي عليه السلام «كل شيء خاشع لله» وكل موجود محتاج اليه لايقوم الابه ، وهو تعالى غني على الحقيقة .

ثم ذكر الى تمام عشر صفات ، ثم قال « لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك » هذا تركيب من الكلام عجيب يعجز البلغاء عن ايراد معناه ، يقول : يارب مارأتك عين ناظر ، فانها ان رأتك من طريق المشاهدة أخبرت أنك على صفات الاجسام المتحيزة أو الالوان وغيرها من الاعراض الحالة وكلتاهما محدثة ، وأنت الله الموجود في الازل القديم ، لم تزل كنت ولم يكن هذه المخلوقات فكيف تقاس عليها ، وماخلقت خلقاً ليدفع عنك مضرة أوليجلب اليك منفعة . ثم نزهه عمالايليق به عزوجل الى أن قال : سبحانك ما أعظم مايرى من خلقك ، وما أصغر عظمة في جنب قدرتك .

والوحشة : الخلوة مع الهم .

---

١) الزيادة من يد .

٢) الزيادة من م .

٣) سورة الفاتحة : ١ ، ٤ .

« ولم يتشعبهم ريب المنون » أي لم يفرقهم الموت .

وتشعب : بمعنى شعب ، وروي « ولم يشتعبهم » .

ويروى أن الملائكة يموتون بعد موت الانس بأسرهم [1] ، وكل ماخلقه [2] الله منهم حي ، والاشراف منهم لاتكون مساكنهم ومنازلهم الاعلى السماوات كجبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل عليهم السلام ، والى هـذا أشار بقوله : « ورفعتهم عن أرضك » والا ففي الارض كثير منهم .

وقيل ان كل من كان من الملائكة في الارض من الحفظة والكرام الكاتبين يرجعون الى السماء ، ولا يكونون على الدوام هنا [3] بل يتناوبون .

ووصفهم بأنهم مع كثرة طاعتهم لله « لوعاينوا كنه ماخفي عليهم لحقروا أعمالهم » .

وكنه الشيء : غايته وحقيقته .

« وخفي الشيء » أي انستر .

وحقرت الشيء واحتقرته واستحقرته أي أستصغرته ، وحقرته : صغرته .

وزريت عليه: اذا عبت عليه، والازراء : التهاون بالشيء . وروى «ولازروا على أنفسهم » ، والصحيح بغير الف ، لان ازراء تستعمل مع الباء .

والمأدبة : الطعام الذي يؤدب اليه الناس ، أي يدعى الى اكله .

ثم ذكر بعد وصف الملائكة كيفية تدبير الله للمكلفين وحسن معاملتهم [4]

---

١) راجع البحار ٣١٦/٦ : بـاب نفخ الصور وفناء الدنيا وان كل نفس تذوق الموت .

٢) في م : خلق الله .

٣) في م : هيهنا .

٤) في م : معاملته .

معهم ، وان أكثرهم تركوا ماخلقوا له واشتغلوا بماخلق لهم .

ثم ذكرالموت وسكراته وحسراته وندامة الناس اذا ازداد أسباب الموت [فيهم][1] .

« ولوجاً » أي دخولا في اعضائهم من فترها بذهاب الحياة والقدرة والشهوات، يتذكر مالا «اغمض» في مطلبه، أي تساهل في اكتسابه أينما وجده، فيكون « المهنا » بمكان تلك الاموال لغيره والحساب عليه .

والمهنأ والهنى بمعنى ، من هنأت الطعام : أي تهنأته .

والعبء : الثقل .

قوله « والمرء قد غلقت رهونه بها » أي هلكت نفسه بها ، أي مع جميع أمواله من غلق الرهن، أي استحقه المرتهن اذا لم يفكه الراهن في الوقت المشروط.

قوله « يندم على ما أصحر له » أي ظهر ، يقال « اصحر الرجل » أي خرج الى الصحراء .

وروي « ثم زاد الموت التياطاً به» أي لصوقاً، وزاد وازداد هاهنا غير متعد.

وروي « الى محط من الارض » بالحاء غير المعجمة .

واماد السماء : أي حركها . وروي [2] : أمار ومار يمور اذا جاء وذهب .

وفطرها : أي شقها .

« وأرج الارض » أي حركها مع رجيج وصوت ، و« رج » لغة القرآن .

وأرجفها : جعلها مضطربة .

ونسفها : قلعها . ودك : أي دق .

[وقوله «ثم ميزهم لما يريد» اشارة الى قوله تعالى « وامتازوا اليوم أيها

---

١) الزيادة من م .

٢) في م : ويروي .

المجرمون »] [١] .

و« الخبايا » جمع خبية، وهي الشيء المستور. وروى «وانتقم من هؤلاء» أي اقتص منهم .

ثم وصف أهل الجنة بأنها لاتعرض لهم الاخطار والخطر : الاشراف على الهلاك .

وان أهل النار يلبسون ثياباً سوداً كأنها من «القطران»، وهو الهناء . والنار اليه أسرع .

و« مقطعات النار » أي ثياباً منها ، والمقطعات من الثياب شبه الجلباب ونحوها . وقال ابو عمرو : ومقطعات الثياب والشعر : قصارها .

في«باب قدأطبق» أي اغلق. والكلب: الشدة. واللجب: الصياح. والجلب: الصيحة ، ورويا معاً .

قوله « ولهب ساطع » أي عال . وقصيف : صوت شديد ، يقال : قصف الرعد وغيره قصفاً [٢] ، أي صوت كأشد ما يكون . والكبول : القيود .

قوله « وقد حقر الدنيا » بالتخفيف أي استصغرها، وبالتشديد أي صغرها.

« وأهون بها » أي لم يعتدبها ولم يكن عزيزة عليه ، وهونها : أي اذلها . وزواها : أي قبضها .

والرياش: اللباس والزينة. وينابيع الحكم [٣] أي الحكمة، وروي الحكم، وهي جمع حكمة [٤] .

---

١) سورة يس : ٥٩ . وما بين المعقوفين ليس في م .

٢) في م : قصيفاً .

٣) الحكم بضم الحاء وسكون الكاف . والثاني معلوم .

٤) في« م » ذكر هاهنا قوله عليه السلام «ثم ميزهم لما يريد» الخ. أقول :

(الاصـل) :

(ومن خطبة له عليه السلام)

وان أفضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان بـه وبرسوله ، والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام ، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، واقام الصلاة فانها الملة ، وايتاء الزكاة فانها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب ، وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب ، وصلة الرحم فانهـا مثراة في المال ومنسأة في الأجل ، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء ، وصنائع المعروف فانهاتقي مصارع الهوان .

أفيضوا في ذكر الله فانه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده أصدق الوعد، واقتدوا[1] بهدي نبيكم فانه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فانها أهدى السنن ، وتعلموا القرآن فانه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فـانه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فانه احسن[2] القصص، وان[3] العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة

وقد مر شرحه في المتن .

ثم ذكر قوله عليه السلام «بحسن بلائك» يجوز أن يتعلق بقوله «سبحانك» ويجوز أن يتعلق بقوله « جعلت داراً » .

١) في م : واهتدوا .

٢) في يد ، ب ، الف ، وهامش م : انفع .

٣) في م ، الف ، نا : فان .

عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم .

(ومن خطبة له عليه السلام)

أما بعد ، فاني أحذركم الدنيا ، فانها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات ، وتحببت بالعاجلة ، وراقت بالقليل ، وتحلت بالامال، وتزينت بالغرور . لاتدوم جدتها، ولا تؤمن فجعتها. غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكالة غوالة، لا تعدو اذاتناهت الى امنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال سبحانه «كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً »[1] .

لم يكن امرؤ منها في حبرة الا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطناً الا منحته من ضرائها ظهراً، ولم تطله فيها ديمة رخاء الاهتنت عليه مزنة بلاء. وحرى اذا اصبحت لهمنتصرة أن تمسي له متنكرة، وان جانب منها اعذوذب واحلولى أمر منها جانب فأوبى .

لاينال امرؤ من غضارتها رغباً الا أرهقته من نوائبها تعباً ، ولا يمسي منها في جناح أمن الا أصبح على قوادم خوف .

غرارة غرور ما فيها فانية، فان [مافيها و] [2] من عليها، لاخير في شيء من أزوادها الا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه . كم من واثق بها قد فجعته ، وذي طمأنينة قد صرعته ، وذى أبهة قد جعلته حقيراً ، وذي نخوة قدردته ذايلا .

سلطانها دول، وعشيها رنق، وعذبها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمام،

---

١) سورة الكهف : ٤٥ .

٢) الزيادة من ص .

وأسبابها زمام ، حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم . ملكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وموفورها منكوب ، وجارها محروب .

ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً ، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالا، وأعد عديداً ، واكثف جنوداً . تعبدوا للدنيا أي تبعد ، وآثروها أي ايثار . ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ، ولا ظهر قاطع . فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفساً بفدية ، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفوادح، وأوهنتهم بالقوارع ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفرتهم للمناخر ، ووطئتهم بالمناسم ، وأعانت عليهم ريب المنون. فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها، وأخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد. وهل زودتهم الا السغب ، أوأحلتهم الا الضنك ، أو نورت لهم الا الظلمة ، أو اعقبتهم الا الندامة .

أفهذه تؤثرون ، أم اليها تطمئنون ، أم عليها تحرصون . فبئست الدار لمن لم يتهمها ، ولم يكن فيها على وجل منها .

فاعلموا [١] ـ وأنتم تعلمون ـ بأنكم تاركوها وظاعنون عنها ، واتعظوا فيها بالذين قالوا «من اشد مناقوة» [٢]، حملوا الى قبورهم فلايدعون ركباناً، وأنزلوا [الأجداث] [٣] فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب اكفان ، ومن الرفات جيران . فهم جيرة لايجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً ، ولا يبالون مندبة . ان جيدوا لم يفرحوا ، وان قحطوا لم يقنطوا ، جميع وهم آحاد ، وجيرة وهم أبعاد ، متدانون لا يتزاورون ، وقريبون لايتقاربون .

حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لايخشى فجعهم ولا

---

١) في بعض النسخ : فاعملوا .

٢) سورة فصلت : ١٥ .

٣) ليس في ب ، الف . وفي نا ، م : الاجنان ـ بدل الاجداث .

يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الارض بطناً ، وبالسعة ضيقاً ، وبالاهل غربة ، وبالنور ظلمة . فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة ، قد ظعنوا عنها بأعمالهم الى الحياة الدائمة، والدار الباقية كما قال سبحانه وتعالى «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين »[1] .

(ومن خطبة له عليه السلام)

(ذكر فيها ملك الموت [وتوفيه الانفس])

هل تحس[2] به اذا دخل منزلا، أم هل تراه اذا توفى احداً ، بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه، أيلج عليه من بعض جوارحها، أم الروح أجابته باذن ربها، أم هو ساكن معه في أحشائها .

كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله .

(بيـانه) :

« توسل العبد الى ربه » أي تقرب اليه بعمل . والوسيلة : ما يتقرب به الى الغير .

و« الايمان بالله » التصديق به بالقلب على ماهو وضع اللغة، وقد تخصص شرعاً بأشياء مخصوصة. وروي عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال «الايمان سر»، واشار الى صدره .

هذا، والايمان بالله وبرسول الله هو الاصل ، وعشرة الاشياء التى عطفها على الايمان بالله وبرسول تفريعاته . ألا ترى أنه « ع » علل كل واحد منهـا

---

١) سورة الانبياء : ١٠٤ .

٢) في بعض النسخ : يحس به .

مفروضها ومسنونها، قال في الجهاد «انه ذروة الاسلام» أي أعلاه، وذرى الشيء: أعاليه ، والذروة : اعلا السنام .

وقال في كلمة الاخلاص وهي الشهادتان « انها الفطرة » يعني انها مقتضى الفطرة . والفطرة : الخلقة .

وقال في الصلاة « انها الملة » أي عملها ، والملة : الدين والشريعة .

وقال في الزكاة «انها فريضة» أي سهم مقتطع من أموالكم للمستحقين محدود مبين مقدارها ووقتها و كيفيتها ومستحقها. وانما ذكر أن الزكاة وحدها فريضة ـ مع أن كل عبادة شرعية واجبة يثبت فرضها أيضاً ـ لان الفريضة في عرف الشرع ما يوجد في الزكوات ، ووصف فريضة بواجبة تأكيداً .

وقال في الصوم الواجب « انه جنة » أي ترس من عقاب الله .

وقال في الحج الذي هو القصد الى بيت الله لمناسك عنده مع الوقوف بالموقفين، وفي العمرة التي هى زيارة الكعبة من دون الموقفين ومقام منى انهما « يرحضان » من العبد الذنوب، أي يغسلها الحج والعمرة، ويدفعان الفقر يعنى يكونان سبب غنى الدنيا وسبب الطهارة .

وقال في صلة الرحم ـ وهي ضد هجران ذوى القرابة ـ أنها سبب كثرة المال وطول العمر، و « المثراة » المدعاة الى الثروة، أي الغنى، و « المنسأة » مفعلة من نسأ الله في أجله : أي اخره .

وقال في صدقة نافلة في السر أنها سبب كفارة الخطيئة ، وهي الذنوب التى لم يبارز الله تعالى بها ، بل كانت من شهوة [1] أو جهل .

---

١) في هامش م : من سهو .

وذكر في صدقة تعطى [1] في الظاهر [الى المستحق] [2] أنها تدفع الاسباب المؤدية الى الهلاك ، كالسقوط في البئر والهدم والصاعقة والحرق والغرق .

وقال في اصطناع الخيرات قولا وفعلا أنه يقي ويحفظ من أن يصيبه ذل وهوان .

ثم قال « أفيضوا في ذكر الله » أي اندفعوا فيه مرة بعد أخرى .

وانما كرر قوله « اقتدوا بهدي نبيكم » ومعناه اقتدوابقوله « واستنوا بسنته» لوجهين: أحدهما أن الهدي هو السيرة والسنة هى الطريقة فهما غيران، والثانى أن الاول يكون امراً بالشروع فيماكان يفعلهتطوعاً وتبرعاً والثاني أراد بهالثبات على ذلك .

قوله « تفقهوا في القرآن » أي تدبروا فقهه وعلمه ، وانه أي وان القرآن أنفع القصص أي احسن الاقتصاص لانه وحي الله ، فهو مصدر قص الحديث يقصه قصاً وقصصاً. ويجوز أن يكون القصص فعلا بمعنى مفعول كالنبأ والخبر، ويكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد .

والجاهل الحائر: المتحير. وروي « الجائر » بالجيم، أي الظالم أو العادل عن الطريق .

و« الدنيا حفت بالشهوات » كما يحف الهودج بالثياب ، يقال حفه بالشىء يحفه. وأما «حف الناس حوله» فالمعنى أطافوا به واستداروا، قال تعالى« وترى الملائكة حافين من حول العرش » [3] .

وراقت : أي أعجبت، وتحلت من الحلية أي تزينت. والحبرة : السرور.

---

١) في م : تدفع .

٢) الزيادة ليست في م .

٣) سورة الزمر : ٧٥ .

« بائدة » أي هالكة . غوالة : مهلكة ومفعول [1] « ان لا تعدوا » .

و« ان تكون » كما قال الله ما مصدرية ، أي لا تجاوز [2] الدنيا كونها كما وصفها الله في قوله « كماء أنزلناه من السماء فاختلطبه » [4] أي فالتف بسبب الماء النبات ، وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً ، يعنى نبت بذلك الماء نبات التف بعضه ببعض تروق حسناً فصار هشيماً كسيراً متفتتاً تنقله الريح من موضع الى موضع، فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات « وكان الله على كل شيء مقتدراً »[3] . أي قادراً لا يجوز عليه المنع .

والمراد بقوله « كان الله » أي ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث وانه كذلك كان لم يزل .

والعبرة : الدمع ، وانما جعلها بأزاء الحبرة التى هي السرور لان البكاء اكثره بسبب الحزن .

و« اعقبته » أي اورثته .

ثم قال « ولم يلق بطناً من سراء الدنيا» وفرحها « الامنحته » وأعطته « ظهراً من ضرائها » .

وانما خصص الظهر بالشدة والبطن بالدعة ،لان ظهر الترس الى الاعداء وبطنه الى الاولياء ، والمشي في بطن الارض سهل وعلى ظهرها صعب .

ولم تطله : أي لم تمطر الدنيا انساناً طلا ومطراً ضعيفاً «الاهتنت» أي صبت وسالت عليه « مزنة بلاء » أي سحاب بلاء أبيض لا يبقى مدة مديدة. ولو قال غمام بلاء لكان فوق ذلك في الشدة، ولم يبالغ في هذا وبالغ في الاول فقال «ديمة

---

١) في ص : وفاعل .

٢) في م : أي لاتجاوزوا .

٣) سورة الكهف : ٤٥ .

الرخاء » وهي مطر دائم من الراحة .

«وان جانب» رفع باسناد فعل مقدر يفسر مابعده، لان « ان » تقتضي الفعل.

« واعذوذب واحلولى » أي صار الى غاية العذوبة والحلاوة .

وأمر : صارمراً ، « وأوبى » أصله الهمز وينبغي ان تكتب بالالف .

والغضارة : طيب العيش و« ارهقته تعباً » اي كلفته تعباً .

وقواديم الطير : مقاديم ريشه، وهي [2] عشر ، والصقر والباز يضربان الصيد بها، واستعارها للخوف لذلك، والجناح للطائر يده، وقال تعالى «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » [3] والكناية به عن الامن ونحوه حسن لان الجناح عام يقع على حوافي ريشه وقوادمه .

ويوبقه : يهلكه . والابهة : التكبر ، وكذا النخوة .

وماء أجاج : أي مرملح ، و« السمام » جمع سم .

واسبابها زمام : أي حبالها بالية .

« والحي بعرض الموت » أي بمعرضه .

« ثم ظعنوا بلا ظهر » أي سافروا بلامركوب يقطع السفر « بل أرهقتهم » أي غشتهم .

وامر فادح : يثقل وينهض، والجمع فوادح. وروي « بالقوادح » بالقاف، والقادح : صدع في العود والسواد الذي يظهر في الاسنان .

والقارعة : المحن التى تقرع ، والجمع القوارع .

---

١) في م : أوبأ .

٢) في اللسان « قوادم الطير » مقاديم ريشه ، وهي عشر في كل جناح . وعن ابن سيدة : أربع ريشات في مقدم الجناح .

٣)سورة الأسراء : ٢٤ .

وضعضعتهم : حركتهم « بالنوائب » أي المصيبات .

والمنسم : خف البعير ، والجمع مناسم .

وريب المنون : حوادث الدهر ، وتنكرها : تغيرها .

ودان لها : أي ذل للدنيا ، وأخلد اليها : أسند اليها .

والسغب . الجوع . والضنك : الضيق . وروي : أوتورث . وأجنان : القبور واحدها جنن .

والرفات : العظام البالية . والضيم : للظلم . والمندبة : المناحة .

و «قحطوا» و« اقحطوا » أصابتهم السنة والقحط ودخلوا فيه، وقحط المطر يقحط قحوطاً : قل . وقال الفراء : قحط المطر أيضاً . وقوله « هل تحس » أي هل تبصر وتجد . « ويتوفى » أي يميت . والجنين : ما في بطن الام .

فهرس الكتاب

(مقدمة وتراجم)

(نص الكتاب)